الأحاديث القدسية

كتاب يشتمل على الأحاديث القدسية الموجودة في كتب الحديث التالية:

١ ـ موطأ الإمام مالك إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى
٢ ـ صحيح إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى
٣ ـ صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رحمه الله تعالى
٤ ـ سنن الإمام أبي داود السجستاني رحمه الله تعالى
٥ ـ جامع الإمام أبي عيسى الترمذي رحمه الله تعالى
٦ ـ سنن الإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي رحمه الله تعالى
٧ ـ سنن الإمام ابن ماجة القزويني رحمه الله تعالى

الجزء الأول

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban

الكتاب : الأحاديث القدسية

Title : Al-Aḥādīṯ al-Qudsiyya

The Holy Hadiths

التصنيف : حديث قدسي

Classification: Holy Hadith

مجموعة من الكتب الستة

Gathered from The six authentic books of Hadith

الناشر : دار الكتـــب العلميـــة – بيـــروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

Pages (2 parts in 1 volume) 400	(جزءان بمجلد واحد)	**عدد الصفحات**
Size 17* 24 cm		**قياس الصفحات**
Year 2012 A.D. -1433 H.		**سنة الطباعة**
Printed in : Lebanon		**بلد الطباعة** : لبنـــان
Edition : 5th		**الطبعة** : الخامسة

http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales@al-ilmiyah baydoun@al-ilmiyah.com

Exclusive rights by © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beirut-Lebanon No part of this publication may be translated, reproduced, distributed in any form or by any means, or stored in a data base or retrieval system, without the prior written permission of the publisher.

Tous droits exclusivement réservés à © **Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah** Beyrouth-Liban Toute représentation, édition, traduction ou reproduction même partielle, par tous procédés, en tous pays, faite sans autorisation préalable signée par l'éditeur est illicite et exposerait le contrevenant à des poursuites judiciaires.

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة **لدار الكتب العلمية** بيروت–لبنان ويحظر طبع أو تصوير أو ترجمة أو إعادة تنضيد الكتاب كاملاً أو مجزأ أو تسجيله على أشرطة كاسيت أو إدخاله على الكمبيوتر أو برمجته على أسطوانات ضوئية إلا بموافقة الناشر خطياً.

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun

1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون،القبة،مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب:٩٤٢٤-١١ بيروت–لبنان
رياض الصلح–بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-2508-8
ISBN 2-7451-2508-7

9 782745 125088 90000

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على أفضل المرسلين، وخاتم النبيين سيدنا محمد، وعلى آله الطيبين، وصحابته الأكرمين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فهذا كتاب يشتمل على الأحاديث القدسية، الموجودة في كتب الحديث الآتية:

(١) موطأ الإمام مالك، إمام دار الهجرة ـ رحمه الله تعالى.

(٢) صحيح إمام المحدثين، محمد بن إسماعيل البخاري ـ رحمه الله تعالى.

(٣) صحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ـ رحمه الله تعالى.

(٤) جامع الإمام أبي عيسى الترمذي ـ رحمه الله تعالى.

(٥) سنن الإمام أبي داود السجستاني ـ رحمه الله تعالى.

(٦) سنن الإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ـ رحمه الله تعالى.

(٧) سنن الإمام ابن ماجه القزويني ـ رحمه الله تعالى.

طريقة الجمع والترتيب

الطريقة في جمع هذه الأحاديث، أنه إذا كان فيها حديث مكرر، اكتفت اللجنة بذكره مرة واحدة، إذا لم تختلف فيه الروايات، وكانت مروية عن صحابي واحد، فإذا اختلفت الروايات، ولو من كتاب واحد بالزيادة أو بالنقص، أو بإبدال

عبارة بأخرى، أو كان الصحابي غير الأول فلا بد من ذكر الرواية الأخرى: كلها، أو بالتنبيه على ما فيها من الزيادة أو النقص.

طريقة شرح هذه الأحاديث

استخرنا الله تعالى، أن يكون شرح هذه الأحاديث مأخوذاً من شرح العلامة القسطلاني لصحيح البخاري، فقد رضيه المحدثون الذين عاصروه، والذين جاؤوا بعده، ومن شرح إمام الأئمة، وقدوة العلماء، الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى، لصحيح مسلم، لأن قوله هو العمدة عند العلماء، والمرجع للمصنفين والمؤلفين، وإذا نسب إليه القول، يصير حجة قوية، يخضع لها الخصوم.

وقد دعت الحاجة إلى الرجوع في شرح بعض الأحاديث، إلى كتب التفسير، وكتب اللغة وغيرها، وما نقلناه من شرح القسطلاني، منه ما أخذناه كاملاً، ومنه ما لخصناه إما من موضع واحد، أو من مواضع متعددة، تكرر فيها الحديث في صحيح البخاري، وكثير من الأحاديث قد رجعنا فيها إلى أكثر من موضع.

وأكثر ما نقلناه من شرح النووي أخذناه دون اختصار، لأن شرح النووي كاد يبلغ الغاية في الإيجاز، مع الإفادة للمقصود.

طريقة كتابة دليل الأحاديث

ولما انتهينا من شرح الأحاديث، وأردنا كتابة دليل لها، وجدناها أحاديث منثورة، قد لا يسهل الاطلاع على الحديث منها لمن أراده، فألهمنا الله تعالى، أن نقسمها إلى مجموعات كل مجموعة تشير إلى أحاديث تتصل بها، وتدخل تحتها، وذكرنا أول كل حديث رقمه، فما على القارىء إلا أن يعرف المجموعة التي تتصل بالحديث المطلوب، ثم يبحث عنه في دائرة ضيقة.

وقد اشتمل الكتاب على نحو أربعمائة حديث، باعتبار عَدَّ المكرر منها، الذي اختلفت روايته، أو تغير فيه الصحابي الذي رواه عن النبي ﷺ.

وابتدأناه بمقدمة في بيان معنى الحديث القدسي، والفرق بينه وبين القرآن الكريم، وبينه وبين الحديث النبوي، تتميماً للفائدة.

وعقبنا ذلك بذكر نبذة قصيرة في التعريف بالأئمة أصحاب الكتب التي جمعنا منها هذه الأحاديث راجين الله تعالى أن يوفقنا إلى السير على هدى هؤلاء الأئمة

الأعلام، فإنهم نجوم الهداية، ومصابيح الدنيا، وخدام سنة رسول الله ﷺ؛ باعوا حياتهم، وأفنوا أعمارهم في الحفاظ على السنة المحمدية، وفي الذب عنها، وتخليصها من دنس الوضع، ومن شوائب الضعف ـ رضي الله عنهم وأرضاهم، ونفع المسلمين بعلومهم. آمين.

والله نسأل أن يرزقنا العون والتوفيق إلى الصواب، كما نسأله أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم إنه جواد كريم، وبالإجابة جدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

مقدمة في أبحاث تتعلق بالحديث القدسي

(١) معنى الحديث القدسي.

(٢) الفرق بين القرآن والحديث القدسي.

(٣) وجوه في الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي والقرآن الكريم وكتب الأنبياء السابقين عليهم أفضل الصلاة والسلام.

وهذه الأبحاث منقولة من كتاب الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية للمناوي ـ وقد ذكرها خاتمة لكتابه الإتحافات السنية.

وكذا نقلنا ما ذكره السيد جمال الدين القاسمي الدمشقي في ذلك، من كتابه المسمى (قواعد التحديث، من فنون مصطلح الحديث).

وقد ذكر كل من هذين الإمامين آخر ما أمكنه الاطلاع عليه في هذا الموضوع ولم يتيسر للجنة حين كتابة ذلك غير هذين الكتابين، فنقلت ما كتب في هذين الكتابين، ثقة منها بجلالة قدر هذين الإمامين الجليلين ـ رحمهما الله تعالى.

مع العلم بأنه لو تيسر لنا نقل آخر يزيد عما فيهما، فسنلحقه بآخر هذا الكتاب إن شاء الله تعالى. وافتتحت اللجنة بما قاله صاحب الاتحافات السنية في الأحاديث القدسية.

قال رحمه الله تعالى: (الخاتمة في شرح معنى الحديث القدسي).

القدس بضمتين وبإسكان الثاني، هو الطهر، والأرض المقدسة: المطهرة.

وبيت المقدس منها معروف ـ وتقدس الله: تنزه، وهو القدوس، كذا في المصباح.

وإنما نسب الأحاديث إلى القدس، لإضافة معناها إلى الله وحده، على ما في التعريفات للحديث القدسي ـ فإن ما أخبر الله به نبيه ﷺ بالإلهام أو بالمنام، فأخبر عليه الصلاة والسلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه ـ فالقرآن مفضل عليه، لأن لفظه منزل أيضاً ـ أي من عند الله تعالى. انتهى.

وقال مولانا علي القاري ـ عليه الرحمة ـ: الحديث القدسي ما يرويه صدر الرواة، ومصدر الثقات ـ عليه أفضل الصلوات وأكمل التحيات ـ عن الله ـ تبارك وتعالى ـ تارة بواسطة جبريل ـ عليه السلام ـ وتارة بالوحي أو الإلهام أو المنام، مفوضاً إليه التعبير بأي عبارة شاء من أنواع الكلام.

وهي تغاير القرآن الحميد، والفرقان المجيد، بأن نزوله لا يكون إلا بواسطة الروح الأمين، ويكون مقيداً باللفظ المنزل من اللوح المحفوظ على وجه اليقين، ثم يكون نقله متواتراً قطعياً، في كل طبقة وفي كل عصر وحين، ويتفرع عليه فروع كثيرة عند العلماء، بها شهيرة:

منها عدم صحة الصلاة بقراءة الأحاديث القدسية، ومنها عدم حرمة لمسها وقراءتها للجنب والحائض والنفساء، ومنها عدم تعلق الإعجاز بها، ومنها عدم كفر جاحدها. اهـ.

فائدة في الفرق بين القرآن والحديث القدسي

قال المولى الكرماني في أول كتاب الصوم: القرآن لفظ معجز، ومنزل بواسطة جبرائيل ـ عليه السلام ـ وهذا غير معجز، وبدون الواسطة، ومثله يسمى بالحديث القدسي والإلٰهي والرباني.

ثم قال: فإن قلت: الأحاديث كلها كذلك، كيف لا، وهو ما ينطق عن الهوى؟ قلت: الفرق بأن الحديث القدسي مضاف إلى الله تعالى، ومروي عنه بخلاف غيره.

وقد يفرق بأن القدسي ما يتعلق بتنزيه ذاته وصفاته الجلالية والجمالية. قال الطيبي: القرآن هو اللفظ المنزل به جبرائيل ـ عليه السلام ـ على النبي ﷺ. والقدسي: إخبار الله معناه بالإلهام أو المنام، فأخبر النبي عليه الصلاة والسلام أمته بعبارة نفسه، وسائر الأحاديث لم يضفها إلى الله، ولم يروها عنه، كذا في كتاب

الفوائد، لحفيد التفتازاني.

ايضاً وجوه في الفرق بين القرآن والحديث القدسي

ذكر الشيخ محمد علي الفاروقي، في (كشاف الاصطلاحات والفنون) عند بيان أنواع الحديث وتقسيمها، فقال:

الحديث إما نبوي وإما إلهي، ويسمى حديثاً قدسياً أيضاً. فالحديث القدسي، هو الذي يرويه النبي ﷺ عن ربه ـ عز وجل ـ والنبوي: ما لا يكون كذلك. هكذا يفهم مما ذكر ابن حجر في (الفتح المبين، في شرح الحديث الرابع والعشرين).

وقال الحلبي في حاشية التلويح، في الركن الأول عند بيان معنى القرآن: الأحاديث الإلهية: هي التي أوحاها الله تعالى، إلى النبي ﷺ ليلة المعراج، وتسمى بأسرار الوحي. اهـ.

(فائدة) قال ابن حجر هناك: لا بد من بيان الفرق بين الوحي المتلو، وهو القرآن، والوحي المروي عنه ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عن ربه عز وجل وهو ما ورد من الأحاديث الإلهية، وتسمى القدسية، وهي أكثر من مائة، وقد جمعها بعضهم في جزء كبير ـ قال:

اعلم أن الكلام المضاف إليه تعالى أقسام: أولها وأشرفها القرآن لتميزه عن البقية بإعجازه، وكونه معجزة باقية على ممر الدهور، محفوظة من التغيير والتبديل، وبحرمة مسه للمحدث، وتلاوته للجنب، وروايته بالمعنى، وبتعيينه في الصلاة، وبتسميته قرآناً، وبأن كل حرف منه بعشر حسنات، وبامتناع بيعه، في رواية عند أحمد، وكراهته عندنا، وبتسمية الجملة منه آية وسورة.

وغيره من بقية الكتب، والأحاديث القدسية، لا يثبت لها شيء من ذلك، فيجوز مسه وتلاوته لمن ذكر، وروايته بالمعنى، ولا يجزىء في الصلاة، بل يبطلها، ولا يسمى قرآناً، ولا يعطى قارئه بكل حرف عشر حسنات، ولا يمنع بيعه ولا يكره اتفاقاً، ولا يسمى بعضه آية، ولا سورة اتفاقاً أيضاً.

وثانيها ـ كتب الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ قبل تغيرها وتبدلها.

وثالثها ـ بقية الأحاديث القدسية، وهي ما نقل إلينا آحاداً عنه ـ ﷺ ـ مع إسناده لها عن ربه، فهي من كلامه تعالى، فتضاف إليه وهو الأغلب، ونسبتها إليه

حينئذٍ نسبة إنشاء، لأنه المتكلم بها أولاً، وقد تضاف إلى النبي ﷺ لأنه المخبر بها عن الله تعالى، بخلاف القرآن، فإنه لا يضاف إلا إليه تعالى، فيقال فيه: قال الله تعالى ـ وفيها قال رسول الله ﷺ، فيما يروي عن ربه.

واختلف في بقية السنة، هل كل السنة بوحي أو لا؟ وآية ﴿ما ينطق عن الهوى﴾ تؤيد الأول، ومن ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه) ـ ولا تنحصر تلك الأحاديث في كيفية من كيفيات الوحي، بل يجوز أن تنزل بأي كيفية من كيفياته، كرؤيا النوم والإلقاء في الروع، وعلى لسان الملك.

ولراويها صيغتان: إحداهما أن يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما يرويه عن ربه، وهي عبارة السلف.

وثانيتهما ـ أن يقول: قال الله تعالى، فيما رواه عنه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والمعنى واحد. اهـ كلامه.

وفي فوائد الأمير حميد الدين: الفرق بين القرآن والحديث القدسي على ستة أوجه:

الوجه الأول: أن القرآن معجز، والحديث القدسي ليس معجزاً.

والثاني: أن الصلاة لا تكون إلا بالقرآن، بخلاف الحديث القدسي.

والثالث: أن جاحد القرآن يكفر، بخلاف جاحد الحديث القدسي فلا يكفر.

والرابع: أن القرآن لا بد فيه من كون جبرائيل ـ عليه السلام ـ واسطة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين الله تعالى، بخلاف الحديث القدسي.

والخامس: أن القرآن يجب أن يكون لفظه من الله تعالى، بخلاف الحديث القدسي، فيجوز أن يكون اللفظ من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

والسادس: أن القرآن لا يمس إلا بالطهارة، والحديث القدسي يجوز مسه من المحدث. اهـ.

ثم قال: وتبين بهذا الفرق بين الحديث القدسي، وبين ما نسخ تلاوته أيضاً، لما عرفت فيما نقلناه من الإتقان، من أنه يسمى بالقرآن والآية. انتهى النقل من آخر كتاب الإتحافات السنية. والله أعلم.

(المنقول من كتاب قواعد التحديث، تأليف جمال الدين القاسمي الدمشقي)

بيان الحديث القدسي: قال العلامة الشهاب ابن حجر الهيتمي في شرح الأربعين النووية، في شرح الحديث الرابع والعشرين، المسلسل بالدمشقيين، وهو حديث أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى، أنه قال: (يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً، فلا تظالموا. . . الحديث) ما نصه:

(فائدة) يعم نفعها، ويعظم وقعها، في الفرق بين الوحي المتلو، وهو القرآن، والوحي المروي عنه ﷺ عن ربه عز وجل وهو ما ورد من الأحاديث الإلهية، وتسمى القدسية، وهي أكثر من مائة، وقد جمعها بعضهم في جزء كبير، وحديث أبي ذر هذا من أجلّها.

اعلم أن الكلام المضاف إليه تعالى أقسام ثلاثة:

أولها، وهو أشرفها: القرآن، لتميزه عن البقية بإعجازه من أوجه كثيرة، وكونه معجزة باقية على ممر الدهور، محفوظة من التغيير والتبديل، وبحرمة مسه للمحدث وتلاوته لنحو الجنب، وروايته بالمعنى، وبتعينه في الصلاة، وبتسميته قرآناً، وبأن كل حرف منه بعشر حسنات، وبامتناع بيعه في رواية عند أحمد، وكراهته عندنا، وبتسمية الجملة منه آية وسورة. وغيره من بقية الكتب والأحاديث القدسية لا يثبت لها شيء من ذلك، فيجوز مسه وتلاوته لمن ذكر، وروايته بالمعنى، ولا يجزىء في الصلاة، بل يبطلها، ولا يسمى قرآناً، ولا يعطى قارئه بكل حرف عشراً، ولا يمنع بيعه ولا يكره اتفاقاً، ولا يسمى بعضه آية ولا سورة اتفاقاً أيضاً.

ثانيها: كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قبل تغييرها وتبديلها.

ثالثها: بقية الأحاديث القدسية، وهي ما نقل إلينا آحاداً عنه ﷺ، مع إسناده لها عن ربه، فهي من كلامه تعالى، فتضاف إليه، وهو الأغلب، ونسبتها إليه حينئذٍ نسبة إنشاء، لأنه المتكلم بها أولاً، وقد تضاف إلى النبي ﷺ، لأنه المخبر بها عن

الله تعالى، بخلاف القرآن، فإنه لا يضاف إلا إليه تعالى، فيقال فيه: قال الله تعالى، وفيها: قال رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه تعالى.

واختلف في بقية السنة، هل هو كله بوحي أو لا ـ وآية ﴿**وما ينطق عن الهوى**﴾ تؤيد الأول، ومن ثم قال ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه» ولا تنحصر تلك الأحاديث القدسية في كيفية الوحي، بل يجوز أن تنزل بأي كيفية من كيفياته، كرؤيا النوم، والإلقاء في الروع، وعلى لسان الملك.

ولراويها صيغتان: **إحداهما**: أن يقول: رسول الله ﷺ فيما يروى عن ربه وهي عبارة السلف، ومن ثم آثرها النووي رحمه الله تعالى.

ثانيتهما: أن يقول: قال الله تعالى، فيما رواه عنه رسول الله ﷺ والمعنى واحد. انتهى. وفي كليات أبي البقاء في الفرق بين القرآن والحديث القدسي أن القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله تعالى بوحي جلي، وأما الحديث القدسي فهو ما كان لفظه من عند الرسول ﷺ ومعناه من عند الله تعالى بالإلهام أو بالمنام.

وقال بعضهم: القرآن لفظ معجز، وقول منزل بواسطة جبريل، والحديث القدسي غير معجز، وبدون الواسطة، ومثله يسمى بالحديث القدسي والإلهي والرباني.

وقال الطيبي: القرآن هو اللفظ المنزل به جبريل على النبي ﷺ، والقدسي إخبار الله معناه بالإلهام أو المنام، فأخبر النبي ﷺ أمته بعبارة نفسه، وسائر الأحاديث لم يضفها إلى الله تعالى، ولم يروها عنه تعالى، انتهى ما نقله عن ابن حجر الهيتمي.

ثم نقل بعد ذلك كلاماً صوفياً عن السيد أحمد بن المبارك في الإبريز في صورة أسئلة لشيخه السيد عبد العزيز الدباغ، وأجوبة نقلها عنه، فليراجعها من أرادها. والله أعلم.

نبذة في التعريف بأصحاب الكتب المأخوذ منها الأحاديث القدسية

أولاً: الإمام مالك رحمه الله تعالى

هو أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، إمام دار الهجرة، ولد سنة خمس وتسعين من الهجرة ومات بالمدينة سنة تسع وسبعين ومائة، وله يومئذٍ أربع وثمانون سنة.

هو إمام الحجاز، بل إمام الناس في الفقه والحديث، وكفاه فخراً أن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى من تلاميذه.

أخذ العلم عن ابن شهاب الزهري، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ونافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما، وغيرهم ـ وأخذ عنه العلم خلق لا يحصون كثرة، منهم الشافعي رحمه الله تعالى، ومحمد بن إبراهيم بن دينار، وابن عبد الرحمن المخزومي، وعبد العزيز بن أبي حازم، وهؤلاء نظراؤه من أصحابه، ومعن بن عيسى القزاز، وعبد الملك بن عبد العزيز الماجشون، ويحيى بن يحيى الأندلسي، وعبد الله بن مسلمة القعنبي، وعبد الله بن وهب، وأصبغ بن الفرج ـ وهؤلاء هم مشايخ البخاري، ومسلم، وأبي داود، والترمذي، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وغيرهم من أئمة الحديث، وروى الترمذي في جامعه عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (يوشك الناس أن يضربوا أكباد الإبل، يطلبون العلم، فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة).

قال: وهذا حديث حسن.

قال عبد الرزاق وسفيان بن عيينة إنه مالك بن أنس.

قال مالك ـ رحمه الله ـ: قل من كتبت عنه العلم مات حتى يجيئني ويستفتيني. ولقد حدث يوماً عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، فاستزاده القوم من حديثه، فقال: ما تصنعون بربيعة وهو نائم في ذلك الطاق؟ فأتي ربيعة، فقيل له: أنت ربيعة الذي يحدث عنك مالك؟ قال: نعم. فقيل له: كيف حظي بك مالك، ولم تحظ أنت بنفسك؟ قال: أما علمتم أن مثقالاً من دولة خير من حمل من علم.

وكان مالك رحمه الله مبالغاً في تعظيم العلم، إذا أراد أن يحدث، توضأ وجلس على وقار وهيبة، واستعمل الطيب، وكان مهيباً ـ ولبعض المدنيين فيه:

يدع الجواب فلا يراجع هيبة والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى فهو المطاع وليس ذا سلطان

قال يحيى بن سعيد القطان: ما في القوم أصح حديثاً من مالك. ـ وقال الشافعي رحمه الله: إذا ذكر العلماء فمالك النجم.

وروي أن المنصور منعه من رواية الحديث في طلاق المكره، ثم دس إليه من يسأله، فروى على ملأ من الناس: (ليس على مكره طلاق) فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث.

ولما حج الرشيد سمع الموطأ من مالك، وأعطاه ثلاثة آلاف دينار، ثم قال له: ينبغي أن تخرج معنا، فإني عزمت أن أحمل الناس على الموطأ، كما حمل عثمان رضي الله عنه الناس على القرآن فقال: أما حمل الناس على الموطأ فليس إلى ذلك سبيل، فإن أصحاب النبي ﷺ افترقوا بعده في البلاد، فعند أهل مصر علم، وقد قال النبي ﷺ: (اختلاف أمّتي رحمة) ـ وأما الخروج معك فلا سبيل إليه، قال رسول الله ﷺ: (المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون) وهذه دنانيركم كما هي، فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ.

وقال الشافعي رحمه الله تعالى: رأيت على باب مالك كراعاً من أفراس خراسان وبغال مصر ما رأيت أحسن منه، فقلت له: ما أحسنه، فقال: هو هدية مني إليك، فقلت له: دع لنفسك منها دابة تركبها، فقال: إني أستحيي من الله تعالى أن أطأ تربة فيها رسول الله ﷺ بحافر دابة ـ ومناقبه أكثر من أن تحصى رحمة الله عليه آمين.

ثانياً: ترجمة الإمام البخاري رحمه الله تعالى

هو أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه، الجعفي البخاري. وإنما قيل له الجعفي، لأن المغيرة أبا جده كان مجوسياً أسلم على يدي يمان البخاري الجعفي، فنسب إليه، وجعفي أبو قبيلة من اليمن.

ولد يوم الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وتسعين ومائة،

وتوفي ليلة الفطر سنة ست وخمسين ومائتين، وله اثنتان وستون سنة، إلا ثلاثة عشر يوماً، ولم يعقب ذكراً.

رحل في طلب العلم إلى جميع محدثي الأمصار، وكتب عن الحفاظ، مثل مكي بن إبراهيم البلخي، وعبد الله بن عثمان المروزي، وعبيد الله بن موسى العبسي، وأبي نعيم الفضل بن دكين، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، ويحيى بن معين وغيرهم رحمهم الله تعالى... وأخذ عنه الحديث خلق كثير، قال الفربري: سمع كتاب البخاري تسعون ألف رجل، ولم يبق منهم أحد يرويه عنه غيري.

وطلب العلم وله عشر سنين، ورد على المشايخ وله إحدى عشرة سنة.

قال البخاري رحمه الله تعالى: خرجت كتابي الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث وما وضعت فيه حديثاً إلا وصليت ركعتين.

ولما قدم بغداد جاءه أصحاب الحديث وأرادوا امتحانه، فعمدوا إلى مائة حديث فقلبوا متونها وأسانيدها، ودفعوها إلى عشرة رجال، وأمروهم أن يلقوها إليه، فانتدب رجل منهم، فسأله عن حديث منها، فقال: لا أعرفه، فسأله عن آخر، فقال: لا أعرفه، حتى فرغ من العشرة، والبخاري يقول: لا أعرفه، ثم انتدب آخر من العشرة، فكان حاله معه كذلك، إلى تمام العشرة، والبخاري لا يزيدهم على قوله: لا أعرفه. فأما العلماء فعرفوا بإنكاره أنه عارف، وأما غيرهم فلم يدركوا ذلك. فلما فرغوا التفت البخاري إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول فهو كذا، وأما حديثك الثاني فهو كذا، على النسق إلى آخر العشرة، فرد كل متن إلى إسناده، وكل إسناد إلى متنه، ثم فعل بالباقين مثل ذلك، فأقر الناس له بالحفظ، وأذعنوا له بالفضل. اهـ.

ثالثاً: ترجمة الإمام مسلم رحمه الله تعالى

هو أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، النيسابوري. ولد سنة أربع ومائتين، وتوفي لست بقين من رجب سنة إحدى وستين ومائتين وله سبع وخمسون سنة.

رحل في طلب العلم إلى الأقطار، وأخذ الحديث عن يحيى بن يحيى،

وقتيبة بن سعيد، وإسحاق بن راهويه، وأحمد بن حنبل، والقعنبي، وحرملة بن يحيى، وغيرهم من أئمة الحديث.

قدم بغداد غير مرة، وحدث بها، وأخذ عنه الحديث خلق كثير، وكان يقدم في معرفة الصحيح على أهل عصره، وقال: صنفت المسند من ثلاثمائة ألف حديث مسموعة، وقال الخطيب البغدادي: إنما قفا مسلم طريق البخاري: نظر في علمه، وحذا حذوه. رحمهما الله تعالى. آمين.

رابعاً: ترجمة الإمام أبي داود رحمه الله تعالى

هو الإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأسدي، السجستاني، رحل في طلب العلم، وطوف وجمع، وصنف كتباً كثيرة، وكتب عن أهل العراق والشام ومصر وخراسان.

ولد سنة اثنتين ومائتين، وتوفي بالبصرة لأربع عشرة ليلة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين.

وأخذ الحديث عن مشايخ البخاري ومسلم، كأحمد بن حنبل، وعثمان بن أبي شيبة، وقتيبة بن سعيد، وغيرهم من أئمة الحديث، وأخذ عنه ابنه عبد الله، وأبو عبد الرحمن النسائي، وأبو علي اللؤلؤي، وخلق سواهم.

عرض كتابه السنن على أحمد بن حنبل، فاستجاده واستحسنه.

قال أبو داود رحمه الله تعالى: كتبت عن رسول الله ﷺ خمسمائة ألف حديث فانتخبت منها أربعة آلاف وثمانمائة حديث ضمنتها هذا الكتاب ذكرت الصحيح وما يشبهه وما يقاربه، ويكفي الإنسان لدينه من ذلك أربعة أحاديث: أحدها قوله ﷺ: (الأعمال بالنيات) والثاني قوله ﷺ: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) والثالث قوله ﷺ: (لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يرضى لأخيه ما يرضى لنفسه) والرابع: (الحلال بين، والحرام بين... الحديث).

وكان أبو داود رحمه الله تعالى في أعلى درجة من العلم والنسك والورع. روي أنه كان له كم واسع، وكم ضيق، فقيل له: ما هذا؟ فقال: الواسع للكتب، والآخر لا يحتاج إليه.

قال الخطابي: لم يصنف في علم الدين مثل كتاب السنن لأبي داود، وقد

رزق القبول من كافة الناس على اختلاف مذاهبهم.

قال أبو داود: ما ذكرت في كتابي حديثاً أجمع الناس على تركه.

قال ابن الأعرابي: لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف، وهذا الكتاب ـ يعني السنن لأبي داود ـ لم يحتج معهما إلى شيء من العلم.

وكان علماء الحديث قبل أبي داود صنفوا الجوامع والمسانيد ونحوها، فتجمع تلك الكتب إلى ما فيها من السنن والأحكام أخباراً، وقصصاً ومواعظ وآداباً.

فأما السنن المحضة فلم يقصد أحد منهم إفرادها واستخلاصها، ولا اتفق له ما اتفق لأبي داود. وقال إبراهيم الحربي: لما صنف أبو داود هذا الكتاب ألين له الحديث، كما ألين الحديد لداود عليه السلام. اهـ.

خامساً: ترجمة الإمام الترمذي رحمه الله تعالى

هو أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي. ولد سنة مائتين هجرية، وتوفي بترمذ ليلة الاثنين، الثالث عشر من رجب، سنة تسع وسبعين ومائتين.

هو أحد العلماء الحفاظ، لقي الصدر الأول من المشايخ، مثل قتيبة بن سعيد، ومحمد بن بشار، وعلي بن حجر، وغيرهم من أئمة الحديث.

وأخذ عنه خلق كثير، وله تصانيف كثيرة في علم الحديث، وهذا كتابه الصحيح أحسن الكتب، وأكثرها فائدة، وأقلها تكراراً.

قال الترمذي رحمه الله: عرضت هذا الكتاب على علماء الحجاز والعراق وخراسان فرضوا به واستحسنوه، ومن كان في بيته فكأنما في بيته نبي يتكلم. اهـ.

سادساً: ترجمة الإمام أبي عبد الرحمن النسائي رحمه الله تعالى

هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي بن بحر النسائي.

ولد سنة خمس عشرة ومائتين، ومات بمكة سنة ثلاث وثلاثمائة. وهو أحد العلماء الأئمة الحفاظ. أخذ العلم عن قتيبة بن سعيد، وعلي بن خشرم، وإسحاق بن إبراهيم، ومحمد بن بشار، وأبي داود السجستاني، وغيرهم... وأخذ عنه خلق كثير، وله كتب كثيرة في الحديث، وكان شافعي المذهب، وله مناسك على

مذهب الإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ وكان ورعاً متحرياً، قال علي بن عمر الحافظ: أبو عبد الرحمن النسائي مقدم على كل من يذكر في زمانه في هذا العلم.

اجتمع به جماعة من الشيوخ والحفاظ، منهم عبد الله بن أحمد بن حنبل بطرسوس وكتبوا كلهم بانتخابه.

وسأله بعض الأمراء عن كتابه السنن: أكله صحيح؟ فقال: فيه الصحيح والحسن وما يقاربهما، قال: فاكتب لنا الصحيح منه مجرداً، فصنع المجتبى من السنن، ترك كل حديث تكلم في إسناده بالتعليل اهـ.

قال صاحب تيسير الوصول، الذي نقلت منه هذه التراجم:

هذا قليل من كثير من أحوال هؤلاء الأئمة، يستدل بها على جلالة قدرهم، وعلو مرتبتهم في هذا العلم ـ رضي الله عنهم أجمعين، آمين.

سابعاً: ترجمة الإمام ابن ماجه القزويني ـ صاحب السنن ـ رحمه الله تعالى

هو أبو عبد الله، محمد بن يزيد بن ماجه، صاحب كتاب السنن المشهورة، وهي دالة على عمله وعلمه وتبحره واطلاعه، واتباعه للسنة في الأصول والفروع.

ويشتمل على اثنين وثلاثين كتاباً، وألف وخمسمائة باب، وعلى أربعة آلاف حديث، كلها جياد، سوى اليسير منها.

ولابن ماجه تفسير حافل، وتاريخ كامل، من لدن الصحابة إلى عصره، وقد روى عنه الكبار القدماء: ابن سيبويه، ومحمد بن عيسى الصفار، وإسحاق بن محمد، وعلي بن إبراهيم.

توفي رحمه الله لثمان بقين من رمضان سنة ٢٧٣ ثلاث وسبعين ومائتين عن أربع وستين سنة، رحمه الله تعالى. اهـ من البداية والنهاية لابن كثير جـ ١١ ص ٥٢.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

١ ـ (ما جاء في فضل ذكر اللَّه تعالى وكلمة التوحيد)

حديث فضل الذكر من صحيح البخاري

من باب فضل اللَّه تعالى جـ ٨ ص ٨٦ ـ ٨٧ متن البخاري طبعة ميري.

(١) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيد، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الأَعْمَش، عَنْ أَبي صَالح عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ (إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً، يَطُوفُونَ في الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلىَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ـ: مَا يَقُولُ عِبَادِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: يُسَبِّحُونَكَ

شرح الحديث من شرح القسطلاني

(يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر) معناه ما ورد في رواية مسلم: **(سياحين في الأرض يبتغون مجالس الذكر)** وهي الأمكنة التي يذكر الله تعالى فيها.

(تنادوا هلموا..) الخ أي نادى بعضهم بعضاً، ينادون بقولهم: هلموا أي تعالوا إلى حاجتكم، وهي بغيتكم وطلبتكم ـ كما ورد في بعض الروايات.

(فيحفونهم بأجنحتهم.. الخ) أي يديرون أجنحتهم حول الذاكرين، ويملأون الأجواء إلى سماء الدنيا ـ **(فيحفونهم)** بفتح الياء التحتية، وضم الحاء، أي يحيطون بهم.

وفي رواية مسلم زيادة **(فضلاً)** وهو بضم الفاء، وسكون الضاد، جمع فاضل، كنزل ونازل، وهو صفة السيارة.

وفي رواية الترمذي: **(فضلاً عن كتاب الناس)** وهو بفتح الفاء وسكون الضاد، ومعناه: أنهم غير الملائكة الذين يكتبون الحسنات والسيئات، فهم زيادة عن الملائكة الكتبة، وكذا هم زائدون عن الحفظة وغيرهم، من المرتبين مع الخلائق، فلا وظيفة لهم إلا حلق الذكر.

وعند البخاري: فيحفونهم بأجنحتهم ـ وعند مسلم: حف بعضهم بعضاً بأجنحتهم ـ ولا تعارض بينهما، لأنهم يطوفون بأهل الذكر، ويحف بعضهم بعضاً، وبذلك يحفون أهل الذكر بأجنحتهم.

قوله: **(وهو أعلم بهم)** أي منهم، هي جملة معترضة، لدفع إيهام الجهل عند السؤال، ـ والحكمة في سؤال الله الملائكة عن العباد ـ بيان فضل بني آدم للملائكة، الذين قالوا:

وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ. لاَ، وَاللَّهِ مَا رأَوْكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا وَتَحْمِيدًا، وَأَكْثَرَ تَسْبِيحًا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَمَا يَسْأَلُونَنِي؟ قَالَ: يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ، وَاللَّهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً، قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يَقُولُونَ: مِنَ النَّارِ، قَالَ: يَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لاَ، وَاللَّهِ يَا رَبِّ. مَا رَأَوْهَا، قَالَ: يَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: يَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وَأَشَدَّ لِهَا مَخَافَةً، قَالَ: فَيَقُول أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرتُ لَهُمْ، قَالَ: يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ: فِيهِمْ فُلاَنٌ، لَيْسَ مِنْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَة، قَالَ: هُمُ الْجُلَسَاءُ، لاَ يَشْقَى بهِمْ جَلِيسُهُمْ.

حديث فضل الذكر من صحيح مسلم

من باب فضل مجالس الذكر ـ جـ ١٠ من هامش القسطلاني.

(٢) عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ للَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلاَئِكَةً، سَيَّارَةً فُضُلاً، يَبْتَغُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ، قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّماءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا انْصَرَفُوا عَرَجُوا وصَعِدُوا إِلَى السَّمَاء، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ ـ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَاد لَكَ في الأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ،

(أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) أي فهم الآن يشهدون لبني آدم أنهم أيضاً يسبحون الله، ويمجدونه عن غيب، مع وجود الشهوات عندهم، وخلو الملائكة عن الشهوات والصوارف، فيكون ذلك اعترافاً منهم بفضل بني آدم.

(هم القوم، لا يشقى بهم جليسهم) ـ أو لا يشقى لهم جليس: فالله تعالى يغفر لمن حضر مجلسهم لحاجة لنفسه، ولم يرد الحضور للذكر معهم، لأن حضور مجالس الذكر يحيي القلوب الميتة، فيحيا قلب هذا، وإن لم يقصد الحضور للذكر. وفضل الله عظيم وفي ذلك تنويه بفضل مجالس الذكر والعبادة وحضورها، وهي تشمل جميع أنواع العبادات من دراسة علم ومذاكرته وقراءة قرآن وذكر وتهليل وغيرها، فهي مجالس النور والحياة. والله أعلم.

قَالَ: وَمَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لاَ، أَيْ رَبِّ، قَالَ: فَكَيْفَ لوْ رَأَوْا جَنَّتي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: يَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ، عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ، هُمُ الْقَوْمُ، لاَ يَشْقى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ.

حديث فضل الذكر من صحيح الترمذي

باب ما جاء (إن للَّه ملائكة سياحين في الأَرض) جـ ٢ ص ٢٨٠.

(٣) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ وَأَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ للَّهِ مَلاَئِكَةً سَيَّاحِينَ في الأَرْضِ، فَضْلاً عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ، فَإِذَا وَجَدُوا أَقْوَامًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ، تَنَادَوْا: هَلَمُّوا إِلَى بُغْيَتِكُم، فَيَجِيئُونَ فَيَحُفُّونَ بهم إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ اللَّهُ: عَلَى أَيِّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبَادِي يَصْنَعُونَ؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيَذْكُرُونَكَ قَالَ: فَيَقُولُ: فَهَلْ رَأَوْنِي؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْكَ لَكَانُوا أَشَدَّ لَكَ تَحمِيدًا، وَأَشَدَّ تَمْجِيدًا، وَأَشَدَّ لَكَ ذِكْرًا، قَالَ: فَيَقُولُ: وَأَيَّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَطْلُبُونَ الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لاَ، قَالَ: فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ قَالَ: فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ لَهَا طَلَبًا، وَأَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، قَالَ: فيَقُولُ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالُوا: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَهَلْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيَقُولُ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟ فَيَقُولُونَ: لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا هَرَبًا، وأَشَدَّ مِنْهَا خَوْفًا، وَأَشَدَّ مِنْهَا تَعَوُّذًا، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ فِيهِمْ فُلاَنًا الْخَطَّاءَ لَمْ يُرِدْهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، فَيَقُولُ: هُمُ الْقَوْمُ لاَ يَشْقَى لَهُمْ جَلِيسٌ.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

حديث (إذا قال العبد: لا إله إلا اللَّه يقول اللَّه: صدق عبدي)

أَخرجه ابن ماجه في سننه ـ باب ـ (فضل لا إله إلا اللَّه) جـ ٢ ص ٢١٩.

(٤) عَنِ أَبي إِسْحَاقَ، عَنِ الأَغَرِّ أَبي مُسْلِمٍ، أَنَّهُ شَهِدَ عَلَى أَبي هُرَيْرَةَ وَأَبي

سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهُ وَسَلَّم ـ قَالَ: إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لا إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: صَدَقَ عَبْدِي، لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا، وَأَنَا اللَّهُ أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لا إِلهَ إِلاَ اللَّهُ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا وَلاَ شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا، لِي الْمُلْكُ، وَلِيَ الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنَا، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بي.

قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: ثُمَّ قَالَ الأَغَرُّ شَيْئًا لَمْ أَفْهَمْهُ، قَالَ: فَقُلْتُ لأَبي جَعْفَرٍ: مَا قَالَ؟ فَقَالَ:

(مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ)[1].

* * *

(حديث فضل الحامدين)

أَخرجه النسائي في سننه، من باب ـ فضل الحامدين ـ جـ ٢ ص ٢٢٠.

(٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْن عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ

شرح الحديثين

(١) أولاً حديث فضل **(لا إله إلا الله)** المعنى أن أبا هريرة وأبا سعيد الخدري رضي الله عنهما أخبرا عن رسول الله ﷺ بهذا الحديث الذي قاله عن الله سبحانه وتعالى والحال أنهما على يقين مما سمعا منه وربما أخبرا به، وهي شهادة حق منهما ليس فيها شك ولا توهم، ويتحملان عاقبة إثمها أن كانت على خلاف الواقع، فالكلام لتأكيد الخبر.

ومعنى الحديث أن الله تبارك وتعالى يرضى عما يقوله العبد من أنواع الذكر الموجود في الحديث، ويصدقه فيما يقول.

وثمرة تصديقه رضاه عنه وإثابته على ما يقول بحسن الجزاء، وعظيم المثوبة.

والمراد بقوله: **(من رزقهن عند موته، لم تمسه النار)** أن العبد إذا لم يزل معتقداً لما كان يقوله من هذا الذكر، حتى أنه رزقهن عند موته، قولاً واعتقاداً، فبذلك ينجيه الله تعالى من النار، لأنه كثيراً ما كان يقول:

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حَدَّثَهُمْ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبادِ اللَّهِ قَالَ: يَا رَبِّ، لَكَ الْحَمْدُ، كَمَا يَنْبَغِي لِجَلاَل وَجْهِكَ وَلِعظِيم سُلْطَانِكَ، فَعَضَلَتْ بالْمَلَكَيْن، فَلَم يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا، فَصَعِدا إِلَى السَّمَاءِ، وَقَالاَ: يَا رَبَّنَا، إِنَّ عَبْدَكَ قَالَ مَقَالَةً، لاَ نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا؟ قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ ـ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ قَالاَ يَا رَبِّ، إِنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلاَل وَجْهِكَ وَعَظِيم سُلْطَانِكَ، فَقَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمَا: اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ عَبْدِي، حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهِ(١).

حديث كثرة قول النبي ﷺ

(سبحان اللَّه وبحمده، أستغفر اللَّه، وأتوب إليه)

من صحيح مسلم ـ كتاب الصلاة ـ باب ما يقال في الركوع والسجود جـ ٣ ص ١٢٨ هامش القسطلاني.

(٦) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مُثَنَّى، حَدَّثَنِي عَبْدُ الأَعْلَى، حَدَّثَنَا دَاوُدُ، عَنْ عَامِرٍ، عَنْ مَسْرُوق، عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّه وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَاكَ تُكْثِرُ مِنْ قَوْلِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: خَبَّرَنِي رَبِّي ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَنِّي سَأَرَى عَلاَمَةً فِي أُمَّتِي، فَإِذَا رَأَيْتُهَا أَكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَأَتُوبُ إِلَيْهِ، فقَدْ رَأَيْتُهَا، ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾.

(لا إله إلا الله والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلا الله، له الملك وله الحمد، لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله) فهذا جملة الذكر ينبغي الإكثار منه والله أعلم.

(١) ثانياً **(فضل الحامدين) (أن عبداً من عباد الله قال: يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، فعضلت بالملكين، فلم يدريا كيف يكتبانها).**

أي اشتدت على الملكين هذه الكلمة فلم يعلما مقدار ما يكتب لها من الثواب ليكتباه لقائلها، لأن أجرها عظيم لا يعلمه إلا الله تعالى، ولم يطلعهما على مقداره.

قال في القاموس: عضل به الأمر: اشتد به الأمر كأعضل. ا هـ فالمعنى اشتدت هذه الكلمة عليهما. ا هـ.

وفي رواية لمسلم عنها زيادة: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ)[١].

حديث (فيمن يموت وهو يشهد أَن لا إله إلا اللَّه)

أَخرجه الترمذي في جامعه ـ باب (فيمن يموت وهو يشهد أَن لا إله إلا اللَّه).

(٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْن عمرِو بن الْعَاصِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلاَئِقِ يَوْمَ الْقِيَامَة، فَيَنْشُرُ لَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلاًّ، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لاَ، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لاَ، يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ فَتُخْرَجُ بطَاقَةٌ، فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا، عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلاَّتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تُظْلَمُ، قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلاَّتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ أَحَدٌ.

(وقال أَبو عيسى الترمذي: حديث حسن غريب).

* * *

(٨) وأَخرج هذا الحديث ابن ماجه في سننه، عن عبد اللَّه بن عمرو بن

---

(١) لفظ الرواية الثانية لمسلم **(كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: سبحانك اللهم ربنا وبحمده، اللهم اغفر لي، يتأول القرآن)**.

قال النووي رحمه الله: معنى يتأول القرآن ـ يعمل ما أمر به في قول الله: **(فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا)** ـ وكان ﷺ يقول هذا الكلام البديع في الجزالة، المستوفى ما أمره الله به في الآية، وكان يأتي به في الركوع والسجود لأن حالة الصلاة فيهما أفضل من غيرها، فكان يختارهما لأداء هذا الواجب الذي أمر به ليكون أكمل، والخضوع لله فيهما يكون أوضح وأظهر من غيرهما.

ومعنى سبحان الله: براءة وتنزيها لله من كل نقص وكل صفة للحادث **(وبحمده)** أي وبحمدك سبحتك أي بتوفيقك وهدايتك وفضلك على سبحتك، لا بحولي وقوتي.

ففيه شكر الله على نعمه والاعتراف بها ـ والاستغفار منه ﷺ وهو مغفور له من باب العبودية والافتقار إلى الله. والله أعلم ا هـ نووي.

العاص رضي اللَّه عنهما أَيضاً ـ من باب (ما يرجى من رحمة اللَّه يوم القيامة).

وأَلفاظه مثل أَلفاظ الترمذي ـ إِلا أَنه زاد فيه:

(أَلَكَ عَنْ ذَلكَ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لاَ، فَيَقولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ حَسَنَات، وَإِنَّهُ لاَ ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ الخ).

حديث (أُشهدكم أَني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة)

أَخرجه الإِمام الترمذي في جامعه (من أَبواب الجنائز) جـ ١ ص ١٨٣. قال بسنده:

(٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مَا مِنْ حَافِظَيْنِ رَفَعَا إِلَى اللَّهِ مَا حَفِظَا مِنْ لَيْل أَوْ نَهَار، فَيَجدُ اللَّهُ في أَوَّلِ الصَّحِيفَةِ، وَفي آخِرِ الصَّحِيفَةِ خَيْرًا، إِلاَّ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي مَا بَيْنَ طَرَفي الصَّحِيفَةِ.

* * *

(حديث في فضل ذكر اللَّه، والخوف منه تعالى)

أَخرجه أَبو عيسى الترمذي جـ ٢ ص ٩٨.

(١٠) عَنْ أَنَس ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ عَن النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَني يَوْمًا، أَوْ خَافَني في مَقَامٍ.

قال أبو عيسى الترمذي: حديث حسن غريب.

* * *

(حديث في تفرغ القلب لعبادة اللَّه والتوكل عليه)

أَخرجه الترمذي في جامعه بسنده قال:

(١١) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ اللَّه تَعَالَى يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ لِعِبَادَتي، أَمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ، وَإِلاَّ تَفْعَلَ مَلأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ.

قال أَبو عيسى الترمذي رحمه اللَّه: حديث حسن غريب.

حديث قول اللَّه تعالى: (انظروا إلى عبدي هذا، يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني)

أَخرجه النسائي في سننه ـ باب (الأَذان لمن يصلي وحده) جـ ٢ ص ٢٠

(١٢) عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَمٍ، فِي رَأْسِ شَظِيَّةِ الْجَبَلِ، يُؤَذِّنُ بِالصَّلاَةِ وَيُصَلِّي فَيَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، يُؤَذِّنُ وَيُقِيمُ الصَّلاَةَ، يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ.

* * *

حديث: (خلقت عبادي كلهم حنفاءَ)

من صحيح الإِمام مسلم (باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أَهل الجنة وأَهل النار) جـ ١٠ ص ٣١٤ وما بعدها.

(١٣) حَدَّثَنَا أَبُو غَسَّانَ الْمَسْمَعِيُّ، وَابْنُ مُثَنىً، قَالاَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَام، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ حَمَّارٍ الْمُجَاشِعِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: ذَاتَ يَوْم فِي خُطْبَتِهِ: أَلاَ إِنَّ رَبِّيَ أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ، فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لهُمْ، وأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشرِكُوا بي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَإِنْ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَمَقَتَهُمْ: عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلاَّ بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَقَالَ: إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لاَ يَغْسِلُهُ الْمَاءُ، تَقْرَؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَحْرِقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: رَبِّ، إِذَا يَثْلُغُوا رَأْسِي، فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً قَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ، وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقُ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ، قَالَ: وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذُو سُلْطَان مُقْسِطٌ. مُتَصَدِّقٌ، مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيم، رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِم، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَال ـ قَالَ: وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الَّذِي لاَ زَبْرَ لَهُ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا، لاَ يَبْتَغُونَ أَهْلاً وَلاَ مَالاً، والْخَائِنُ الَّذِي لاَ يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ وَإِنْ دَقَّ إِلاَّ خَانَهُ، وَرَجُلٌ لاَ يُصْبِحُ وَلاَ يُمْسِي، إِلاَّ وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَذَكَرَ الْبُخْلَ ـ أَو الْكَذِبَ، وَالشَّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ.

ولم يذكر أَبو غسّان في حديثه: (وَأَنْفِقْ فَسَيُنْفَقُ عَلَيْكَ).

* * *

(١٤) وَحَدَّثَنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مُثَنىً الْعَنَزِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبي عَدِيٍّ، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ بِهَذَا الإِسْنَادِ، وَلَمْ يذْكرُ في حديثه: (كُلُّ مَال نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلاَلٌ).

وأَخرجه الإِمام مسلم برواية أُخرى قال: حدثني عبد الرحمٰن، عن بشر العدوي حدثنا يحيى بن سعيد، عن هشام صاحب الدستوائي، حدثنا قتادة، عن مطرف، عن عياض بن خمار، أَن رسول اللَّه ﷺ خطب ذات يوم، ـ وساق الحديث.

* * *

(١٥) وَحَدَّثَني أَبُو عَمَّار حُسَيْنُ بْنُ حُرَيْث، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى، عَن الْحُسَيْنِ، عَنْ مُطَرِّف. ـ حَدَّثَني قَتَادَةُ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشِّخّيرِ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ خَمَّار، أَخِي بَنِي مُجَاشِع، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا، فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي ـ وساق الحديث، بمثل حديث هشام عن قتادة، وزادَ فيه:

شرح الحديث ـ من شرح النووي على صحيح مسلم

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: قوله ﷺ: **(إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبداً حلال)**.

معنى **(نحلته)** أعطيته، وفي الكلام حذف، أي قال الله تعالى: كل مال أعطيته عبداً من عبادي فهو حلال.

والمراد: إنكار ما حرموا على أنفسهم، من السائبة والوصيلة، والبحيرة والحامي وغير ذلك، وأنها لم تصر حراماً بتحريمهم، ـ وكل مال ملكه العبد، فهو له حلال، حتى يتعلق به حق.

وقوله تعالى: **﴿وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم﴾** أي مسلمين، وقيل: طاهرين من المعاصي.

وقيل: مستقيمين منيبين لقبول الهداية.

وقوله تعالى: **(وإنهم أتتهم الشياطين، فاجتالتهم عن دينهم)**.

قال النووي ـ رحمه الله: هكذا هو في نسخ بلادنا ـ فاجتالتهم ـ بالجيم، وكذا نقله القاضي من رواية الأكثرين.

(وَأَنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلاَ يَبْغِي أَحَدٌ عَلَى أَحَد) ـ وقال في حديثه:

(وَهُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لاَ يَبْغُونَ أَهْلاً ولاَ مَالاً) ـ فقلت: فيكون ذلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَاللَّهِ لَقَدْ أَدْرَكْتُهُمْ في الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَرْعَى عَلَى الْحَيِّ،

وعن رواية الحافظ أبي علي الغساني ـ فاختالتهم ـ بالخاء المعجمة، قال: والأول أصح وأوضح، أي استخفوهم فذهبوا بهم، وأزالوهم عما كانوا عليه، وجالوا معهم بالباطل كذا فسره الهروي وآخرون وقال شمر: اجتال الرجل الشيء ذهب به، واجتال أموالهم، ساقها وذهب بها.

قال القاضي ومعنى: فاختالوهم ـ بالخاء على رواية من رواه، أي يحبسونهم عن دينهم، ويصدونهم عنه.

وقوله ﷺ: **(وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم: عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب)**.

المقت: أشد البغض، والمراد بهذا المقت وجوده بالنظر لحالهم الأولى وما كانوا عليه، قبل بعثه رسول الله ﷺ.

والمراد ببقايا أهل الكتاب: الباقون على التمسك بدينهم الحق، من غير تبديل. وقوله سبحانه وتعالى: **(إنما بعثتك لأبتليك وأبتلي بك)**.

معناه: لأمتحنك بما يظهر منك، من قيامك بما أمرتك به، من تبليغ الرسالة، وغير ذلك من الجهاد في الله حق جهاده، والصبر في الله تعالى، وغير ذلك. وأبتلي بك من أرسلتك إليهم: فمنهم من يظهر إيمانه، ويخلص في طاعاته، ومنهم من يتخلف، وينابذ بالعداوة والكفر، ومنهم من ينافق.

والمراد: أن يمتحنهم ليصير ذلك واقعاً بارزاً، فإن الله تعالى إنما يعاقب العباد على ما وقع منهم، لا على ما يعلمه قبل وقوعه منهم.

وإلا فهو سبحانه وتعالى عالم بجميع الأشياء قبل وقوعها.

وهذا نحو قوله تعالى: ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين﴾ أي نعلمهم فاعلين ذلك متصفين به، فنجزيهم بما فعلوا.

وقوله تعالى: **(وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء، تقرؤه نائماً ويقظان)** أما قوله: **(لا يغسله الماء)** فمعناه: أنه محفوظ في الصدور، لا يتطرق إليه الذهاب، بل يبقى على مر الزمان يتناقله الخلف عن السلف. أما قوله: **(تقرؤه نائماً ويقظان)** فقال العلماء: معناه يكون محفوظاً لك في حالتي النوم واليقظة. ـ وقيل: تقرؤه في يسر وسهوله.

وقوله: **(فقلت: يا رب إذا يثلغوا رأسي، فيدعوه خبزة)** يثغلوا ـ بالثاء المثلثة، أي يشدخوه ويشجوه، كما يشدخ الخبز، أي يكسر.

وقوله ﷺ: **(وأهل الجنة ثلاث: (١) ذو سلطان مقسط متصدق موفق (٢) ورجل**

مَا بِهِ إِلاَّ وَلِيدَتُهُمْ يَطَؤُهَا.

رحيم، رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم) ـ مسلم بالجر معطوف على ذي قربى (٣) **(وعفيف متعفف ذو عيال)**.

وقوله ﷺ: **(الضعيف الذي لا زبر له)** بفتح الزاي وإسكان الباء الموحدة، أي لا عقل له يزبره، ويمنعه عما لا ينبغي.

وقيل: هو الذي لا مال له. وقيل: هو الذي ليس عنده ما يعتمد عليه.

ـ ويبغون ـ بالباء الموحدة والغين المعجمة، أي لا يطلبون أهلاً ولا مالاً، ولعل المراد منه أنهم كسالى لا يسعون إلى تحصيل مال ولا ولد ـ **(وهم فيكم تبعاً)** أتباع للرؤساء، لا رأي لهم في الدين وغيره.

وقوله ﷺ:

(والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق، إلا خانه) معنى ـ لا يخفى ـ لا يظهر. قال أهل اللغة: يقال: خفيت الشيء ـ إذا أظهرته، وأخفيته ـ إذا سترته وكتمته. هذا هو المشهور وقيل: هما لغتان جميعاً.

وقوله: **(وذكر البخل ـ أو الكذب)** هكذا هو في أكثر النسخ ـ أو الكذب ـ بأو في بعضها ـ والكذب ـ بالواو ـ والأول هو المشهور في نسخ بلادنا.

وقال القاضي: روايتنا عن جميع شيوخنا بالواو ـ إلا ابن أبي جعفر عن الطبري ـ فبأو.

وقال بعض الشيوخ: ولعله الصواب، وبه تكون المذكورات خمسة. وأما الشنظير ـ فبكسر الشين والظاء المعجمتين، وإسكان النون بينهما، وفسره في الحديث بأنه الفحاش، وهو السيىء الخلق.

وقوله: **(فيكون ذلك يا أبا عبد الله؟ قال: نعم، والله لقد أدركتهم في الجاهلية، وإن الرجل ليرعى على الحي، ما به إلا وليدتهم، يطؤها)**.

أبو عبد الله هو مطرف بن عبد الله، والقائل هو قتادة.

وقوله: **(لقد أدركتهم في الجاهلية)** لعله يريد أواخر أمرهم، وآثار الجاهلية فيهم لا تزال باقية لم تتغير بالإسلام.

وإلا فمطرف بن عبد الله صغير عن إدراك زمن الجاهلية حقيقة هو يعقل. ا هـ من شرح النووي. والله أعلم.

٢ ـ (ما جاء في تصحيح العقيدة)

حديث: (يسبّ ابن آدم الدهر)

من البخاري في كتاب التفسير ـ (سورة الجاثية) جـ ٦ ص ١٣٣.

(١٦) حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، عَنْ أَبي هُرَيْرَة ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّم: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: يُؤْذِيني ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ اللَّيْلَ والنَّهَارِ.

وأَخرجه البخاري أيضاً، في باب (لا تسبوا الدهر) جـ ٨ ص ٤١ من كتاب الأدب.

* * *

(١٧) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: قَالَ اللَّهُ: (يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ، بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ).

وأَخرجه البخاري أَيضاً في كتاب التوحيد ـ باب قول اللّه تعالى: ﴿يريدون أَن يبدّلوا كلام اللّه﴾ باللفظ المذكور هنا، منقولاً من كتاب التفسير.

وأَخرج هذا الحديث مسلم وأَبو داود في الأَدب. والنسائي في التفسير. وفي رواية لمسلم بلفظ:

* * *

(١٨) (يُؤْذِيني ابْنُ آدَمَ، يَقُولُ: يَا خَيْبَةَ الدَّهْرِ، فَإِنِّي أَنَا الدَّهْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ).

شرح حديث (يسب ابن آدم الدهر)

من شرح القسطلاني ـ في مواضعه الثلاثة: جـ ٩ ص ١٠٦ ـ جـ ١٠ ص ٤٣٤

قوله: **(يؤذيني ابن آدم)** أي يخاطبني الخطاب الذي يؤذي سامعه المخاطب به، وبذلك يتعرض من يقول ذلك للأذى من المخاطب السامع له، والله تعالى منزه عن أن يصل إليه من

وبقية روايات مسلم كروايات البخاري هنا، فلا داعي لذكرها.

حديث (كذَّبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك)

أَخرجه البخاري في كتاب التفسير ـ من سورة الإخلاص جـ ٦ ص ١٦٠.

(١٩) حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَم، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ

الغير أذى، فالمراد: أن من يقول هذا القول، يعرض نفسه للأذى من الله تعالى.

وقوله: **(يسب الدهر)** أي يقول إذا أصابه مكروه:

(تباً لك يا دهر).

(وأنا الدهر) أي أنا خالق الدهر، وخالق الحوادث التي تكون فيه. ولذا قال: **(بيدي الأمر)** أي الأمر الذي ينسبونه إلى الدهر، ويسبونه من أجله، أنا الذي أوجدته بقدرتي، وليس للدهر تأثير في شيء أبداً **(أقلب الليل والنهار)**.

أي أنا الذي أصرف الحوادث التي تكون في الليل والنهار.

وعند أحمد بسند صحيح، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه:

(لا تسبوا الدهر، فإن الله تعالى قال: أنا الدهر: الأيام والليالي إلي، أجددها وأبليها، وأتي بملوك بعد ملوك).

أي فإذا سب ابن آدم الدهر على أنه فاعل لهذه الأمور، عاد السب إلى الله تعالى، لأنه الفاعل الحقيقي، والدهر إنما هو ظرف لمواقع هذه الأمور.

فالمعنى: أنا مصرف الدهر، فحذف اختصاراً للفظ واتساعاً للمعنى.

وجاء الحديث لتصحيح العقيدة، وحسن الأدب في اللفظ، فقد كان الناس يزعمون أن مرور الأيام والليالي هو المؤثر في هلاك الأنفس، ويضيفون كل حادث إلى الدهر.

وأشعارهم ناطقة بشكوى الزمان.

وكانوا يقولون: **(يا بؤس الدهر، ويا خيبة الدهر)**.

والله سبحانه وتعالى ـ هو وحده الفاعل لجميع الحوادث، والزمان ظرف لها، فجاء النهي عن سب الدهر لذلك. والله أعلم. ا هـ.

شرح الحديث مأخوذ من شرح القسطلاني

(أبو اليمان) هو الحكم بن نافع **(شعيب)** هو ابن أبي حمزة **(أبو الزناد)** عبد الله بن ذكوان **(الأعرج)** عبد الرحمٰن بن هرمز، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى **(كذبني ابن آدم)** بتشديد الذال المعجمة، أي بعض بني آدم، وهم من أنكر

إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لي كُفُوًا أَحَدٌ.

* * *

(٢٠) وفي رواية عنه: (أَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ، أَنْ يَقُولَ: إِنِّي لَنْ أُعِيدَهُ كَمَا بَدَأْتُهُ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ، أَنْ يَقُولَ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وأَنَا الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ، وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لي كُفُوًا أَحَدٌ.

* * *

وأَخرجه النسائي في سننه ـ باب أرواح المؤمنين ـ جـ ٤ ص ١١٢ فقال بعد السند.

(٢١) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

البعث، أو المراد جنس ابن آدم **(ولم يكن له ذلك)** أي لم يكن له ذلك التكذيب، أي لا يحق له أن يكذب **(وشتمني ولم يكن له ذلك)** الشتم.

(فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون على من أعادته) أي بل في العادة أن الإعادة أهون من البدء، وإن كان كلاهما بالنسبة إلى الله سواء، فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون.

(وأما شتمه إياي، فقوله: اتخذ الله ولداً) وإنما كان ذلك شتماً لما فيه من التنقيص، لأن الولد إنما يكون عن والد يحمله، ثم يضعه، ويستلزم ذلك سبق نكاح، والناكح يستدع باعثاً على ذلك، والله تعالى منزه عن ذلك.

(وأنا الأحد الصمد) صمد ـ فعل بمعنى مفعول، أي مصمود إليه ومقصود من كل الخلق.

(لم ألد ولم أولد) لأنه تعالى لما كان واجب الوجود لذاته، كان قديماً موجوداً قبل كل موجود، ولما كان كل مولود محدثاً ـ أي له أول ـ انتفت الولدية.

ولما كان الله لا يشبه أحد من خلقه ولا يجانسه، حتى لا يكون له من جنسه صاحبة، فيتوالد، انتفت الوالدية.

(ولم يكن له كفواً أحد) أي مكافئاً ومماثلاً.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام ـ رحمه الله تعالى ـ: السلوب الواجبة لله تعالى على قسمين: ـ أحدهما سلب نقيصه، كالسنة والنوم والموت ـ وسلب للمشارك في الكمال، كسلب الشريك.

ـ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: كَذَّبَنِي ابْنُ آدَم، وَلَمْ يَكُنْ ينْبَغِي لَهُ أَنْ يُكَذِّبَنِي، وشَتَمَنِي ابْنُ آدَمَ، وَلَمْ يَكُنْ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَشْتُمَنِي، أَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: إِنِّي لا أُعِيدُهُ كَمَا بَدَأْتُهُ، وَلَيْسَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَعَزَّ عَلَيَّ مِنْ أَوَّلِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا، وَأَنَا اللَّهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ ـ لَمْ أَلِدْ وَلَم أُولَدُ، وَلَمْ يَكُنْ لي كُفُوًا أَحَدٌ.

* * *

حديث (أَصبح من عبادي مؤمن بي وكافر)

أَخرجه البخاري ـ من أَبواب الاستسقاءِ ـ باب ـ قول اللَّه تعالى: ﴿وتَجعَلُونَ رِزقَكُم أَنَّكم تُكذِّبُون﴾.

(٢٢) حَدَّثَنَا إِسمَاعِيلُ، قَالَ: حَدَّثَني مَالِكٌ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ زَيْدِ بْن خَالِد الْجُهَنِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ، عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ

وأما قوله: **(لم يلد ولم يولد)** فإنه سلب للنقص، إذ الولد والوالد لا يكونان إلا من جسمين، وهما من الأغيار، والأغيار نقص يتنزه الله تعالى عنه.

وإن كانا يدلان بالالتزام على أن الولد مثل الوالد، فبذلك يعودان إلى سلب المشاركة في الكمال. ا هـ.

ثم قال أبو عبد الله البخاري ـ رحمه الله تعالى:

(قوله: الله الصمد) والعرب تسمي أشرافها الصمد.

قال أبو وائل شقيق بن سلمة: هو السيد الذي انتهى سؤدده.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم، وهو من صمد إذا قصد، وهو الموصوف به على الإطلاق، فإنه مستغن عن خلقه وعن غيره مطلقاً، وكل ما عداه محتاج إليه، في جميع جهاته.

وقال الحسن وقتادة: هو الباقي بعد خلقه.

وعن الحسن: **(الصمد: الحي القيوم، الذي لا زوال له)**.

وعن الضحاك والسدي: **(الذي لا جوف له)** أي فلا يكون محتاجاً.

وعن عبد الله بن يزيد: **(الصمد نور يتلألأ)**.

وكل هذه الأوصاف صحيحة في صفاته تعالى.

مِنَ اللَّيْلَةِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ لَهُمْ: هُلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ، فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بي، كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بي، مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ.

* * *

وأَخرج البخاري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ هذا الحديث في كتاب التوحيد ـ باب ـ ﴿يريدون أَن يبدلوا كلام اللَّه﴾ جـ ٩ ص ١٤٥ (بسنده).

* * *

(٢٣) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: مُطِرَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ: قَالَ اللَّهُ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي كَافِرٌ بي، وَمُؤْمِنٌ بي.

* * *

(٢٤) وأَخرجه الإِمام مالك ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في الموطأ، عن زيد بن خالد الجهني أَيضاً بلفظ كلفظ البخاري المذكور هنا أَوّلاً، من باب استسقاءِ. جـ ١ من الموطأ هامش المصابيح ص ٩١.

وأَخرجه النسائي في سننه ـ باب كراهية الاستمطار بالكواكب بروايتين: إِحداهما عن أَبي هُرَيْرَة، والثانية عن زيد بن خالد الجهني، ورواية أَبي هريرة مختصرة عن رواية زيد بن خالد وهي هذه:

ثم قال القسطلاني عن الغزالي في فتوح الغيب ما يأتي..

فقوله: **(الله أحد)** دليل على إثبات ذاته المقدسة، المنزهة، والصمدية تقتضي نفي الحاجة ـ عن الله تعالى، وتقتضي احتياج غيره إليه.

(ولم يلد.. إلى آخر السورة).

تسلب ما يوصف به غيره، عنه تعالى.

ولا طريق في معرفته تعالى أوضح من سلب صفات المخلوقين عنه تعالى. انتهى ملخصاً والله أعلم.

(٢٥) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: مَا أَنْعَمْتُ عَلَى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ، إِلاَّ أَصْبَحَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ، يَقُولُونَ: الْكَوْكَبُ، وَبِالكَوْكَبِ.

* * *

وأَما رواية زيد بن خالد الجهني. فهي باللفظ الآتي:

(٢٦) عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: مُطِرَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ ـ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمُ اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: مَا أَنْعَمْتُ عَلى عِبَادِي مِنْ نِعْمَةٍ، إِلاَّ أَصْبَحَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بِهَا كَافِرِينَ، يَقُولُونَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا، وَكَذَا، فَأَمَّا مَنْ

شرح الحديث من القسطلاني جـ ٢ ص ٢٥٧

(إسماعيل) هو ابن أبي أويس **(مالك)** هو ابن أنس إمام دار الهجرة، **(عن زيد بن خالد الجهني، أنه قال: صلى لنا)** أي صلى لأجلنا، وهو من باب المجاز، لأن الصلاة لله وحده، لا لغيره، أو اللام بمعنى الباء.

(رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية) الحديبية مخففة الياء وعليه المحققون، ومشددة عند الأكثرين من المحدثين، سميت بشجرة حدباء، كانت بيعة الرضوان تحتها.

(على أثر سماء) بكسر الهمزة، وسكون المثلثة على المشهور، أي عقب مطر، وأطلق عليه سماء، لكونه ينزل من جهتها، وكل جهة علو تسمى سماء.

(كانت من الليلة) بالإفراد، وللأصيلي والكشميهني ـ من الليل. **(فلما انصرف النبي ﷺ)** أي من صلاته، أو من مكانه. **(أقبل على الناس)** بوجهه الكريم **(فقال)** لهم: **(هل تدرون ماذا قال ربكم؟)** لفظه لفظ الاستفهام، ومعناه التنبيه.

وللنسائي من رواية سفيان عن صالح: **(ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم)** قال أي رسول الله ﷺ: قال أي الله **(أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر)** أي كفر اشراك، لمقابلته للإيمان ـ أو كفر نعمة، بدلالة ما في مسلم: قال الله، **(ما أنعمت على عبادي من نعمة، إلا أصبح فريق منهم بها كافرين)**.

والإضافة في عبادي للملك، لا للتشريف.

(فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب) ـ وللحموي وابن عساكر وأبي الوقت: مؤمن بي، **(وكافر بالكوكب)**.

(وأما من قال: مطرنا بنوء كذا، وكذا) بفتح النون، وسكون الواو وبالهمزة، أي بكوكب كذا، معتقداً ما كان عليه بعض أهل الشرك، من إضافة المطر إلى النوء، وأن المطر كان من أجل أن الكوكب ـ ناء ـ أي سقط وغاب، أو نهض وطلع، وأنه هو الذي هاجه.

آمَنَ بِي، وَحَمِدَنِي عَلَى سُقْيَايَ، فَذَاكَ الَّذِي آمَنَ بِي، وَكَفَرَ بِالْكَوْكَبِ، وَمَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا، وَكَذَا، فَذَاكَ الَّذِي كَفَرَ بِي، وَآمَنَ بِالْكَوْكَبِ.

* * *

(فذلك كافر بي) لأن النوء وقت، والوقت مخلوق، ولا يملك لنفسه ولا لغيره شيئاً. **(مؤمن بالكوكب)**.

ومن قال: مطرنا في وقت كذا، فلا يكون كفراً.

قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ: وغيره من الكلام أحب إلي. يعني حسماً للمادة. فمن زعم أن المطر يحصل عند سقوط الثريا مثلاً فإنما هو إعلام للوقت والفصول، فلا محذور فيه، وليس من وقت ولا زمن إلا وهو معروف بنوع من مرافق العباد يكون فيه دون غيره.

وحكي عن أبي هريرة أنه كان يقول: مطرنا بنوء الله تعالى، وفي رواية **(مطرنا بنوء الفتح)** ـ ثم يتلو: ﴿**ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها**﴾.

وقال ابن العربي: أدخل الإمام مالك ـ رحمه الله ـ هذا الحديث في أبواب الاستسقاء لوجهين أحدهما أن العرب كانت تنتظر السقيا في الأنواء، فقطع النبي ﷺ هذه العلاقة بين القلوب والكوكب.

الوجه الثاني: أن الناس أصابهم القحط في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال للعباس ـ رضي الله عنه ـ: كم بقي من أنواء الثريا؟ فقال له العباس: زعموا يا أمير المؤمنين إنها تعترض في الأفق سبعاً، فما مرت حتى نزل المطر. ـ فانظروا إلى عمر والعباس، وقد ذكرا الثريا ونوأها، وتوكفا ذلك في وقتها.

ثم قال: إن من انتظر المطر من الأنواء على أنها فاعلة له من دون الله فهو كافر، ومن اعتقد أنها فاعلة بما جعل الله فيها فهو كافر، لأنه لا يصح الخلق والأمر إلا لله تعالى، ـ كما قال تعالى: **(ألا له الخلق والأمر)**.

ومن انتظرها وتوكف المطر منها على أنها عادة أجراها الله تعالى فلا شيء عليه، لأن الله تعالى قد أجرى العوائد في السحاب والرياح والأمطار لمعان، ترتبت في الخلقة، وجاءت على نسق في العادة. ا هـ.

وقوله: **(بنوء كذا وكذا)** كذا وكذا كلمة مركبة من كاف التشبيه، وذا للإشارة مكنياً بها عن العدد وتكون كذلك مكنياً بها عن غير عدد كما في الحديث القائل: **(إنه يقال للعبد يوم القيامة: أتذكر يوم كذا وكذا، فعلت كذا وكذا)** وتكون أيضاً كلمتين باقيتين على أصلهما: من كاف التشبيه، وذا للإشارة.

كقوله: رأيت زيداً فاضلاً، ورأيت عمراً كذا ـ وتدخل عليها ها التنبيه، كقوله تعالى: **(أهكذا عرشك)** فهذه الثلاثة الأوجه المعروفة في ذلك. ا هـ قسطلاني.

وقوله في رواية النسائي: **(ما أنعمت على عبادي من نعمة إلا أصبح طائفة من عبادي بها كافرين)** ظاهر هذه العبارة العموم في كل نعمة ينعم الله بها على عباده: سواء كان

حديث (ومن أَظلم ممن ذهب يخلق كخلقي)

أَخرجه البخاري في كتاب التوحيد (باب) قول اللَّه: ﴿واللَّه خلقكم وما تعملون﴾ جـ ٩ ص ١٦٢.

(٢٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاَءِ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْل، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبي زُرْعَةَ، سَمعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقوا حَبَّةً، أَوْ شَعِيرَةً.

وأَخرجه البخاري أَيضاً في كتاب اللباس ـ باب ـ (نقْضِ الصور) فقال:

(٢٨) حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا عُمَارَةُ، قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ دَارًا بِالْمَدِينَةِ، فَرَأى في أَعْلاَهَا مُصَوِّرًا يُصَوِّرُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: (أَي قال اللَّه تعالى): وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا حَبَّةً، وَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً.

المطر، أو غيره، ولما كان الأهم من النعم هو الماء، فحين يكفرون برزق الماء، الذي هو أصل الأرزاق، فقد كفروا بكل نعمة، أنعم الله بها على عباده، لذلك جاء التخصيص بقوله: **(يقولون: مطرنا.. الخ)** وإلا فكل نعمة من الله يكثر الكافرون بها، ويقل الشاكرون.

اللهم وفقنا لشكر نعمتك. آمين.

شرح الحديث من القسطلاني جـ ١٠ ص ٤٧٧

(محمد بن العلاء) الهمداني، أبو كريب، الكوفي **(ابن فضيل)** هو محمد بن فضيل بضم الفاء، وفتح الضاد المعجمة، ابن غزوان، الضبي مولاهم الحافظ أبو عبد الرحمٰن **(عمارة)** بضم العين وتخفيف الميم، ابن القعقاع **(عن أبي زرعة)** هرم بكسر الراء، ابن عمرو ابن جرير، البجلي. **(سمع أبا هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب)** أي قصد **(يخلق كخلقي؟)** أي لا أحد أظلم ممن قصد أن يصنع ويقدر كخلقي.

وهذا التشبيه لا عموم له، يعني كخلقي في فعل الصورة، لا من كل الوجوه.

واستشكل التعبير بأظلم، لأن الكافر أظلم قطعاً أي من المصور. وأجيب بأنه إذا صور الصنم للعبادة كان كافراً، فهو هو، أو يزيد عذابه على سائر الكفار، لزيادة قبح كفره.

(فليخلقوا ذرة) بفتح الذال نملة صغيرة، أو الهباء.

(أو ليخلقوا حبة) بفتح الحاء، أي حبة منتفعاً بها كالحنطة **(أو شعيرة)** هو من باب

ثُمَّ دَعَا بِتَوْرٍ مِنْ مَاءٍ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ حَتَّى بَلَغَ إِبِطَهُ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، شَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: «مُنْتَهَى الْحِلْيَةِ».

* * *

(٢٩) وأَخرجه مسلم في صحيحه بلفظ: (دَخَلْت مَعَ أَبي هُرَيْرَةَ في دَارِ مَرْوَانَ فَرَأَى فِيهَا تَصَاوِيرَ، فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُول: قَال اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ خَلْقًا كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً).

عطف الخاص على العام، أو هو شك من الراوي.

والمراد: تعجيزهم وتعذيبهم تارة بطلب خلق الحيوان، وأخرى يخلق غير الحيوان.

شرح الحديث الثاني من القسطلاني جـ ٨ ص ٥٣٧

(موسى بن إسماعيل) المنقري بكسر الميم، وسكون النون، وفتح القاف، أبو سلمة التبوذكي، بفتح التاء، وضم الموحدة، وسكون الواو، وفتح الذال **(حدثنا عبد الواحد)** بن زياد **(حدثنا عمارة، قال: حدثنا أبو زرعة، قال: دخلت مع أبي هريرة)** رضي الله عنه **(داراً بالمدينة)** لمروان بن الحكم كما في مسلم **(فرأى في أعلاها)** أي في سقف الدار رجلاً **(مصوراً)** بكسر الواو المشددة **(يصور)** بلفظ المضارع **(قال)** أي أبو هريرة: **(سمعت رسول الله ﷺ يقول)** أي قال الله تعالى: **(ومن أظلم ممن ذهب)** أي قصد **(يخلق كخلقي)** في مسلم: خلقا كخلقي، أي فعل الصورة وحدها، لا من كل الوجوه، إذ لا قدرة لأحد على خلق مثل خلقه تعالى، فالتشبيه في الصورة وحدها، وظاهره يتناول ما له ظل وما ليس له ظل، فلذا أنكر أبو هريرة رضي الله عنه ما نقش في سقف الدار.

(فليخلقوا) أي فليوجدوا **(حبة)** من قمح، زاد ابن فضيل: وليخلقوا شعيرة، وهو قرينة تدل على أن المراد هنا حبة من قمح **(وليخلقوا ذرة)** بفتح الذال المعجمة، وتشديد الراء، نملة صغيرة.

والمراد تعجيزهم تارة بتكليفهم خلق حيوان، وهو أشد، وتارة بتكليفهم بخلق غير حيوان، وهو أهون، ومع ذلك لا قدرة لهم عليه.

(ثم دعا أبو هريرة بتور) بباء مكسورة، فتاء فوقية مفتوحة، وواو ساكنة، فراء: إناء كطست **(من ماء)** أي فيه ماء، فتوضأ منه **(فغسل يديه)** بالتثنية **(حتى بلغ إبطه)** بالإفراد.

زاد الإسماعيلي: وغسل رجليه حتى بلغ ركبتيه. قال أبو زرعة: فقلت: **(يا أبا هريرة)** هل تبليغ الماء إلى الأبط **(شيء سمعته من رسول الله ﷺ؟)** على تقدير الاستفهام **(قال أبو هريرة)** تبليغ الماء إلى الأبط **(منتهى الحلية)** أي في الجنة.

والحلية: التحجيل من أثر الوضوء، أو من التحلية المذكورة في قوله تعالى: ﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾... ا هـ والله أعلم.

.....

(أحاديث تتعلق بالتصوير):

وهذه أحاديث تتعلق بالتصوير من حيث الصنع، ومن حيث الاستعمال سأذكرها تتميماً للفائدة، وإن لم يكن بعضها من الأحاديث القدسية.

ولما كانت هذه الأحاديث مأخوذة من صحيحي البخاري ومسلم، اقتصرت فيها على ذكر الصحابي فقط، اعتماداً على صحة السند من هذين الصحيحين. وقد ذكرتها مع الشرح خارجة عن العدد المذكور للأحاديث القدسية، وها هي ذي الأحاديث، من البخاري.

أحاديث البخاري من كتاب اللباس

(باب التصاوير) عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن أبي طلحة رضي الله عنه قال النبي ﷺ: **(لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب، ولا تصاوير)**.

ثم ذكر البخاري تعليقاً عن الليث إلى ابن عباس سمع أبا طلحة، قال: **(سمعت النبي ﷺ بذلك)**.

(باب عذاب المصورين) ـ عن مسلم الهمداني، قال: كنا مع مسروق في دار يسار بن نمير، فرأى في صفته تماثيل: فقال سمعت عبد الله قال سمعت النبي ﷺ يقول: **(إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون)**.

وعن نافع أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخبره أن رسول الله ﷺ قال: **(إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: أحيوا ما خلقتم)**.

(باب نقض الصور).

عن عمران بن حطان، أن عائشة رضي الله عنها حدثته أن النبي ﷺ لم يترك في بيته شيئاً فيه تصاليب إلا نقضه.

ولأبي ذر عن الكشميهني: **(فيه تصاوير إلا نقضه)**. حدثنا أبو زرعة، قال: دخلت مع أبي هريرة داراً بالمدينة، فرأى في أعلاها مصوراً يصور، قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(أي قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا أجنة وليخلقوا ذرة)**.

باب ما وطىء من التصاوير

قال سفيان: سمعت عبد الرحمٰن بن القاسم ـ وما بالمدينة يومئذٍ أفضل منه ـ قال: سمعت أبي **(هو القاسم بن محمد بن أبي بكر)** قال: سمعت عائشة ـ رضي الله عنها ـ تقول: قدم رسول الله ﷺ من سفر، وقد سترت بقرام لي على باب سهوة لي، فيها تماثيل، فلما رآه رسول الله ﷺ هتكه، وقال: **(أشد الناس عذاباً يوم القيامة، الذين يضاهون بخلق الله)** قالت: **(فجعلناه وسادة، أو وسادتين)**.

.....

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قدم النبي ﷺ من سفر، وعلقت درنوكا **(هو ستر له خمل)** فيه تماثيل، فأمرني أن أنزعه فنزعته وكنت اغتسل أنا والنبي ﷺ من إناء واحد.

(باب من كره القعود على الصور)

عن عائشة رضي الله عنها، إنها اشترت نمرقة **(وسادة صغيرة)** ـ فيها تصاوير، فقام النبي ﷺ بالباب، فلم يدخل، فقلت: أتوب إلى الله مما أذنبت، قال: ما هذه النمرقة؟ قلت: لتجلس عليها وتوسدها، قال: إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، يقال لهم: **(أحيو ما خلقتم، وإن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصور)**.

وعن زيد بن خالد الجهني ـ رضي الله عنه ـ عن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه، صاحب رسول الله ﷺ ـ قال: إن رسول الله ﷺ قال **(إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه الصورة)** ـ قال بسر: ثم اشتكى زيد ـ أي ابن خالد ـ فعدناه، فإذا على بابه ستر فيه صورة، فقلت لعبيد الله ـ أي ابن الأسود الخولاني ـ ربيب ميمونة زوج النبي ﷺ: ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول؟ فقال عبيد الله: ألم تسمعه حين قال **(إلا رقماً في ثوب؟)**.

ب ٣ من البخاري (باب كراهية الصلاة في التصاوير)

عن أنس رضي الله عنه، قال: كان قرام لعائشة **(وهو الستر، فيه نقوش)** سترت به جانب بيتها، فقال لها النبي ﷺ: **(أميطي عني)**، أي قرامك فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي.

ومنه أيضاً (باب لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة)

عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال: وعد النبي ﷺ جبريل، فراث **(أي أبطأ)** عليه، حتى اشتد على النبي ﷺ، فخرج النبي ﷺ فلقيه، فشكا إليه ما وجد فقال له ـ أي جبريل ـ: **(أنا لا ندخل بيتاً فيه صورة، ولا كلب)**.

(باب من لم يدخل بيتاً فيه صورة)

عن القاسم بن محمد، عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ زوج النبي ﷺ، أخبرته أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب، فعرفت الكراهية في وجهه، قالت: يا رسول الله، أتوب إليه، وإلى رسوله، ماذا أذنبت؟ قال ما بال هذه النمرقة؟ فقالت: اشتريتها لتقعد عليها وتوسدها، فقال رسول الله ﷺ: **(إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم، وقال: إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة)**.

.....

ومنه (باب من صور صورة كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ)

حدثنا سعيد، قال: سمعت النضر بن أنس بن مالك، يحدث عن قتادة، قال ـ أي النضر ـ كنت عند ابن عباس ـ رضي الله عنهما، وهم يسألونه، ولا يذكر النبي ﷺ، حتى سئل، فقال ـ وعند مسلم: فجعل يفتي، ولا يقول: قال رسول الله ﷺ حتى سأله رجل فقال: إني رجل أصور هذه الصور فقال له ابن عباس: ادنه فدنا الرجل فقال ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت محمداً ﷺ يقول: **(من صور صورة في الدنيا، كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ)**. ا هـ من البخاري.

أحاديث مسلم

في روايات مسلم لهذا الحديث الأخير زيادة عن رواية البخاري، نذكرها تتميماً للفائدة وهي بعد السند ما يأتي:

جاء رجل إلى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ فقال: إني رجل أصور هذه الصور، فأفتني فيها، فقال له: ادن مني، فدنا منه، ثم قال: ادن مني، فدنا حتى وضع يده على رأسه، قال: أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ، ـ سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة صورها ـ نفساً، فتعذبه في جهنم)** وقال: إن كنت لا بد فاعلها فاصنع الشجر، ولا نفس له. ا هـ.

وأخرجه مسلم ـ رحمه الله ـ بروايات عديدة، لا تخرج كثيراً عما ذكرنا. وكذلك أخرج مسلم ـ رحمه الله ـ جميع الأحاديث، التي أخرجها البخاري ـ رحمه الله ـ ولم يختلف عنه كثيراً غير حديث: ففيه زيادة يحسن ذكرها وهي: عن زيد بن خالد الجهني، عن أبي طلحة الأنصاري ـ رضي الله عنهما، قال سمعت رسول الله ـ ﷺ يقول:

(لا تدخل الملائكة بيتاً، فيه كلب ولا تماثيل، قال: فأتيت عائشة رضي الله عنها فقلت: إن هذا يخبرني أن النبي ﷺ قال: لا تدخل الملائكة بيتاً، فيه كلب ولا تماثيل، فهل سمعت رسول الله ـ ﷺ ذكر ذلك؟ ـ فقالت: لا، سأحدثكم ما رأيته فعل، رأيته خرج في غزاته، فأخذت نمطاً، فسترته على الباب، فلما قدم فرأى النمط، عرفت الكراهية في وجهه، فجذبه حتى هتكه ـ أو قطعه، وقال: إن الله لم يأمرنا أن نكسو الحجارة والطين، وقالت: فقطعنا منه وسادتين، وحشوتهما ليفاً، فلم يعب ذلك علي). ا هـ.

وكل أحاديث البخاري أخرجها مسلم كما مر.

(ما يتعلق بذلك من الأحكام)

أولاً ـ المختار: إن الملائكة الذين لا يدخلون بيتاً فيه كلب، ولا تماثيل هم الملائكة الذين ينزلون بالرحمة، والذين يستغفرون للعبد.

.....

أما الحفظة والكتبة فإنهم لا يفارقون العباد في حال من الأحوال. كما قاله الخطابي وغيره.

والمراد بالبيت الذي لا يدخلون فيه: هو المكان الذي يستقر فيه الإنسان: سواء كان بيتاً أو خيمة أو غيرهما.

واستثنى الخطابي وغيره الكلاب التي أذن الشارع في اتخاذها، وهي التي للصيد أو للزرع أو للماشية.

ثانياً ـ التصاوير المحرمة: هي التي تكون تشبه الحيوان، ما لم تقطع رأسه وما لم يمتهن ـ وقيل: هو عام في كل الصور.

وسبب الامتناع كونها معصية فاحشة، إذ فيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها يكون في صورة ما يعبد من دون الله تعالى.

وقيد في الحديث بقوله: **(ومن أظلم من ذهب يخلق كخلقي)** أي يصورون أشكال الحيوانات، فيحكونها بتخطيط، أو تشكيل عالمين بالحرمة، قاصدين التشبه بخلق الله تعالى، لأنهم يكفرون بذلك، فلا يبعد دخولهم مدخل آل فرعون، أما من لم يقصد ذلك فإنه يكون عاصياً به فقط.

وقال النووي ـ رحمه الله: قال العلماء تصوير الحيوان حرام شديد التحريم وهو من الكبائر، لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد، وسواء صنعه لما يمتهن أم لغيره، وأما تصوير ما ليس فيه صورة حيوان، فليس بحرام. ا هـ.

قالوا: وهذا كله في غير لعب البنات، وأما في لعب البنات فليس بحرام مطلقاً. ثم قال القسطلاني: والحاصل مما سبق كراهة الصور المنقوشة على سقف أو وسادة، وإنه يجوز كل ما يكون ممتهناً، كفرش ونسيج سجاد، وكذا مقطوع الرأس لأن المنصوب المرتفع يشبه الأصنام.

وقوله: **(كلف أن ينفخ فيها الروح. الخ)** هذا يقتضي تخليده في النار، وهذا في حق الذي يصور التماثيل للعبادة، أما غيره فهو عاص إذا لم يستحله، ويكون الحديث للذجر فقط. والله أعلم.

والتصوير الشمسي غير داخل في التصوير المحرم، لأنه ظل للشخص المصور، والله أعلم.

.....

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الكلام على التصوير وما يتعلق به من الأحكام

نقول ـ وبالله التوفيق ـ قد وردت أحاديث تفيد النهي عن التصوير عامة، وأحاديث استثنى فيها الرقم في الثوب، وأحاديث تجيزها إذا كانت ممتهنة، وأحاديث تدل على أن النهي عنها، لأن النظر إليها يذهب بالخشوع في العبادة ـ وأحاديث تدل على أن عرض الصورة إذا كان للتعريف بصاحب الصورة فهو جائز وغير ممنوع منه ـ كما في حديث عرض جبريل عليه السلام صورة عائشة رضي الله عنها في المنام على النبي ﷺ فإن المقصود من ذلك العرض إنما هو تعريف النبي ﷺ بشخصية من اختارها الله تعالى لتكون زوجاً له.

فللجمع بين هذه الأحاديث ـ يحمل التحريم الشديد على من قصد بالتصوير مضاهاة خلق الله تعالى، أو صورها لعبادتها وتعظيمها، ويشير إلى ذلك قوله ﷺ: **(ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي)** أي قصد ذلك، وقوله: **(المصورون الذين يضاهون خلق الله)** ـ فهذا العمل حرام لذاته، لأنه إما شرك، أو قريب من الشرك.

وأما التصوير للصالحين والعظماء ليقتدي بهم في أعمالهم ـ فذلك مقصد حسن في ذاته ولكنها تحرم للخوف من تعظيمها وعبادتها كما كان شأن الأصنام في أولها وفي نهايتها ـ ولا سيما إذا وضعت في أمكنة العبادة كالمساجد، ولا يظن أن ذلك بعيد، فقد يتطاول الزمان ويكثر الجهل، فيفتح الشيطان بذلك باباً من الشر على الناس، وقد قال النبي ﷺ: **(لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه)**.

وذلك كله في الصور التي لها جرم تعيش به، فلو قطع رأسها، أو خرق بطنها وجوف تجويفاً واسعاً، فلا تحرم ـ وكذلك الصور التي هي أرقام على الثياب ونحوها ـ إذا كانت بحالة امتهان ـ وأما لو كانت بحالة تعظيم فتكون مكروهة، حيث لا يبلغ تعظيمها مبلغ تعظيم العبادة، وإلا حرمت.

وأما التصوير لقصد التعريف بشخصية المصور، كصور البطاقات ونحوها، وكصور المشبوهين وجواسيس الأعداء للنجاة من شرهم وكصور الحيوانات الضارة والنافعة للانتفاع بخواصها ـ فذلك كله ـ مع ما فيها من قصد التعريف والعلم بشخصية المصور ـ مما تدعو إليه الحاجة، فهذه مطلوبة، وقد تشتد إليه الحاجة فتنزل منزلة الضرورة، فيكون واجباً، لأنها وسيلة إلى العلم، فتعطي حكم العلم المطلوب: الوجوب أو الاستحباب ـ ومن الأمور المباحة تصوير الآباء والأجداد لتحفظ صورهم للأبناء والأحفاد ليعرفوا هيئتهم، وذلك بشرط أن لا يعرضها الآباء على أبنائهم عرض تعظيم، بل يكون لمجرد التعريف بهم فقط.

ويؤخذ من قوله ﷺ لعائشة: **(أميطي عنا قرامك، فإنه لا تزال تصاويره تعرض لي في**

.....

صلاتي) ولا شك أنها كانت أرقاماً ـ فيؤخذ من ذلك أن صور الأرقام إذا أدت إلى محظور، كالصور الخليعة، التي يثير النظر إليها الشهوة لا سيما عند الشبان، فتكون حراماً لذلك ـ ومثل ذلك عرض الأفلام، فهي في ذاتها يقصد منها التعريف بالمعروض في ذلك الفيلم، فإن كان يستفاد منه تربية النشىء خلقياً أو علمياً، أو كان عرضاً لموقعة حربية، أو تمثل خروجاً من ضيق يقع فيه الشخص ـ فذلك كله مطلوب كطلب العلم لذلك ـ وأما إذا كان فيها أحوال الجنس، وإثارة الغرائز، أو كان عرضها بصورة خليعة أو أوضاع شائنة كما يوجد في الإعلانات المعلقة في الميادين، فذلك حرام قولاً واحداً، لأن فيها ضياع الأخلاق والحث على الفساد ـ وكذلك تحرم الأفلام التي تكون وسيلة لتعليم عمل الجريمة، القتل والسرقة والخيانة، والوصول إلى العشق والزنا، لأنها تفتح باب الفساد بالإيحاء إلى الغافل، وتعليم الجاهل أسباب الوصول إليها، والحيل التي بها ينجو من الوقوع تحت دائرة العقاب ـ فضلاً عما فيها من انحلال المجتمع، وانصرافه إلى الضار وتركه النافع.

هذا. وقد استثنى علماؤنا من الصور والتماثيل لعب الأطفال فهي مباحة، لبعدها عن جميع المقاصد التي تحرم بها الصور. ا هـ.

هذا بالاختصار آخر ما وصل إليه الجهد في هذا الموضوع. والله أعلم، وهو الهادي إلى أقوم سبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل.

حديث: (إِنَّ أُمتك لا يزالون يقولون: ما كذا؟ ما كذا؟ حتى يقولوا: هذا اللَّه... الخ).

أَخرجه الإِمام مسلم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في كتاب الإِيمان ـ بابُ (الوسوسة في الإِيمان).

(٣٠) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرِ بْنِ زُرَارَةَ الْحَضْرَمِيُّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يَزَالُونَ يَقُولُونَ: مَا كَذَا؟ مَا كَذَا؟ حَتَّى يَقُولُوا: هَذَا اللَّهُ، خَلَقَ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟.

* * *

(٣١) وحَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَنْبَأَنَا جَرِيرٌ (ح[1]) وَحَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ، عَنْ زَائِدَةَ، كِلاَهُمَا عَنِ الْمُخْتَارِ، عَنْ أَنَس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

* * *

غير أَن إِسحاق لم يذكر قالَ: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّ أُمَّتَكَ).

* * *

وكذلك أَخرجه مسلم بروايات كثيرة، ليس في واحدة منها ـ (قال اللَّه تعالى): ـ فمنها ما رواه بسنده إِلى أَبي هُرَيْرَةَ:

(٣٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: لاَ يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ، حَتَّى يُقَالَ: هَذَا ـ خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ.

---

(١) رمز تحويل السند.

(٣٣) ومنها: عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، وَكَذَا، حَتَّى يَقُولَ لَهُ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَ ذَلِكَ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ، وَلْيَنْتَهِ.

وكذا أَخرجه مسلم بروايات عن أَبي هُرَيْرَةَ مثل الرواية الأولى، وكلها ليس فيها: (قال اللَّه... الخ).

حديث: (إِن اللَّه تعالى قال: من ذا الذي يتأَلى عليَّ، أَن لا أَغفر لفلان).

(شرح الحديث من النووي على مسلم من باب بيان الوسوسة في الإيمان)

قال رحمه الله: (فيه أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ، فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: **(وقد وجدتموه؟)** قالوا: نعم، قال: **(ذاك صريح الإيمان)**.

وفي الرواية الأخرى: **(سئل النبي ﷺ عن الوسوسة، فقال) (تلك محض الإيمان)**.

وفي الحديث الآخر: **(لا يزال الناس يتساءلون: حتى يقال: هذا، خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ أن وجد من ذلك شيئاً، فليقل: آمنت بالله)**.

وفي الرواية الأخرى: **(فليقل آمنت بالله ورسله)**.

وفي الرواية الأخرى: **(يأتي الشيطان أحدكم، فيقول: من خلق كذا وكذا؟ ـ حتى يقول له: من خلق ربك؟ ـ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينته)**.

قال النووي رحمه الله:

أما معاني الأحاديث وفقهها: فقوله ﷺ: ذلك صريح الإيمان، ومحض الإيمان ـ معناه استعظامكم الكلام به، هو صريح الإيمان، فإن استعظام هذا، وشدة الخوف منه ومن النطق به ـ فضلاً عن اعتقاده ـ إنما يكون ممن استكمل الإيمان، استكمالاً محققاً.

وقيل: معناه أن الشيطان إنما يوسوس لمن أيس من إغوائه، فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه.

وأما الكافر فيأتيه من حيث شاء، ولا يقتصر في حقه على الوسوسة، بل يتلاعب به كيف أراد. ـ فعلى هذا يكون معنى الحديث، أن سبب الوسوسة هو محض الإيمان، أو الوسوسة علامة محض الإيمان وهذا القول، هو اختيار القاضي عياض.

وأما قوله ﷺ: **(فمن وجد من ذلك شيئاً، فليقل: آمنت بالله)** ـ وفي الرواية الأخرى، **(فليستعذ بالله، ولينته)**. فمعناه الاعراض عن هذا الخاطر الباطل، والالتجاء إلى الله تعالى في إذهابه.

قال الإمام المازري ـ رحمه الله ـ: ظاهر الحديث أنه ﷺ، أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالاعراض عنها، والرد لها من غير استدلال ولا نظر في إبطالها.

أَخرجه الإِمام مسلم في صحيحه، ـ باب النهي عن تقنيط الإِنسان من رحمة اللَّه تعالى.

(٣٤) حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيد، عَنْ مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنَا أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ جُنْدُب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حَدَّثَ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: وَاللَّهِ لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلاَن، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَن، فَإِنِّيِ قَدْ غَفَرْتُ لِفُلاَنٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ، أَوْ كَمَا قَالَ.

وأَخرج نظير هذا الحديث أَبو داود في سننه ـ (باب في النهي عن البغي).

قال والذي يقال في هذا المعنى: أن الخواطر على قسمين: فأما التي ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت، فهي التي تدفع بالاعراض عنها، وعلى هذا يحمل الحديث، وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة، فكأنه لما كان أمراً طارئاً بغير أصل ـ رفع بغير نظر في دليل، إذا لا أصل له ينظر فيه.

وأما الخواطر المستقرة التي أوجبتها الشبهة، فإنها لا تدفع إلا بالاستدلال، والنظر في إبطالها. والله أعلم.

وأما قوله ﷺ: **(فليستعذ بالله، ولينته)** فمعناه: إذا عرض له هذا الوسواس فليلجأ إلى الله تعالى، في دفع شره عنه، وليعرض عن الفكر في ذلك، وليعلم أن هذا الخاطر من وسوسة الشيطان، وهو إنما يسعى بالفساد، والاغواء، فليعرض عن الاصغاء إلى وسوسة الشيطان، وليبادر إلى قطعها بالاشتغال بغيرها. والله أعلم. ا هـ من النووي.

شرح حديث مسلم من شرح النووي لصحيح مسلم

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ:

قوله ﷺ: **(أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان، وإن الله تعالى قال: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان، وأحبطت عملك)**.

معنى **(يتألى)** يحلف، والألية اليمين. قال في القاموس: والألوة ـ ويثلث، والألية والألية: اليمين، وائتلى وتألى أقسم. ا هـ.

قال النووي: وفيه دلالة لمذهب أهل السنة، في غفران الذنوب بلا توبة، إذا شاء الله غفرانها.

واحتجت المعتزلة بالحديث في إحباط الأعمال بالمعاصي الكبائر، ومذهب أهل السنة أنها لا تحبط إلا بالكفر، ويتأول حبوط عمل هذا على أنه أسقطت حسناته في مقابلة سيئاته،

جـ ٤ ص ٢١٥ بلفظ أطول، ومعه قصة، وها هو ذا بسنده، قال:

* * *

(٣٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الصَّبَّاحِ بْنِ سُفْيَانَ، أَنْبَأَنَا عَلِيُّ بْنُ ثَابِت، عَنْ عِكْرِمَةَ ابْنِ عَمَّار، قَالَ: حَدَّثَني ضَمْضَمُ بْنُ جَوْس، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: كَانَ رَجُلاَنِ في بَني إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، والآخَرُ مُجْتَهِدٌ في الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لاَ يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ، فَيَقُولُ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّني وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لاَ يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا

وسمي إحباطاً مجازاً، ويحتمل أنه جرى منه أمر آخر، أوجب الكفر، ويحتمل أن هذا في شرع من قبلنا، وكان هذا حكمهم. ا هـ نووي.

(شرح حديث أبي داود)

(كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين) أي اتخذ كل واحد منهما الآخر ـ أخا له في الله تعالى، يتناصحان لعمل الخير، لذلك كان المجتهد في العبادة ينكر على الآخر الذنب، ويقول له: أقصر، أي كفر عن فعل الذنوب وتب إلى الله تعالى، **(فقال له)** المذنب: **(خلني وربي)** أي اتركني وما يفعل ربي بي، فإني أعتقد أن الله تعالى غفور رحيم، يغفر الذنوب جميعاً، ورحمته وسعت كل شيء.

وفيه إشارة إلى أنه كان حسن الظن بالله تعالى، راجياً منه أن يغفر له ذنوبه، إذا تاب منها، وندم عليها، واستغفر ربه منها، ولذا قال: **(خلني وربي)** أي فإن ظني بالله وبمغفرته عظيم، ثم قال له: **(أبعثت)** أي أرسلت **(علي رقيباً)** من جهة الله تعالى، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: **(وما أنت عليهم بوكيل)**.

فالرقيب على العباد هو الله تعالى وحده، وهذا منه حسن في العقيدة. تستأهل وتستدر مغفرة الله تعالى لمن اتصف بها.

(فقال) له المجتهد في العبادة: **(والله لا يغفر الله لك)** أو قال له: **(والله لا يدخلك الله الجنة)** وهذه الكلمة كما قال أبو هريرة رضي الله عنه هي التي أوبقت وأهلكت دنياه وآخرته.

أوبقت دنياه، فأحبطت أعماله الصالحة التي كان يجتهد فيها، لكفره بذلك، قال تعالى: **(ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين)** وأوبقت آخرته، فلم تبق لأعماله ثواباً، ولا أجراً.

لذلك استحق أن يقال فيه: **(اذهبوا به إلى النار)**.

ويحتمل كما قال النووي أن المراد اذهبوا به إلى النار مخلداً، إذا كان قد صدر منه ـ

عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَقَالَ (أَي اللَّه) لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ عَالِمًا بي؟ ـ أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا في يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتي، وَقَالَ لِلآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ.

قال أَبو هُرَيْرَةَ وَالذي نفسي بيده لَتَكَلَّم بكلمة أَوْ بَقَتْ دنياه وآخرته.

ولو بقلبه ـ ما يكون كفراً.

ويحتمل أن المراد اذهبوا به إلى النار يعذب فيه عذاب عصاة المؤمنين تطهيراً لهم من ذنوبهم التي ارتكبوها، لأن هذا اقترن إثماً عظيماً، وهو حكمه جازماً بأن الله تعالى لن يغفر لأخيه العاصي، ولا يدخله الجنة.

والله تعالى يقول: **(أهم يقسمون رحمة ربك)**؟ والمغفرة والعذاب الوارد الوعد والوعيد بهما، تحت مشيئة الله وحده، ليس لمخلوق أن يجزم بحصول أحدهما لمخلوق: لنفسه أو لغيره، وإلا كان تحكماً منه في إرادة الله وعلى أفعاله تعالى.

فالمذنب الراجي لمغفرة الله أدخله الله الجنة، والطائع الذي تألى على الله دخل النار.

نعوذ بالله تعالى من الزلل في القول والعقيدة والعمل ـ آمين.

٣ ـ (ما جاء من كرم اللَّه تعالى في مضاعفة جزاء الأعمال الصالحة)

حديث (مَنْ هَمَّ بحسنة أَو بسيئة)

أَخرجه البخاري في كتاب الرقاق ـ جـ ٨ ص ١٠٣.

(٣٦) حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَر، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، حَدَّثَنَا جَعْدٌ أَبُو عثمانَ، حَدَّثَنَا أَبُو رَجاءٍ الْعَطَارِدِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ عَن النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَالَ: قَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّه لَهُ عِنْدَهُ حَسَنةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بها فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّه لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ. إِلى سَبْعِمَائَةِ ضِعْف إِلى أَضْعَافٍ كَثِيرةٍ. وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّه لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّه سَيِّئَةً وَاحِدةً.

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً في كتاب التوحيد ـ من باب ـ ﴿يريدون أَن يبدلوا كلام اللَّه﴾ جـ ٩ ص ١٤٤.

(٣٧) فقال بسنده إِلَى أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ: إِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلاَ تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ حَتَّى يَعْمَلَهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبَوهَا بمثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا مِنْ أَجْلي فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، وَإِذَا أَرَادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ حَسَنَةً فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعمائَةِ ضِعْفٍ) ـ وزاد في بعض الروايات: (إِلَى أَضْعاف كَثِيرة).

* * *

وأَخرج الحديث مسلم في صحيح بسنده إِلى أَبي هُرَيْرَةَ ـ من باب ـ (تجاوز اللَّه تعالى عن حديث النفس والخواطر بالقلب... وبيان حكم الهَمِّ بالحسنة والسيئة) جـ ٨ هامش القسطلاني ص ٤٨٦.

(٣٨) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَة فَلاَ تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا سَيِّئَةً وَإِذَا هَمَّ بِحَسَنَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا، فَاكْتُبُوهَا حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فاكْتُبُوهَا عَشْرًا.

* * *

وفي رواية ثانية لمسلم، قال بسنده إلى أَبي هُرَيْرَةَ:

(٣٩) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بَحَسَنَة وَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبْتُهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كَتَبْتُهَا لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ وَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ أَكْتُبْهَا عَلَيْهِ. فَإِنْ عَملَهَا كَتَبْتُهَا سَيِّئَةً وَاحِدَةً.

وفي رواية لمسلم، قال بعد السَّنَدِ؛

(٤٠) حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَذَكَر أَحَادِيثَ، مِنْهَا؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا تَحَدَّثَ عَبْدِي بِأَنْ يَعْمَل حَسَنَةً، فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ ـ حَسَنَةً، مَا لَمْ يَعْمَلْ، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا وَإِذَا تَحَدَّثَ بِأَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَأَنَا أَغْفِرُهَا لَهُ مَا لَمْ يَعْمَلْهَا، فَإِذَا عَمِلَهَا فَأَنَا أَكْتُبُهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عليه وسلم: قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ: رَبِّ، ذَاكَ عَبْدُكَ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً ـ وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ ـ فَقَالَ: ارْقُبُوهُ، فَإِنْ عَمْلَهَا، فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّايَ.

* * *

(٤١) وفي صحيح مسلم بسنده قال: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلاَمَهُ، فَكُلُّ حَسَنَة يَعْمَلُهَا، تُكْتَبُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْف، وَكُلُّ سَيِّئَة يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ تَعَالَى.

* * *

وفي رواية أُخرى، أَخرجها مسلم بسنده إلى ابن عباس رضي اللَّه عنهما، فقال:

(٤٢) عَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

ـ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ، عَشْرَ حَسَنَات، إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْف، إِلَى أَضْعَاف كَثِيرة، وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللَّهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً.

وزاد في رواية أُخرى: (أَوْ مَحَاهَا اللَّهُ، وَلاَ يَهْلِكُ عَلَى اللَّه إِلاَّ هَالِكٌ).

* * *

وأَخرج هذا الحديث الترمذي في صحيحه ـ باب سورة الأَنعام ـ جـ ٢ ص ١٨٠.

(٤٣) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَقَوْلُهُ: الْحَقُّ ـ إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَة، فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ بِعَشْر أَمْثَالِهَا، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ، فَلاَ تَكْتُبُوهَا، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، فَإِنْ تَرَكَهَا ـ وَرُبَّمَا قَالَ: لَمْ يَعْمَلْ بِهَا، فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَةً، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾.

(قال أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى: حديث حسن صحيح).

* * *

وأَخرج الحديث أَيضاً النسائي في القنوت، والرقائق كما في القسطلاني.

وأَخرجه أَيضاً ابن ماجه في سننه، عن أَبي ذرّ ـ رضي اللَّه عنه. فقال:

(٤٤) عَنْ أَبي ذَرٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا أَوْ أَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاءُ سَيِّئَة سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا، أَوْ أَغْفِرْ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْراً تقربْتُ

شرح حديث (من هم بحسنة.. الخ)

من شرح الإمام النووي لصحيح مسلم جـ ١ هامش القسطلاني ص ٤٩١

قال النووي رحمه الله تعالى:

(وأما قوله ﷺ: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه ما لم يعملها.. الخ) ـ وفي

إِلَيْهِ ذِرَاعًا. وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَاني يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَن لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً، ثُمَّ لاَ يُشْرِكُ بي شَيْئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً.

الحديث الآخر في الحسنة **(إلى سبعمائة ضعف)**. ـ وفي الآخرة في السيئة: **(إنما تركها من جراي)**.

فقال المازري ـ رحمه الله ـ: مذهب القاضي أبي بكر بن الطيب أن من عزم على المعصية بقلبه، ووطن نفسه عليها، أثم في اعتقاده وعزمه.

ويحمل ما وقع في هذه الأحاديث وأمثالها، على أن ذلك فيمن لم يوطن نفسه على فعل المعصية، وإنما مر ذلك بفكره من غير استقرار ويسمى ذلك هما، ويفرق بين الهم والعزم.

هذا مذهب القاضي أبي بكر ـ رحمه الله تعالى ـ.

وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين، وأخذوا بظاهر الحديث.

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين على ما ذهب إليه القاضي أبو بكر، للأحاديث الدالة على المؤاخذة بأعمال القلوب، لكنهم قالوا: إن هذا العزم يكتب سيئة، وليست هي السيئة التي هم بها، لكونه لم يعملها، وقطعه عنها قاطع غير خوف الله تعالى، والإنابة إليه. لكن نفس الإصرار والعزم معصية، فيكتب معصية، فإذا عملها كتبت معصية ثانية، فإن تركها خشية لله تعالى، كتبت حسنة، كما في الحديث، فإنما قال: **(فإنما تركها من جراي)** فصار تركه لها لخوف الله تعالى، ومجاهدته نفسه الأمارة بالسوء في ذلك، وعصيانه هواه حسنة.

وأما الهم الذي لا يكتب فهي الخواطر التي لا توطن النفس عليها، ولا يصحبها عقد، ولا نية ولا عزم.

وذكر بعض المتكلمين خلافاً فيما إذا تركها لغير خوف الله تعالى، بل لخوف الناس، هل تكتب حسنة أو لا تكتب حسنة؟.

قال: لا، لأنه إنما حمله على تركها الحياء. ـ وهذا ضعيف لا وجه له.

قال النووي: هذا آخر كلام القاضي، وهو ظاهر حسن، لا مزيد عليه.

وقد تظاهرت النصوص على المؤاخذة بعزم القلب المستقر، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾ والآيات في هذا كثيرة.

وقد تظاهرت نصوص الشرع، وإجماع الأمة على تحريم الحسد، واحتقار المسلمين، وإرادة المكروه بهم، وغير ذلك من أعمال القلوب وعزمها. والله أعلم.

وقال النووي ـ رحمه الله تعالى: معنى قوله: **(أحسن إسلامه)** إنه أسلم إسلاماً حقيقياً، وليس كإسلام المنافقين.

.....

وأما قوله ﷺ: **(ولا يهلك على الله إلا هالك)** ـ فقال إن القاضي عياض ـ رحمه الله: قد اتسعت رحمة الله تعالى بعباده وكرمه بهم، فجعل السيئة حسنة إذا لم يعملها، وإذا عملها جعلها سيئة واحدة، وجعل الحسنة إذا لم يعملها حسنة، وإذا عملها جعلها عشراً، إلى سبعمائة ضعف.

فمن حرم هذا الفضل، وكثرت سيئاته حتى غلبت على حسناته، مع أن السيئة أفراد، والحسنات مضاعفة، فهو الهالك المحروم لأنه لم يهتم بفعل الحسنات، ولم يتورع عن السيئات حتى كثرت وزادت على سيئاته. ا هـ.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: في هذه الأحاديث دليل على أن الحفظة يكتبون أعمال القلوب وعقدها ـ أي عزمها المصمم ـ خلافاً لمن قال: إنها لا تكتب إلا الأعمال الظاهرة. والله أعلم.

وأما قوله ﷺ: **(إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة)** ففيه تصريح بالمذهب الصحيح المختار عند العلماء، أن التضعيف لا يقف على سبعمائة ضعف.

وحكى أبو الحسن أقضى القضاة الماوردي أن التضعيف لا يتجاوز سبعمائة ضعف وهو غلط لهذا الحديث. والله أعلم.

ثم قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى:

وفي أحاديث الباب بيان ما أكرم الله تعالى به هذه الأمة ـ زادها الله شرفاً ـ وبيان ما خففه الله عنهم مما كان على غيرهم من الأصر ـ وهو الثقل والمشاق.

وبيان ما كانت الصحابة رضي الله عنهم ـ عليه من المسارعة إلى الانقياد لأحكام الشرع.

قال أبو إسحاق الزجاج: هذا الدعاء، الذي في خواتيم البقرة من قوله تعالى: ﴿**ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا**﴾.. إلى آخر السورة أخبر الله به النبي ﷺ والمؤمنين، وجعله في كتابه، ليكون دعاء من يأتي بعد النبي ﷺ والصحابة ـ رضي الله عنهم. فهو من الدعاء الذي ينبغي أن يحفظ ويدعى به كثيراً. ا هـ.

ويشير بذلك إلى حديث: **(إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها، ما لم يتكلموا أو يعملوا به)**. ـ ا هـ من شرح النووي.

(من شرح القسطلاني جـ ٩ ص ٢٨٠ وما بعدها)

(عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ ـ فيما يرويه عن ربه ـ عز وجل) أي مما تلقاه بلا واسطة، أو بواسطة الملك وهو الراجح.

(أنه ﷺ قال: قال إن الله عز وجل كتب الحسنات والسيئات) أي قدرهما في علمه، أي وقدر لهما الجزاء على وفق الواقع الذي أخبر به النبي ﷺ ـ أو أمر الحفظة أن تكتب ذلك.

.....

(ثم بين ذلك) أي فصل الذي أجمله، وبين كيف يكون الجزاء على كل منهما **(فمن هم بحسنة)** زاد في سنن أحمد وصححه ابن حبان: **(فمن هم بحسنة، يعلم الله أنه قد أشعر بها قلبه، وحرص عليها)**. **(فلم يعملها، كتبها الله)** أي قدرها له ـ أو أمر الملائكة الحفظة الكرام الكاتبين بكتابتها **(له عنده)** تعالى **(حسنة كاملة)**. فلا يتوهم نقصها، لكونها نشأت عن الهم فقط، دون عمل لها. ولا تضعيف فيها، لأن التضعيف مختص بالحسنة التي عملها.

قال الله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ والمجيء بها: هو العمل. والعندية للشرف.

ويحتمل أن يكتبها الله بمجرد الهم، وإن لم يعزم عليها زيادة في الفضل.

وقيل: إنما تكتب الحسنة بمجرد الإرادة، لأن إرادة الخير سبب إلى العمل. وإرادة الخير خير، لأن الخير من عمل القلب.

وقوله: **(فلم يعملها)** ظاهرة حصول الحسنة بمجرد الترك: سواء كان لمانع أم لا، ويتجه أن يتفاوت عظم الحسنة بحسب المانع، فإن كان خارجياً، وقصد الشخص الذي هم مستمر، فهي عظيمة القدر، وإن كان من قبل الذي هم، فهي دون ذلك.

فإن قصد الإعراض عنها جملة، فالظاهر أن لا تكتب له حسنة أصلاً، لا سيما أن عمل بخلافها، كأن هم أن يتصدق بدرهم فصرفه بعينه في معصية.

(فإن هو هم بها) أي بالحسنة **(فعملها كتبها الله له عنده)** تعالى اعتناء بصاحبها، وتشريفاً له **(عشر حسنات)** وهذا أقل ما وعد به من الأضعاف **(إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة)** بحسب الزيادة في الإخلاص وصدق العزم، وحضور القلب، وكثرة النفع.

(ومن هم بسيئة فلم يعملها) خوفاً من الله تعالى ـ كما في حديث أبي هريرة ـ **(كتبها الله له عنده حسنة كاملة)** غير ناقصة، ولا مضاعفة.

وذهب القاضي الباقلاني وغيره إلى أن من عزم على المعصية بقلبه، ووطن نفسه عليها أنه يأثم، وحمل الأحاديث الواردة في العفو عمن هم بسيئة ولم يعملها، على الخاطر الذي يمر بالقلب ولا يستقر.

قال الماوردي: وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين، ونقل ذلك عن نص الشافعي رحمه الله تعالى، ويدل له حديث أبي هريرة عند مسلم، بلفظ: **(فأنا أغفرها له ما لم يعملها)** فإن الظاهر أن العمل هنا هو عمل الجارحة بالمعصية التي هم بها.

وتعقبه القاضي عياض بأن عامة السلف على ما قاله ابن الباقلاني، لاتفاقهم على المؤاخذة بأعمال القلوب، لكنهم قالوا: إن العزم على السيئة يكتب سيئة مجردة، لا السيئة التي هم بها، كمن يأمر بتحصيل معصية، ثم لا يفعلها بعد حصولها، فإنه يأثم بالأمر المذكور، ولا بالمعصية.

وقد تظاهرت نصوص الشريعة بالمؤاخذة على عزم القلب المستقر، كقوله تعالى: ﴿**إن**

.....

الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾ الآية.

والحاصل أن كثيراً من العلماء على المؤاخذة بالعزم المصمم.

وافترق هؤلاء: فمنهم من قال: يعاقب عليه في الدنيا بنحو الهموم والغموم والأحزان.

ومنهم من قال: يعاقب عليه يوم القيامة، لكن بالكتاب، لا بالعقاب. واستثنى قوم ممن قال بعدم المؤاخذة بالهم ما وقع بحرم مكة ولو لم يصمم لقوله تعالى: ﴿**ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾** لأن الحرم يجب اعتقاد تعظيمه، فمن هم بالمعصية فيه خالف الواجب بانتهاك حرمته. فصارت المعصية في الحرم أشد من المعصية في غيره.

ومن هم بالمعصية قاصداً الاستخفاف بالحرم عصى، ومن هم بمعصية الله قاصداً الاستخفاف بالله كفر، وإنما المعفو عنه ألهم بالمعصية مع الذهول عن قصد الاستخفاف ا هـ ملخصاً من الفتح ـ.

(فإن هم هو بها) أي بالسيئة **(فعملها كتبها الله له)** أي للذي عملها **(سيئة واحدة)** أي من غير تضعيف.

ولمسلم من حديث أبي ذر: **(فجزاؤه بمثلها ـ أو يغفر له)**.

وله من حديث ابن عباس: **(أو يمحها)** أي يمحها بالفضل، أو بالتوبة أو بالاستغفار، أو بعمل الحسنة التي تكفر السيئة لقوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ وقوله: ﴿**أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾**.

واستثنى بعضهم وقوع المعصية في حرم مكة، لتعظيمها، كما تقدم في الهم بالمعصية.

والجمهور على التعميم في الأزمنة، أي في أن فعل السيئة يكتب سيئة واحدة، دون تضعيف.

لكن قد تتفاوت بالعظم، في الأزمنة أو الأمكنة وغيرهما.

وفي الحديث بيان سعة فضل الله تعالى على هذه الأمة المحمدية حيث تضاعف الحسنات التي عملها العبد، ولا تضاعف السيئة وحيث تكتب الحسنة التي هم بها حسنة كاملة وإن لم يعملها، ولا تكتب السيئة إلا إذا عملها. ولولا ذلك لكاد أن لا يدخل أحد الجنة، لأن عمل العباد للسيئات أكثر من عملهم للحسنات. والله أعلم. ا هـ.

٤ ـ (ما جاء في حسن الظن باللَّه تعالى)

من البخاري في كتاب التوحيد ـ باب ـ ﴿ويحذركم اللَّه نفسه﴾

وقوله جل ذكره: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ جـ ٩ ص ١٢٠ ـ قسطلاني جـ ١٠ ص ٣٨١.

(٤٥) حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَني، فَإِنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَني في مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِليَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَاني يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً.

وذكره البخاري أَيضاً في كتاب التوحيد مختصراً.

* * *

وأَخرجه مسلم في صحيحه، بثلاث طرق عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي اللَّه عنه.

(٤٦) الأُولى قريبة من اللفظ. مما ذكر البخاري هنا، ولم يختلف إلا في قوله: وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُني، إِنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَني في مَلاَءٍ، ذَكَرْتُهُ في مَلاَءٍ خَيْرٌ مِنْهُمْ.

* * *

(٤٧) والرواية الثانية لم يذكر فيها: (وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا).

والرواية الثالثة فيها: هذا ما حدثنا أَبو هُرَيْرَةَ عن رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ فذكر أَحاديث، منها:

(وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: إِذَا تَلَقَّاني عَبْدِي بِشْبِرٍ، تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّاني بِذِرَاعٍ، تَلَقَّيْتُهُ ببَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّاني بِبَاعٍ، جِئْتُهُ بِأَسْرَعَ مِنْهُ).

صحيح مسلم من هامش القسطلاني ـ جـ ١٠ ص ٠٠٠ وما بعدها.

* * *

وأَخرجه الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى في جامعه ـ باب ـ حسن الظن باللَّه عز وجل ولفظه:

(٤٨) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنَّ عَبْدِي بي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَاني.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

* * *

(٤٩) وفي رواية للترمذي (عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُني، فَإِنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَني في مَلأٍ، ذَكَرْتُهُ في مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا، اقْتَرَبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنْ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَاني يَمْشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً.

قال الترمذي رحمه اللَّه: حديث حسن صحيح.

وأَخرجه ابن ماجه في سننه ـ باب ـ (فضل الذكر) جـ ٢ ص ٢١٨ فقال:

(٥٠) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَني، وَتَحَرَّكَتْ بي شَفَتَاهُ.

* * *

شرح الحديث من القسطلاني جـ ١٠ ص ٣٨١

يقول الله ـ تعالى ـ: **(أنا عند ظن عبدي بي)** أي إن ظن أني أقبل أعماله الصالحة، وأثيبه عليها، وأغفر له إن تاب، فله ذلك مني، وإن ظن أني لا أفعل به ذلك، فسيكون له ذلك.

وفيه إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء، على جانب الخوف.

وقيد بعض أهل التحقيق ذلك بالمحتضر، وأما قبل ذلك فأقوال ثلاثة:

أصحها الاعتدال، فينبغي للمرء أن يجتهد بقيام وظائف العبادة، موقناً بأن الله تعالى يقبله، ويغفر له، لأنه وعده بذلك، وهو لا يخلف الميعاد، فإن اعتقد أو ظن ذلك، فهو

وأَخرجه ابن ماجه أَيضاً في فضل العمل جـ ٢ ص ٢٢٣ فقال:

(٥١) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُني، فَإِنْ ذَكَرَني في نَفْسِهِ، ذَكَرْتُهُ في نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَني في مَلأٍ، ذَكَرْتُهُ في مَلأٍ خَيْر مِنْهُ، وَإِن اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا، اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ أَتَاني يمشِي، أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً.

آيس من رحمة الله، وهو من الكبائر، ومن مات على ذلك وكل إلى ظنه.

وأما ظن المغفرة مع الإصرار على المعصية، فذلك محض الجهل والغرور، ا هـ ببعض تصرف.

(وأنا معه إذا ذكرني) وهي معية خصوصية، أي معه برحمتي وتوفيقي وهدايتي، ورعايتي وعنايتي، فهي غير المعية المعلومة من قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فإن معناها المعية بالعلم والإحاطة.

(فإن ذكرني) بالتنزيه والتقديس سراً **(في نفسه)** وقلبه وضميره ذكرته بالثواب **(في نفسي)** أي لم يطلع عليه غيري **(وإن ذكرني في ملأ)** هو بفتح الميم واللام مهموزاً ـ أي في جماعة جهراً **(ذكرته)** بالثواب وبالثناء عليه **(في ملأ خير منهم)** وهم الملأ الأعلى.

ولا يلزم منه تفضيل الملائكة على بني آدم، لاحتمال أن يكون المراد بالملأ الذين هم خير من الذاكرين ـ الأنبياء والشهداء، فلم ينحصر في ذلك الملائكة.

وأيضاً فإن الخيرية إنما حصلت بالذاكر والملأ معاً، فالجانب الذي معه رب العزة خير من الجانب الذي ليس فيه بلا ارتياب، فالخيرية حصلت بالنسبة للمجموع.

وهذا قاله الحافظ ابن حجر مبتكراً، لكن قال: إنه سبقه إلى معناه ابن الزملكاني، في الجزء الذي جمعه في الرفيق الأعلى **(هذا)**.

أقول ـ **(وأنا العبد الضعيف)** ـ: قد قال ذلك هؤلاء الأئمة الأعلام. ولكن لم يظهر لي أن الأفضلية إنما حصلت بالذاكر والملأ معاً، بعد أن قال في الحديث: **(ذكرته في ملأ خير منهم)** ـ وقال في رواية مسلم: **(ذكرته في ملأهم خير منهم)** ـ ففيه تصريح بوصف نفس الملأ بأنهم خير منهم فالوصف بالخيرية لنفس الملأ، وبعيد في عرف الخطاب أن يراد بذلك الذاكر والملأ معاً. والله أعلم.

(وإن تقرب إلي بشبر) وفي نسخة ـ **(شبراً)** ـ بإسقاط الخافض وبالنصب ـ أي مقدار شبر **(تقربت إليه ذراعاً، وإن تقرب إلي ذراعاً)** أي بقدر ذراع **(تقربت إليه)** وفي نسخة ـ منه ـ **(باعاً)** أي مقدار باع.

وهو طول ذراعي الإنسان وعضديه، وعرض صدره **(وإن أتاني يمشي)** وفي رواية ـ ومن

.....

أتاني يمشي **(أتيته هرولة)** أي إسراعاً. يعني من تقرب إلي بطاعة قليلة، جازيته بمثوبة كثيرة، وكلما زاد في الطاعة، زدته في المثوبة، وإن كان إتيانه بالطاعة على التأني، فإتياني بالثواب له على السرعة.

والتقرب والهرولة مجاز، على سبيل المشاكلة، أو الاستعارة، أو قصد إرادة لوازمها، وإلا فهذه الإطلاقات، وأشباهها، لا يجوز إطلاقها على الله تعالى، إلا على المجاز، لاستحالتها على الله تعالى.

وفي الحديث جواز إطلاق النفس على الذات، فإطلاقه في الكتاب والسنة إذن شرعي فيه.

أو يقال: هو بطريق المشاكلة، لكن يعكر على هذا الثاني قوله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أي ففيها إطلاق النفس دون مشاكلة. ا هـ قسطلاني.

من شرح الإمام النووي لصحيح مسلم

قوله ـ عز وجل: **(أنا عند ظن عبدي بي)** قال القاضي: قيل: معناه: عند ظنه بالغفران له، إذا استغفر، والقبول إذا تاب، والإجابة إذا دعا، والكفاية إذا طلب الكفاية.

قيل: المراد به الرجاء وتأميل العفو، وهذا أصح.

قوله تعالى: **(وأنا معه حين يذكرني)** أي معه بالرحمة والتوفيق، والهداية والرعاية والإعانة.

وأما قوله تعالى: ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ فمعناه أنه معكم بالعلم والإحاطة.

وقوله تعالى: **(إن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي)**.

قال المازري: النفس تطلق في اللغة على معان: منها الدم، ونفس الحيوان، وهما مستحيلان في حق الله تعالى.

ومنها الذات، والله تعالى ذات حقيقة، وهو المراد بقوله: **(في نفسي)**. ومنها الغيب، وهو أحد الأقوال في قوله تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ أي تعلم ما في غيبي، ولا أعلم ما في غيبك، فيجوز أن يكون أيضاً مراداً في الحديث، أي إذا ذكر الله خالياً، أثابه الله وجازاه عما عمل بما لما لم يطلع عليه أحد من الخلق.

وقوله: **(وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منهم)**.

مذهب أصحابنا وغيرهم أن الأنبياء أفضل من الملائكة، لقوله تعالى: في بني إسرائيل: **(وفضلناهم على العالمين)** ـ ويتأول هذا الحديث على أن الذاكرين يكون غالباً طائفة لا نبي فيهم، فإذا ذكره الله تعالى في خلائق من الملائكة، كانوا خيراً من تلك الطائفة الذين ذكر الله فيهم.

قوله: **(وإن تقرب مني شبراً، تقربت منه باعاً. . الخ)** في أحاديث الصفات مرات.

.....

ومعناه: من تقرب إلي بطاعتي، تقربت إليه برحمتي، وبالتوفيق والإعانة وإن زاد في الطاعة، زدته توفيقاً وإعانة، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي، أتيته هرولة، أي صببت عليه الرحمة، وسبقته بها، ولم أحوجه إلى المشي الكثير للوصول إلى المقصود.

والمراد أن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه إلينا بالطاعة.

وقوله في رواية: **(وإذا تلقاني بباع، جئته أتيته)**.

هكذا هو في أكثر النسخ: جئته أتيته ـ وفي بعضها: **(جئته بأسرع)** فقط، وفي بعضها: **(أتيته)** وهاتان ظاهرتان، والأول صحيح أيضاً، وتكون الثانية للتأكيد، وهو حسن ا هـ نووي.

٥ ـ (ما جاء فيما أعده اللَّه لعباده الصالحين)

حديث: (أَعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأَت. . . الخ)

من صحيح البخاري ـ باب ـ (صفة أَهل الجنة) جـ ٤ ص ١١٨.

(٥٢) حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا أَبُو الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ: قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً في كتاب التفسير جـ ٦ ص ١١٥.

(من سورة تنزيل السجدة).

(٥٣) حَدَّثَنَا، عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً في الباب نفسه ـ جـ ٦ ص ١١٦ بلفظ:

(٥٤) حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ـ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ذُخْرًا بَلْهَ مَا أُطْلِعْتُمْ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بما كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

* * *

(٥٥) وفي رواية للبخاري: (مِنْ بِلُهِ مَا أَطْلَعْتُهُمْ عَلَيْهِ).

وكذلك أَخرجه البخاري في كتاب التوحيد ـ جـ ٩ ص ١٤٤ كالرواية الأُولى هنا.

* * *

وأَخرجه الإِمام مسلم في صحيحه ـ من (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأَهلها) ـ جـ ١٠ ص ٢٨٢ هامش القسطلاني بروايات متعددة.

(٥٦) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ في كِتَابِ اللَّهِ: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

* * *

(٥٧) وزاد في رواية ثانية. بعد قوله: «ولا خطر على قلب بشر». (ذُخْرًا، بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ).

* * *

(٥٨) وفي رواية ثالثة: (ذُخْرًا بَلْهَ مَا أَطْلَعَكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ) ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾.

(٥٩) وفي رواية رابعة زيادة: (ثُمَّ اقْتَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾).

* * *

وأَخرجه الإِمام الترمذي ـ باب ـ (سورة الواقعة) جـ ٢ ص ٢٢٥ بلفظ:

(٦٠) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ـ يَقُولُ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ـ وَفي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ في ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ

لاَ يَقْطَعُهَا، واقْرَأُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿وَظِلٍّ مَمْدُودٍ﴾ وَمَوْضِعُ سَوْطٍ في الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.

قال أَبو عيسى الترمذي: حديث حسن صحيح.

* * *

وأَخرجه ابن ماجه في سننه ـ باب صفة الجنة جـ ٢ ص ٣٠٥.

(٦١) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: (وَمِنْ بَلْهِ مَا أَطْلَعَكُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ) ـ اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

شرح حديث (أعددت لعبادي الصالحين)

أولاً ـ قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح مسلم جـ ١٠ ص ٢٨٣ هامش القسطلاني:

قوله: **(ذخرا بله ما أطلعكم الله عليه)** وفي بعض النسخ **(ما أطلعكم عليه)** وفي بعضها **(ما أطلعتكم عليه)** ـ هكذا هو في رواية أبي بكر بن أبي شيبة **(ذخرا)** في جميع النسخ.

ثم قال: **(فأما بله)** فبفتح الباء الموحدة، وإسكان اللام.. ومعناها: دع عنك ما أطلعكم عليه، فالذي لم يطلعكم عليه أعظم، وكأنه أضرب عنه استقلالاً له في جنب ما لم يطلع عليه..

وقيل: معناها غير ـ وقيل: معناها كيف ـ ا هـ.

ثم قال النووي: قوله: **(إن في الجنة لشجرة يسير المراكب.. الخ)**. وفي رواية **(يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام، لا يقطعها)**. قال العلماء: والمراد بظلها كنفها، وهو ما يستر أغصانها. والمضمر بفتح الضاد، والميم المشددة ـ وبإسكان الضاد وفتح الميم هو الذي ضمر ليشتد جريه. ا هـ المراد منه.

ثانياً ـ قال القسطلاني في شرح الحديث من كتاب التفسير ـ (تنزيل السجدة) جـ ٧ ص ٢٩١

(أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت) قال في شرح المشكاة: ـ ما هنا إما

.....

موصولة، أو موصوفة، ـ وعين نكرة وقعت في سياق النفي، فأفاد الاستغراق، والمعنى: ما رأت العيون كلهن، ولا عين واحدة منهن.

ثم قال: **(ولا خطر على قلب بشر)** خص البشر هنا، دون القرينتين السابقتين، لأنهم الذين ينتفعون بما أعد لهم، ويهتمون لشأنه ببالهم فيخطر به، بخلاف الملائكة، ثم قرأ الآية: ﴿**فلم تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين**﴾ الآية.

والحديث كالتفصيل لهذه الآية، لأنها نفت العلم، وهو **(أي الحديث)** نفي طرق حصوله.

وقوله: **(ذخرا)** بضم الذال، وسكون الخاء المعجمتين. قال في الصحاح في فصل الذال المعجمة: ذخرت الشيء أذخره ذخراً، وكذلك أذخرته وهو افتعلت.

وقال الكرماني: وذخرا منصوب متعلق بأعددت، وقال في الفتح: أي جعلت ذلك له مدخورا. ا هـ.

وقوله: **(بله ما أطلعتم عليه)** بضم الهمزة وكسر اللام. ولأبي ذر: **(ما أطلعتهم عليه)** بفتح الهمزة واللام، وزيادة هاء بعد التاء.

وقوله: **(بله)** بفتح الباء الموحدة، وسكون اللام، وفتح الهاء، وللأربعة **(من بله)** بزيادة **(من)** الجارة وجر ـ بله ـ بها، كذا في الفرع المعتمد المقابل على أصل اليونينية، المحرر بحضرة إمام العربية أبي عبد الله بن مالك، وكذا رأيته في أصل اليونيني المذكور.

ـ وحينئذٍ فينظر في قول الصاغاني: اتفق جميع النسخ على ـ من بله ـ والصواب إسقاط كلمة ـ من ـ، وقول ابن التين: إن ـ بله ـ ضبط مع ـ من ـ بالفتح والكسر هو حكاية ما وجده فلا يمنع ما ذكرته من الفتح مع عدم الجار ـ والكسر مع ثبوته. فأما الفتح فقال الجوهري: (وبله كلمة مبنية على الفتح، مثل كيف، ومعناها: دع ـ وأنشد قول كعب بن مالك، يصف السيوف:

تذر الجماجم ضاحياً هاماتها بله الأكف كأنها لم تخلق

قال في المغني: وقد روي بالأوجه الثلاثة. قال شارحه: ومعنى ـ بله الأكف ـ على رواية النصب: دع الأكف، فأمرها سهل، وعلى رواية الجر: كترك الأكف منفصلة، وعلى الرفع فكيف الأكف، التي يوصل إليها بسهولة.

أما وجه الفتح مع ثبوت ـ من ـ فقال الرضي: إذا كانت ـ بله ـ بمعنى كيف ـ جاز أن تدخله ـ من ـ، حكى أبو زيد: إن فلاناً لا يطيق حمل الفهر، فمن بله أن يأتي بالصخرة أي كيف ومن أين، قال في المصابيح: وعليه تتخرج الرواية فتكون بمعنى ـ كيف ـ التي يقصد بها الاستبعاد ـ وما ـ مصدرية وهي مع صلتها في محل رفع، والخبر من بله، والضمير المجرور بعلى ـ عائد على الذخر، أي كيف ومن أين إطلاعكم على ما ادخرته لعبادي الصالحين، فإنه أمر عظيم، قلماً تتسع له عقول البشر، ولا يمكنها إدراكه ولا الإحاطة به،

.....

قال: وهذا أحسن ما يقال في هذا المحل. ا هـ ثم قال: وأما الجر. فوجه بأن ـ بله ـ بمعنى غير والكسرة التي على الهاء حينئذٍ ـ إعرابية.

قال في الفتح: وهو أي كون ـ بله ـ بمعنى غير ـ أوضح التوجيهات لخصوص سياق حديث الباب، حيث وقع فيه.

(ولا خطر على قلب بشر، ذخراً من بله ما أطلعتم عليه) وذلك بين لمن تأمله. ا هـ ثم قال: وقال أبو السعادات في نهايته:

بله ـ اسم من أسماء الأفعال، بمعنى دع واترك، تقول: بله زيداً، وقد توضع موضع المصدر، وتضاف، فتقول: بله زيد، أي ترك زيد، وقوله: **(ما أطلعتم عليه)** يحتمل أن يكون منصوب المحل، ومجروره على التقديرين، والمعنى: دع ما أطلعتم عليه من نعيم الجنة وعرفتموه من لذاتها. ا هـ.

زاد الخطابي: فإنه سهل يسير في جنب ما ادخرته لهم. ثم قرأ عليه الصلاة والسلام: ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**﴾ جزاء مفعول له، أي أخفى الجزاء، فإن إخفاءه لعلو شأنه ـ أو مصدر مؤكد لمعنى الجملة قبله، أي جوزوا جزاء.

٦ ـ (ما جاء في نداء اللَّه العباد أن يدعوه ويرجوه)

حديث: (يتنزل ربنا إلى سماءِ الدنيا)

أَخرجه البخاري في كتاب الدعوات ـ باب ـ (الدعاءُ في نصف الليل) جـ ٨ ص ٧١.

(٦٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الأَغَرِّ وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ، فيقولُ: مَنْ يَدْعُوني فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُني فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُني فأَغفِرَ لَه؟.

* * *

(٦٣) وأَخرجه البخاري في كتاب الصلاة في آخره، وأَخرجه أَيضاً في كتاب

شرح الحديث من النووي على مسلم جـ ٤ ص ٢٦ هامش القسطلاني

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا الحديث من أحاديث الصفات وفيه مذهبان مشهوران للعلماء، سبق إيضاحهما في كتاب الإيمان، ومختصرهما ـ أن أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله تعالى، وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق وعن الانتقال والحركات، وسائر سمات الخلق.

والثاني: مذهب أكثر المتكلمين وجماعات من السلف، وهو محكي هنا عن مالك والأوزاعي ـ أنها تتأول على ما يليق بها بحسب مواطنها، فعلى هذا تأولوا هذا الحديث تأويلين:

أحدهما: تأويل مالك بن أنس رضي الله عنه وغيره، معناه: تتنزل رحمته وأمره، أو ملائكته، كما يقال: فعل الشيطان كذا ـ إذا فعله أتباعه بأمره.

والثاني: أنه على الاستعارة، ومعناه: الإقبال على الداعين بالإجابة واللطف. والله أعلم.

التوحيد ـ باب ـ ﴿يريدون أَن يبدلوا كلام اللَّه﴾ جـ ٩ ص ١٤٣ ـ بأَلفاظ قريبة مما ذكر هنا أَو مثلها.

وأَخرجه الإِمام مالك في الموطإِ، بمثل لفظ البخاري.

* * *

وأَخرج الحديث مسلم في صحيحه، بروايات متعددة: الأُولى.

(٦٤) مثل لفظ البخاري هنا، إِلا أَنه قال: (يَنْزِلُ رَبُّنَا) كما في نسخة من البخاري.

(٦٥) والثانية ـ عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا كُلَّ لَيْلَةٍ حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ فَلاَ يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ.

* * *

(٦٦) والرواية الثالثة: (إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ).

* * *

وقوله ﷺ: **(حين يبقى ثلث الليل الآخر)**، وفي الرواية الثانية: **(حين يمضي ثلث الليل الأول)** وفي رواية **(إذا مضى شطر الليل أو ثلثاه)**.

قال القاضي عياض: رواية: **(حين يبقى ثلث الليل الآخر)** الصحيحة، كذا قال شيوخ الحديث.

قال: ويحتمل أن يكون النزول بالمعنى المراد بعد الثلث الأول، وقوله: **(من يدعوني)** يعني أن الدعاء بعد الثلث الأخير. هذا كلام القاضي.

ثم قال النووي: قلت: ويحتمل أن يكون النبي ـ ﷺ ـ أعلم بأحد الأمرين في وقت فأخبر به، ثم أعلم بالآخر في وقت آخر فأعلم به، وسمع أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ الخبرين فنقلهما جميعاً، وسمع أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ خبر الثلث الأول فقط، فأخبر به مع أبي هريرة، كما ذكره مسلم في الرواية الأخيرة، وهذا ظاهر.

وفيه رد لما أشار إليه القاضي من تضعيف رواية الثلث الأول، وكيف يضعفها ـ وقد

(٦٧) والرواية الرابعة: (يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى في السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُوني فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ أَوْ يَسْأَلُني فَأُعْطِيَهُ؟ ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرِ عَدِيمٍ وَلاَ ظَلُومٍ؟).

* * *

(٦٨) والرواية الخامسة زاد فيها: (ثُمَّ يَبْسُطُ يَدَيْهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدُومٍ وَلاَ ظَلُومٍ).

* * *

(٦٩) والرواية السادسة: (إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوَّلُ، نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِن تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ).

(٧٠) وأَخرجه أَبو داود في باب (أَي الليل أَفضل) بلفظ مثل رواية البخاري جـ ١ ص ٣٦٤. وأَخرجه أَيضاً في باب الرؤية جـ ٤ ص ١٨٣.

وأَخرجه الترمذي في باب (نزول الرب عز وجل إِلى السماءِ كل ليلة) جـ ١ ص ٩٠ ولفظه:

* * *

(٧١) (يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَمْضِي ثُلُثُ اللَّيْلِ الأَوْلُ، فَيَقُولُ،

رواها مسلم في صحيحه، بإسناد لا مطعن فيه عن صحابيين: أبي سعيد وأبي هريرة؟ والله أعلم.

وقوله سبحانه وتعالى: **(أنا الملك، أنا الملك)** هكذا هو في الأصول والروايات مكرر، للتوكيد والتعظيم.

وقوله ﷺ: **(فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر)** فيه دليل عن امتداد وقت الرحمة واللطف التام إلى إضاءة الفجر، وفيه الحث على طلب الدعاء والاستغفار في جميع الوقت المذكور إلى إضاءة الفجر، وفيه التنبيه على أن آخر الليل للصلاة والدعاء والاستغفار وغيرها من الطاعات أفضل من أوله. والله أعلم.

وقوله في بعض الروايات: **(ينزل الله في السماء)** وهو صحيح. ـ وقوله سبحانه وتعالى: **(من يقرض غير عديم ولا ظلوم)** وفي الرواية الأخرى **(غير عدوم)** هكذا في الأصول في الرواية الأولى **(عديم)** والثانية **(عدوم)** قال أهل اللغة: يقال: أعدم الرجل ـ إذا افتقر، فهو معدم، وعديم، وعدوم والمعنى من يقرض الله الذي هو ليس عدوماً ولا ظلوماً.

أَنَا الْمَلِكُ، مَنْ ذَا الَّذِي يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ فَلاَ يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُضِيءَ الْفَجْرُ).

(قال أبو عيسى الترمذي: حديث حسن صحيح).

حديث (يا ابن آدم إِنَّك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك)

أَخرجه أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه ـ في جامعه ـ باب ـ (فضل التوبة والاستغفار).

(٧٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى

والمراد بالقرض ـ والله أعلم ـ عمل الطاعة: سواء فيه الصدقة والصلاة والصوم والذكر وغيرها من الطاعات، وسماه سبحانه وتعالى قرضاً ملاطفة لعباده، وتحريضاً لهم على المبادرة إلى الطاعة، فإن القرض إنما يكون ممن يعرفه المقترض، وبينه وبينه مؤنسة ومحبة، فحين يتعرض للقرض يبادر المطلوب منه بإجابته، لفرحه بتأهيله للاقتراض منه، وإدلاله عليه وذكره له، وبالله التوفيق.

وقوله: **(ثم يبسط يديه سبحانه وتعالى)** هو إشارة إلى نشر رحمته وكثرة عطائه وإجابته وإسباغ نعمته. ا هـ من النووي رحمه الله.

شرح الحديث

عنان السماء بفتح العين، يطلق على السحاب، وعلى نواحي السماء.

فقال في القاموس:

والعنان بالفتح: السحاب، أو التي تمسك الماء، واحدتها **(عنانه)** بهاء.. ومن السماء نواحيها، وعنانها بالكسر: ما بدا لك منها إذا نظرتها، ومن الدار جانبها. ا هـ من القاموس.

وقراب الأرض: ما يقارب قدرها.

قال في القاموس: وقراب الشيء بالكسر، وقرابه، وقرابته بضمهما: ما قارب قدره. ا هـ منه.

والمعنى: أن الله تعالى يقول: يا ابن آدم، إنك ما دمت تدعوني لمغفرة ذنوبك وترجوني لقبول دعائك ـ وذلك بأن تتوب من ذنوبك، وتدعو الله تعالى مغفرة ذنوبك، وترجو منه قبول توبتك، وتحسن الظن بربك، وأنه يغفر ذنب التائبين ـ كما وعدهم بذلك ـ فإن الله تعالى يغفر لك كل ذنوبك ـ مع ما كان فيك وقت فعل الذنب، من الغفلة والنسيان ـ ولا أبالي بأحد، يسألني ويقول: لم غفرت لفلان، لأني لا أسأل عما أفعل، قال تعالى: ﴿لا يسأل عما يفعل وهم يسألون﴾. وقد قلت في كتابي العزيز: ﴿إن

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا ـ، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً.

(قال الترمذي رحمه اللَّه تعالى: حديث حسن غريب).

* * *

(ما جاءَ ليلة النصف من شعبان)

أَخرجه ابن ماجه في سننه ـ باب ما جاءَ في ليلة النصف من شعبان جـ ١ ص ٢١٧.

(٧٣) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِذَا كَانَ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُومُوا لَيْلَهَا، وَصُومُوا نَهَارَهَا، فَإِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ، إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: أَلاَ مِن مُسْتَغْفِرٍ فَأَغْفِرَ

الحسنات يذهبن السيئات﴾ فقد أذنبت ثم رجعت إلي واستغفرتني، والرجوع إلي والاستغفار من أكبر الحسنات، فهو يمحو السيئات، كما قال النبي ﷺ: **(وأتبع السيئة الحسنة تمحها)**.

يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك جوانب السماء في العلو والكبر والكثرة فملأت الفراغ الذي بين السماء والأرض ـ ثم استغفرتني أي طلبت مني أن أغفرها لك، وندمت عليها، وتبت منها، فإني أغفرها لك، ولا أبالي من أحد يمنعني من ذلك، لأني أنا الفعال لما أشاء وأريد وقد وعدت بذلك فضلاً مني ورحمة ـ وأنا لا أخلف الميعاد.

يا ابن آدم إنك لو أتيتني بما يقارب قدر الأرض خطايا وذنوباً، وكان معك التوحيد ـ فلم تشرك بي شيئاً ـ لأتيتك بما يقارب قدر الأرض ـ أو ما يقارب قدر الخطايا والذنوب مغفرة كي تتلاشى تلك الذنوب أمام مغفرتي في الميزان، فلا يكون لك خطيئة تعذب عليها. والحديث فيه رجاء عظيم، وبشرى للتائبين، وحث لهم على المسارعة بالتوبة وحسن الرجاء، والتمسك بالتوحيد.

والأفضل للمؤمن أن يغلب الخوف على الرجاء وقت شبابه وصحته، ويغلب الرجاء عند الكبر والمرض. والله أعلم.

ثانياً ـ الحديث الثاني فيه بيان فضل ليلة النصف من شعبان، وفضل الصلاة فيها، وصيام يومها ـ فصومه مستحب.

وفيه بيان فضل الله تعالى وسعة رحمته بعباده الذين يدعونه، ويستغفرونه ويتوبون إليه،

لَهُ؟ أَلاَ مُسْتَرْزِقٌ، فَأَرْزُقَهُ؟ أَلاَ مُبْتَلىً فَأُعَافِيهُ؟ أَلاَ كَذَا؟ أَلاَ كَذَا؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.

قال في الزوائد: إسناده ضعيف، لضعف ابن أَبي بسرة، واسمه أَبو بكر بن عبد اللَّه بن محمد أَبي بسرة.

قال فيه أَحمد بن حنبل وابن معين: يضع الحديث. ا هـ.

وأن هذه الليلة المباركة من مواسم الخير، وفيها نفحات من نفحات الرحمة، فالأفضل للعبد المؤمن أن يتعرض لنفحات الله تعالى بالدعاء والاستغفار والتوبة من الذنوب. وفقنا الله تعالى لما يرضيه آمين. والله أعلم.

٧ ـ (محبة اللَّه تعالى للعبد وأثرها في محبة الخلق)

حديث: (إذا أَحب اللَّه عبداً، نادى جبريل الخ)

أَخرجه البخاري في كتاب بدءِ الخلق ـ باب ذكر الملائكة ـ جـ ٤ ص ١١١.

(٧٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَلاَم، أَخْبَرَنَا مَخْلَدٌ، أَخْبَرَنَا ابْنُ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَني مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: وتابعه أَبُو عَاصِمٍ عن ابْنِ جُرَيْجٍ، قَالَ: أَخْبَرَني مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ، عَنْ نَافِعٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ، نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ في أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ في الأَرْضِ.

* * *

وقد رواه البخاري أَيضاً في كتاب الأَدب ـ باب (المقت من اللَّه)، أَي المحبة جـ ٨ ص ١٤.

(٧٥) بلفظ قريب من لفظه هنا ـ إِلا أَنه قال فيه: (ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ في أَهْلِ الأَرْضِ).

* * *

شرح الحديث من شرح النووي على مسلم

قال النووي ـ رحمه الله ـ: قال العلماء: محبة الله تعالى لعبده ـ هي إرادته الخير له، وهدايته وإنعامه عليه ورحمته. وبغضه: إرادته عقابه، أو شقاوته ونحوه.

وحب جبريل والملائكة يحتمل وجهين:

أحدهما ـ استغفارهم له وثناؤهم عليه، ودعاؤهم له.

والثاني ـ أن محبتهم على ظاهرها المعروف من المخلوقين، وهو ميل القلب إليه،

(٧٦) وأَخرجه البخاري أَيضاً في كتاب التوحيد ـ باب: (كلام الرب مع جبريل، ونداءُ الملائكة) جـ ٩ ص ١٤٢. بلفظ مثل ما هنا وقال: (وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ في أَهْل الأَرْضِ).

وهذه رواية مسلم لحديث: (إِذا أَحب اللَّه عبداً).

وأَخرجه الإِمام مسلم من كتاب البر والصلة جـ ١٠ ص ٦٣ هامش القسطلاني. باب: (إِذا أَحب اللَّه عبداً حبَّبه إِلى عباده).

(٧٧) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فلانًا فأَحِبَّهُ، قَالَ: فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُم يُنادِي في السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ في الأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا، دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضْهُ، فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ ـ ثُمَّ يُنَادِي في أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلانًا، فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ في الأَرْضِ.

* * *

وأَخرجه الإِمام مالك ـ رحمه اللَّه ـ في الموطإ ـ ص ٢٠٩ هامش الجزءِ الثاني مصابيح السنة ـ باب ـ (ما جاءَ في المتحابين في اللَّه).

(٧٨) عَنْ مَالِك، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال: إِذا أَحَبَّ اللَّهُ

واشتياقه إلى لقائه، ـ وسبب حبهم إياه كونه مطيعاً لله تعالى محبوباً له. ومعنى **(يوضع له القبول في الأرض)** أي يلقي الحب في قلوب الناس، له ورضاهم عنه، فتميل إليه القلوب، وترضى عنه، وقد جاء: **(فتوضع له المحبة)**. ا هـ من شرح النووي.

وعن سهيل بن أبي صالح، قال: كنا بعرفة فمر عمر بن عبد العزيز، وهو على الموسم فقام الناس ينظرون إليه، فقلت لأبي يا أبت، يا أبت، إني أرى الله تبارك وتعالى يحب عمر ابن عبد العزيز، قال: وما ذلك؟ قلت: لما له من الحب في قلوب الناس قال: بأبيك أنت سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ ثم ذكر مثل حديث جرير عن سهيل المذكور هنا. ا هـ من صحيح مسلم.

الْعَبْدَ، قَالَ لِجِبْرِيلَ: قَدْ أَحْبَبْتُ فُلانًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ يُنَادِي في أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلانًا، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ في الأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ الْعَبْدَ ـ قَالَ مالكٌ ـ لاَ أَحْسِبُهُ إِلاَّ أَنَّهُ قَالَ فِي الْبُغْضِ مِثْلَ ذَلِكَ.

* * *

وأَخرجه الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ باب سورة مريم ـ جـ ٢ ص ١٩٨.

(٧٩) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا، نَادَى جِبْرِيلَ: إِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ فُلانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُنَادِي في السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْمَحَبَّةُ في أَهْلِ الأَرْضِ، فَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمٰنُ وُدًّا﴾ ـ وَإِذَا أَبْغَضَ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنِّي قَدْ أَبْغَضْتُ فُلانًا، فَيُنَادَى في السَّمَاءِ ثُمَّ تَنْزِلُ لَهُ الْبَغْضَاءُ في الأَرْضِ.

(قال أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه ـ حديث حسن صحيح).

٨ ـ (جزاء معاداة أولياء اللَّه تعالى وأفضل ما يتقرب به إلى اللَّه تعالى)

حديث (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)

أَخرجه البخاري ـ جـ ٨ ص ١٠٥ ـ (باب التواضع).

(٨١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ كَرَامَةَ، حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مَخْلَدٍ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ بِلاَلٍ، حَدَّثَني شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبي نَمِرٍ عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجلَّ ـ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حتى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَني لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَني لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ عَبْدِي الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ المَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.

* * *

شرح الحديث من القسطلاني جـ ٩ ص ٢٨٩

من باب التواضع

(محمد بن عثمان بن كرامة) بفتح الكاف، وتخفيف الراء، العجلي بكسر العين وسكون الجيم، الكوفي **(خالد بن مخلد)** بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة **(القطواني)** الكوفي **(سليمان بن بلال)** أبو أيوب التميمي **(شريك بن عبد الله بن أبي نمر)** بفتح النون وكسر الميم، القرشي **(عطاء)** بن يسار، **(من عادى لي ولياً)** فعيلاً بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه وتعالى أمره، قال تعالى: ﴿**وهو يتولى الصالحين**﴾ ولا يكله إلى نفسه لحظة، بل يتولى الحق رعايته.

أو هو فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، فعباداته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان، وكلا الوصفين واجب، حتى يكون الولي ولياً، بحسب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستبقاء، ودوام حفظ الله إياه في السراء والضراء.

ومن شرط الولي أن يكون محفوظاً، كما أن من شرط النبي أن يكون معصوماً، فكل من كان للشرع عليه اعتراض، فهو مغرور مخادع.

.....

قال القشيري: والمراد بكون الولي محفوظاً أن يحفظه الله تعالى من تماديه في الزلل والخطأ، فإن وقع فيهما يلهمه الله التوبة، فيتوب منهما، وإلا فهما لا يقدحان في ولايته.

وقوله: **(لي)** هو في الأصل صفة لقوله: **(ولياً)** ـ لكنه لما تقدم صار حالاً وفي رواية أحمد: **(من آذى لي ولياً)**.

(فقد آذنته) بمد الهمزة، وفتح الذال المعجمة، وسكون النون، أي أعلمته **(بالحرب)** أي أعمل معه ما يعمله العدو المحارب من الإيذاء ونحوه، فالمراد لازمه. ـ وفيه تهديد شديد، لأن من حاربه الله أهلكه.

قال الفاكهاني: وهو من المجاز البليغ، لأن من كره من أحب الله، خالف الله ومن خالف الله عانده، ومن عانده أهلكه.

وإذا ثبت هذا في جانب المعاداة، ثبت ضده في جانب الموالاة، فمن والى أولياء الله أكرمه الله.

وفي رواية أبي ذر عن الكشميهني **(بحرب)** دون الألف واللام. **(وما تقرب إلي عبدي)** وفي رواية: **(عبد)** **(بشيء أحب إلي)** بفتح أحب صفة لقوله: **(بشيء)** وبالرفع على تقدير ـ هو أحب إلي، **(مما افترضت عليه)** سواء كان عيناً أو كفاية. وظاهر قوله: **(افترضته)** الاختصاص بما ابتدأ الله فرضيته، وهل يدخل ما أوجبه المكلف على نفسه ـ **(وما يزال)** بلفظ المضارع، ـ ولأبي ذر عن الحموي والمستملي: **(وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل)** أي مع الفرائض كالصلاة والصيام **(حتى أحبه، فإذا أحببته كنت)** ولأبي ذر: **(حتى حببته، فكنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها)** بضم الطاء في اليونينية، وبكسرها في غيرها **(ورجله التي يمشي بها)**.

وزاد عبد الواحد بن ميمون، عن عروة، عن عائشة عند أحمد والبيهقي، في الزهد: **(وفؤاده الذي يعقل به، ولسانه الذي يتكلم به)**.

وفي حديث أنس: **(ومن أحببته كنت له سمعاً وبصراً، ومؤيداً)** وهو مجاز وكناية عن نصرة العبد وتأييده وإعانته، حتى كأنه سبحانه ينزل نفسه من عبده منزلة الحواس التي يستعين بها. ولذا وقع في رواية: **(فبي يسمع، وبي يبصر، وبي يبطش، وبي يمشي)** قاله العوفي. ـ أو أن سمعه بمعنى مسموعه، لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول، مثل ـ فلان أمي، بمعنى مأمولي.

والمعنى: أنه لا يسمع إلا ذكري، ولا يلتذ إلا بتلاوة كلامي وقراءة كتابي، ولا يأنس إلا بمناجاتي، ولا ينظر إلا في عجائب ملكوتي، ولا يمد يده إلا فيما رضاي، ورجله كذلك. قاله الفاكهاني.

وقال الاتحادية: إنه على حقيقته، وأن الحق عين العبد، محتجين بمجيء جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي.

.....

وللشيخ قطب الدين القسطلاني كتاب بديع في الرد على أصحاب هذه المقالة. ـ أثابه الله تعالى. وعن أبي عثمان الجيري أحد أئمة الصوفية، مما أسنده عنه البيهقي في الزهد، قال: معنى الحديث ـ كنت أسرع ـ بفتح العين ـ إلى قضاء حوائجه من سمعه في الاستماع، ومن عينه في النظر، ومن يده في اللمس، ومن رجله في المشي.

(وإن سألني لأعطيته) ما سأل **(ولئن استعاذني)** بالنون في الفرع كأصله: وفي غيرهما بالباء **(لأعيننه)** أي مما يخاف.

وفي حديث أبي أمامة عند الطبراني والبيهقي في الزهد:

(وإذا استنصر في نصرته). ـ وفي حديث حذيفة عند الطبراني:

(ويكون من أوليائي وأصفيائي، ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة).

(وما ترددت عن شيء أنا فاعله، ترددي عن نفس المؤمن) أي ما رددت رسلي في شيء أنا فاعله، كترديدي إياهم في نفس المؤمن أي في قبض نفسه، كما في قصة موسى عليه السلام وما كان من لطمه عين ملك الموت، ـ وتردده إليه مرة بعد أخرى، وأضاف تعالى ذلك لنفسه لأن ترددهم عن أمره **(يكره الموت)** لما فيه من الألم العظيم **(وأنا أكره مساءته)** بفتح الميم، وبالسين المهملة، بعدها همزة، فوقية. وقال الجنيد: الكراهة هنا لما يلقى المؤمن من الموت وصعوبته، وليس المعنى أني أكره له الموت، لأن الموت يورده إلى رحمة الله ومغفرته، وقال غيره: لما كانت مفارقة الروح الجسد، لا تحصل إلا بألم عظيم جداً، والله تعالى يكره أذى المؤمن ـ أطلق على ذلك، الكراهة.

ويحتمل أن تكون المساءة بالنسبة إلى طول الحياة، لأنها تؤدي إلى أرذل العمر، وتنكيس الخلق، والرد، إلى أسفل سافلين.

وفي ذلك دلالة على شرف أولياء الله ورفعة منزلتهم، حتى لو تأتى أنه تعالى لا يذيقهم الموت الذي حتمه على عباده لفعل.

ولهذا المعنى ورد لفظ التردد، كما أن العبد إذا كان له أمر لا بد له أن يفعله بحبيبه لكنه يؤلمه، فإن نظر إلى ألمه انكف عن الفعل، وإن نظر إلى أنه لا بد منه أن يفعله لمنفعته، أقدم عليه، فيعبر عن هذه الحالة في قلبه بالتردد، فخاطب الله الخلق بذلك على حسب ما يعرفون ودلهم به على شرف الولي عنده، ورفعة درجته.

٩ ـ (ما جاء في أن الخشية من اللَّه تعالى والخوف منه من أسباب مغفرة الذنوب)

(حديث الرجل الذي أَمر أَهله بإِحراقه بعد موته)

أَخرجه البخاري في صحيحه، من كتاب بدءِ الخلق ـ باب (ما ذكر عن بني إِسرائيل) جـ ص ١٦٩.

(٨٢) حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، حَدَّثَنَا ـ عَبْدُ الْمَلِكِ، عَنْ رِبْعِيٍّ بْنِ حِرَاشٍ، قَالَ: قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرٍو لِحُذَيْفَةَ: أَلاَ تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ؟ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ مَعَ الدَّجَّالِ إِذَا خَرَجَ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهَا النَّارُ، فَمَاءٌ بَارِدٌ، وَأَمَا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ، فَنَارٌ تُحْرِقُ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ فَلْيَقَعْ فِي الَّذِي يَرَى أَنَّهَا نَارٌ، فَإِنَّهُ عَذْبٌ بَارِدٌ، قَالَ حُذَيْفَةُ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ رَجُلاً كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُ، قِيلَ لَهُ: انْظُرْ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ شَيْئًا، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا، وَأُجَازِيهِمْ فَأُنْظِرُ الْمُوسِرَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ. ـ قَالَ: وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ رَجُلاً حَضَرَهُ الْمَوْتُ، فَلَمَّا يَئِسَ مِنَ الْحَيَاةِ، أَوْصَى أَهْلَهُ إِذَا أَنَا مُتُّ، فَاجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا، وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي، وَخَلَصَتْ إِلَي عَظْمِي، فَامْتُحِشَتْ،

شرح الحديث مختصراً من القسطلاني

(موسى بن إسماعيل) المنقري **(وأبو عوانة)** الوضاح بن عبد الله اليشكري **(وعبد الملك)** هو ابن عمير الكوفي **(وربعي)** بكسر الراء وسكون الباء ابن حراش ـ بكسر الحاء، المهملة، وتخفيف الراء الغطفاني **(وعقبة بن عمرو)** لا عمر ـ الأنصاري المعروف بالبدري **(حذيفة)** هو ابن اليمان.

(إن مع الدجال إذا خرج ماء ونارا) وعند مسلم عن أبي هريرة: **(وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار، فالتي يقول: إنها الجنة هي النار)** وهذا من فتنته التي امتحن الله بها عباده، ثم يفضحه الله ويظهر عجزه.

أقول: أحاديث الدجال صحيحة، وقد كان النبي ـ ﷺ ـ كثيراً ما يتعوذ من فتنة الدجال،

فَخُذُوهَا، فَاطْحَنُوهَا، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا: فَاذْرُوهُ فِي الْيَمِّ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ، فَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ ـ قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرو، أَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَاكَ وَكَانَ نَبَّاشاً.

فليس لنا أن ننكر ذلك، بل هو من الغيب الذي نؤمن به، ونفوض علمه ووقته إلى الله تعالى.

(قوله: وخلصت إلى عظمي) أي وصلت إليه **(فامتحشت)** بالبناء للفاعل، أو بالبناء للمفعول، أي احترقت.

وقوله: **(يوماً راحاً)** هو بفتح الراء ممدودة، وبحاء مهملة منونة، أي كثير الريح.

وقوله: **(فاذروه)** بهمزة وصل، وبذال معجمة، أي طيروه في الريح حتى لا يجتمع.

وقوله: **(ففعلوا)** أي فعلوا ما أوصاهم به أبوهم. **(فجمعه الله)** أي جمع ذراته وأحياه وقال له: **(لم فعلت ذلك؟)** أي لم أوصيت بإحراقك وذروك في الريح؟ **(قال: من خشيتك)** أي فعلت ذلك وأوصيت به يا رب من خشيتك. وخوفاً منك، فغفر الله له. **(وكان نباشاً)** أي كان هذا الرجل، مع أنه لم يفعل خيراً، نباشاً للقبور ويسرق أكفان الموتى ـ وظاهره أن ذلك من قول عقبة، لكن أورده ابن حبان من طريق ربعي عن حذيفة قال: توفي رجل كان نباشاً، فقال لولده: **(أحرقوني)**. ا هـ قسطلاني.

وأَخرجه البخاري في كتاب (بدء الخلق) أيضاً بروايات متعددة، جـ ٤ ص ١٧٦.

(٨٣) حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عُقْبَةَ بْن عَبْدِ الغَافِرِ، عَنْ أَبي سَعِيدٍ ـ هُوَ الخُدْرِيُّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّ رَجُلاً كَانَ قَبْلَكُمْ رَغَسَهُ اللَّهُ مَالاً، فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حُضِرَ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرُ أَبٍ، قَالَ: فَإِني لَمْ أَعْمَلْ خَيْراً قط، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُوني، ثُمَّ ذَرُّوني في يَوْمٍ عَاصِفٍ، فَفَعَلُوا، فَجَمَعَهُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ.

* * *

ومن البخاري أيضاً:

(٨٤) حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رَبْعِيٍّ ابْنِ حِرَاشٍ، قَالَ: قَالَ عُقْبَةُ ـ هُوَ ابْنُ عَمْرٍو الأَنْصَارِي، لِحُذَيْفَةَ: أَلاَ تُحَدِّثُنَا مَا سَمِعْتَ مِنَ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ؟ قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ: إِنَّ رَجُلاً حَضَرَهُ الْمَوْتُ، لَمَّا أَيِسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ، إِذَا مِتُّ فَاجْمَعُوا لِي حَطَباً كَثِيراً، ثُمَّ أَوْرُوا نَاراً، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي، وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي، فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا فَذَرُّونِي في الْيَمِّ في يَوْمٍ حَارٍّ ـ أَوْ رَاحٍ ـ فَجَمَعَهُ اللَّهُ، فَقَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتِكَ، فَغَفَرَ لَهُ.

ومن البخاري أَيضاً:

(٨٥) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهرِي، عَنْ حُمَيْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُوني، ثُمَّ ذَرُّوني في الرِّيح، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنيِّ عَذَاباً مَا عَذَّبَهُ أَحداً، فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الأَرْضَ، فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، خَشْيَتُكَ حَمَلَتْني، فَغَفَرَ لَهُ.

وقال غيره ـ أَي غير أَبي هريرة: (مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ).

* * *

ومن البخاري أَيضاً جـ ٩ ص ١٤٥ ـ باب ﴿يريدون أَن يبدلوا كلام اللَّه﴾.

(٨٦) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ، عَنِ أَبي الزِّنَادِ، عن الأَعْرَجِ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْراً قَطُّ: إِذَا مَاتَ فَحَرِّقُوهُ، واذْرُوا نِصْفَهُ في البَرِّ، ونِصْفَهُ في البَحْرِ فَوَاللهِ، لئن قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَاباً لا يُعَذِّبُهُ أَحداً مِنَ الْعَالَمِينَ، فَأَمَرَ اللَّهُ البَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وأَمَرَ البَرَّ فَجَمَعَ مَا فيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ وأَنْتَ أَعْلَمُ، فَغَفَرَ لَهُ.

وأَخرجه البخاري أَيضاً من رواية أبي سعيد الخدري، فقال:

(٨٧) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبي الأَسْوَدِ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرٌ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبي سُلَيْمَانَ التيمي، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ عُقْبَة بن عَبْدِ الغَافِرِ، عَنْ أَبي سَعِيدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلاً فِيمَنْ سَلَفَ ـ أَوْ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالَ: كَلِمَة يعني أَعْطَاهُ اللَّهُ مَالاً وَوَلَداً، فَلَمَّا حَضَرَتِ الوَفَاةُ، قَالَ لِبَنِيهِ: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرُ أَبٍ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَبْتَئِرْ ـ أَوْ لَمْ يَبْتَئِرْ ـ عِنْدَ اللَّهِ خَيْراً، وَإِنْ يَقْدِرِ اللَّهُ عَلَيْهِ يُعَذِّبْهُ، فَانْظُرُوا إِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُوني، حَتَّى إِذَا صِرْتُ فَحْماً فَاسْحَقُوني، أَوْ قَالَ: فَاسْحَكُوني، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ رِيحٍ عَاصِفٍ، فَأَذْرُوني فِيهَا ـ فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: فَأَخَذَ مَوَاثِيقَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَرَبِّي، فَفَعَلُوا ثُمَّ أَذْرَوْهُ في يَوْم عَاصِف، فقالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ كُنْ، فَإِذَا هُوَ رَجُلٌ قَائِمٌ، قَالَ اللَّهُ: أَيْ عَبْدِي، مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ، قَالَ: مَخَافَتُكَ، أَوْ فَرَقٌ مِنْكَ، قَالَ: فَمَا تَلاَفَاهُ أَنْ رَحْمَهُ عِنْدَهَا، وَقَالَ مَرَّةً: فَمَا تَلاَفَاهُ غَيْرَهَا.

* * *

قال: أَي سليمان التيمي فحدثت به أَبا عثمان عبد الرحمٰن النهدي فقال: سمعتُ هذا من سلمان، غير أَنه زاد فيه: (في البحر ـ أَو كما حدث).

وحدثنا موسى، حدثنا معتمر، وقال: (لم يَبْتَئِرْ).

وقال خليفة، حدثنا معتمر، وقال: (لم يَبْتَئِزْ) ـ فسره قتادة ـ لم يدّخر. ا هـ.

.....

شرح الحديث من القسطلاني جـ ١٠ ص ٤٣٩ ـ وما بعدها

(سمعت أبي) هو سليمان بن طرخان التيمي **(حدثنا قتادة بن دعامة عن عقبة بن عبد الغافر)** الأزدي **(عن أبي سعيد)** سعد بن مالك الحذري رضي الله عنه. وقوله: **(قال كلمة)** يعني أي هي قوله: **(أعطاه الله مالاً وولداً)** وفي رواية **(رغسة الله)** وهي معنى أعطاه **(فلما حضرت الوفاة)** أي حضرته الوفاة ولأبي ذر **(فلما حضره الوفاة، قال لبنيه: أي أب كنت لكم؟ قالوا: خير أب)** قال أبو البقاء: هو ينصب ـ أي ـ على أنه خبر ـ كنت ـ وجاز تقديمه لكونه استفهاما. ـ ويجوز الرفع ـ قلت: وهو الذي في الفرع وصحح عليه. **(وخير أب)** قال أبو البقاء: الأجود فيه النصب، على تقدير ـ كنت خير أب ـ فيوافق ما هو جواب عنه، ويجوز الرفع بتقدير أنت خير أب.

(قال: فإنه لم يبتئز) بفتح الياء التحتية، وسكون الباء، وفتح التاء الفوقية بعدها همزة مكسورة، فراء. قال في المصابيح: وهو المعروف في اللغة. **(أو قال: لم يبتئز)** بالزاي المعجمة بدل الراء المهملة، وقال في المطالع: وقع للبخاري في كتاب التوحيد على الشك في الراء والزاي ـ وفي بعضها **(يأتبر)** أي **(لم يقدم عند الله خيراً)** ليس المراد نفي كل خير على العموم، بل نفي ما عدا التوحيد ولذلك غفر له، وإلا فلو كان التوحيد منتفياً عنه، لتحتم عقابه ولم يغفر له **(وإن يقدر الله علي)** أي إن يضيق الله علي، فهو من قدر يقدر بمعنى ضيق عليه، ومنه قوله تعالى: **(ومن قدر عليه رزقه)** أي ضيق عليه، ومثله قوله تعالى في قصة يونس عليه السلام: **(فظن أن لن نقدر عليه)** أي ظن أن لن يضيق الله عليه، وليس ذلك شكاً منه في قدرة الله على إحيائه، ولا إنكاراً للبعث، وإلا لم يكن موقناً، وقد أظهر إيمانه بأنه إنما فعل ذلك من خشية الله تعالى وقال النووي ـ رحمه الله ـ: إنما قال ذلك في حال دهشته وغلبة الخوف عليه بحيث ذهب تدبره فيما يقول، فصار كالغافل والناسي الذي لا يؤاخذ بما صدر منه ولم يقله قاصداً لحقيقته.

وقوله: **(حتى إذا صرت فحما فاسحقوني ـ أو قال: فاسحكوني)** بالكاف بدل القاف **(فإذا كان يوم ريح عاصف)** أي شديد **(فأذروني فيها)** بهمزة قطع، وبإسقاطها في اليونينية **(فأخذ مواثيقهم على ذلك وربي)** وربي، قسم من النبي ﷺ المخبر بذلك ـ وقوله: **(فما تلافاه أن رحمه عندها)** قال في الكواكب: ما ـ موصولة أي الذي تلافاه هو الرحمة ـ أو ما نافية وكلمة الاستثناء محذوفة عند من جوز حذفها. والمعنى: فما تلافاه إلا برحمته، ويؤيده قوله: **(وقال مرة: فما تلافاه غيرها. أي ما تداركته غير الرحمة والمغفرة)** اهـ والله أعلم.

وأَخرج الحديث الإمام مسلم في صحيحه جـ ١٠ ص ١٨٤ هامش القسطلاني قال بسنده.

(٨٨) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ، فَقَالَ: إِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُوني، ثُمَّ اسْحَقُوني، ثُمَّ أَذْرُوني في البَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنيِّ عَذَاباً، مَا عَذَّبَهُ أَحَداً، فَفَعَلُوا ذَلِكَ بِهِ، فَقَال للأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتُكَ يَا رَبِّ، أَوْ مَخَافَتُكَ ـ فَغَفَرَ لَهُ بِذَلِكَ.

* * *

وأَخرجه النسائي في سننه بروايتين عن أَبي هريرة، وعن حذيفة بن اليمان ـ رضي اللَّه عنهما ـ جـ ٤ ص ١١٢ ـ ١١٣. فقال في رواية أبي هريرة:

(٨٩) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ يَقُولُ: أَسْرَفَ عَبْدٌ عَلَى نَفْسِهِ، حَتَّى حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ، قَالَ لأَهْلِهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُوني، ثُمَّ أَذْرُوني في الرِّيحِ في الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيَّ لَيُعَذِّبَنيِّ عَذَاباً، لاَ يُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِهِ، قَالَ: فَفَعَلَ أَهْلُهُ ذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لِكُلِّ شَيْءٍ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئاً: أَدِّ مَا أَخَذْتَ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتُكَ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ.

وأَما رواية النسائي في سننه، عن حذيفة بن اليمان ـ فهي هذه:

(٩٠) عَنْ حُذَيْفَةَ ـ أَي ابْنِ الْيَمَانِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ كَانَ رَجُلٌ، مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يُسِيءُ الظَّنَّ بِعَمَلِهِ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، قَالَ لأَهْلِهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ أَذْرُوني في البَحْرِ، فَإِنَّ اللَّهِ إِنْ يَقْدِرْ عَلَيَّ لَمْ يَغْفِرْ لِي، قَالَ: فَأَمَرَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ المَلاَئِكَةَ فَتَلَقَّتْ رُوحَهُ، قَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا فَعَلْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، مَا فَعَلْتُ إِلاَّ مِنْ مَخَافتِكَ، فَغَفَرَ له.

* * *

وأَخرجه ابن ماجه في سننه، جـ ٢ ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

(٩١) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ المَوْتُ أَوْصَى بَنِيهِ، فَقَالَ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُوني، ثُمَّ اسْحَقُوني، ثُمَّ ذَرُّوني في الرِّيحِ في الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِيِّ عَذَاباً، مَا عَذَّبَهُ أَحَداً، قَالَ: فَفَعَلُوا بِهِ ذَلِكَ، فَقَال لِلأَرْضِ: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: خَشْيَتُكَ ـ أَوْ مَخَافَتُكَ ـ يَا رَبِّ، فَغَفَرَ لَهُ لِذَلِكَ.

شرح الحديث من شرح النووي على صحيح مسلم جـ ١٠ ص ١٨٢ وما بعدها هامش القسطلاني

قال النووي رحمه الله تعالى: **(قوله ﷺ في الرجل الذي لم يعمل حسنة أوصى بنيه أن يحرقوه ويذروه في البحر والبر، وقال: فوالله لئن قدر على ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً، ثم قال في آخره: لم فعلت هذا؟ قال: من خشيتك يا رب ـ وأنت أعلم ـ فغفر له)** ـ قال: اختلف العلماء في تأويل هذا الحديث، فقالت طائفة: لا يصح حمل هذا على أنه أراد نفي قدرة الله، فإن الشاك في قدرة الله تعالى كافر، وقد قال في آخر الحديث: إنه إنما فعل هذا من خشية الله تعالى والكافر لا يخشى الله تعالى، ولا يغفر له.

قال هؤلاء: فيكون له تأويلان: أحدهما أن معناه لئن قدر على العذاب، أم قضاه، يقال منه: قدر بالتخفيف، وقدر بالتشديد بمعنى واحد.

والثاني أن قدر هنا بمعنى ضيق على، قال الله تعالى: **(فقدر عليه رزقه)** وهو أحد الأقوال في قوله تعالى: ﴿**فظن أن لن نقدر عليه**﴾ ـ أي لن نضيق عليه.

وقالت طائفة: اللفظ على ظاهره، ولكن قاله هذا الرجل، وهو غير ضابط لكلامه، ولا قاصد لحقيقة معناه، ولا معتقد لها، بل قاله في حالة غلب عليه فيها الدهش والخوف وشدة الجزع، بحيث ذهب تيقظه وتدبر ما يقوله، فصار في معنى الغافل والناسي وهذه الحالة لا يؤاخذ فيها، وهو نحو قول القائل الآخر، الذي غلب عليه الفرح حين وحد راحلته: **(أنت عبدي وأنا ربك)** فلم يكفر بذلك للدهش والغلبة والسهو وقد جاء في هذا الحديث في غير مسلم: **(فلعلي أضل الله)** أي أغيب عنه.

وهذا يدل على أن قوله: **(لئن قدر الله علي)** على ظاهره.

وقالت طائفة: هذا من مجاز كلام العرب، وبديع استعمالها، يسمونه مزج الشك باليقين كقوله تعالى: ﴿**وأنا أو إياكم لعلي هدى أو في ضلال مبين**﴾ ـ فصورته صورة الشك، والمراد به اليقين.

وقالت طائفة: هذا الرجل جهل صفة من صفات الله تعالى، وقد اختلف العلماء في تكفير جاهل الصفة: ـ قال القاضي. وممن كفره بذلك ابن جرير الطبري، وقاله أبو الحسن الأشعري أولاً.

.....

وقال آخرون: لا يكفر بجهل الصفة، ولا يخرج به عن اسم الإيمان، بخلاف جحدها وإليه رجع أبو الحسن الأشعري، وعليه استقر قوله، لأنه لم يعتقد ذلك اعتقاداً يقطع بصوابه ويراه ديناً وشرعاً، وإنما يكفر من اعتقد أن مقاله حق.

قال هؤلاء: ولو سئل الناس عن الصفات لوجد العالم بها قليلاً.

وقالت طائفة: كان هذا الرجل في زمن من فترة حين ينفع مجرد التوحيد، ولا تكليف قبل ورود الشرع على المذهب الصحيح، لقوله تعالى: ﴿**وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً**﴾ وقالت طائفة: يجوز أنه كان في زمن شرعهم فيه جواز العفو عن الكافر بخلاف شرعنا وذلك من مجوزات العقول عند أهل السنة، وإنما منعناه في شرعنا بالشرع، وهو قوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به**﴾ وغير ذلك من الأدلة. والله أعلم، وقيل: إنما وصى بذلك تحقيراً لنفسه وعقوبة لها، لعصيانها وإسرافها رجاء أن يرحمه الله تعالى، مع العلم بأن ذلك ليس جائزاً في شريعة الإسلام.

(تنبيه) قد ذكر الإمام مسلم في صحيحه مع هذا الحديث حديثاً آخر، هو حديث المرأة التي حبست الهرة، ثم نقل عن الزهري تعليقاً عليهما، فقال: **(ذلك لئلا يتكل رجل ولا ييأس رجل)** ـ ولفظه كالآتي:

(حدثنا محمد بن رافع وعبد بن حميد، قال عبد أخبرنا، وقال ابن رافع ـ واللفظ له: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر قال: قال لي الزهري: ألا أحدثك بحديثين عجيبين، قال الزهري: أخبرني حميد بن عبد الرحمٰن، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت أوصى بنيه، فقال: إذا أنا مت فأحرقوني ثم اسحقوني، ثم أذروني في الريح، فوالله لئن قدر على ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً، قال: ففعلوا ذلك به، فقال للأرض: أدي ما أخذت، فإذا هو قائم، فقال له ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب ـ أو قال: مخافتك ـ فغفر له بذلك) ـ قال الزهري: وحدثني حميد، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ ـ قال: دخلت امرأة النار في هرة ربطتها، فلا هي أطعمتها، ولا هي أرسلتها، تأكل من خشاش الأرض، حتى ماتت.

قال الزهري: ذلك لئلا يتكل رجل ـ **(أي فيخاف مما فعلت هذه المرأة بتلك الهرة)** ولا ييأس رجل **(أي فيرجو مغفرة الله ويخافه كما فعل ذلك الرجل)** والله أعلم. اهـ.

١٠ ـ (ما جاء في خلق آدم عليه السلام)

حديث خلق آدم عليه السلام

أَخرجه البخاري رحمه اللَّه في كتاب (بدءِ الخلق) ـ باب ـ (خلق آدم) جـ ٤ ص ١٣١.

(٩٢) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّام، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: (خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، ثُمَّ قَالَ: اذْهَبْ، فَسَلِّمْ عَلَى أُولَئِكَ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، تَحِيَّتُكَ، وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ـ فَزَادُوهُ: (وَرَحْمَةُ اللَّهِ) ـ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يَزَلْ الْخَلْقُ يَنْقُصُ حَتَّى الآنَ.

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً في كتاب الاستئذان ـ باب ـ (بدءِ الأَذان) جـ ٨ ص ٥٠ ولفظه:

(٩٣) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّام، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذَرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَى أُولئِكَ النَّفَرِ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ، فَإِنَّهَا تَحَيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ، وَرَحْمَةُ اللَّهُ فَزَادُوهُ: (وَرَحْمَةُ اللَّهِ) ـ فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، فَلَمْ يزَلِ الخَلْقُ يَنْتُقُصُ حَتَّى الآنَ.

وأَخرج هذا الحديث الإِمام مسلم في صحيحه، في بيان صفة الجنة ـ جـ ١٠ ص ٢٩٤ من هامش القسطلاني ـ فقال:

(٩٤) حَدَّثَنَا مَحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، حَدَّثَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّام بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَذَكَر أَحاديث منها: وقَالَ رَسُول اللَّهِ ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ خَلَقَ

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ـ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ، طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلى أُولئِكَ النَّفَرِ، وَهُمْ نَفَرٌ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ جُلُوسٌ، فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ بِهِ، فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ، قَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَزَادُوهُ: (وَرَحْمَةُ اللَّهِ) قَالَ: فَكُلُّ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ آدَمَ، وَطُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا، فَلَمْ يَزَلِ الْخَلْقُ يَنْقُصُ بَعْدَهُ حَتَّى الآنَ.

شرح الحديث من القسطلاني جـ ٥ ص ٣٢١

(خلق الله آدم عليه الصلاة والسلام) زاد عبد الرزاق عن معمر: **(على صورته)** ـ والضمير يعود لآدم، أي إن الله أوجده على الهيئة التي خلقها الله عليها، ولم ينتقل في النشأة أحوالاً، ولا تردد في الأرحام أطواراً، كما هو الحال في خلق بني آدم، بل خلقه كاملاً سوياً.

وعورض هذا التفسير بقوله في حديث آخر: **(خلق الله آدم على صورة الرحمٰن)**. ـ وأجيب عن ذلك بأن هذه الإضافة تشريف وتكريم، لأن الله تعالى خلقه على صورة ـ لم يشكلها شيء من الصور في الكمال والجمال **(وطوله ستون ذراعاً)** زاد أحمد من حديث سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة مرفوعاً: **(في سبعة أذرع عرضاً)** ـ **(ثم قال)** تعالى له: **(اذهب فسلم على أولئك)** أي النفر **(من الملائكة، فاستمع ما يحيونك)** من التحية، وهذه **(تحيتك وتحية ذريتك)** من بعدك.

وفي الترمذي من حديث أبي هريرة: لما خلق الله آدم، ونفخ فيه الروح عطس. فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذنه.. إلى قوله: اذهب إلى أولئك الملائكة، إلى ملأ منهم جلوس. **(فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله)**.

وهذا أول مشروعية السلام، وتخصيصه بالذكر، لأنه فتح لباب المودة، وتأليف قلوب الأخوان، المؤدي إلى استكمال الإيمان، كما في حديث مسلم عن أبي هريرة مرفوعاً: **(لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم)** **(فكل من يدخل الجنة)** يدخلها وهو **(على صورة آدم عليه السلام)** في الحسن والجمال والطول، ولا يدخلها على صورته من السواد، أو بوصف من العاهات **(فلم يزل الخلق ينقص)** في الجمال والطول **(حتى الآن)** أي فانتهى التناقص إلى هذه الأمة، فإذا دخلوا الجنة عادوا إلى ما كان عليه آدم عليه السلام، من الجمال وطول القامة.

وفي كتاب مثير الغرام في زيارة القدس والخليل عليه الصلاة والسلام، لتاج الدين التدمري مما نقله عن ابن قتيبة في المعارف ما يأتي:

(إن آدم عليه السلام كان أمرد وسيماً، وإنما نبتت اللحية لولده بعده، وكان طوالاً كثير الشعر، جعداً أجمل البرية).

وحديث الباب أخرجه البخاري أيضاً في الاستئذان، ومسلم في صفة الجنة، وصححه

.....

ابن حبان، ورواه البزار والترمذي، والنسائي من حديث سعيد المقبري وغيره عن أبي هريرة مرفوعاً.

إن الله خلق آدم من تراب، فجعله طيناً، ثم تركه حتى إذا كان حمأ مسنوناً خلقه وصوره، ثم تركه حتى إذا صار صلصالا كالفخار ـ كان إبليس يمر به فيقول: **(خلقت لأمر عظيم)** ـ ثم نفخ فيه من روحه، فكان أول ما جرى فيه الروح بصره وخياشيمه، فعطس فقال: الحمد لله، فقال الله: يرحمك ربك.. الحديث.

وفي حديث أبي موسى مما أخرجه أبو داود، وصححه ابن حبان مرفوعاً: **(إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض)** ـ ففي هذا أن الله تعالى لما أراد خلق آدم وإبرازه من العدم إلى الوجود قلبه في الستة الأطوار. طور التراب، وطور الطين اللازب، وطور الحمأ المسنون، وطور الصلصال، وطور التسوية، وهي جعل الخزفة، التي هي الصلصال عظماً ولحماً ودماً، ثم نفخ فيه الروح.

ثم قال القسطلاني ـ رحمه الله تعالى:

وقد خلق الله الإنسان على أربعة أضرب: إنسان من غير أب ولا أم، وهو آدم عليه السلام، وإنسان من أب لا غير، وهو حواء، وإنسان من أم لا غير، وهو عيسى عليه السلام، وإنسان من أب وأم، وهو الذي خلق من ماء دافق، يخرج من بين الصلب والترائب، ـ يعني من صلب الرجل، ومن ترائب الأم.

وهذا الضرب يتم بعد ستة أطوار أيضاً: النطفة، ثم العلقة، ثم المضغة، ثم العظام، ثم كسوة العظام لحما، ثم نفخ الروح.

وقد شرف الله الإنسان على سائر المخلوقات، فهو صفوة العالم وخلاصته وثمرته قال الله تعالى: ﴿**ولقد كرمنا بني آدم**﴾ ـ وقال: ﴿**وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه**﴾.

ولا ريب أن من خلقت لأجله وسببه جميع المخلوقات، علويها وسفليها خليق بأن يرفل في ثياب الفخر على من عداه، وتمتد إلى اقتطاف زهرات النجوم يداه، وقد خلقه الله واسطة بين شريف، وهو الملائكة ـ ووضيع، وهو الحيوان، ولذلك كان فيه قوي العالمين، وأهل لسكنى الدارين، فهو كالحيوان في الشهوة، وكالملائكة في العقل والعلم والعبادة، وخصه برتبة النبوة، واقتضت الحكمة أن تكون شجرة النبوة صنفاً منفرداً، ونوعاً واقعاً بين الإنسان والملك ومشاركاً لكل منهما على وجه، فإنه كالملائكة في الإطلاع على ملكوت السموات والأرض، وكالبشر في أحوال المطعم والمشرب وغيرهما.

وإذا طهر الإنسان من نجاسته النفسية، وقاذوراته البدنية، وجعل في جوار الله ـ كان حينئذٍ أفضل من الملائكة، قال الله تعالى:

﴿**والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم**﴾.

.....

وفي الحديث: **(الملائكة خدم أهل الجنة)**.

قال ابن كثير: واختلف هل ولد لآدم في الجنة؟ فقيل: لا، وقيل: ولد فيها قابيل وأخته ـ قال: وذكروا أنها كان يولد له في كل بطن ذكر وأنثى. وفي تاريخ ابن جرير: أن حواء ولدت أربعين ولداً في عشرين بطناً، وقيل: مائة وعشرين بطناً، في كل بطن ذكر وأنثى، أولهم قابيل وأخته اقليما.

(وفي القاموس واقليمياء بالكسر بنت آدم عليه السلام).

وآخرهم عبد المغيث، وأخته أمة المغيث، وقيل: إنه ـ أي آدم ـ لم يمت حتى رأى من ذريته: من ولده وولد ولده أربعمائة ألف نسمة. فالله أعلم. وذكر السدي عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره: أنه كان يزوج ذكر كل بطن بأنثى البطن الآخر، وأن هابيل أراد أن يتزوج أخت قابيل، فأبى ـ قابيل، فأمرهما آدم أن يقربا قرباناً، ففعلا، فنزلت نار، فأكلت قربان هابيل، وتركت قربان قابيل، فغضب قابيل، وقال لهابيل: لأقتلنك حتى لا تتزوج أختي فقال له: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾. وضرب قابيل هابيل فقتله، كما قص الله ذلك في كتابه العزيز.

وكانت مدة حياة آدم ألف سنة، وعن عطاء الخراساني مما رواه ابن جرير أنه لما مات بكت الخلائق عليه سبعة أيام. ا هـ من القسطلاني جـ ٥ ص ٣٢٠.

وقال القسطلاني ـ رحمه الله تعالى في شرح الحديث

من كتاب الاستئذان ـ باب (بدء السلام) جـ ٩ ص ١٣٠

(خلق الله آدم على صورته) الضمير عائد على آدم، أي خلقه تاماً مستوياً، لم يتغير عن حاله، ولا كان من نطفة، ثم علقة، ثم من مضغة، ثم جنيناً، ثم طفلاً، ثم رجلاً، حتى تم، ولم ينتقل في هذه الأطوار كذريته.

وفيه إبطال لقول الدهرية: إنه لم يكن قط إنسان إلا من نطفة، ولا نطفة إلا من إنسان ذكر ذلك ابن بطال. ا هـ.

وللبخاري في الأدب المفرد، وأحمد من طرق ابن عجلان عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: **(لا يقولن قبح الله وجهك، ووجه من أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته)** أي صورة المدعو عليه بهذه المقالة.

وهو ظاهر في عود الضمير على المقول له ذلك، وهو المدعو عليه.

وقيل: الضمير لله تعالى، لما في بعض الطرق: **(خلقه على صورة الرحمٰن)** أي على صفته تعالى من العلم والحياة والسمع والبصر وغير ذلك، وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء.

.....

وقال التوربشتي: وأهل الحق في ذلك على طبقتين: إحداهما المتنزهون عن التأويل مع نفي التشبيه، وإحالة ذلك إلى علم الله تعالى، الذي أحاط بكل شيء علماً، وهذا أسلم الطريقتين.

والطبقة الأخرى يرون الإضافة فيها إضافة تكريم وتشريف، وذلك أن الله تعالى خلق آدم عليه السلام على صورة لم يشاكلها شيء من الصور في الجمال والكمال وكثرة ما احتوت عليه من الفوائد الجليلة.

وقال الطيبي: التأويل في هذا المقام حسن، يجب المصير إليه، لأن قوله: **(طوله)** بيان لقوله: **(على صورته)** كأنه قال: خلق آدم على ما عرف عليه، من صورته الحسنة، وهيئته من الجمال والكمال وطول القامة، وخص الطول منها، لأنه لم يكن بين الناس ا هـ قسطلاني.

أقول: ومما يقوي هذا التأويل قوله تعالى ممتناً على الإنسان: **(وصوركم فأحسن صوركم)** والله أعلم.

أَخرجه الترمذي في جامعه، في ثلاثة مواضع

باب (سورة الأَعراف) جـ ٢ ص ١٨٠.

(٩٥) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَة، هُو خَالِقُهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ إِنْسَان مِنْهُمْ وَمِيضًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هؤلاءِ؟ قَالَ: هؤلاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى رَجُلاً مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَم. مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، يُقالُ لَهُ دَاوَدُ، فَقَالَ: رَبِّ، كَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ؟ قَالَ: سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَيْ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا قُضِيَ عُمُرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ: أَوَ لَمْ يَبْقَ مِنْ عُمُرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَوَ لَمْ تُعْطِهَا ابْنَكَ دَاوُدَ؟ قَالَ: فَجَحَدَ آدَمُ، فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ فَنَسِيتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِيءَ آدَمُ، فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ.

قال أَبو عيسى الترمذي حديث حسن صحيح.

* * *

(٩٦) وفي رواية أُخرى له: (ثُمَّ أَكْمَلَ اللَّهُ تَعَالَى لآدَمَ ـ أَلْفَ سنَة، وأَكْمَلَ لِدَاوُدَ مِائَة).

انتهى من الاتحافات السنيّة، في الأَحاديث القدسيّة.

* * *

وأَخرجه الترمذي أَيضاً، في الباب نفسه، ولفظه:

(٩٧) عَنْ مُسْلِم بْنِ يَسَار الجُهَنِيِّ، أَنَّ عُمَر بْنَ الْخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ ـ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يُسْئَلُ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤلاءِ لِلْجَنَّةِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: هؤلاءِ خَلَقْتُ لِلنَّارِ، وَبِعَمَل أَهْل النَّارِ يَعْمَلُونَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: فَقَالَ

رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ، فَيُدْخِلَهُ اللَّهُ النَّارَ.

* * *

قال أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى: هذا حديث حسن، ـ ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر بن الخطاب ـ رضي اللَّه عنه ـ وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار، وبين عمر رجلاً مجهولاً. ا هـ ـ أَقول: لعله يكون بذلك حسناً لغيره. واللَّه أَعلم.

وأَخرجه الترمذي أَيضاً في آخر كتاب التفسير ـ باب ـ دون عنوان جـ ٢ ص ٢٤١ ـ فقال بسنده:

(٩٨) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، عَطِسَ، فَقَالَ: الْحَمْدُ للَّهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ بِإِذْنِهِ، فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: رَحِمَكَ اللَّهُ يَا آدَمُ، اذْهَبْ إِلَى هؤلاءِ الْمَلاَئِكَةِ إِلَى مَلإٍ مِنْهُمْ جُلُوسٍ، فَقُل: السَّلاَم عَلَيْكُمْ، قَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلاَمُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَبِّه، فَقَالَ: إِنَّ هَذِهِ تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ بَنِيكَ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ اللَّهُ لَهُ ـ وَيَدَاهُ مَقْبُوضَتَانِ ـ: اخْتَرْ أَيَّهُمَا شِئْتَ؟ قَالَ: اخْتَرْتُ يَمِينَ رَبِّي ـ وَكِلْتَا يَدَيْ رَبِّي يَمِينٌ مُبَارَكَةٌ ـ ثُمَّ بَسَطَهَا فَإِذَا فِيهَا آدَمُ ـ وَذُرِّيَّتُهُ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَا هؤلاءِ؟ فَقَالَ: هؤلاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَإِذَا كُلُّ إِنْسَانٍ مَكْتُوبٌ عُمْرُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَإِذَا فِيهِمْ رَجُلٌ أَضْوَءُهُمْ ـ أَوْ مِنْ أَضْوَئِهِمْ ـ قَالَ: يَا رَبِّ، مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا ابْنُكَ دَاوُدُ، قَدْ كَتَبْتُ لَهُ عُمْرَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، قَالَ: يَا رَبِّ، زِدْهُ فِي عُمْرِهِ قَالَ: ذَاكَ الَّذِي كَتَبْتُ لَهُ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، فَإِنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَهُ مِنْ عُمْرِي سِتِّينَ سَنَةً، قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ، ثُمَّ أَسْكَنَهُ الْجَنَّةَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أُهْبِطَ مِنْهَا، فَكَانَ آدَمُ يَعُدُّ لِنَفْسِهِ قَالَ: فَأَتَاهُ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: قَدْ عَجَّلْتَ، قَدْ كُتِبَ لِي أَلْفُ سَنَةٍ، قَالَ: بَلَى، وَلَكِنَّكَ جَعَلْتَ لاَبْنِكَ دَاوُدَ سِتِّينَ سَنَةً، فَجَحَدَ، فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَنَسِيَ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، قَالَ: فَمِنْ يَوْمَئِذ أُمِرَ بِالْكتَاب والشُّهُودِ. قَال الترمذي: حديث حسن غريب.

حديث خلق آدمَ عليه السلام

من موطأ الإمام مالك ـ رحمه اللَّه ـ في باب ـ

النهي عن القول بالقدر

(٩٩) عَنْ عَبْدِ الْحَمِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ سُئِلَ عُمَرُ عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يُسْأَلُ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صِلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ ثُمَّ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ بِيَمِينِهِ، حَتَّى اسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هؤُلاءِ لِلْجَنَّةِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ عَلَى ظَهْرِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ: خَلَقْتُ هَؤُلاَءِ لِلنَّارِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفِيمَ الْعَمَلُ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلنَّارِ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ عَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارِ.

شرح روايات الترمذي لحديث آدم عليه السلام

قوله: **(لما خلق الله آدم مسح ظهره.. الخ)** للعلماء في ذلك رأيان:

أولاً: بعضهم يفسر ذلك على الحقيقة، ويحمل المسح على معنى يليق به تعالى، وهو قوله للشيء كن فيكون ـ أو يأمر بعض ملائكته الموكلين بأرواح بني آدم، أن يمسحوا ظهره، ويستخرجوا منه نسم بنيه.

وقد ذكر ذلك العلامة أبو السعود، عن تفسير قوله تعالى: **﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾**. الآية ـ فقال:

وقد حملت هذه المقاولة على الحقيقة، كما روي عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ من أنه لما خلق الله آدم ـ عليه السلام ـ مسح على ظهره.. ثم ذكر هذا الحديث المذكور هنا.

ثم قال: وليس المعنى أنه أخرج الكل من ظهر آدم ـ ﷺ ـ بالذات، بل أخرج من ظهره عليه الصلاة والسلام أبناء الصلبية، وأخرج من ظهورهم أبناءهم الصلبية وهكذا، إلى آخر السلسلة، أي كما يرشد إليه قوله تعالى: **﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم﴾**.

.....

ثم قال العلامة أبو السعود ـ رحمه الله تعالى ـ: لما كان المظهر الأصلي ظهره عليه الصلاة والسلام، وكان مساق الحديثين بيان حال الفريقين إجمالاً، من غير أن يتعلق بذكر الوسائط غرض ـ نسب إخراج الكل إليه ـ أي في الحديث الشريف.

وأما الآية الكريمة فحيث كانت مسوقة للاحتجاج على الكفرة المعاصرين لرسول الله ـ ﷺ ـ وبيان عدم إفادة الاعتذار بإسناد الإشراك إلى آبائهم ـ اقتضى الحال نسبة الأخراج إلى ظهور آبائهم، من غير تعرض لإخراج الأبناء الصلبية لآدم ـ عليه السلام ـ من ظهره قطعاً، وعدم بيان أخذ الميثاق في حديث عمر ـ رضي الله عنه ـ ليس بياناً لعدمه، ولا مستلزماً له.

واعترض بأن أخذ الميثاق عليهم لإسقاط عذر الغفلة، حسبما ينطق به قوله تعالى: ﴿**أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم**﴾ لا يكون ذلك حجة عليهم، لأن ذلك لا يكون دافعاً لعظتهم في دار التكليف، إذ لا فرد من أفراد البشر يذكر ذلك الميثاق المأخوذ عليهم.

وأجيب بأن ذلك مردود، لأن قوله تعالى: ﴿**أن تقولوا**﴾.. الآيتين ليس مفعولاً له لقوله: **(وأشهدهم)** وما يتفرع عليه، من قولهم: **(بل شهدنا أن تقولوا.. الخ)** حتى يجب أن يكون ذلك الاشهاد والشهادة محفوظاً كل منهما لهم، فيتم إلزامهم به ـ بل هو مفعول لفعل مضمر ينسحب عليه الكلام.

والمعنى: فعلنا ما فعلنا من الأمر: بذكر الميثاق وتذكيركم به، وبيناه لكم فيما أنزلنا على رسولنا، كراهة أن تقولوا: الآيتين ـ أو لئلا تقولوا أيها الكفرة يوم القيامة: إنا كنا عن هذا غافلين ـ أي هذا الميثاق، ولم ينبهنا إليه أحد في دار التكليف، ولو نبهنا إليه أحد لعملنا بموجبه.

هذا على قراءة الجمهور: **(أن تقولوا)** بالتاء ـ وأما على القراءة بالياء **(أن يقولوا)** فهو مفعول له لفعل الأمر المضمر الذي تعلق به الظرف، وهو ـ إذ ـ في قوله: **(وإذ أخذ ربك)** والمعنى: واذكر لهم الميثاق المأخوذ عليهم فيما مضى، لئلا يعتذروا يوم القيامة بالغفلة عنه، أو بتقليد آبائهم في الإشراك وترك التوحيد. ا هـ من تفسير أبي السعود ببعض تصرف.

ثانياً: قال العلامة أبو السعود ـ رحمه الله تعالى قبل ذلك في معنى الآية:

وهذا تمثيل لخلقه تعالى إياهم جميعاً في مبدأ الفطرة، مستعدين للاستدلال بالدلائل المنصوبة في الآفاق وفي الأنفس، المؤدية إلى التوحيد والإسلام، كما ينطق به وله عليه الصلاة والسلام: **(كل مولود يولد على الفطرة.. الحديث)** ـ أي وكذا قوله تعالى: ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله**﴾ أي لا تبدلوا خلق الله الذي خلقه فطرة سليمة.

ثم قال ـ رحمه الله تعالى ـ: وهذا التمثيل مبني على تشبيه الهيئة المنتزعة من تعريضه تعالى إياهم لمعرفة ربوبيته بعد تمكينهم منها، بما ركز فيهم من العقول والبصائر، ونصب

.....

لهم في الآفاق والأنفس من الدلائل تمكيناً تاماً، ومن تمكنهم منها تمكناً كاملاً، وتعرضهم لها تعرضاً قوياً، شبهت هذه الهيئة ـ بهيئة منتزعة من حمله تعالى إياهم على الاعتراف بها بطريق الأمر، ومن مسارعتهم إلى ذلك من غير تلعثم أصلاً، من غير أن يكون هناك أخذ وإشهاد، وسؤال وجواب، كما في قوله تعالى: ﴿**فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**﴾. ا هـ بتصرف أيضاً.

أقول: وبقية الحديث كقوله تعالى: ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون**﴾.

قال العلامة أبو السعود ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسير الآية:

أي خلقناهم لدخول جهنم، لكن لا بطريق الجبر من غير أن يكون من قبلهم، ما يؤدي إلى ذلك، ـ بل لعلمه تعالى بأنهم لا يصرفون اختيارهم نحو الحق أبداً، بل يصرون على الباطل من غير صارف يلويهم، ولا عاطف يثنيهم من الآيات والنذر.

فبهذا الاعتبار خلقهم مغياً ـ بضم الميم وفتح الغين وتشديد الياء منونة ـ بها، كما نطق به قوله تعالى:

﴿**وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**﴾.

وقوله: (**لهم قلوب لا يفقهون بها**) تنكير القلوب لإبهامها وكونها غير معهودة مخالفة لسائر أفراد الجنس، فاقدة لكماله بالكلية، لكن لا بحسب الفطرة حقيقة، بل بسبب امتناعهم عن صرفها إلى تحصيل الحق.

وهذا وصف لها بكمال الإغراق في القساوة، فإنها حيث لم يتأت منها الفقه بحال، فكأنها غير قابلة له رأساً. ا هـ مما فهم من تفسير العلامة أبي السعود رحمه الله.

أقول: ومن ذلك يفهم ما ذكر في أحاديث الترمذي: من مسح ظهر آدم وإخراج ذريته من ظهره، وأن الله تعالى قد قضى لبعضهم بدخول الجنة، ويوفقه للعمل الذي يكون سبباً لدخوله الجنة وقضى لبعضهم بدخول النار ـ ويعملون كل عمل يكون سبباً لدخولهم النار، فيدخلون النار، من غير أن يكون هناك جبر لهم على عمل قطعاً، بل الكل مختار في عمله، قال الله تعالى:

﴿**وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر**﴾ ـ والله أعلم.

اللهم إنا نضرع إليك، وندعوك أن توفقنا لعمل الخير، حتى نستوجب دار كرامتك، ونفوز برضوانك. والحمد لله رب العالمين. آمين.

١١ ـ (ما جاء في خلق ابن آدم في بطن أمه)

حديث (إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أُمه)

أَخرجه البخاري في مواضع من صحيحه: فأَخرجه في بدءِ الخلق ـ باب ـ (ذكر الملائكة) جـ ٤ ص ١١١ ـ وفي باب ـ (خلق آدم) جـ ٤ ص ١٣٣ ـ وذكره في كتاب القدر ـ جـ ٨ ص ١٢٢ ـ وذكره في كتاب التوحيد باب قول اللَّه تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ جـ ٩ ص ١٣٥ ونذكر رواية الحديث من كتاب التوحيد:

(١٠٠) حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ وَهْبٍ، سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ـ: إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً ـ أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ، فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: فَيَكْتُبُ رِزْقَهُ وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَو سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى لاَ يَكُون بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْه الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ عَمَلَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا.

(١٠١) وفي بعض الروايات زيادة: (فَوَاللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ ـ أَو الرَّجُلُ) وفي بعضها: (غَيْرُ ذِرَاع أَوْ ذِرَاعَيْنِ) وفي بعضها: (إِلاَّ بَاعٌ) وفي بعضها تقديم الجنة.

* * *

وأَخرجه ابن ماجه في سننه، من باب في القدر ـ جـ ١ ص ٢٠ ـ ٢١ فقال بسنده.

(١٠٢) قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ـ أَنَّهُ يُجْمَعُ خَلْقُ أَحَدِكُمْ في بَطْنِ أُمِّهِ

أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ إِلَيْهِ الْمَلَكَ، فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَقُولُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَأَجَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بعمل أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّار، حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا.

* * *

وأَخرجه الإِمام مسلم في صحيحه بروايات متعددة، عن ابن مسعود وغيره من الصحابة، سنذكرها لما فيها من الفوائد الكثيرة. قال: ـ باب ـ (كيفية خلق الآدميّ في بطن أُمه). جـ ١٠ ص ١٩ هامش القسطلاني.

(١٠٣) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا مُعَاوِيَةُ وَوَكِيعٌ (ح) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ ابْنُ نُمَيْر الْهَمَدَاني، واللفظ لَهُ، حَدَّثَنَا أَبي، وَأَبُو مُعَاوِيَةَ، وَوَكِيعٌ، قَالُوا: حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْب، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ـ (أَي ابن مسعود) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ في ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْل ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ في ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَكَ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيد، فَوَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلهَ غَيْرُهُ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ وَاحِدٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا.

* * *

(١٠٤) وفي حديث وكيع: (إِنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ في بَطْنُ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً) ـ وفي حديث جرير وعيسى: (أَرْبَعِينَ يَوْمًا).

* * *

(١٠٥) وكذا في حديث معاذ عن شعبة ـ بدل أَربعين يوماً، (أَرْبَعِينَ لَيْلَةً).

(١٠٦) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْن نُمَيْر، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْب ـ واللفظ لابن نمير ـ قالا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينار عَنْ أَبي الطُّفَيْلِ، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَبي أَسِيدٍ ـ أَي الغِفَارِيِّ ـ يَبْلُغُ بِهِ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ في الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَيُكْتَبَانِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَثَرُهُ، وَأَجَلُهُ، وَرِزْقُهُ، ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ، فَلاَ يُزَادُ فِيهَا وَلاَ يُنْقَصُ.

* * *

وفي صحيح مسلم أَيضاً ـ جـ ١٠ ص ٧٤ من هامش القسطلاني.

(١٠٧) حَدَّثَنَا أَبُو الطَّاهِرِ أَحْمَدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَرْح، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، عَنْ أَبي الزُّبَيْرِ الْمَكِّيِّ، أَنَّ عَامِرَ بْنَ وَاثِلَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ: الشَّقِيُّ مَنْ شَقِيَ في بَطْنِ أُمِّهِ، وَالْسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، فَأَتى (هو أَي عامر) رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يُقَالُ لَهُ: حُذَيْفَةُ بْنُ أَسِيدٍ الغِفَارِيُّ، فَحَدَّثَهُ بِذَلِكَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: وَكَيْفَ يَشْقَى رَجُلٌ بِغَيْرِ عَمَلٍ؟ فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَتَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: إِذَا مَرَّ بِالنُّطْفَةِ اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ لَيْلَةً، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا، فَصَوَّرَهَا، وَخَلَقَ سَمْعَهَا وَبَصَرَهَا وَجْلدَهَا، وَلَحْمَهَا وَعِظَامَهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَقْضِي رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَجَلُهُ؟ فَيَقُولُ رَبُّكَ مَا شَاءَ، وَيَكْتُبُ الْمَلَكُ، ثُمَّ يَخْرُجُ الْمَلَكُ بِالصَّحِيفَة في يَدِهِ، فَلاَ يَزِيدُ عَلَى أَمْر وَلاَ يَنْقُصُ.

* * *

(١٠٨) وأَخرج مسلم في الباب قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْن أَبي خَلَفٍ، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ أَبي بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ أَبُو خَيْثَمَةَ، حَدَّثَني عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَطَاءٍ، أَنَّ عِكْرَمَةَ بْنَ خَالِدٍ حَدَّثَهُ أَنَّ أَبَا الطُّفَيْلِ حَدَّثَهُ، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبي سَرِيحَةَ ـ حُذَيْفَةَ ابْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فَقَال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ ـ بِأُذُنَيَّ هَاتَيْنِ يَقُولُ: إِنَّ النُّطْفَةَ تَقَعُ فِي الرَّحِمِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَتَصَوَّرُ عَلَيْهَا الْمَلَكُ ـ قَال زهير: حَسِبْتُهُ قَالَ: الَّذِي يُخَلِّقُهَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى؟ فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَسَوِيٌّ أَمْ غَيْرُ سَوِيٍّ؟ فَيَجْعَلُهُ اللَّهُ

سَوِيًّا أَوْ غَيْرَ سَوِيٍّ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا رِزْقُهُ؟ مَا أَجَلُهُ؟ مَا خُلُقُهُ؟ ثُمَّ يَجْعَلُهُ اللَّهُ شَقِيًّا أَوْ سَعِيدًا.

* * *

(١٠٩) وفي رواية عن حذيفة: (إِنَّ مَلَكًا مُوَكَّلاً بِالرَّحِمِ، إِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا بِإِذْنِ اللَّهِ لِبِضْعٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً) ثم ذكر نحو حديثهم.

* * *

(١١٠) وفي رواية عن أَنَسِ بْن مَالِك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وَرَفَعَ الْحَدِيثَ، أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ، عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ، مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقًا، قَالَ: قَالَ: الْمَلَكُ: أَيْ رَبِّ، ذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ شَقِيٌّ أَو سَعِيدٌ؟ فَمَا الرِّزْقُ؟ فَمَا الأَجَلُ؟ فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ في بَطْنِ أُمِّهِ.

سريحة: بفتح السين، وكسر الراءِ، وأَسيد: بفتح الهمزة وكسر السين. نووي.

شرح خلق ابن آدم في بطن أمه

أولاً من شرح القسطلاني من كتاب التوحيد ـ باب ـ قول الله تعالى: ﴿**ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون**﴾ جـ ١٠ ص ٤١٦ طبعة ميري قال رحمه الله: **(حدثنا آدم)** هو ابن أبي إياس **(حدثنا شعبة)** بن الحجاج قال: **(حدثنا الأعمش)** سليمان **(سمعت زيد بن وهب)** هاجر إلى المدينة ففاتته رؤيته ﷺ ـ قال: **(سمعت عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ يقول: حدثنا رسول الله ـ ﷺ ـ وهو الصادق)** في نفسه **(المصدوق)** فيما وعده به ربه **(إن خلق أحدكم)** قال أبو البقاء لا يجوز في ـ أن ـ إلا الفتح، لأن ما قبله ـ حدثنا ـ قال البدر الدماميني: بل يجوز الأمران: الفتح والكسر، أما الفتح فلما قال، وأما الكسر فإن بنينا على مذهب الكوفيين في جواز الحكاية بما فيه معنى القول دون حروفه فواضح، وإن بنينا على مذهب البشريين ـ وهو المنع ـ نقدر قولاً محذوفاً، يكون ما بعده محكياً به، فتكسر همزة ـ أن ـ والتقدير: حدثنا فقال: إن خلق أحدكم **(يجمع)** بضم أوله، وفتح ثالثه، أي ما يخلق منه ـ وهو النطفة ـ تقر وتخزن **(في بطن أمه أربعين يوماً وأربعين ليلة)** ليتخمر ما فيها حتى يتهيأ للخلق **(ثم يكون علقة)** دماً غليظاً جامداً **(مثله)** مثل ذلك الزمان، وهو أربعون يوماً وأربعون ليلة **(ثم يكون مضغة)** قطعة لحم قدر ما يمضغ **(مثله ثم يبعث إليه الملك)** ولأبي ذر عن الحموي والمستملي: ثم يبعث الله إليه الملك الموكل بالرحم، أي في الطور الرابع حين يتكامل بنيانه، وتتشكل أعضاؤه فيؤذن **(بأربع كلمات)**

.....

يكتبها **(فيكتب)** من القضايا المقدرة في الأزل **(رزقه)** كل ما يسوقه إليه مما ينتفع به كالعلم والرزق: حلالاً وحراماً، قليلاً وكثيراً **(وأجله)** طويلاً أو قصيراً **(وعمله)** أصالح أم لا؟ **(وشقي أم سعيد)** حسبما اقتضته حكمته وسبقت كلمته. **(ثم ينفخ فيه الروح)** بعد تمام صورته **(فإن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة)** من الإيمان والطاعة **(حتى لا)** ولأبي ذر عن الحموي والمستملي: حتى ما **(يكون بينها وبينه إلا ذراع)** مثل يضرب لمعنى المقاربة إلى الدخول **(فيسبق عليه الكتاب)** الذي كتبه الملك وهو في بطن أمه، عقب ذلك **(فيعمل بعمل أهل النار)** من المعصية والكفر **(فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينها وبينه إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها)** فيه أن ظاهر الأعمال من الطاعات والمعاصي أمارات، وليست بموجبات، فإن مصير الأمور في العاقبة إلى ما سبق به القضاء، وجرى به القدر في السابقة.. ا هـ.

ثانياً ـ شرح الحديث برواياته، منقولاً من شرح الإمام النووي على صحيح مسلم ـ رحمهما الله تعالى ـ قال رحمه الله تعالى:

أما قوله: **(الصادق المصدوق)** فمعناه الصادق في قوله، المصدوق فيما يأتيه من الوحي الكريم.

وأما قوله: **(إن أحدكم)** فبكسر الهمزة، على حكاية لفظه ﷺ. وقوله: **(بكتب رزقه)** وهو بالباء الموحدة في أوله على البدل من أربع، وقوله: **(وشقي أو سعيد)** مرفوع خبر مبتدأ محذوف، أي وهو شقي أو سعيد؟ قوله ﷺ في هذا الحديث: **(ثم يرسل إليه الملك)** ظاهره أن إرساله يكون بعد مائة وعشرين يوماً.

وفي الرواية التي بعد هذا: **(يدخل الملك على النطفة بعدما تستقر في الرحم بأربعين، أو خمسة وأربعين ليلة، فيقول: يا رب، أشقي أم سعيد؟)**.

وفي الرواية الثالثة: **(إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً، فصورها، وخلق سمعها وبصرها وجلدها)**.

وفي رواية حذيفة بن أسيد: **(إن النطفة تقع في الرحم أربعين ليلة، ثم يتسور عليها الملك)**.

وفي رواية: **(إن ملكاً موكلاً بالرحم)**: إذا أراد أن يخلق شيئاً بإذن الله لبضع وأربعين ليلة ـ وذكر الحديث.

وفي رواية أنس بن مالك رضي الله عنه: **(إن الله قد وكل بالرحم ملكاً فيقول: أي رب، نطفة، أي رب، علقة، أي رب، مضغة)**.

قال العلماء: طريق الجمع بين هذه الروايات: أن للملك ملازمة تامة، ومراعاة لحال النطفة، وأنه يقول: يا رب، هذه نطفة، هذه علقة، هذه مضغة، في أوقاتها، فكل وقت يقول فيه ما صارت إليه بإذن الله تعالى، وهو سبحانه أعلم، ولكلام الملك وتصرفه أوقات:

.....

أحدهما: حين يخلقها الله نطفة، ثم ينقلها علقة، وهو أول علم الملك بأنه سيكون ولداً، لأنه ليس كل نطفة تصير ولداً، وذلك عقب الأربعين الأولى.

وحينئذٍ يكتب رزقه وأجله وعمله، وشقاوته، أو سعادته.

ثم للملك فيه تصرف آخر، في وقت آخر وهو تصويره، وخلق سمعه، وبصره، وجلده وعظمه، وكونه ذكرا أو أنثى، ـ وذلك إنما يكون في الأربعين الثالثة، وهي مدة المضغة، وقبل انقضاء هذه الأربعين، وقبل نفخ الروح فيه، لأن نفخ الروح لا يكون إلا بعد تمام صورته.

وأما قوله في إحدى الروايات: **(فإذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة، بعث الله إليها ملكاً فصورها، وخلق سمعها وبصرها، وجلدها، ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب، اذكر أم أنثى؟ فيقضي ربك ما شاء، ويكتب الملك، وذكر رزقه)**.

فقال القاضي وغيره: ليس هو على ظاهره، ولا يصح حمله على ظاهره، بل المراد بتصويرها وخلق سمعها.. الخ: أنه يكتب ذلك، ثم يفعله في وقت آخر، لأن التصوير عقب الأربعين الأولى غير موجود في العادة، وإنما يقع في الأربعين الثالثة، وهي مدة المضغة، كما قال الله تعالى: ﴿**ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً**﴾.

ثم يكون للملك فيه تصوير آخر، وهو وقت نفخ الروح عقب الأربعين الثالثة، حين يكمل له أربعة أشهر.

واتفق العلماء على أن نفخ الروح لا يكون إلا بعد أربعة أشهر، ووقع في رواية البخاري: **(إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين، ثم يكون علقة مثله، ثم يكون مضغة مثله، ثم يبعث إليه الملك، فيؤذن بأربع كلمات: فيكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه)** فقوله: **(ثم يبعث)** بحرف ـ ثم ـ يقتضي تأخير كتب الملك هذه الأمور إلى ما بعد الأربعين الثالثة ـ والأحاديث الباقية تقتضي الكتب بعد الأربعين الأولى.

وجوابه: أن قوله: **(ثم يبعث إليه الملك، فيؤذن فيكتب)** معطوف على قوله: **(يجمع في بطن أمه)** ومتعلق به، لا بما قبله، وهو قوله: **(ثم يكون مضغة مثله)** ويكون قوله: **(ثم يكون علقة مثله، ثم يكون مضغة مثله)** معترضاً بين المعطوف والمعطوف عليه ـ وذلك جائز موجود في القرآن والحديث الصحيح وغيره من كلام العرب.

قال القاضي وغيره: والمراد بإرسال الملك في هذه الأشياء: أمره بها وبالتصرف فيها بهذه الأفعال، وإلا فقد صرح في الحديث بأنه موكل بالرحم، وأنه يقول: يا رب، نطفة، يا رب، علقة.

قال القاضي: وقوله في حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: **(وإذا أراد الله أن يقضي خلقاً ـ قال: يا رب، أذكر أم أنثى، شقي أم سعيد؟)** لا يخالف ما قدمناه، ولا يلزم

.....

منه أن يقول ذلك بعد المضغة، ـ بل هو ابتداء كلام واخبار عن حالة أخرى، فأخبر أو لا، بحال الملك مع النطفة، ثم أخبر أن الله تعالى إذا أراد إظهار خلق النطفة علقة، قال: كذا وكذا.

ثم المراد بجميع ما ذكر من الرزق والأجل، والشقاوة والسعادة والعمل، والذكورة والأنوثة: أنه يظهر ذلك للملك، ويأمره بإنقاذه وكتابته، وإلا فقضاء الله تعالى سابق على ذلك وعلمه وإرادته لكل ذلك موجود في الأزل. والله تعالى أعلم.

وقوله ﷺ: **(فوالله الذي لا إله غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل النار ـ الخ)**.

المراد بالذراع: التمثيل للقرب من موته ودخوله عقبه، وأن تلك الدار ما بقي بينه وبين أن يصلها إلا كمن لم يبق بينه وبين موضع من الأرض ـ يريد أن يصل إليه ـ إلا ذراع واحد.

والمراد بهذا الحديث أن هذا قد يقع في نادر من الناس، لا أنه غالب فيهم. ثم إنه من لطف الله تعالى، وسعه رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة، وأما انقلابهم من الخير إلى الشر، ففي غاية الندور، ونهاية القلة.

وهو نحو قوله تعالى: **(إن رحمتي سبقت غضبي، وغلبت غضبي)** ويدخل في هذا من انقلب إلى عمل النار بكفر أو معصية، لكن يختلفان في التخليد وعدمه، فالكافر يخلد في النار، والعاصي الذي مات موحداً لا يخلد فيها، كما سبق تقريره. وفي هذا الحديث تصريح بإثبات القدر، وأن التوبة تهدم الذنوب قبلها، وأن من مات على شيء حكم له به: من خير أو شر، إلا أن أصحاب المعاصي غير الكفر في المشيئة. والله أعلم. ا هـ من شرح النووي على مسلم.

وقال النووي: **(حذيفة بن أسيد)** هو بفتح الهمزة. وقوله: **(فيكتبان)** في الموضعين بضم أوله، ومعناه: يكتب أحدهما ـ **(دخلت على أبي سريحة)** هو بفتح السين وكسر الراء.

وقوله: **(ثم يتصور عليها الملك)** هكذا هو في جميع نسخ بلادنا ـ بالصاد ـ وذكر القاضي: يتسور ـ بالسين، والمراد بيتسور: ينزل، وهو استعارة من **(تسورت الدار إذا نزلت من أعلاها)** فيحتمل أن تكون الصاد الواقعة في بلادنا مبدلة من السين. والله أعلم. ا هـ من النووي.

١٢ ـ (ما جاء في خطاب رب العزة للرحم)

حديث خطاب الرحم أَخرجه البخاري في كتاب التفسير من سورة القتال ـ باب ـ (وتقطعوا أَرحامكم) جـ ٦ ص ١٣٤

(١١١) حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ، حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبي مُزَرِّدٍ، عَنْ عَمِّهِ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَأَخَذَتْ بِحِقْوِ الرَّحْمٰنِ، فَقَالَ لَهُ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: أَلاَ تَرْضَينَ، أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: (فَذَاكِ لَكِ) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا في الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾..

* * *

(١١٢) وفي رواية في هذا الباب للبخاري، بسنده إِلى أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾.

* * *

وأَخرجه البخاري في كتاب التوحيد، وفي كتاب الأَدب.

وأَخرجه مسلم في الأَدب، والنسائي في التفسير.

* * *

(١١٣) وأَخرجه الترمذي عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْف ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ: أَنَا اللَّهُ، وَأَنَا الرَّحْمٰنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا مِنَ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ.

(قال الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى: حديث حسن صحيح).

(١١٤) وأَخرجه أَيضاً أَبو داود، عن عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ: (أَنَا الرَّحْمٰنُ، وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بِتُّهُ.

أَخرجه في باب (في صلة الرحم) جـ ٢ ص ٧٧.

شرح الحديث من القسطلاني جـ ٧ ص ٨٤٢

(حدثنا خالد بن مخلد) بفتح الميم واللام، بينهما خاء معجمة، الكوفي **(حدثنا سليمان)** بن بلال، قال: **(حدثني معاوية بن أبي مزرد)** بضم الميم وفتح الزاي وكسر الراء، وفي اليونينية بفتحها مشددة، بعدها دال مهملة.

اسمه عبد الرحمٰن بن يسار، بالياء وتخفيف السين المهملة **(عن عمه سعيد بن يسار، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ)** أنه **(قال: خلق الله الخلق، فلما فرغ منه)** أي قضاه وأتمه، أو نحو ذلك، فإنه سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن، **(قامت الرحم)** أي حقيقة، بأن تجسمت **(فأخذت بحقو الرحمٰن)** بفتح الحاء المهملة، وفي اليونينية بكسرها، وعند الطبري: **(بحقوى الرحمٰن)** بالتثنية. ـ والحقو: الازار والخصر، ومشد الازار.

قال البيضاوي: لما كان من عادة المستجير أن يأخذ بذيل المستجار به أو بطرف ردائه وازاره، وربما أخذ بحقو إزاره مبالغة في الاستجارة. فكأنه يشير به إلى أن المطلوب أن يحرسه ويذب عنه ما يؤذيه، كما يحرس ما تحت إزاره، ويذب عنه، فإنه لاصق به، لا ينفك عنه، فاستعير ذلك للرحم.

وقال الطيبي: وهذا مبني على الاستعارة التمثيلية، التي ينتزع فيها الوجه من أمور متوهمة للمشبه المعقول، وذلك بأن شبه حاله الرحم وما هي عليه من الافتقار إلى الصلة، والذب عنها من القطيعة ـ بحال مستجير يأخذ بذيل المستجار به، وحقو إزاره، ثم أدخل صورة حال المشبه في جنس المشبه به، واستعمل في حال المشبه ما كان مستعملاً في المشبه به من الألفاظ بدلائل قرائن الأحوال.

ويجوز أن تكون مكنية، بأن يشبه الرحم بإنسان مستجير بمن يحميه، ويحرسه ويذب عنه ما يؤذيه، ثم أسند على سبيل الاستعارة التخييلية ما هو لازم المشبه به، من القيام ليكون قرينة مانعة من إرادة الحقيقة، ثم رشحت الاستعارة بأخذ الحقو، والقول، وقوله: **(بحقو الرحمٰن)** استعارة أخرى.

وقال القابسي: أبى ـ بفتح الباء ـ أبو زيد أن يقرأ لنا هذا الحرف ـ أي بحقو الرحمٰن لإشكاله، وقال: هو ثابت، لكن مع تنزيه الله تعالى.

ويحتمل أن يكون على حذف مضاف، أي قام ملك، فتكلم على لسانها، أو على طريق ضرب المثل والاستعارة.

والمراد: تعظيم شأن الرحم، وفضيلة وأصلها، وإثم قاطعها.

.....

وتثنية ـ حقو ـ المروية عند الطبري للتأكيد، لأن الأخذ باليدين أكد في الاستجارة من الأخذ بيد واحدة.

(فقال الله) تعالى **(له: مه)** أي للرحم مه، بفتح الميم، وسكون الهاء ـ اسم فعل ـ أي اكفف وانزجر.

وقال ابن مالك: هي هنا ـ ما ـ الاستفهامية، حذفت ألفها، ووقف عليها بهاء السكت، والشائع أن لا يفعل بها ذلك إلا وهي مجرورة. قال: ومن استعمالها كما وقع هنا غير مجرورة، قول أبي ذؤيب الهذلي: قدمت المدينة ولأهلها ضجيج كضجيج الحجيج، فقلت: مه؟ فقالوا: قبض رسول الله ﷺ. ا هـ.

فإن كان المراد الزجر فواضح، وإن كان المراد الاستفهام ـ فالمراد الأمر بإظهار الحاجة، التي من أجلها تستجير، دون الاستعلام، فإنه تعالى يعلم السر وأخفى.

(قالت: هذا مقام العائذ) بالذال المعجمة، أي قيامي هذا قيام العائذ المستجير **(بك من القطيعة)**.

وفي حديث عبد الله بن عمرو عند أحمد: أنها تكلمت بلسان طلق ذلق **(قال)** الله تعالى: **(ألا ترضين أن أصل من وصلك)** بأن أتعطف عليه، وأرحمه لطفاً وفضلاً **(وأقطع من قطعك)** فلا أرحمه **(قالت: بلى: يا رب)** رضيت **(قال)** الله تعالى: **(فذاك)** بكسر الكاف، زاد الاسماعيلي **(لك)** قال أبو هريرة: فاقرأوا إن شئتم: ﴿**فهل عسيتم أن توليتم**﴾ أحكام الناس وتآمرتم عليهم ـ أو توليتم وأعرضتم عن القرآن وأحكامه ﴿**أن تفسدوا في الأرض**﴾ بالمعاصي وسفك الدماء ﴿**وتقطعوا أرحامكم**﴾.

وفي رواية للبخاري ـ قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: **(«اقرأوا إن شئتم: ﴿فهل عسيتم﴾)** ـ ومراد البخاري بذكر هذه الرواية أن ذلك الاستدلال من كلام رسول الله ﷺ وليس موقوفاً على أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

قال النووي: لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية، والصلة درجات، بعضها أرفع من بعض، وفي حديث أبي بكرة مرفوعاً: **(ما من ذنب أحرى أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم)** رواه أحمد ـ.

وعنده من حديث ثوبان مرفوعاً: **(من سره النساء في الأجل والزيادة في العمر، فليصل رحمه)**. ا هـ والله أعلم.

١٣ ـ (ما جاء فيما يتعلق بالصلاة)

(حديث فرض الصَّلوات ـ والإسراءِ)

أَخرجه البخاري ـ في باب ـ كيف فرضت الصلاة في الإسراءِ، جـ ١ ص ٧٨ ـ ٧٩.

(١١٥) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي، وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مُمْتَلِىءٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ في صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ،

شرح الحديث من القسطلاني جـ ١ ص ٣٨٢

(يحيى بن بكير) بضم الموحدة **(الليث)** بن سعد الإمام **(عن يونس)** بن زيد **(عن ابن شهاب)** الزهري **(عن أنس بن مالك، قال: كان أبو ذر)** رضي الله عنه **(يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «فرج»)** بضم الفاء وكسر الراء أي فتح **(عن سقف بيتي)** أضافه لنفسه، لأن الإضافة تكون بأدنى ملابسة، وإلا فهو بيت أم هانىء، كما ثبت **(وأنا بمكة فنزل جبريل عليه السلام من الموضع المفروج في السقف مبالغة في المفاجأة ففرج)** بفتحات أي شق صدري ثم غسله بماء زمزم **(ثم جاء بطست)** بفتح الطاء وسكون السين المهملة، وهي مؤنثة وتذكر على معنى الإناء من ذهب لمناسبة صفاء قلبه ﷺ وكان ذلك بمكة قبل تحريم آنية الذهب **(ممتلىء حكمة وإيماناً)** أي شيئاً تحصل الحكمة والإيمان بملامسته فأطلقا عليه، تسمية للشيء باسم مسببه ـ أو هو تمثيل لينكشف بالمحسوس ما هو معقول، كمجيء الموت في صورة كبش أملح.

والحكمة عبارة عن العلم بالأحكام المشتملة على معرفة الله المصحوبة بنفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق والعمل به، والصد عن اتباع الهوى والباطل ـ وقيل: هي النبوة، وقيل: هي الفهم عن الله تعالى **(فأفرغه)** أي ما في الطست **(في صدري، ثم أطبقه)** أي الصدر الشريف فختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء، فجمع الله له أجزاء النبوة وختمها فهو خاتم النبيين، وختم عليه، فلم يجد عدوه إليه سبيلاً، لأن الشيء المختوم عليه محروس ـ **(وإنما فعل)** ذلك ليتقوى على استجلاء الأسماء الحسنى والثبوت في المقام

ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي، فَعَرَجَ بي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُ إِلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّمَاء: افْتَحْ، قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، مَعِي مُحَمَّدٌ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ: أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ، عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَهَذِهِ الأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهُ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، حَتَّى عَرَجَ بي إِلى السَّمَاءِ الثَّانِيةِ، فَقَالَ لِخَازِنِهَا، افْتَحْ، فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُ، فَفَتَحَ، قَالَ أَنَسٌ: فَذَكَر أَنَّهُ وَجَدَ في السَّمواتِ آدَمَ وإِدْرِيسَ، وَمُوسَى، وَعِيسَى، وإِبراهِيمَ صَلواتُ اللَّه عَليهِمْ، وَلَمْ يُثْبِتُ كَيْفَ مَنَازِلِهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّهُ وَجَدَ آدَمَ في السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وإِبْرَاهِيمَ في السَّماءِ السادسَةِ، قَالَ أَنَسٌ: فَلمَّا مَرَّ جِبْرِيلُ بِالنَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بِإِدْرِيسَ، قَالَ: مَرْحَباً بِالنبيِّ الصَّالح،

الأسنى **(ثم أخذ بيدي فعرج)** صعد **(بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا، قال جبريل لخازن السماء: افتح قال: من هذا)** الذي يقرع الباب؟ **(قال: جبريل قال: هل معك أحد؟ قال: نعم، معي محمد ﷺ فقال: أرسل إليه؟)** أي للعروج، وليس السؤال عن أصل رسالته، لاشتهارها في الملكوت **(قال جبريل: نعم، فلما فتح الخازن علونا إلى السماء الدنيا، فإذا رجل قاعد، على يمينه أسودة)**، أي أشخاص **(وعلى يساره أسودة، فإذا نظر قبل يمينه)** أي جهة يمينه **(ضحك، وإذا نظر قبل)** أي جهة **(يساره بكى)** وللأربعة شماله فقال: **(مرحبا بالنبي الصالح، والابن الصالح)** أي أصبت رحباً لا ضيقاً، وهي كلمة تقال عند تأنيس القادم، ووصفوه بالصلاح، لأن الصلاح وصف شامل لسائر الخصال المحمودة الممدوحة من الصدق وغيره **(قلت لجبريل: من هذا قال: هذا آدم وهذه الأسودة التي عن يمينه وشماله نسم بنيه)** جمع نسمة، وهي نفس الروح أي أرواح بنيه، ولعلها مثلت له في أشباح **(فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار)** ـ **(فإذا نظر عن يمينه ضحك)** مسروراً بأولاده الذين هم أهل الجنة **(وإذا نظر قبل شماله بكى)** حزناً على أولاده **(حتى عرج بي إلى السماء الثانية، فقال لخازنها: افتح، فقال له خازنها مثل ما قال الأول ولم يثبت كيف منازلهم)** أي لم يعين أبو ذر لكل نبي سماء **(غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا، وإبراهيم في السادسة)** في حديث أنس عن مالك بن صعصعة عند الشيخين أنه وجد آدم في السماء الدنيا وفي الثانية يحيى وعيسى وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة إدريس وفي الخامسة هارون، وفي السادسة موسى، وفي السابعة إبراهيم **(فلما مر جبريل بالنبي)** أي مصاحباً بالنبي

وَالأَخ الصَّالح، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِدْرِيسُ، ثُمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى ـ عليه السَّلاَمُ ـ فَقَالَ: مَرْحباً بِالنَّبيِّ الصَّالِح، والأَخ الصَّالح، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيَسى عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: مَرْحَباً بِالأَخ الصَّالِح، والنبيِّ الصَّالح، قُلْتُ: مَنْ هذا؟ قَالَ: هَذا عِيسَى، ثُمَّ مَرَرْتُ بإِبْرَاهِيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبيِّ الصَّالح، والابْنِ الصَّالِح، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ ابْنُ شِهَاب: فَأَخْبَرَنِي ابْنُ حَزْم أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ وَأَبَا حَيَّةَ الأَنْصَارِيِّ كَانَا يَقُولاَنِ: قَالَ النَّبيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوىً أَسْمَعُ فِيه صَرِيفَ الأَقلام، قَالَ ابْنُ حَزْم، وأَنسُ بْنُ مَالِكٍ: قَالَ النبيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: فَفَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى أُمَّتِي خَمْسِينَ صلاةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حتَّى مَرَرْتُ بِمُوسَى عليه السلامُ، فَقالَ: مَا فرضَ اللَّهُ لكَ عَلى أُمتِكَ؟ قُلْتُ: خمسينَ صَلاَةً، قَالَ: فَارجعْ إِلى رَبِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطيقُ ذَلِك،

ﷺ **(بإدريس قال: مرحباً بالنبي الصالح، والأخ الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا إدريس. ثم مررت بموسى فقال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، ثم مررت بعيسى، فقال: مرحباً بالأخ الصالح، والنبي الصالح، قلت: من هذا؟ قال: هذا عيسى،)** قال القسطلاني: وليست ـ ثم ـ هنا على بابها في الترتيب، لأن الروايات قد اتفقت على أن المرور بعيسى كان قبل المرور بموسى عليه السلام ـ قال: ثم مررت بإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقال: **(مرحباً بالنبي الصالح، والابن الصالح، قلت: من هذا؟)** يا جبريل **(قال: هذا إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال ابن شهاب)** محمد بن مسلم الزهري: **(فأخبرني ابن حزم)** بفتح الحاء وسكون الزاي هو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري، قاضي المدينة، وأميرها زمن الوليد المتوفى سنة عشرين ومائة، عن أربع وثمانين سنة **(أن ابن عباس وأبا حية)** بفتح الحاء وتشديد الياء البدري **(الأنصاري، كانا يقولان: قال النبي** ﷺ: **ثم عرج بي)** بفتحات على البناء للفاعل، وبضم الأول وكسر الثاني على البناء للمفعول، **(حتى ظهرت)** أي علوت **(لمستوى)** أي موضع مشرف يستوي عليه، وهو المصعد، واللام فيه للعلة، أي علوت لاستواء مستوى **(أسمع فيه صريف الأقلام)** أي تصويت الأقلام حالة كتابة الملائكة ما يقضيه الله تعالى مما تنسخه من اللوح المحفوظ، أو ما شاء الله أن يكتب لما أراد الله تعالى من أمره وتدبيره، والله غني عن الاستذكار بتدوين الكتب، إذ علمه محيط بكل شيء **(قال النبي** ﷺ: **ففرض الله على أمتي خمسين صلاة)** أي في كل يوم وليلة، كما عند مسلم من حديث ثابت عن أنس، لكن بلفظ: ففرض الله علي، وذكر الفرض عليه يستلزم الفرض على أمته، وبالعكس **(فرجعت بذلك، حتى مررت على موسى، فقال: ما فرض الله على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: فارجع إلى ربك)** أي

فراجعتُ، فوضعَ عنيِّ شَطرهَا، فرجعتُ إِلى مُوسى، قلتُ: وَضَعَ عنِّي شَطْرَهَا، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ، فراجعتُ، فوضَعَ شَطْرَهَا، فرجعتُ إِليهِ، فَقَالَ: ارْجَعْ إِلى رَبِّكَ، فإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ، فَقَالَ: هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقالَ: راجع رَبَّكَ، فَقُلْتُ: قدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي، ثُمَّ انْطَلَقَ بي، حَتَّى انتهى بي إِلى سِدْرَةِ المُنْتَهَى، وَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاَ أَدْري مَا هِيَ؟ ثُمَّ أُدْخلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَائِلُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ.

إلى الموضع الذي ناجيته فيه **(فإن أمتك لا تطيق ذلك، فراجعت، فوضع عني شطرها)** أي جزءاً منها وهو خمس **(فوضع عني شطرها)** قال القسطلاني: وفي رواية مالك بن صعصعة **(فوضع عني عشراً)** ـ وفي رواية ثابت: **(فحط عني خمساً)** وزاد فيها أن التخفيف كان خمساً خمساً.

قال الحافظ ابن حجر: وهي زيادة معتمدة، يتعين حمل ما في الروايات عليها قوله: **(فقال)** جلا وعلا: **(هي خمس)** أي بحسب الفعل **(وهي خمسون)** أي بحسب الثواب والأجر، قال تعالى: ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾.

ولأبي ذر عن المستملي، ونسبها في الفتح لغير أبي ذر: **(هن خمس، وهن خمسون)** واستدل به على عدم فرضية ما زاد على الخمس، كالوتر.

وفي الحديث جواز النسخ قبل الفعل، خلافاً للمعتزلة، قال ابن المنير: لكن الكل متفقون على أن النسخ لا يتصور قبل البلاغ.

(لا يبدل القول لدي) أي لا يبدل القضاء المبرم، لا المعلق، الذي يمحو الله منه ما يشاء ويثبت فيه ما يشاء.

وأما مراجعته عليه الصلاة والسلام ربه في ذلك، فللعلم بأن الأمر الأول ليس على وجه القطع والإبرام، قال عليه الصلاة والسلام: **(فرجعت إلى موسى، فقال: ارجع إلى ربك فقلت: قد استحييت من ربي)** وجه استحيائه أنه لو سأل الرفع بعد الخمس لكان كأنه قد سأل رفع الخمس بعينها ـ أي لأن كل مرة يخفف عنه خمساً، فكيف يسأله التخفيف وقد تكرر التخفيف في كل مرة بخمس، ولا سيما وقد قال الله: «لا يبدل القول لدي».

(ثم انطلق بي) بفتح الطاء واللام **(حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى)** ـ وهي في أعلى السموات وسميت بالمنتهى، لأن علم الملائكة ينتهي إليها، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ أو ينتهي إليها أرواح الشهداء **(حبائل اللؤلؤ)** أي عقود وقلائد من اللؤلؤ ـ وروي **(جنابذ اللؤلؤ)** وهي القبة **(وإذا ترابها المسك)** أي تراب الجنة رائحته رائحة المسك. ا هـ والله أعلم.

حديث فرض الصلاة من صحيح مسلم

في باب الإسراءِ برسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وفرض الصلوات جـ ٢ ص ٥٣ هامش القسطلاني.

* * *

(١١٦) حَدَّثَنَا شَيْبَانُ بن فرُّوخَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ، فَوْقَ الْحِمَارِ، وَدُونَ الْبَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهَا الأَنبياءُ، قَالَ: ثُمَّ دخلتُ المسْجِدَ، فَصَلَّيْتُ فيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قِيلَ: وَبُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: لَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا

(شيبان بن فروخ) فروخ أعجمي لا ينصرف **(البناني)** بضم الباء منسوب إلى بنانة، قبيلة معروفة. **(أتيت بالبراق)** هو بضم الباء. قال أهل اللغة: البراق اسم الدابة التي ركبها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، قال الزبيدي في مختصر العين، وصاحب التحرير هي دابة كانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم يركبونها ـ قال النووي: وهذا يحتاج إلى نقل صحيح. وسمي براقاً لسرعته، وقيل: لشدة صفائه، وتلألؤه وبريقه. ا هـ نووي.

(يربطه بها الأنبياء) أعاد الضمير إلى الحلقة مذكراً على معنى الشيء، وفي ربط الأنبياء البراق، الأخذ بالاحتياط وتعاطي الأسباب، وأن ذلك لا يقدح في التوكل، إذا كان الاعتماد على الله. **(اخترت الفطرة)** أي قيل له: اختر أي الإناءين شئت؟ فألهم النبي ﷺ اختيار اللبن وفسروا الفطرة بالإسلام والاستقامة، واللبن علامة له، لكونه سهلاً طيباً سائغاً للشاربين سليم العاقبة وأما الخمر فإنها أم الخبائث، وجالبة الشرور. ا هـ نووي.

(ثم عرج بنا) عرج بفتح العين والراء: صعد. **(وقوله: جبريل)** فيه بيان الأدب فيمن استأذن بدق الباب، فقيل له: من أنت؟ فينبغي أن يذكر اسمه، ولا يقول: أنا، فقد جاء الحديث بالنهي عنه، ولأنه لا فائدة فيه. **(قوله: قد بعث إليه؟)** مراده: قد بعث إليه للإسراء وصعود السماوات. وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة فأن ذلك لا يخفى عليه إلى هذه المدة، هذا هو الصحيح. وفي الحديث إثبات استحباب الاستئذان. والله أعلم. ا هـ نووي.

بِآدَمَ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَرَحَّبَ بي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلى السَّمَاءِ الثانيةِ، فاستفتحَ جِبريلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جبريلُ، قيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: محمد ـ صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ قِيلَ: وقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِابْني الخَالَةِ عِيسَى ابنِ مَرْيَمَ، وَيَحيى بن زَكَرِيَّا، فَرَحَّبَا بي، وَدَعُوا لي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلى السَّماءِ الثَّالثةِ، فاستفتحَ جبريلُ، فقيلَ: من أَنت؟ قَالَ: جبريل، قيل: وَمَنْ مَعكَ؟ قَالَ: محمدٌ قيلَ: وقد بُعِثَ إِليهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِليهِ ففتحَ لنا فإِذا أَنَا بيُوسُفَ، إِذَا هو قد أُعطِيَ شَطْرَ الحُسْنِ، قالَ: فَرَحَّبَ بي، ودعَا لي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرجَ بنا إلى السَّمَاءِ الرَّابعةِ، فاستفتحَ جبريل، فقيلَ: مَنْ هَذا؟ قَالَ: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ، قيل: وقد بُعِثَ إليهِ؟ قَالَ: قد بُعِثَ إليهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فإِذَا أَنا بإدريسَ، فَرَحَّبَ بي، ودعَا لي بخَيْرٍ، قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانَاً عَلِيًّا﴾ ـ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاء الخامِسَةِ، فاستفتحَ جبريلُ، قيل: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جبريل، قَالَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: محمدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قد بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَرَحَّبَ بي، ودعَا لي بخَيْر، ثُمَّ عَرَجَ بنا إِلى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِليهِ؟ قَالَ: قد بُعِثَ إِليهِ، فَفتَحَ لَنا، فَإِذا أَنَا بِمُوسَى، فَرَحَّبَ بي، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: محمدٌ، قيلَ: وقد بُعِثَ إِليهِ؟ قال: قد بُعِثَ إِلْيهِ، فَفَتَحَ لَنَا، فَإِذَا أَنا بإِبْرَاهِيمَ مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلى البيْتِ المعْمُورِ، وإِذَا هُوَ يدخُلُهُ كُلَّ يوم، سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، لا يعودونَ إِليهِ، ثمَّ ذَهَبَ إِلى السِّدْرَةِ

(قوله ﷺ فإذا أنا بآدم ﷺ، فرحب بي ودعا لي بخير) ذكر مثل ذلك في غيره من الأنبياء ـ وفيه استحباب لقاء أهل الفضل بالبشر والترحيب، والكلام الحسن، والدعاء لهم، وإن كانوا أفضل من الداعي، ـ وفيه جواز مدح الإنسان في وجهه إذا أمن عليه الإعجاب وغيره من أسباب الفتنة.

(قوله: فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا) عليهما السلام قال الأزهري: قال ابن السكيت: يقال: هما ابنا عم، ولا يقال: ابنا خال، ويقال: هما ابنا خالة ولا يقال: هما ابنا عمة. ا هـ من النووي.

(قوله: ظهره إلى البيت المعمور) قال القاضي رحمه الله: يستدل به على جواز الاستناد إلى القبلة، وتحويل الظهر إليها.

(إلى السدرة المنتهى) هكذا وقع في الأصول: **(السدرة)** بالألف واللام ـ وفي الروايات

المُنْتَهَى، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلاَلِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ، تَغَيَّرَتْ، فما أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا، فَأَوْحَى إِلَّي مَا أَوْحَى، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاَةً في كُلِّ يَوْم وَلَيْلَةٍ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسى، فَقَالَ: مَا فرضَ رَبُّكَ على أُمَّتِكَ؟ قلتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً، قالَ: ارجعْ إِلى رَبِّكَ، فاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وخَبَرْتُهُمْ، قَالَ: فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَقُلْتُ: يَا رَب خَفِّفْ على أُمَّتِي، فَحَطَّ عَنِّي خَمْساً، فَرَجَعْتُ إِلى موسَى، فقلتُ: حَطَّ عَنِّي خَمْساً، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ يُطِيقُونَ ذَلِكَ، فارجَعْ إِلى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخفيف، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ أَرْجعُ بَيْنَ رَبِّي ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ وَبَيْنَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ حَتَّى قَالَ اللَّهُ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ، كُلَّ يَوْم وليلةٍ، لِكُلِّ صلاةٍ عشرٌ، فَذَلِكَ خمسُونَ صلاةً، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كُتِبَتْ لهُ حَسَنَةً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْراً، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، لَمْ تُكْتَبْ شيئاً، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدةً، قَالَ: فَنَزَلْتُ حتَّى انْتَهَيْتُ إِلى موسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: ارْجعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفيفَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقُلْتُ: قد رجعتُ إِلى رَبِّي، حتى اسْتَحْيَيْتُ مِنهُ.

بعد هذا **(سدرة المنتهى)** قال ابن عباس والمفسرون: سميت سدرة المنتهى، لأن علم الملائكة ينتهي إليها، ولم يجاوزها أحد إلا رسول الله ﷺ ـ وحكي عن ابن مسعود رضي الله عنه، إنما سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها، وما يصعد من تحتها من أمر الله تعالى **(وإذا ورقها كآذان الفيلة)** ورد أنه يسير الراكب في ظلها سبعين عاماً لا يقطعها. وقال: واقرأوا: **﴿في ظل ممدود﴾** **(وثمرها)** أي النبق منها مثل القلال جمع قلة وهي الجرة العظيمة تسع قربتين أو أكثر. ا هـ نووي.

قوله ﷺ: **(فرجعت إلى ربي)** معناه: رجعت إلى الموضع الذي ناجيته منه أولاً، فناجيته فيه ثانياً. **(وقوله: بين ربي وبين موسى)** معناه: بين موضع مناجاة ربي. والله أعلم **(فحط عني خمساً)** في بعض الروايات: **(حط عني شطرها)** قال القاضي عياض رحمه الله: المراد بالشطر هنا الجزء، وهو الخمس، كما بينته هذه الرواية، وليس المراد بالشطر النصف لأن حديث الشطر لم يذكر فيه مرات المراجعة، أي ففيه اختصار. ا هـ من النووي ملخصاً.

(تنبيه): بقية روايات مسلم ليس فيها إلا زيادات قليلة فلا داعي لذكرها، ومن أرادها فليراجعها هناك ا هـ.

حديث فرض الصلوات

من سنن النِّسائي ـ من كتاب الصلاة جـ ١ ص ٢١٧

ذَكَر اختلاف النَّاقلين في إسناد حديث أنس رضي اللَّه عنه ثم قال:

(١١٧) عَنْ أَنَسِ بن مَالكٍ، عن مالكِ بن صَعْصَعَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ النبيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ البيْتَ بَيْنَ النَّائم وَالْيَقْظَانِ، إِذْ أَقبلَ أحدُ الثَّلاثَةِ بينَ الرَّجُليْنِ فَأُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ، مَلآن حِكْمَةً وَإِيمَاناً، فَشَقَّ مِنَ النَّحْرِ إِلَى مَرَاقِّ البَطْنِ، فَغَسَلَ الْقَلْبَ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثمَّ مُلِىءَ حكمةً وإيماناً، ثم أُتيتُ بدَابَّةٍ دُونَ البغْلِ وفوقَ الحِمَارِ، ثُمَّ انْطَلَقْتُ مع جبريلَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قالَ: محمدٌ، قيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ مَرْحَباً بِهِ، وَنِعْمَ المَجِيءُ جَاءَ، فأَتَيْتُ على آدمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قالَ: مَرْحَباً بِكَ من ابْنٍ ونَبيٍّ، ثُمَّ أَتَيْنَا السَّمَاءَ الثانِيةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جبريل، قيل: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، فَمِثْلُ ذلكَ، فأَتَيْتُ على يَحْيَى وَعِيسَى، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمَا، فَقَالاَ: مَرْحَباً بِكَ من أَخٍ، وَنَبيٍّ، ثُمَّ أَتَيْنَا السَّمَاءَ الثالثةَ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: محمدٌ، فَمِثْلُ ذلِكَ، فَأَتَيْتُ عَلَى يُوسُفَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: مَرْحَباً بِكَ مِنْ أَخٍ، وَنَبيٍّ ثُمَّ أَتَيْنَا السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِدْرِيسَ ـ عليهِ السَّلاَمُ ـ، فَسَلَّمْتُ عليهِ، فَقَالَ: مَرْحَباً بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبيٍّ، ثُمَّ أَتَيْنَا السَّمَاءَ الخَامِسَةَ فَمِثْلُ ذَلِكَ فَأَتَيْتُ عَلَى هَارُونَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، قَالَ: مَرْحَباً بِكَ مِنْ أَخٍ، وَمِنْ نَبيٍّ، ثُمَّ أَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّادِسَةَ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، ثُمَّ أَتَيْتُ عَلَى مُوسَى ـ عليْهِ السَّلاَمُ ـ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَرْحَباً بِكَ مِنْ أَخٍ وَنَبيٍّ، فَلَمَّا جاوزتُهُ بَكَى، قِيلَ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، هَذَا الْغُلاَمُ الَّذِي بَعَثْتَهُ بَعْدِي يَدْخُلُ من أُمَّتِهِ الْجَنَّةَ أَكْثَرُ وأَفْضَلُ مِنْ أُمَّتِي، ثُمَّ أَتَيْتُ السَّمَاءَ السَّابِعَةَ، فَمِثْلُ ذَلِكَ، فَأَتَيْتُ عَلَى إِبراهيمَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ،

أحد **(الثلاثة بين الرجلين)** قد ورد أن النبي ﷺ قال: جاءني جبريل وإسرافيل، ومعهما ملك آخر، فهؤلاء هم الثلاثة، كانوا بصورة رجال، فأقبل عليه أحدهم. ا هـ والله أعلم.

قوله: **(فأتيت هارون)** أي في السماء الخامسة، وهذه الرواية أصح من الرواية الأخرى، التي تفيد أن هارون في الرابعة، وأن إدريس في الخامسة، فإدريس كان في الرابعة، كما في روايتنا هذه، وهارون في الخامسة. والله أعلم.

فَقَالَ: مَرْحباً بِكَ مِنَ ابْنٍ وَنَبِيٍّ، ثُمَّ رُفِعَ لي البيتُ المعمُورُ، يُصَلِّي فيهِ كُلَّ يَوْم سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ فَإِذَا خَرَجُوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ، ثُمَّ رُفِعَتْ لِيَ سِدْرَةُ المُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيلَةَ وَإِذَا في أَصْلِهَا أَرْبَعَةُ أَنهار: نَهْرَان بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، أَمَّا الْبَاطِنَانِ فَفِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ فَالفُرَاتُ وَالنِّيلُ، ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ خَمسونَ صَلاةً، فأَتَيْتُ على موسَى، فقالَ: مَا صنعْتَ؟ قُلْتُ: فُرِضَتْ عليَّ خَمْسُونَ صلاةً، قَالَ: إِنِّي أَعلمُ بِالنَّاسِ مِنْكَ، إِنِّي عَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ المعالَجَةِ، وإِنَّ أُمَّتكَ لن يُطِيقُوا ذلكَ، فارجعْ إِلى ربكَ، واسأَلْهُ أَنْ يخفِّفَ عنكَ، فرجعتُ إِلى ربِّي فسأَلْتُهُ أَن يُخَفِّفَ عَنِّي، فَجَعَلَها أَرْبَعِينَ، ثمَّ رَجَعْتُ إِلى مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فقالَ: مَا صَنَعْتَ؟ قلتُ: جعَلَهَا أَرْبعينَ، فقالَ لي مِثْلَ مَقَالَتِهِ الأُولَى، فَرَجَعْتُ إِلى رَبِّي ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَجَعَلَها ثَلاَثِينَ، فَأَتَيْتُ على موسَى ـ عَلَيْهِ السَّلامُ ـ فأَخبرتُهُ، فقالَ لي مثلَ مَقَالَتِهِ الأُولَى، فرجعتُ إِلى رَبِّي، فَجَعَلَها عِشْرِينَ، ثُمَّ عَشرةً، ثُمَّ خَمْسَةً، فَأَتيتُ على موسَى عليه السَّلاَمُ، فقالَ لي مثلَ مَقَالَتِهِ الأُولَى: فقلتُ: (إِنِّي أَسْتَحْيي مِنْ رَبِّي ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَنُودِيَ أَنْ قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي، وَأَجْزى بِالحَسَنَةِ عَشْرَ أَمْثَالِهَا).

قوله: **(نهران باطنان ونهران ظاهران)** نحن نؤمن بما صح في حديث رسول الله ﷺ ونفوض علم حقيقة ذلك إلى الله تعالى، ولا سيما أقول إن الماء رحمة الله ينزل من السماء، والجنة محل الرحمة، وقد قال الله ﴿**وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض**﴾ والله أعلم ولعل في الحديث إشارة إلى أن سكان حوضي هذين النهرين يكونون من المسلمين الذين ينتشر بهم الإسلام في غيرهما من البقاع. والله أعلم.

قوله: **(فجعلها أربعين، ثم ثلاثين... الخ)**.

قد تقدم ما قاله القسطلاني والنووي ـ رحمهما الله تعالى ـ نقلاً عن القاضي عياض بأن الشطر المراد به هنا هو الجزء، وهو الخمس في كل مرة، وليس المراد به النصف، لأن حديث الشطر لم يذكر فيه مرات المراجعة.

وقد ورد في رواية ثابت عند مسلم: **(فحط عني خمساً)** وزاد فيها أن التخفيف كان خمساً خمساً.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله ـ: وهي زيادة معتمدة، يتعين حمل الروايات كلها عليها ا هـ. أي لأن هذه مفصلة وتلك فيها الاجمال، ويحمل المجمل على المفصل، قالوا: ولو كان المراد بالشطر النصف، لكان التخفيف بالشطر الثاني اثنتي عشرة صلاة ونصفاً، ولا يكاد ذلك يتحقق. ا هـ والله أعلم.

وأخرج النسائي أيضاً حديث فرض الصلوات جـ ١ ص ٢٢١

(١١٨) عن ابن شهاب، قالَ أَنسُ بن مالك، وابنُ حزم ـ رضيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: فَرَضَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عَلَى أُمَّتي خَمْسِينَ صَلاَةً، فَرَجَعْتُ بِذَلِكَ، حتَّى أَمُرَّ بمُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَقَالَ: مَا فَرَض رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فرَض عَلَيْهِمْ خمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ لِي مُوسَى: فَرَاجِعْ رَبَّكَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُ رَبيِّ، فَوَضَعَ عَنِّي شَطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ: رَاجِعْ رَبَّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَجَعْتُ إِلى رَبِّي ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَقَالَ: (هِيَ خمسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ القَوْلُ لَدَيَّ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ: رَاجِعْ ربكَ، فقلتُ: قَدِ اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي ـ عَزَّ وَجَلَّ).

(١١٩) عَنْ يزيدَ بن أَبي مَالكٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَنسُ بن مالِك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: أُتِيتُ بِدَابَّةٍ فوْقَ الحِمارِ ودُونَ البَغْلِ، خَطْوُهَا عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهَا، فَرَكِبْتُ وَمَعِي جِبْرِيلُ ـ عليهِ السَّلاَمُ ـ فَسِرْتُ، فَقَالَ: انْزِلْ فَصَلِّ، فَفَعَلْتُ، فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صَلَّيْتَ؟ صَلَّيْتَ بِطَيْبَةَ، وَإِلَيْهَا المُهَاجَرُ، ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ فَصَلِّ، فَصَلَّيْتُ، فَقَالَ: أَتَدْرِي أَيْنَ صليْتَ؟ صَلَّيْتَ بِطُورِ سِيْنَاءَ، حَيْثُ

(قوله: فوضع عني شطرها) تقدم أن المراد بالشطر الجزء، وهو خمس كما في رواية ثابت: **(فحط عني خمساً)** وزاد فيها أن التخفيف كان خمساً خمساً.

قال الحافظ ابن حجر: وهي زيادة معتمدة، يتعين حمل ما في الروايات عليها، كما أن حديث الشطر لم يذكر فيه مرات المراجعة. ا هـ من النووي والقسطلاني، وفي الحديث دليل على شدة رأفة الأنبياء بالمؤمنين، فقد أشفق موسى عليه السلام على أمة محمد ﷺ وطلب من النبي ﷺ أن يراجع ربه ويسأله التخفيف.

وكان من موسى دون إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، لأن موسى كليم، وظيفته التكلم، وإبراهيم خليل ومرتبته التسليم، ولذا استسلم للأمر بذبح ولده، وللإلقاء في النار، وقد لطف الله به فيهما. والله أعلم.

(قول جبريل: انزل فصل الخ) فيه دليل على أن المؤمن يستحب له العبادة في الأماكن الفاضلة، ففي صلاته في طيبة بلد المهاجر، بفتح الجيم، أي مكان الهجرة إشارة إلى أنها ستكون مصدراً لنور الإيمان، ومنها ينتشر في الآفاق، وكذا صلاته في طور سيناء وفي بيت لحم، للإشارة إلى أنهما مصدران لنور الإيمان، الذي أتى به موسى وعيسى ـ عليهما وعلى نبينا وجميع الأنبياء أفضل الصلاة والسلام. والله أعلم.

كَلَّمَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ ثُمَّ قَالَ: انْزِلْ فَصَلِّ فَنَزَلْتُ فصليتُ، فقالَ: أَتدري أَيْنَ صليْتَ؟ صَلَّيْتَ بِبَيْتِ لَحْم، حَيْثُ وُلِدَ عِيسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ ثُمَّ دَخَلْتُ بَيْتَ المقدِسِ، فَجُمِعَ لِي الأَنْبِيَاءُ ـ عَلَيْهِمْ السَّلاَمُ ـ فَقَدَّمَني جِبْرِيلُ حَتَّى أَمَمْتُهُمْ ثُمَّ صُعِدَ بي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا فِيهَا آدَمُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ثُمَّ صُعِدَ بي إِلى السماءِ الثانيةِ، فإِذَا فيهَا ابْنَا الخَالَةِ: عِيسَى وَيَحْيَى ـ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ ـ ثُمَّ صُعِدَ بي إِلى السَّماءِ الثَّالثَةِ، فَإِذَا فِيهَا يُوسُفُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ ثُمَّ صُعِدَ بي إلى السماءِ الرَّابِعَةِ فإِذَا فِيهَا هَارُونَ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الخامسَةِ، فإِذَا فيها إِدْرِيسُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ ثمَّ صُعِدَ بي إلى السَّماء السَّابِعَة فَإِذَا فيها إِبْرَاهِيمُ ـ عليه السَّلاَمُ ثُمَّ صُعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَة فَإِذَا فيها مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ ثُمَّ صُعِدَ بِي فَوْقَ سَبْع سَمٰواتٍ فأَتَيْنَا سِدْرَةَ المُنْتَهَى، فَغَشِيَتْنِي ضَبَابَةٌ، فَخَرَرْتُ سَاجِداً، فَقِيلَ لِي: إِني يَوْمَ خَلَقْتُ السَّمواتِ والأَرْضِ، فَرَضْتُ عَلَيْكَ وعلى أُمَّتِكَ خَمسينَ صلاةً، فقُمْ بهَا أَنْتَ وأُمَّتُكَ، فَرَجَعْتُ إِلى إِبراهيمَ، فَلَمْ يَسْأَلْنِي عَنْ شيءٍ، ثُمَّ أَتيْتُ على مُوسَى فقالَ: كَمْ فَرَض رَبُّك عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: خَمْسِينَ صَلاَةً، قَالَ: فَإِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُومَ بهَا أَنْتَ ولا أُمَّتُكَ، فارْجعْ إِلى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَخَفَّفَ عَنِّي عَشْراً، ثُمَّ أَتَيْتُ مُوسَى، فَأَمَرَني بِالرُّجُوع، فرجَعْتُ فَخَفَّفَ عَنِّي عَشْراً، ثُمَّ رُدَّتْ إِلَى خَمْسِ صَلَوَاتِ، ثُمَّ أَتَيْتُ مُوسَى، قالَ: فارجعْ إِلى رَبِّكَ، فاسأَلْهُ التَّخْفِيفَ، فإِنَّهُ فَرَضَ على بني إِسرائيلَ صَلاتيْنِ، فَمَا قَامُوا بِهِمَا، فرجعتُ إِلى ربِّي، فسأَلْتُهُ التخفيفَ، فقالَ: إِنِّي يَوْمَ خَلقتُ السمواتِ والأَرْضَ فرضْتُ عليكَ وعلى أُمَّتِكَ خمسينَ صلاةً، فخمسٌ بِخَمْسِينَ، فَقُمْ بِهَا أَنْتَ وَأُمَّتُكَ، فَعرفتُ أَنَّهَا من اللَّهِ ـ تبارَكَ وتعالَى ـ صِرًّى، فرجعتُ إِلى موسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَقَالَ: ارجَعْ، فعرفْتُ أنهَا من اللَّهِ صِرًّى فَلَمْ أَرجَعْ.

(قوله: فإذا فيها هارون الخ) الروايات الكثيرة على أنه وجد في السماء الرابعة إدريس، وفي الخامسة هارون ـ عليهما السلام. والله أعلم.

(قوله: فخفف عني عشراً) هذه الرواية ونظائرها فيها إجمال، بينته الرواية الصحيحة التي ذكر فيها مرات المراجعة وأنه قد حط عنه خمساً خمساً، فتدل باقي الروايات عليها كما تقدم.

(قوله: فعرفت أنها من الله صرى) صرى بكسر الصاد المهملة، وفتح الراء المشددة، آخره ألف مقصورة، أي عزيمة باقية، لا تقبل النسخ، ولا التبديل. ا هـ. والله أعلم. انتهت روايات النسائي. والله أعلم.

(ما جاءَ في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها)

من سنن ابن ماجه جـ ١ ص ٢٢٠

(١٢٠) عن أَنس بن مالك ـ رضي اللَّهُ عَنْهُ ـ قالَ: قالَ رسولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسلم ـ فَرَضَ اللَّهُ على أُمَّتِي خَمْسِينَ صلاةً، فرجعتُ بذَلِكَ، حتى آتِيَ مُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: مَاذَا افترضَ ربُّكَ على أُمَّتِكَ؟ قلتُ: فَرَضَ عليَّ خمسِينَ صلاةً، قالَ: فارجع إِلى ربِّكَ، فَإِنَّ أُمَّتَك لاَ تُطِيقُ ذلِكَ، فراجعتُ ربِّي، فوضَعَ عنِّي شَطْرَها، فرجعتُ إِلى مُوسَى فأَخْبرتُهُ، فَقَالَ: ارجَعْ إِلى رَبِّكَ فإِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تُطِيقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُ ربِّي، فَقَالَ: (هِيَ خَمْسٌ، وَهِيَ خَمْسُونَ، لاَ يُبَدَّلُ القولُ لَدَيَّ، فرجَعْتُ إِلى مُوسَى، فقالَ: ارجع إلى ربِّكَ، فقلْتُ: قَدِ استحْيَيْتُ مِنْ رَبِّي.

* * *

(١٢١) وأَخرج ابن ماجه أيضاً: عَن أبي قَتَادَة بْنِ رِبْعيٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رسول الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: (قَالَ اللَّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: افْتَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صلوات، وعهِدْتُ عنِّي عهْداً ـ أَنَّه من حافَظَ عليهنَّ لوقتِهِنَّ أَدخَلْتُهُ الجنَّةَ، وَمَنْ لم يُحَافِظ عليهِنَّ، فَلاَ عَهْدَ لَهُ عِنْدِي).

ا هـ من جـ ١ ص ٢٢١ من ابن ماجه.

* * *

ومن سنن أَبي داود ـ باب ـ المحافظة على وقت الصلوات جـ ١، ص ١٢٣.

(١٢٢) عَن أبي قَتَادَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: قَال اللَّهُ تعالىَ: (إِنِّي فَرَضْتُ على أُمَّتِكَ خَمْسَ صلواتٍ، وعَهِدْتُ عنْدِي

شرح الحديث من شرح النووي على مسلم جـ ٣ ص ١٢ هامش القسطلاني

قال النووي ـ رحمه الله تعالى: أما ألفاظ الباب ـ فالخداج بكسر الخاء المعجمة ـ أي وبالدال، قال الخليل بن أحمد، والأصمعي، وأبو حاتم السجستاني، والهروي، وآخرون: الخداج النقصان. يقال: خدجت الناقة، إذا ألقت ولدها قبل أوان النتاج، وإن كان تام الخلق، وأخدجته إذا ولدته ناقصاً، وإن كان لتمام الولادة.

قالوا: فقوله ﷺ: خداج ـ أي ذات خداج ـ أي نقصان.

عَهْداً ـ أَنَّهُ من جَاءَ يُحافِظُ عليهِنَ، لوقتِهِنَّ، أَدخلتُهُ الجنَّةَ، وَمَنْ لم يحافِظْ عليهن فَلاَ عهْدَ لَهُ عِنْدِي).

* * *

وقال جماعة من أهل اللغة: خدجت وأخدجت ـ إذا ولدت لغير تمام.

وأم القرآن: اسم الفاتحة، لأنها فاتحته، كما سميت مكة أم القرى، لأنها أصلها، قال: وأما الأحكام ففيه وجوب قراءة الفاتحة، وأنها متعينة، لا يجزىء غيرها إلا لعاجز ـ ثم ذكر خلاف الأئمة في ذلك، وليس هذا الشرح محلاً لذكر هذا الخلاف، وقوله: **(اقرأ بها في نفسك)** استدل النووي على وجوب قراءتها على المأموم بقول أبي هريرة: اقرأ بها في نفسك ـ أي اقرأها سراً، بحيث تسمع نفسك.

ثم ذكر أيضاً أقوال الأئمة في ذلك وأدلتهم، فراجعه إن شئت. والله أعلم.

قوله: فإذا قال العبد: **(الحمد لله رب العالمين)** في شرح النووي ـ رحمه الله: قال العلماء: وقوله: حمدني عبدي، وأثنى علي عبدي، ومجدني ـ إنما قاله، لأن التحميد الثناء بجميل الفعال، والتمجيد الثناء بصفات الجلال.

ويقال: أثنى عليه في ذلك كله، ولهذا جاء جواباً ـ للرحمٰن الرحيم، لاشتمال اللفظين على الصفات الذاتية.

وقوله: **(وربما قال: فوض إلي عبدي)** ـ قال النووي ـ رحمه الله تعالى: وجه مطابقة هذا القول لقوله: **(﴿مالك يوم الدين﴾)** ـ أن الله تعالى هو المنفرد بالملك ذلك اليوم، وبجزاء العباد وحسابهم. ثم في هذا الاعتراف، من التعظيم والتمجيد، وتفويض الأمر ما لا يخفى. ا هـ.

وقوله: **(هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل)** أي هذا المذكور، وروى غير مسلم: هؤلاء لعبدي.

والمراد: هؤلاء الكلمات، أو هؤلاء الآيات.

وقوله: **(قسمت الصلاة الخ)** قال العلماء: المراد بالصلاة هنا الفاتحة، سميت بذلك، لأنها لا تصح إلا بها، كقوله ﷺ: **(الحج عرفة)** والمراد قسمتها من جهة المعنى، لأن نصفها الأول تحميد لله تعالى، وتمجيد وثناء عليه، وتفويض إليه، والنصف الثاني سؤال وطلب وتضرع وافتقار. ا هـ من شرح النووي.

حديث (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين)

أَخرجه الإمام مسلم في صحيحه، ـ باب ـ (وجوب قراءَة الفاتحة في كل ركعة) جـ ٣ ص ١٢ من هامش القسطلاني.

(١٢٣) حَدَّثَنَا إِسْحاق بن إِبراهيمَ الحنظَلِيُّ، أَخبَرَنَا سُفيانُ بن عُيَيْنَةَ عن العلاءِ ابن عبدِ الرَّحْمٰنِ، عن أَبيهِ، عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: مَنْ صَلَّى صَلاةً لم يقرأْ فيها بأُمِّ القرآنِ، فَهِيَ خِدَاجٌ، ثَلاثًا، غيرَ تَمَام، فقيلِ لأَبي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَراءَ الإِمَام، فقالَ: اقْرأْ بهَا في نَفْسِك، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ: قَسمتُ الصلاةَ بَيْنِي وبيْنَ عبدِي نِصْفَيْنِ، ولعبدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: حَمِدَني عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمٰن الرَّحِيم﴾ قَالَ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قَالَ اللَّهُ: مَجَّدني عبدِي ـ وقالَ مرَّةً: فَوَّضَ إليَّ عَبْدِي، فإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قَالَ: هذا بيني وبينَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِينَ﴾ ـ قَالَ: (هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ).

حديث (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين)

من موطإِ الإِمام مالك ـ رحمه اللّٰه تعالى ـ باب ـ (القراءَة خلف الإِمام فيما لا يجهر فيه بالقراءَة) جـ ١ ص ٤٣ هامش مصابيح السنة.

(١٢٤) حَدَّثَني يَحْيَى، عن مَالِكٍ، عن العَلاءِ بنِ عبدِ الرَّحمٰنِ بن يعقُوبَ، أَنَّه سَمِعَ أَبَا السَّائِبِ مولَى هِشَام بن زُهْرَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: مَن صلَّى صلاةً لم يقرأْ فيها بأُمِّ القرآنِ، فَهِيَ خِدَاجٌ، هِيَ خِدَاجٌ، هِيَ خِدَاجٌ، غَيْرُ تَمَام، ـ قَالَ: فقلتُ: يا أَبَا هُرَيْرَةَ، إِنِّي أَحْيَاناً أَكُونُ وَرَاءَ الإِمَام، قَالَ: فَغَمَزَ ذِرَاعِي، ثُمَّ قَالَ: اقْرَأْ بِهَا في نَفْسِكَ يَا فَارِسِيُّ، فَإِنِّي سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: قَسَمْتُ الصلاةَ بَيْنِي وبَيْنَ عَبْدِي بنصفيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، قَالَ رسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: اقرؤوا، يقُولُ العبْدُ: ﴿الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يقُولُ اللَّهُ ـ تبارَكَ وتَعَالَى ـ:

حَمِدَني عَبْدِي، وَيَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الرَّحْمٰن الرَّحِيم﴾ يَقُولُ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَيَقُولُ العَبْدُ: (مَالِكِ يَوْم الدِّينِ) يَقُولُ اللَّهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَيَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فَهِذِهِ الآيَةُ بَيْنِي وبينَ عَبْدِي، ولعبدي ما سأَلَ، يقُولُ العبدُ: ﴿اهْدِنَا الصِّراط المُسْتَقِيم صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ يَقُولُ اللَّهُ: (فَهَؤُلاَءِ لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ).

* * *

حديث (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين)

من صحيح الترمذي ـ باب ـ (سورة الفاتحة) من أَبواب تفسير القرآن جـ ٢ ص ١٥٧.

(١٢٥) عَنِ العلاءِ بنِ عبدِ الرَّحْمٰنِ، عن أَبِيهِ، عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَن رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال: من صَلَّى صلاةً لم يقرأْ فيهَا بأُمِّ القُرْآنِ، فَهِيَ خِدَاجٌ، وَهِيَ خِدَاجٌ، غَيْرُ تَمَام، قالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، إِنِّي أَحْيَاناً أَكُونُ وَرَاءَ الإِمَام، قالَ: يَا ابْنَ الفَارِسِيِّ، اقْرَأْ بِهَا في نَفْسِكَ، فإِنِّي سَمعتُ رسول اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وبين عَبْدِي نِصْفَيْنِ: فَنِصْفُهَا لِي، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، يَقْرَأُ الْعَبْدُ: ﴿الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَيَقُولُ اللَّهُ: حَمِدَني عَبْدِي، فَيَقُولُ: ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيم﴾ فَيَقُولُ اللَّهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فيقولُ: ﴿مَالِكِ يَوْم الدِّينِ﴾ فَيقولُ اللَّهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي. ـ وَهَذَا لعَبْدِي، وبَيْنِي وبَيْنَ عبدي: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وَآخِرُ السُّورةِ لِعَبْدِي ما سَأَلَ، يَقولُ: ﴿اهْدِنَا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾.

(قال أبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى: حديث حسن).

* * *

حديث (قسمت الصلاة) من سنن أبي داود ـ من باب (من ترك القراءَة في الصلاة) جـ ١ ص ٢٢٨.

(١٢٦) حَدَّثَنَا القَعْنَبيُّ، عَنْ مَالِكٍ، عن العَلاَءِ بنِ عبدِ الرَّحْمٰنِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا السَّائبِ مولَى هشَامَ بنِ زُهْرَةَ، يَقُولُ: سَمعتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يقولُ:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: مَنْ صَلَّى صلاةً لم يقرأْ فيها بأُمِّ القرآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ، فَهِيَ خِدَاجٌ، فَهِيَ خِدَاجٌ، غيرُ تَمَام، قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، إِنِّي أَكُونُ أَحياناً وَرَاءَ الإِمَام، قالَ: فَغَمَزَ ذِرَاعِي، وقالَ: اقْرَأْ بها يا فَارِسيُّ في نَفْسِكَ، فإِنِّي سمعتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صلى اللَّهُ عليه وسلم ـ يقولُ: قال اللَّهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ: فَنِصْفُهَا لِي، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلَعبْدِي مَا سَأَل سَأَلَ، قالَ رسول اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اقْرَأُوا، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ﴾ يَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ حَمِدَني عَبْدِي، يَقولُ: ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ: أَثنَى عليَّ عبدِي، ـ يَقُولُ العبدُ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: مَجَّدَني عبدِي، يقولُ العبدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يَقُولُ اللَّهُ: وهذهِ بيني وبين عبدِي، ولعبْدِي ما سأَلَ، يَقُولُ العَبْدُ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ يَقُولُ اللَّهُ: فَهَؤُلاءِ لِعَبْدِي وَلِعبدِي مَا سَأَلَ).

* * *

حديث (قسمت الصلاة) من سنن ابن ماجه ـ باب ـ (ثواب القرآن) جـ ٢ ص ٢١٧.

(١٢٧) حَدَّثَنَا أَبو مروانَ محمدُ بن عثمانَ العثمَانِي، حَدَّثَنَا عَبْدُ العزيزِ بنُ أَبي حَازِم، عن العلاءِ بن عبدِ الرَّحمنِ، عن أَبيهِ، عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سمعتُ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: قالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: قسمتُ الصلاة بيني وبين عبدِي شطرين: فنصفها لي، ونصفُهَا لعبدِي، ولعبدِي ما سأَلَ، قال: فقال رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: اقرأُوا، يقولُ العبدُ: ﴿الحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَيَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: حَمِدَني عَبْدِي، وَلعبدِي ما سأَلَ، فيقولُ: (الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ) فيقولُ أَثْنَى عليَّ عبدِي ولعبدِي ما سأَلَ، يقولُ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فَيَقُولُ اللَّهُ: مَجَّدَني عَبْدِي، فهذَا لي، ـ وهذه الآيَةُ بيني وبينَ عبدِي نِصْفَيْنِ، يقولُ العبدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ يَعْني ـ فَهَذِهِ بَيني وبينَ عبدِي، ولعبدِي ما سَأَل، وآخرُ السورةِ لعبدِي، يقولُ العبدُ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ (فَهَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ).

حديث (قسمت الصلاة) من سنن النسائي ـ من باب ـ من ترك قراءة «بسم الله

الرحمن الرحيم» في فاتحة الكتاب جـ٢ ص١٣٥ ـ ١٣٦.

(١٢٨) عَنِ السَّائِبِ مَوْلَى هِشَام بْنِ زُهْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ـ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: مَنْ صَلَّى صَلاَةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ، هِيَ خِدَاجٌ، هيَ خِدَاجٌ، غَيْرُ تَمام، فَقُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، إِنِّي أَحْيَانًا أَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَام، فَغَمَزَ ذِرَاعِي، وَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا يَا فَارِسِيُّ في نَفْسِكَ، فَإِنِّيَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: يَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي، وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ: فَنِصْفُهَا لي، وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، قَالَ رَسُولُ الله ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ اقْرَأُوا: يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ للَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يَقُولُ الله ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: حَمِدَني عَبْدِى، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ﴾ يَقُولُ الله: أَثْنىَ عَلَيَّ عَبْدِي، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ـ: مَجَّدَني عَبْدِي، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فَهَذِهِ الْآيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، ـ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، يَقُولُ الْعَبْدُ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوب عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾ ـ فَهَؤُلاءِ لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ).

وفي النسائي أيضاً ـ باب ـ تأويل قول الله عز وجل.

﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ جـ٢ ص١٣٩.

(١٢٩) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنْ أُبيِّ بْنِ كَعْب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهُ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في التَّوْرَاةِ، وَلاَ في الإِنْجِيلِ، مِثْلَ أُمِّ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وهَيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ.

(قوله: ما أنزل الله عز وجل في التوراة... الخ) قال القرطبي في التفسير من سورة الفاتحة: **(روى الترمذي عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني وهي مقسومة بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأله)**... ثم قال القرطبي:

والحديث خرجه البخاري عن أبي سعيد بن المعلى: قال كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: ألم يقل الله: **(استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم؟)** ثم قال: لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: **﴿الحمد لله رب العالمين﴾** هي السبع المثاني، **﴿والقرآن العظيم الذي أوتيته﴾**. ا هـ من القرطبي.

حديث (الملائكة يتعاقبون فيكم)

أَخرجه البخاري في كتاب الصلاة ـ باب (فضل صلاة العصر).

وأَخرجه في كتاب بدءِ الخلق ـ باب ـ (ذكر الملائكة) جـ ٤ ص ١١٣ ـ ولفظه:

(١٣٠) حَدَّثَنَا أَبو اليمانِ، أَخبرنا شعيبٌ، حَدَّثَنَا أَبو الزنَادِ، عن الأعرجِ، عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ المَلائِكَةُ يتعاقَبُونَ: مَلاَئِكَةٌ بالليل، وملائكةٌ بالنَّهارِ، ويجتمعونَ في صلاةِ الفجرِ، وصلاةِ العصرِ، ثم يعرُجُ الذينَ باتُوا فِيكمْ، فيسأَلُهُمْ ـ وَهُوَ أَعْلَمَ ـ فَيَقُولُ: كَيْفَ تركْتُمْ عِبَادِي؟ فيقولون: تركناهُم وهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ يُصَلُّونَ.

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً في كتاب التوحيد ـ جـ ١٠ ص ٤٣١. ـ باب ـ (كلام الرب مع جبريل، ونداءِ الملائكة) ولفظه:

(١٣١) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عنِ أَبي الزنادِ، عن الأَعْرَجِ عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ قَالَ: يَتَعَاقَبُونَ فيكُمْ: مَلائكةٌ بالليل، وملائكة بالنَّهارِ، ويجتمعونَ في صلاةِ العصرِ، وصلاةِ الفجرِ، ثمَّ يعرُجُ الذينَ باتُوا فيكم، فيسأَلُهُمْ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ بكم، فيقولُ: كيْفَ تركْتُمُ عِبَادِي؟ فيقولونَ: تركنَاهُمْ، وَهُمْ يُصَلُّونَ، وأَتَيْناهُمْ وهم يُصَلُّونَ.

* * *

شرح الحديث ملخصاً من القسطلاني في كتاب الصلاة

التعاقب: أن تأتي جماعة عقب الأخرى، ثم تعود الأولى عقب الثانية، وتنكير ملائكة في الموضعين، ليفيد أن الثانية غير الأولى، كما قيل في قوله تعالى: ﴿**إن مع العسر يسرا**﴾: أنه استئناف، وعده تعالى بأن اليسر مشفوع بيسر آخر، لقوله ﷺ: (**لن يغلب عسر يسرين**) فإن العسر معرف فلا يتعدد: سواء كان للعهد أو للجنس، واليسر منكر، فيكون الثاني غير الأولى.

والمراد بالملائكة الحفظة عند الأكثرين، ـ وتعقب بأنه لم ينقل أن الحفظة يفارقون العبد، ولا أن حفظة الليل غير حفظة النهار.

وقال القسطلاني في بدء الخلق ـ في هؤلاء الملائكة الذين يتعاقبون: (**وقال الأكثرون**

وأَخرجه النسائي ـ من باب (فضل صلاة الجماعة) جـ ١ ص ٢٤٠.

(١٣٢) بلفظ مثل رواية البخاري الثانية ـ إلا أَنه قال: (وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ) وقدَّمَ صلاةَ الفجْر على صَلاَةِ الْعَصْرِ.

* * *

(١٣٣) وكذا أَخرجه الإِمام مالك ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في الموطإِ من (باب جامع الصلاة) بلفظ: (وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ) وقال: (يَجْتَمِعُونَ في صَلاَةِ الْعَصْرِ، وَصَلاَةِ الْمَغْرِبِ).

هم حفظة الكتاب. ا هـ أي فيكونون حفظة على الكتبة الذين يكتبون الأعمال).

وقوله: **(ثم يعرج الذين باتوا فيكم)** ذكر الذين باتوا، دون الذين ظلوا فيكم، أما للاكتفاء، بذكر أحد المثلين عن الآخر، نحو **(﴿سرابيل تقيكم الحر﴾)** أي والبرد، وأما لأن طرفي النهار يعلم من طرفي الليل، وأما لأنه استعمل بات بمعنى ـ أقام ـ مجازاً، فلا يختص ذلك بليل دون نهار.

ويؤيد هذا ما رواه النسائي عن موسى بن عقبة، عن أبي الزناد: ـ **(ثم يعرج الذين كانوا فيكم)**.

بل في حديث الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عند أبي خزيمة مرفوعاً ما يغني عن كثير من الاحتمالات ـ ولفظه:

(يجتمع ملائكة الليل ـ وملائكة النهار، في صلاة الفجر، وصلاة العصر، فيجتمعون في صلاة الفجر، فتصعد ملائكة الليل، وتثبت ملائكة النهار، ويجتمعون في صلاة العصر، فتصعد ملائكة النهار، وتثبت ملائكة الليل، فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم).

والسؤال لإظهار فضل بني آدم للملائكة، لأنهم يجيبون بالثناء عليهم، فيكون ذلك شهادة من الملائكة لبني آدم، وذلك شرف لهم. ا هـ.

نسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يجعلنا من الذين تشهد لهم الملائكة بالخير والصلاح، ويجعلنا من الذين آمنوا الذين تستغفر لهم الملائكة، ويقولون في حقهم: **(ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم أنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم).**

١٤ ـ (في فَصلِ صلاةِ الضُّحَى)

أَخرجه الإِمام الترمذي ـ باب ـ (صلاة الضحى) جـ ١ ص ٩٥.

(١٣٤) عنْ أَبي الدَّرْدَاءِ، وَأَبي ذَرٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ عن رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَالَ: ابنَ آدمَ، ارْكَعْ لي منْ أَولِ النهَارِ ـ أَربَعَ رَكَعَاتٍ. أَكفكَ آخِرَهُ.

قال الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى: حديث حسن صحيح.

* * *

وأَخرجه أَبو داود في سننه ـ من باب صلاة الضحى ـ جـ ١ ص ٣٥٧ فقال:

(١٣٥) حَدَّثَنَا دَاودُ بنُ رَشيدٍ، حَدَّثَنَا الوليدُ، عن سعيدِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، عَنْ مَكْحُولٍ، عن كَثِيرِ بْنِ مُرَّةَ، عن نعيم بن هَمَّازٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول اللَّهِ ـ صَلى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ يَقوُلُ: يَقُولُ الله ـ عزَّ وجَلَّ: يَا ابْنَ آدَمَ، لاَ تُعْجِزْنِي من أَرْبَع رَكَعَات في أَوَّلِ نهارِكَ، أَكْفِكَ آخرَهُ.

قوله: **(لا تعجزني من أربع ركعات)** أي لا تترك أربع ركعات أول النهار، عجزاً منك عن عبادتي، فلا تفوتك صلاة الركعات الأربع أول النهار، أكفك شر آخره.

قال في القاموس: أعجزه الشيء: فاته. ا هـ أي لا تفوت على نفسك ثواب هذه الركعات الأربع. ا هـ.

والحديثان يستفاد منهما استحباب صلاة الضحى، وهي سنة مؤكدة، وأقلها عند الشافعية ركعتان، وأفضلها ثمان، ويجوز أن تصلي ثنتي عشرة ركعة، وفعلها ثمانياً أفضل.

ويدخل وقتها بارتفاع الشمس إلى الزوال، وصلاتها إذا مضى ربع النهار أفضل، ليكون في كل ربع من أرباع النهار صلاة. والله أعلم.

وقوله: **(أكفك آخره)** أي يكفيه الله تعالى شر آخر النهار: الحسية كالآفات، أو الشرور المعنوية كحفظه من شرور المعاصي. والله أعلم.

حديث (إن أَول ما يحاسب به العبد يوم القيامة هو صلاته)

أَخرجه النسائي في سننه ـ (باب المحاسبة على الصلاة) جـ ١ ص ٢٣٢ ـ فقال:

(١٣٦) عَنْ هَمَّام، عن قتَادَةَ، عَن الحَسَنِ، عن حُرَيْثِ بن قَبيصَةَ، قالَ: قدِمْتُ المدِينَةَ، قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَجَلَسْتُ إِلَى أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قالَ: فقلتُ: إِنيِّ دعوتُ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَن يُيَسِّرَ لي جَلِيسًا صالحًا، فَحَدِّثْنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ رسولِ اللَّهِ ـ صلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لعلَّ اللَّهَ أَنْ ينفعَني بهِ، قَالَ: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عليهِ وسَلَّمَ ـ يَقُولُ؛ إِنَّ أَوَّلَ ما يُحاسبُ به العبدُ بصلاتِهِ، فَإِنْ صَلَحَتْ فقد أَفلح وأَنْجحَ، وَإِن فسدت فقد خابَ وخَسِرَ، قال همَّامٌ: لا أَدرِي هذا من كلامِ قتادةَ، أَو من الرِّوايةِ؟ فإِن انتقصَ من فريضتهِ شيءٌ، قال: انظروا، هل لِعَبْدي من تطوُّع؟ فيُكمِّلُ ما نقصَ من الفريضةِ، ثمَّ يكونُ سائرُ عَملهِ على نحو ذلك.

* * *

(١٣٧) وأَخرجه عن أَبي هُرَيْرَةَ أَيضًا، أَنَّ النَّبيِّ ـ صلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وسَلَّمَ ـ قالَ: إِنَّ أَوَّل ما يُحاسبُ بهِ العبدُ يومَ القيامةِ صلاتُهُ، فَإِن وجدتْ تامَّةً، كُتِبَتْ تامَّةً، وَإِن كان انتقَصَ مِنْهَا شيءٌ قَال: انظُرُوا هل تَجِدُونَ له من تطوُّع؟ يُكَمِّلُ له ما ضيَّعَ من فريضةٍ من تطوعِهِ، ثم سائرُ الأَعمالِ تجري عَلى حسَبِ ذَلِكَ.

* * *

(١٣٨) وأَخرجه أَيضًا عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن رسولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ـ قالَ: أَوَّلُ ما يُحَاسَبُ به العبدُ صلاتُهُ فَإِن كان أَكمَلَهَا، وَإِلاَّ قالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ: انظُرُوا هل لِعَبْدي من تطَوُّع، فإِن وُجد لَهُ تَطُّوعٌ، قال: أَكْمِلُوا به الفريضَةَ.

* * *

وأَخرجه ابن ماجه في سننه، من باب (ما جاءَ في أَول ما يحاسب به العبد الصلاة).

(١٣٩) عن تميم الدَّارِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عنِ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وسَلَّمَ ـ

قالَ: أَوَّلُ ما يُحَاسَبُ بِهِ العبدُ يومَ القيامةِ صَلاتُهُ، فَإِن أَكْمَلَهَا كُتِبَتْ لَهُ نافِلَة، فَإِن لم يكن أكملَهَا، قَال اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِمَلاَئِكَتِهِ: انظُرُوا هل تجدونَ لعبدي من تطوُّع؟ فَأَكْمِلُوا بها ما ضيَّعَ من فريضتِهِ، ثُمَّ تُؤخَذُ الأَعْمَالُ عَلى حسبِ ذلك.

* * *

وأَخرجه أَبو داود في سننه بروايتين: الأُولى عن أَبي هُرَيْرَةَ، والثانية؛ عن تميم الداري، كلتاهما من باب (كل صلاة لم يتمها صاحبها تتم من تطوعه).

أَما رواية أَبي هُرَيْرَةَ فقال فيها:

(١٤٠) حَدَّثَنَي يعقوبُ بنُ إِبراهيمَ، حَدَّثَنَا إِسماعيلُ، حَدَّثَنَا يونُسُ عن الحسنِ، عن أَنسِ بن حكيم الضَّبيِّ ـ خافَ من زيَاد ـ أَو ابن زيَادٍ ـ فأَتى المدينَةَ، فَلَقي أَبَا هُرَيْرَةَ، قال: فنسبَني، فانتسبتُ له، فقالَ: يا فتَى، ألا أُحدِّثُكَ حديثًا؟ قلتُ: بَلَى، رَحمَكَ اللَّهُ، قال يونسُ: أَحسبُهُ ذَكَرَهُ عن النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ أَوَّلَ ما يُحَاسبُ النَّاسُ به يومَ القيامةِ من أَعمالِهِمْ الصَّلاةُ، قالَ: يقولُ ربُّنَا جَلَّ وَعَزَّ ـ لمَلاَئِكَتِهِ ـ وهوَ أَعلمُ ـ: انظُرُوا في صَلاةِ عَبْدِي: أَتَمَّهَا أَم نقَصَهَا؟ فَإِن كانت تامَّةً، كُتِبَت له تامَّةً، وإِن كان انتقصَ منها شيئًا، قال: انظُرُوا، هل لعبدي من تطوُّع؟ فَإِن كانَ لهُ تطوُّعٌ، قالَ: أَتمُّوا لعبدي فريضتَهُ من تَطَوُّعِهِ، ثمَّ تُؤخَذُ الأَعْمَالُ على ذاكُمْ.

* * *

وقال في رواية تميم الداري:

(١٤١) حَدَّثَنَا مُوسى بن إِسماعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عن داود بن أَبي هندٍ، عن زُرَارَةَ بن أَبي أَوفَى، عن تميم الدَّارِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بهذَا المعنَى ـ وَزَادَ فيه: (ثُمَّ الزَّكَاةُ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ تُؤخَذُ الأَعْمَالُ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ).

الكلام على شرح الحديث الأول

قوله ﷺ: **(ان أول ما يحاسب به العبد بصلاته)** قوله: بصلاته بدل من الجار والمجرور ـ وهو ـ به ـ فكأنه قال: ان أول ما يحاسب العبد بصلاته. فأول الأعمال التي يحاسب العبد عليها، ويدقق عليه فيها هو صلاته.

.....

والظاهر: أن المراد الأعمال الظاهرية التي هي أركان الإسلام، لأن الإيمان هو أول ما يحاسب عليه العبد، فيحاسب أولاً على الإيمان، وهو عمل قلبي، فإذا خلص للعبد الإيمان الذي يتبعه النطق بالشهادتين، ينتقل به إلى الحساب على بقية أركان الإسلام فيبدأ بالحساب على الصلاة، لأنها عماد الدين، فمن أقامها فقد أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين، ولأنها تتكرر في أيام العمر كلها، خمس مرات، كل يوم وليلة، بخلاف بقية أركان الإسلام، فالزكاة قد لا تجب على كثير من الناس، وهم الفقراء، والصيام في كل سنة شهر واحد، والحج في العمر مرة واحدة، ولا يجب إلا على المستطيع.

والمقصود من الحديث بيان فضل الله تعالى، حيث إنه يكمل انتقاص الفريض بالتطوع منها، فيقول لملائكته ـ وهو أعلم منهم: انظروا إلى عبدي هل له من تطوع؟ فإن كان له تطوع فهو يكمل ما انتقص من صلاته: سواء كان النقص منها نقصاً في أداء فرضها، أم نقصاً في كمالها خشوعاً ومبادرة بفعلها وكونها جماعة أو نحو ذلك، ثم يؤخذ حسابه على بقية الأعمال من الزكاة والصوم والحج على حسب ذلك، أي إذا كان الفرض فيها كاملاً فذاك، وإلا كمل له نقص الفريضة منه بالتطوع.

والحديث يفيد وجوب المحافظة على الفرائض، حيث لا تفريط، في الحساب عنها، كما أنه يفيد استحباب كثيرة التطوع في الصلاة والزكاة والصوم والحج ليكون التطوع جابراً للفريضة والله أعلم.

حديث (أَتاني ربي في أَحسن صورة)

أَخرجه الترمذي في جامعه ـ باب ـ (سورة ص) جـ ٢ ص ٢١٤ ـ ٢١٥.

(١٤٢) عن ابن عبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: أَتَانِي ربيِّ فِي أَحسنِ صُورَةٍ ـ قَالَ: أُحسِبُهُ ـ فِي المنَام، قَالَ: كَذَا فِي الحديثِ، فَقَالَ: يا مُحَمَّدُ، هل تدرِي فيم يَخْتَصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ قَالَ: قُلْتُ: لاَ، قَالَ: فوضعَ يدهُ بين كتفيَّ، حتىَّ وجدتُ بردهَا بينَ ثدييَّ، أَو قَالَ: في نحرِي فعلِمتُ ما في السَّمواتِ وما في الأَرضِ، قَالَ: يا مُحَمَّدُ، هل تدرِي فيمَ يختصِمُ الملأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: نعم، قَالَ: فِي الكَفَّارَاتِ، والكَفَّارَاتُ: المُكْثُ في المساجدِ بعد الصَّلواتِ، والمشيُ على الأَقدام إِلى الجمَاعَاتِ، وإِسباغُ الوضوءِ على المكارهِ، وَمَن فَعَل ذَلِكَ عاشَ بخيرٍ، وماتَ بخيرٍ، وكَانَ من خطِيئَتِهِ، كيومِ وَلَدتهُ أُمُّهُ، وَقَالَ: يا مُحَمَّدُ، إِذَا صلَّيْتَ فقُلِ: اللَّهُمَّ أَسأَلكَ فِعلَ الخيراتِ، وترك المُنكَرَاتِ، وحُبَّ، المساكينِ، وإِذَا أَردتُ بعبادكَ فتنةً، فاقبِضني إِليكَ غيرَ مفتُونٍ، قَالَ: وللدَرَجَاتِ إِفشاءُ السَّلاَم، وإِطعامُ الطَّعام، والصَّلاَةُ باللَّيلِ والنَّاسُ نِيَامٌ.

قال أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى:

وقد ذكروا بين أَبي قلابة، وبين ابن عباس في هذا الحديث رجلاً. ـ وأَبو قلابة من رجال السند، وهو الذي قبل ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

* * *

(١٤٣) وفي رواية أُخرى ـ عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: أَتانِي ربيِّ في أَحسنِ صُورةٍ، فَقالَ: يا مُحَمَّدُ، قُلتُ: لَبَّيْكَ رَبيِّ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فيمَ يختصِمُ الملأُ الأَعلَى؟ قُلتُ: ربيِّ لا أَدرِي، فَوَضَعَ يدهُ بينَ كتفَيَّ، فوجدتُ بردَهَا بين ثدييَّ، فعلِمتُ ما بينَ المشرقِ والمغربِ، قَالَ: يا مُحَمَّدُ، فقلتُ لبيكَ ربيِّ وسعديكَ، قال: فيمَ يختصِمُ الملأُ الأَعْلَى؟ قلتُ: في الدَّرَجَاتِ، والكفَّاراتِ، وفي نقلِ الأَقدَامِ إِلى الجماعَاتِ، وإِسباغ الوضُوءِ في المكْرُوهاتِ، وانتظارِ الصَّلاَة بعد الصَلاَةِ، ومن يُحَافِظ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بخيرٍ، وماتَ بخيرٍ، وكانَ من ذُنُوبهِ كيومِ وَلَدتهُ أُمُّهُ.

قال أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه ـ: حديث حَسَنٌ غريب.

(ملحوظة): حديث ابن عباس الثاني في سنده أَبو قلابة، عن خالد بن اللجلاج، عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما.

وخالد بن اللجلاج هو الذي قال عنه الترمذي في الحديث الأَول: إِنه لم يذكر، فقد عرف بذلك.

* * *

وأَخرجه الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ من رواية أُخرى عن معاذ بن جبل رضي اللَّه عنه.

* * *

(١٤٤) فقالَ: احتبَسَ عنَّا رسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ ذَاتَ غداةٍ عن صلاةِ الصبح، حتى كدنَا نترَايَا عَيْنَ الشَّمْسِ، فخرجَ سَرِيعًا، فثوَّبَ بِالصَّلاةِ، فَصلَّى رسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وتجوَّزَ في صَلاتِهِ، فلمَّا سَلَّمَ دعا بصوتِهِ، قال لنَا: على مصَافِّكُمْ كما أَنتمْ، ثُمَّ انفتَلَ إِلينَا، ثُمَّ قَالَ: أَما إِنِّي سأُحَدِّثُكُم ما حبَسَني عنكُمُ الغداةَ، إِنِّي قُمتُ من اللَّيْلِ فَتَوضَّأْتُ، وصَلَّيتُ ما قُدِّرَ لي، فنعستُ في صلاتِي حتَّى استثقَلتُ، فَإِذَا أَنا بربِّي ـ تباركَ وتعالَى ـ في أَحسنِ صُورةٍ، فقال: يا محمدُ، قُلتُ: لبيكَ ربِّ، قال: فيمَ يختصِمُ المَلأُ الأَعْلَى؟ قُلتُ: لا أَدري، قالها ثلاثًا، قال: فرأَيتُهُ وضعَ كفَّهُ بين كَتِفَيَّ، حتى وجدتُ بردَ أَنامِلِهِ بين ثدييَّ، فتجلَّى لي كلُّ شيءٍ وعرفت، فقال: يا محمدُ، قُلتُ: لبيكَ رَبِّ، قالَ: فيمَ يختصِمُ الملأُ الأَعلى؟ قلتُ: في الكفَّاراتِ، قال: ما هُنَّ؟ قال مَشيُ الأَقدام إِلى الحسناتِ، والجلوسُ في المساجدِ بعد الصلواتِ، وإِسباغُ الوضوءِ حين الكَرِيهَاتِ، قالَ: فيمَ؟ قلتُ: إِطعام الطَّعام، وَلينِ الكلام، والصلاةِ بالليلِ والنَّاسُ نِيَامٌ، قال: سل، قُلتُ:

(شرح حديث أتاني ربي في أحسن صورة)

أقول: ان أول ما يجب على المؤمن أن يعتقد تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه، قال تعالى: ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ وقال تعالى: ﴿**قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد**﴾.

واعتقاد غير ذلك مخل بالإيمان، واتفق أئمة المسلمين قاطبة على أن ما ورد من الكتاب والسنة مما ظاهره يوهم تشبيه الله تعالى ببعض خلقه، يجب الإيمان بأن ظاهره غير مراد، ولا يصح وصف الله تعالى بما يفيده هذا الظاهر من حيث عمومه.

اللَّهُمَّ، أَسأَلُكَ فِعلَ الخيراتِ، وتركَ المُنكرَاتِ، وَحُبَّ المساكِينِ، وأَن تغفرَ لي، وترحمَني، وإِذا أَرَدت فِتنةَ قوم فتَوَفَّني غيرَ مفتُون، أَسأَلُكَ حُبَّكَ، وحُبَّ من يُحبُّكَ، وَحُبَّ عمل يقربُ إِلي حُبِّكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ: إِنَّهَا حقٌّ، فادرُسُوهَا، ثُمَّ تعَلَّمُوها.

بل يسمون مثل هذا بالمتشابه، ولعلماء الأمة فيه مذهبان: مذهب السلف ومذهب الخلف فمذهب السلف يعتقدون أن ظاهره غير مراد، ويفوضون علمه إلى الله مع إيمانهم بأن الله تعالى منزه عن مشابهة خلقه، ولا يعينون معنى خاصاً، لهذا التشابه، بل عقيدتهم هي التفويض الكلي في علمه إلى الله تعالى، أخذاً بقول الله تعالى: ﴿**وما يعلم تأويله إلا الله**﴾ ثم يبدأون في القراءة بقوله تعالى: ﴿**والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب**﴾.

ومذهب الخلف مع اعتقادهم تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه ـ يؤولون اللفظ المتشابه بمعنى ليس من المستحيل إطلاقه على الله تعالى، ـ مثلاً يؤولون الصورة هنا المذكورة في قول النبي ﷺ: (**أتاني ربي في أحسن صورة**) ـ وفي قوله: (**فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة**) فيقولون: الصورة مراد بها صفات الجلال والكمال التي تليق به تعالى، وهي التي تجلى بها ربه له ﷺ.

كما أنهم يقولون: إن وضع الكف بين كتفيه ﷺ هو كناية عما أفاض ربه على قلبه ﷺ من العلوم والمعارف، لأن القلب يحاذي ذلك المكان من البدن. بدليل قوله ﷺ: (**حتى وجدت برد ذلك بين ثديي**) والمقصود من ذلك امتلاء قلبه ﷺ بالعلوم التي تطمئن قلبه، فإن اليقين يثلج الصدر، ويطمئن القلب كما قال الخليل ﷺ: (**ولكن ليطمئن قلبي**) والذي يقوي ذلك أيضاً قوله ﷺ بعد ذلك: (**فعلمت ما في السموات وما في الأرض**).

وفي رواية: (**فعلمت ما بين المشرق والمغرب**) ـ وفي رواية: (**فتجلى لي كل شيء وعرفت**) وكانت نتيجة امتلاء قلبه ﷺ بالعلوم والمعارف ان أجاب عن سؤال ربه تعالى: (**في أي يختصم الملأ الأعلى؟**) والله أعلم.

والملأ الأعلى الملائكة الكرام سكان السموات وما فوقهن من الكرسي والعرش، والحافين بالعرش. واختصاصهم في ذلك يحتمل وجهين: أحدهما أنهم يتخاصمون في التسابق إلى كتاب ثواب هذه الأمور ـ أو يتخاصمون في معرفة كنه ثوابها، فبعضهم يزيد عن الآخر في تقديره له.

الوجه الثاني ـ يحتمل أنهم يتمنون أن يكونوا من أهل الأرض، حتى يتمكنوا من التسابق في هذه الأعمال، لما أنهم على يقين من جزيل ثوابها، وحسن عاقبتها.

ثم إن في بعض هذه الروايات إجمالاً، يفسره بعض ما ورد في الروايات الأخرى. فالمفهوم من جملة الروايات الثلاث أن الملأ الأعلى يختصمون في شيئين: في الكفارات

قال أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى: حديث حسن صحيح.

وفي الدرجات أي في الأعمال التي تكون سبباً لتكفير الذنوب والخطايا، وفي الأعمال التي تكون سبباً في رفع الدرجات ثم بين الكفارات بأنها مشي الأقدام إلى الحسنات من صلاة جماعة أو حضور علم أو زيارة مريض أو غيرها والجلوس في المساجد لانتظار الصلوات، وإسباغ الوضوء على المكاره.

ورفع الدرجات يكون بإطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة بالليل والناس نيام. والله أعلم.

والمراد بإسباغ الوضوء على المكاره هو الوضوء في البرد وغيره ومثله جميع أنواع الطهارات والله أعلم.

حديث (قول اللَّه تعالى: انظروا إلى عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أُخرى)

أَخرجه ابن ماجه في سننه ـ باب ـ (لزوم المساجد وانتظار الصلاة) جـ ١ ص ١٣٨.

* * *

(١٤٥) عن عبدِ اللَّهِ بن عَمْرو أَي ابن العاص ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: صَلَّينَا مع رسولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ المغربَ، فرجعَ من رجعَ، وعقَّبَ من عقَّبَ، فجاءَ رسولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ مُسرعًا، قد حفَزهُ النَّفَسُ، وقد حَسَرَ عن رُكبتيهِ، فقالَ: أَبشِرُوا، هذا ربُّكُمْ، قد فتحَ بَابًا من أَبوابِ السماءِ، يُباهِي بكمُ الملائِكَةَ، يَقُولُ: انظُرُوا إِلى عَبَادي قد قضوا فريضَةً، وهم ينتظِرُونَ أُخْرَى.

(شرح حديث قول الله تعالى: انظروا إلى عبادي... الخ)

معاني الألفاظ اللغوية نقلاً عن مختار الصحاح

قوله: **(وعقب من عقب)** عقب بتشديد القاف ـ قفل ـ من التعقيب، في المختار: التعقيب في الصلاة: الجلوس بعد أن يقضيها لدعاء أو مسألة، وفي الحديث: **(من عقب في صلاة، فهو في الصلاة)**. ا هـ مختار.

قوله: **(قد حفزه النفس)** في المختار حفزه دفعه من خلفه، ورأيته محتفزاً، مستوفزاً. ا هـ والنفس، بفتح الفاء بمعنى التنفس، أي إن إسراعه أخرج منه النفس كثيراً كأنه يدفعه.

قوله: **(وقد حسر عن ركبتيه)** أي أنه من إسراعه أمسك بطرف ثوبه، فانكشفت ركبتاه.

قوله: **(قد فتح باباً من أبواب السماء)** أي من أبواب رحمته، ومنها مباهاته بالمؤمنين الملائكة الكرام، وإن انتظار الصلاة الثانية بعد قضاء الأولى من أبواب الخير والرحمة.

وفي الحديث بيان فضل المكث في المساجد لانتظار الصلاة المستقبلة، فالمساجد خير البقاع وفي المكث فيها انقطاع إلى الله في بيوته، ويشترط أن يلتزم بحرمة المساجد، فلا يلهو ولا يتكلم بلغو. والله أعلم.

١٥ ـ (ما جاء في الانفاق وفضله)

حديث: (أَنْفِقْ يا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ)

أَخرجه البخاري في كتاب النفقات، وفضل النفقة جـ ٧ ص ٧٢.

(١٤٦) حَدَّثَنَا إسماعيلُ، قَالَ: حَدَّثَنِي مالكٌ، عن أَبي الزِّنادِ، عن الأَعرج، عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رسولَ اللَّه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: قَالَ اللَّهُ: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ، أُنْفِقْ عَلَيْكَ.

* * *

وأَخرجه البخاري في كتاب التفسير، من سورة هود ـ باب ـ قوله تعالى: ﴿وكان عرشه على الماءِ﴾ بلفظ أَطول مما هنا ـ جـ ٧ قسطلاني ص ١٦٩.

(١٤٧) عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: أَنْفِقْ أُنفِقْ عَلَيْكَ، وقَالَ: يدُ اللَّهِ ملأَى، لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سحَّاءُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ، وقالَ: أَرَأَيتُمْ ما أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ والأَرضَ، فَإِنَّهُ لم يغض ما في يَدِهِ، وكانَ عَرشُهُ على الماءِ، وبِيَدِهِ الميزَانُ.

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضًا في كتاب التوحيد ـ باب ـ ﴿وكان عرشه على الماءِ﴾ إِلا أَنه لم يذكر فيه: (أَنفق أُنْفِق عليك) جـ ١٠ قسطلاني ص ٣٧٢ ولفظه:

(١٤٨) حَدَّثَنَا أَبوُ هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عنِ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ يمينَ اللهِ مَلأَى، لاَ يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، أَرَأَيْتُم ما أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمواتِ والأَرضَ، فَإِنَّهُ لم يَنْقُصْ ما في يمينِهِ وعَرْشُهُ على الماءِ، وبيدِهِ الأُخْرَى الفَيْضُ، أَوِ القَبْضُ، يرفعُ، ويَخفِضُ.

ولا يُعَدُّ هذا الحديث بهذه الرواية حديثًا قدسيًا، وذكرته إِتمامًا للفائدة وأَخرج هذا الحديث الإِمام مسلم في صحيحه ـ باب ـ (الحث على النفقة، وتبشير المنفق

بالخلف) من كتاب الزكاة ـ جـ ٤ ص ٣٥٩ وما بعدها ـ هامش القسطلاني ولفظه بعد السند:

(١٤٩) عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يبلُغُ به النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وتعَالَى ـ: يا ابنَ آدَمَ، أَنفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ، وقَالَ: يمينُ اللَّهِ ملأَى سَحَّاءُ، لاَ يَغِيضُهَا شيءٌ اللَّيلَ والنَّهَارَ.

وفي رواية أُخرى لمسلم، قال:

(١٥٠) حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن رسولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَذكرَ أَحاديثَ، منها:

وقَالَ: قَالَ رسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللَّهَ تباركَ وتعالَى ـ قال لي: أَنفقْ أُنفِقْ علَيْكَ، وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يمينُ اللَّهِ ملأَى، لا يَغَيضُهَا شيءٌ، سَحَّاءُ الليْلَ والنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ ما أَنفقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمٰواتِ والأَرضِ؟

شرح الحديث من شرح القسطلاني جـ ٨ ص ٢٢٠

(حدثنا إسماعيل) بن أبي أويس **(قال: حدثني مالك)** الإمام **(عن أبي الزناد)** عبد الله بن ذكوان **(عن الأعرج)** عبد الرحمٰن بن هرمز **(عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: قال الله)** تعالى: **(أنفق)** بفتح الهمزة، وكسر الفاء، وسكون القاف، أمر من الإنفاق **(يا ابن آدم، أنفق عليك)** ـ بضم الهمزة والجزم، في جواب الأمر ـ وقوله: **(أنفق أنفق عليك)** قال في شرح المشكاة: هو من باب المشاكلة، لأن إنفاق الله تعالى لا ينقص من خزائنه شيئاً ـ كما قال: **(يد الله ملأى، لا يغيضها نفقة)**.

وإليه يشير قوله تعالى: ﴿**ما عندكم ينفد وما عند الله باق**﴾، فخزائن الله لا تنفد أبداً.

وقوله: **(يد الله ملأى)** كناية عن خزائنه التي لا تنفد بالعطاء **(لا يغيضها أي لا ينقصها نفقة، سحاء الليل والنهار)** الليل والنهار منصوبان على الظرفية، **(وسحاء)** أي دائمة الصب والهطل بالعطاء، ووصفها بالامتلاء لكثرة عطائها، فجعلها كالعين التي لا ينقصها كثرة الاستقاء منها.

(وقال: أرأيتم) أي أخبروني ـ وفيه حملهم على الإقرار بما بعده **(ما أنفق أي الذي أنفقه منذ خلق السماء والأرض، فإنه لم يغض)** بفتح الياء وكسر الغين، وبالضاد المعجمتين، أي لم ينقص **(ما في يده ـ ﴿وكان عرشه على الماء﴾ وبيده الميزان)** كناية عن العدل بين الخلق **(يخفض ويرفع)** أي يخفض من يشاء ويرفع من يشاء، ويوسع الرزق على من يشاء ويقتره على من يشاء. ا هـ قسطلاني.

فَإِنَّهُ لم يَغِضْ ما في يَمِينِهِ، قال: وعرشُهُ على الماءِ، وبيدِهِ الأُخْرَى القَبْضُ، يرفَعُ وَيَخْفِضُ.

ومن شرح الإمام النووي على مسلم رحمهما الله تعالى

(يمين الله ملأى، سحا، لا يغضيها شيء الليل والنهار) ضبطوا ـ سحا ـ بالتنوين وسحاء ـ بالمد وصفا على فعلاء. والسح: الصب الدائم **(ولا يغيضها)** أي لا ينقصها.

قال المازري: وهذا مما يجب تأويله. لأنها تتضمن إثبات الشمال، فيقتضي ذلك التحديد والتجسيم، ويتقدس الله عن ذلك ـ وإنما خاطبهم الله تعالى بما هو شائع في الإعطاء وأراد أنه لا ينقصه الانفاق خشية الإملاق، وعبر عن توالي النعم بسح العين، لأن الباذل منا يفعل ذلك بيمينه ـ **(ومعنى قوله: بيده الأخرى القبض)** أنه وإن كانت قدرته واحدة، فإنه يفعل بها المختلفات، ولما كانت اليدان مظهر ذلك التصرف فينا، عبر عن القدرة بتصرف اليدين على سبيل المجاز. نووي ا هـ والله أعلم.

حديث (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ)

أَخرجه الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في أَواخر جامعه ـ جـ ٢ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢.

(١٥١) فَقَالَ: عن أَنسِ بن مالكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عنِ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: لمَّا خلقَ اللَّهُ الأَرْضَ جعلَتْ تَمِيدُ، فخلَقَ الجِبَالَ، فَعَادَ بها عَلَيْهَا فَاسْتَقَرَّتْ، فعجِبَتِ الملائِكَةُ من شدَّة الجِبَالِ، قالوا: يَا رَبِّ، هل من خلقِكَ شيءٌ أَشدُّ من الجبَالِ؟ قال: نعم، الحديدُ، قالوا: يَا رَبِّ، فهل من خلقِكَ شيءٌ أَشدُّ من الحديدِ؟ قال: نعم، النَّارُ، فقالوا: يا رَبِّ، فهل من خلقِكَ شيءٌ أَشدُّ من النَّارِ؟ قَال: نعم، الماءُ، قالوا: يا رَبِّ، فهل من خَلْقِكَ شيءٌ أَشدُّ من الماءِ؟ قال: نعم، الريحُ، قالوا: يا رَبِّ، فهل من خلقكَ شيءٌ أَشدُّ من الريح؟ قال: نعم، ابن آدَمَ، تَصدَّقَ بِصَدَقَةٍ يَمِينِهِ، يُخفِيها من شمالِهِ.

قال أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى، إِسناد حسن غريب.

* * *

حديث دار الهجرة أَخرجه الترمذي ـ في باب فضل المدينة أَواخر الكتاب جـ ٢ ص ٣٢٧.

(١٥٢) عن جريرِ بن عبدِ اللَّهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قالَ: إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَّي: أَي هَؤُلاءِ ـ الثَلاثَةِ نَزَلْتَ، فَهِيَ دارُ هجرتِكَ: المدينةِ، أَو البحرينِ، أَو قِنِّسْرِينَ.

قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إِلا من حديث الفضل بن موسى. ا هـ. أَي وهو أَحد رجال السند.

* * *

(حديث التغليظ في الحَيْف والرشوة)

أَخرجه ابن ماجه في سننه ـ جـ ٢ ص ٢٦.

(١٥٣) عن عبدِ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قال رسولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: ما من حاكم يحكمْ بينَ النَّاسِ، إِلاَّ جاءَ يومَ القيامةِ،

وملكٌ آخذٌ بقَفَاهُ، ثمَّ يرفعُ رأْسَهُ، إلى السماءِ، فإن قال: أَلقهِ، أَلقَاهُ في مَهْوَاةٍ أَربعينَ خَريفًا.

* * *

حديث النهي عن الإمساك والتبذير عند الموت

أَخرجه النسائي:

(١٥٤) عن بسرِ بن جَحَّاش ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قالَ: بزقَ النَّبيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ في كفِّهِ، ثمَّ وضعَ أُصْبُعَهُ السَّبابَةَ، وقال: يقولُ اللَّهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: أَنَّى يُعْجِزُني ابنُ آدَمَ، وقد خلَقْتُكَ من مثل هذه، فَإذا بَلَغَتْ نَفْسُكَ هذهِ، وأَشَارَ إلى حلقِهِ، قُلْتَ: أَتصَدَّقُ، وأَنىَّ أَوَانُ الصَّدقَةِ.

* * *

حديث الوصية بالثلث

أَخرجه النسائي في باب الوصية

(١٥٥) عن ابن عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: رسولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا ابنَ آدَمَ، اثْنَتَانِ لم تكُن لكَ واحدةٌ منهمَا: جعلْتُ لكَ نصيبًا من مالكَ، حين أَخذتُ بكظمِكَ[1] لأُطَهِّرَكَ به وأُزكِّيَكَ، وصلاةَ عبادي عَلَيْكَ بعدَ انقضَاءِ أَجَلِكَ.

(١) الكظم بالفتح: الحلق أو الدم، أو مخرج النفس: ا هـ قاموس.

١٦ ـ (ما جاء في الصيام وفضله)

حديث: (الصيام لي، وأنا أَجزي به) من صحيح البخاري ـ في كتاب الصوم جـ ٣ ص ٢٤ باب (فضل الصوم)

(١٥٦) حَدَّثَنَا عبدُ اللَّهِ بن مسلمةَ، عن مالكٍ، عن أَبي الزِّنَادِ، عن الأَعْرج، عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَال: الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فلا يرفُثْ، ولا يجهلْ، وإن امرُؤٌ قاتَلَهُ، أَو شاتمهُ، فليقُلْ: إِنيِّ صَائمٌ مرَّتينِ، والذي نفسي بيده لَخُلُوفُ فَم الصَّائِم، أَطَيَبُ عندَ اللَّهِ من ريح المسكِ، يتركُ طعامهُ وشرابهُ وشهوتهُ، من أَجِلي، الصَّيَامُ لِي، وَأَنا أَجزِي بِهِ، والحسنةُ بعشرِ أَمثالِهَا.

* * *

وأَخرجه البخاري في كتاب اللباس ـ باب ما يذكر في المسك ـ جـ ٧ ص ١٦٤.

(١٥٧) حَدَّثَنِي عبدُ اللَّهِ بن محمد، حَدَّثَنَا هشامٌ، أَخبرَنَا معمرٌ، عن الزُّهرِي، عن ابن المُسَيَّب، عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال: كُلُّ عملِ ابن آدَمَ لهُ، إِلاَّ الصومَ، فَإِنَّهُ لِي، وأَنَا أَجزِي بِهِ، وَلَخَلُوفُ فَم الصَّائِمِ، أَطيبُ عندَ اللَّهِ من ريح المسكِ.

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضًا في كتاب التوحيد ـ جـ ٩ ص ١٤٣.

(١٥٨) حَدَّثَنَا أَبو نُعَيْم، حَدَّثَنَا الأَعمَشُ، عن أَبي صالح، عن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عن النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قالَ: يقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ الصومُ لي، وَأَنا أَجزِي بِهِ، يدعُ شهوتهُ وأَكلهُ وَشُرْبَهُ من أَجلي، والصومُ جُنَّةٌ، وللصَّائِم فرحتَانِ: فَرحةٌ حين يُفطرُ، وفرحةٌ حين يلقى ربَّهُ، ولَخُلُوفُ فم الصَّائم أَطَيبُ عندَ اللَّهِ من ريح المسكِ.

* * *

وأَخرجه الإِمام مالك ـ رحمه اللَّه في الموطأ ـ باب جامع للصيام ـ ص ١٢٤.

(١٥٩) عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رسولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قالَ: والذِي نفسي بيدهِ لخُلُوفَ فَم الصَّائِم أَطيَبُ عندَ اللَّهِ من ريحِ المِسْكِ.

* * *

(١٦٠) وفي رواية: (يقولُ اللَّهُ ـ عزَّ وجلَّ ـ: إِنَّما يذرُ شهوتهُ وطعامهُ وشرابهُ من أَجلي، فالصيامُ لي، وأَنَا أَجزي به، كلُّ حسنةٍ بعشرِ أَمثالهَا، إِلى سبعمائَةِ ضِعفٍ، إِلاَّ الصَّومَ، فهُوَ لي، وَأَنَا أَجزِي به.

* * *

وأَخرجه مسلم في صحيحه ـ من كتاب الصيام ـ (باب فضل الصيام) جـ ٥ ص ١٣٢ وما بعدها هامش القسطلاني.

(١٦١) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ؛ قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلاَّ الصِّيَامَ، هُوَ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَخُلْفَةُ فَمِ الصَّائِم، أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ ريح الْمِسْكِ.

* * *

(١٦٢) وفي رواية لمسلم أَيضًا، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلاَّ الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلاَ يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَسْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فم الصَّائِم أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيح الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِم فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ.

* * *

(١٦٣) وفي رواية: (قَالَ: إِذَا لَقِيَ اللَّهَ فَجَزَاهُ فَرِحَ).

* * *

وأَخرجه الترمذي ـ باب ـ (فضل الصوم) جـ ١ ص ١٤٧.

(١٦٤) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: إِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ: كُلُّ حَسَنةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَالصَّوْمُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ، وَلَخُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّه مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وإِنْ جَهِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ جَاهِلٌ وَهُوَ صَائِمٌ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ.

قال الترمذي: حديث حسن غريب.

* * *

(١٦٥) وأَخرج الترمذي أَيضاً عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ـ: أَحَبُّ عِبَادِي إِلَيَّ أَعْجَلُهُمْ فِطْراً.

(وقال الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى: حديث حسن غريب).

* * *

وأَخرجه ابن ماجه ـ (باب فضل الصيام) جـ ١ ص ٢٥٨.

(١٦٦) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ: الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، يَقُولُ اللَّهُ: إِلاَّ الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي، لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.

* * *

(١٦٧) ورواه ابن ماجه مختصراً، دون ذكر قوله: (يَدَعُ شهوته وَطَعَامَهُ الخ ـ باب فضل العمل جـ ٢ ص ٢٢٣).

* * *

وأَخرجه النسائِي بروايات متعددة ـ باب (فضل الصيام) جـ ٤ ص ١٥٩ وما بعدها.

الأُولى:

(١٦٨) عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، يَقُولُ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: حِينَ يُفْطِرُ، وَحِينَ يَلْقَى رَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.

* * *

والثانية:

(١٦٩) عَنْ أَبي سَعِيدٍ الْخُدَرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللَّهَ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ يَقُولُ: الصَّوْمُ لِي، وَأَنَا أَجْزِيَ بِهِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَجَزَاهُ فَرِحَ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ.

* * *

والثالثة:

(١٧٠) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلاَّ الصِّيَامَ، هُوَ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ شَاتَمَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ.

* * *

وبقيت روايات للنسائي، قريبة جداً مما ذكرنا هنا، فلا حاجة لذكرها وليراجعها من أرادها.

شرح أحاديث: (الصيام لي)

أولاً ـ أحاديث البخاري ـ رحمه الله:

قوله: **(الصيام جنة)** بضم الجيم، وتشديد النون، أي وقاية وستر ـ أي من المعاصي،

.....

لأنه يكسر الشهوة ويضعفها، وقيل: سترة من النار، وقد ورد ذلك في بعض الروايات للترمذي، فقد ورد فيه:

(الصوم جنة من النار) فالنار محفوفة بالشهوات، وكذا عند سعيد بن منصور ولأحمد من حديث أبي عبيدة بن الجراح: **(الصيام جنة ما لم يخرقها)** وزاد الدارمي: **(ما لم يخرقها بالغيبة)**.

قال القسطلاني: وفيه تلازم الأمرين، لأنه إذا كف نفسه عن المعاصي في الدنيا، كان ستراً له من النار في الآخرة.

(وقوله: فلا يرفث ولا يجهل) لا يرفث بالمثلثة، وبتثبيت الفاء، أي لا يفحش الصائم في الكلام، ولا يجهل، أي لا يفعل فعل الجهال، كالصياح والسخرية، أو يسفه على أحد.

وعند سعيد بن منصور: **(فلا يرفث ولا يجادل)** وذلك ممنوع على الإطلاق، أي في الصوم وفي غيره، لكنه يتأكد بالصوم أكثر من غيره، لأنه متعبد لله بصومه، فلا يليق به عصيان وقوله: **(وإن امرؤ قاتله أو شاتمه)** قال عياض: قاتله، أي دافعه، ونازعه.

ولسعيد بن منصور من طريق سهيل: **(فإن سابه أحد، أو ماراه)** يعني جادله، والمعنى: أن تهيأ له أحد لمقاتلته أو مشاتمته، فليست المفاعلة على بابها. وقوله: **(فليقل إني صائم مرتين)** أي يقول ذلك بلسانه، كما رجحه النووي في الأذكار، أو بقلبه، كما جزم به المتولي، ونقله الرافعي عن الأئمة. **(إني صائم صائم مرتين)** فإنه إذا قال ذلك، أمكن أن يكف عنه، وإلا دفعه بالأخف فالأخف.

قال في المصابيح: والظاهر أن هذا القول علة لتأكيد المنع، فكأنه يقول لخصمه: إني صائم، تحذيراً وتهديداً بالوعيد الموجه إلى من انتهك حرمة الصائم، وتذرع إلى تنقيص أجره بإيقاعه في المشاتمة، ـ أو يذكر نفسه شديد المنع المعلل بالصوم وظاهر كون الصوم جنة أن يقي صاحبه من أن يؤذي، كما يقيه أن يؤذي. **(والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم الخ)** الخلوف بضم المعجمة واللام على الصحيح المشهور، وضبطه بعضهم بفتح الخاء، وخطأه الخطابي، وقال في المجموع: أنه لا يجوز. ـ والخلوف: تغير رائحة فم الصائم لخلاء معدته من الطعام. **(أطيب عند الله من ريح المسك)** وفي لفظ لمسلم والنسائي: **(أطيب عند الله يوم القيامة)** وقد وقع خلاف بين ابن الصلاح، وابن عبد السلام في أن رائحة الخلوف ـ هل هو في الدنيا أو في الآخرة؟ فذهب ابن عبد السلام إلى أنه في الآخرة، واستدل برواية مسلم والنسائي.

وروى أبو الشيخ بإسناد فيه ضعف عن أنس مرفوعاً: **(يخرج الصائمون من قبورهم يعرفون بريح أفواههم، أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك)**. وذهب ابن الصلاح إلى أن ذلك في الدنيا، واستدل بحديث جابر مرفوعاً: **(وأما الثانية فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك)** واستشكل هذا من جهة أن الله تعالى منزه عن صفات

.....

الحوادث: من الشم ونحوه، وأجيب بأنه مجاز واستعارة، فاستعير لتقريبه من الله تعالى.

وقيل: انه يجزيه بذلك في الآخرة حتى تكون نكهته أطيب من ريح المسك، أو أن صاحب الخلوف ينال من الثواب ما هو أفضل من ريح المسك عندنا.

ثم قال القسطلاني: فإن قلت: لم كان خلوف الصائم أطيب من ريح المسك، ودم الشهيد ريحه ريح المسك، مع ما فيه من المخاطرة بالنفس؟

أجيب بأنه إنما كان أثر الصوم أطيب من أثر الجهاد، لأن الصوم أحد أركان الإسلام المشار إليها بقوله ﷺ: **(بني الإسلام على خمس)** ـ وبأن الجهاد فرض كفاية، والصوم فرض عين، وفرض العين أفضل من فرض الكفاية كما نص عليه الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ.

وروى الإمام أحمد رحمه الله في المسند: **(أنه ﷺ قال: دينار تنفقه على أهلك، ودينار تنفقه في سبيل الله، أفضلهما الذي تنفقه على أهلك)**.

وجه الدليل: أن النفقة على الأهل التي هي فرض عين أفضل من النفقة في سبيل الله وهو الجهاد الذي هو فرض كفاية.

ولا يعارض هذا ما رواه أبو داود الطيالسي من حديث أبي قتادة، قال: **(خطب النبي ﷺ. فذكر الجهاد، وفضله على سائر الأعمال، إلا المكتوبة)** فإنه يحتمل أن يكون قبل وجوب الصوم وفرضيته، وقد قال عليه الصلاة والسلام للرجل الذي سأله عن أفضل الأعمال: **(عليك بالصوم، فإنه لا مثل له)**.

وقوله: **(يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي)** أي يقول الله تبارك وتعالى ذلك، كما ورد في معظم الروايات، وعطف شهوته على ما قبله أما من عطف العام على الخاص، أو يراد بها شهوة الجماع خاصة.

(الصيام لي) ـ أي ليس للصائم فيه حظ، من رياء وغيره، أو أنه خالص لي، لأنه لم يتعبد به لأحد غيري، أو هو سر بيني وبين عبدي يفعله خالصاً لوجهي. **(وأنا أجزي به)** أي أجزي صاحبه به، وقد علم أن الكريم إذا تولى الإعطاء بنفسه، كان في ذلك إشارة إلى تعظيم ذلك العطاء وتفخيمه ففيه مضاعفة الجزاء من غير عدد ولا حساب.

﴿**والحسنة بعشر أمثالها**﴾ زاد في بعض الروايات: **(إلى سبعمائة ضعف)** واتفقوا على أن المراد بالصائم هنا من سلم صيامه من المعاصي.

فلذلك قال: للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وتلك الفرحة لروحه الحيواني ـ وفرحة عند لقاء ربه، وتلك الفرحة لنفسه الناطقة الربانية، فأورثه الصوم لقاء ربه، وهو المشاهدة. ا هـ من القسطلاني.

وقال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح مسلم:

(في الحديث نهي للصائم عن الرفث، وهو السخف وفاحش الكلام)، يقال: رفث بفتح الفاء يرفث بضمها وكسرها، ـ ورفث بكسر الفاء يرفث بفتحها ـ رفثاً بسكون الفاء في المصدر

.....

ـ ورفثاً بفتحها في الاسم، ـ ويقال: أرفث رباعي حكاه القاضي، والجهل قريب من الرفث، وهو خلاف الحكمة، وخلاف الصواب من القول والفعل

وقوله: **(فإن امرؤ شاتمه)** أي شتمه متعرضاً للمشاتمة، ومعنى ـ قاتله ـ نازعه ودافعه. **(فليقل: إني صائم، إني صائم)** هكذا هو مرتين، أي بلسانه جهراً، ليسمعه الشاتم والمقاتل فينزجر غالباً، وقيل: لا يقوله بلسانه بل يحدث به نفسه، ليمنعها من مشاتمته ومقاتلته، ومن مقابلته بالمثل، ويصون صومه عن المكدرات، ولو جمع بين الأمرين كان حسناً.

واعلم أن نهي الصائم عن الرفث والجهل والمخاصمة والمشاتمة، ليس مختصاً به، بل كل أحد منهي عن ذلك أيضاً، ولكن يتأكد ذلك النهي في حق الصائم.

وقوله: **(كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، هو لي، وأنا أجزي به)** قال النووي رحمه الله: اختلف العلماء في معناه مع كون جميع الطاعات لله تعالى:

فقيل: سبب إضافته إلى الله تعالى، أنه لم يعبد أحد غير الله تعالى به، فلم يعظم الكفار في عصر من العصور معبوداً لهم بالصيام، وإن كانوا يعظمونه بصورة السجود والصدقة والذكر وغير ذلك.

وقيل: لأن الصوم بعيد من الرياء لخفائه، بخلاف الصلاة والحج والغزو والصدقة، وغيرها من العبادات الظاهرة.

وقيل: لأنه ليس للصائم ولا لنفسه فيه حظ، بخلاف غيره من العبادات.

وقيل: لأن الاستغناء عن الطعام والشراب من صفات الله تعالى، فتقرب الصائم بما يتعلق بهذه الصفة، وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء.

وقيل: معنى **(الصوم لي)** أنا المنفرد بعلم مقدار ثوابه، أو تضعيف حسناته، وغيره من العبادات أظهر سبحانه وتعالى بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها.

وقيل: أضيف إلى الله إضافة تشريف، كقوله: **(ناقة الله)** مع أن العالم كله لله تعالى وفي هذا الحديث بيان عظم الصوم والحث عليه، والترغيب وفي الصبر عليه.

وقوله: **(وأنا أجزي به)** بيان لعظم فضله، وجزيل ثوابه، لأن الكريم إذا أخبر أنه هو الذي يتولى بنفسه الجزاء، اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء.

وقوله: **(لخلفة فم الصائم الخ)** ـ وفي رواية: **(لخلوف فم الصائم)** وهو بضم الخاء فيهما تغير رائحة الفم، هذا هو الصواب فيه بضم الخاء، وهو المعروف في كتب اللغة.

وأهل الشرق يقولون: بالضم والفتح ـ والصواب الضم، يقال: خلف فوه بفتح اللام، يخلف بضم اللام.

وأما معنى الحديث ـ فقال المازري: هذا مجاز واستعارة، لأن استطابة الروائح من صفات الحيوان الذي له طبائع، تميل إلى شيء فتستطيبه، وتنفر من شيء فتستقذره، والله تعالى متقدس عن ذلك، لكن جرت عادتنا بتقريب الروائح الطيبة منا، فاستعير ذلك في

.....

الصوم، لتقريبه من الله تعالى، قال القاضي: وقيل: يجازيه الله تعالى به في الآخرة، فتكون نكهته أطيب من ريح المسك، كما أن دم الشهيد يكون ريحه ريح المسك.

وقيل: يحصل لصاحبه من الثواب، أكثر مما يحصل لصاحب المسك في مجالس الخير، وقيل: رائحته عند ملائكة الله تعالى أطيب من رائحة المسك.

ثم قال النووي ـ رحمه الله تعالى: والأصح أن الخلوف أكثر ثواباً من المسك، حيث ندب إليه في الجمع والأعياد، ومجالس الحديث والذكر، وسائر مجامع الخير.

وقوله: **(فلا يرفث ولا يسخب)** هكذا هو هنا بالسين وبالصاد، وهو الصياح، وهو بمعنى الرواية الأخرى: **(ولا يجهل)**.

ورواه الطبري: **(ولا يسخر)** بالراء، ومعناه صحيح، لأن السخرية تكون بالقول والفعل، وكله من الجهل.

قال النووي رحمه الله تعالى: قلت: وهذه الرواية تصحيف، وإن كان لها معنى صحيح.

وقوله: **(وللصائم فرحتان)**. قال النووي ـ رحمه الله تعالى: قال العلماء: أما فرحته عند لقاء ربه، فسببها ما يراه من جزائه، وتذكر نعمة الله عليه، بتوفيقه لذلك:

وأما فرحته عند فطره، فسببها تمام عبادته، وسلامتها من المفسدات وما يرجوه من ثوابها العظيم.

أقول: ويضم إلى ذلك فرحة لنفسه الحيوانية بتمتعها بما تشتهي بعد المنع منها، وذلك يكون عند إفطاره. والله أعلم.

١٧ ـ (ما جاء في دعاء النبي صلى اللَّه عليه وسلم لأمته يوم عرفة، وخطبة يوم النحر)

حديث: (دعاء النبيِّ صلى اللَّه عليه وسلم لأُمته عشية عرفة بالمغفرة)

أَخرجه ابن ماجه ـ رحمه اللَّه ـ باب (الدعاءُ بعرفة) جـ ٢ ص ١٢٣.

(١٧١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيِّ، أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبيه، أَنَّ النَّبيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ دَعَا لأُمَّتِهِ عَشيَّةَ عَرَفَةَ، فَأُجِيبَ: إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ مَا خَلاَ الظَّالِمَ، فَإِنِّي آخُذُ للمَظْلُوم منْهُ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، إِنْ شئْتَ أَعْطَيْتَ الْمَظْلُومَ منَ الجَنَّة، وَغَفَرْتَ للظَّالم، فَلَمْ يُجِبْ عَشيَّةً، فَلَمَّا أَصْبَحَ بالْمُزْدَلِفَةِ، أَعَادَ الدُّعَاءَ فَأُجِيبَ إِلَى مَا سَأَلَ، قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَوْ قَالَ: تَبَسَّمَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنَّ هَذه لَسَاعَةٌ مَا كُنْتَ تَضْحَكُ فيهَا، فَمَا الَّذي أَضْحَكَكَ؟ ـ أَضْحَكَ اللَّهُ سنَّكَ ـ قَالَ: إِنَّ عَدُوَّ اللَّه إِبْلِيسَ لَمَّا عَلمَ أَنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَد اسْتَجَابَ دُعَائي وَغَفَرَ لأُمَّتِي، أَخَذَ التُّرَابَ، فَجَعَلَ يَحْثُوهُ عَلَى رَأْسه، وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، فَأَضْحَكَنِي مَا رَأَيْتُ منْ جَزَعِهِ.

* * *

(١٧٢) وأَخرج النسائِيُّ حديثاً في يوم عرفة: عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: مَا مِنْ يَوْم أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَعْتِقَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فِيهِ عَبْداً أَوْ أَمَةً مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، يُبَاهِي بِهِمْ الْمَلاَئِكَةَ، وَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هؤلاءِ؟.

* * *

حديث الخطبة يوم النحر، أَخرجه أَيضاً ابن ماجه (باب الخطبة يوم النحر) جـ ٢ ص ١٢٩.

(١٧٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْمُخَضْرَمَةِ بِعَرَفَات ـ فَقَالَ: أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمَ هَذَا؟ وَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟ وأَيُّ بَلَد هَذَا؟ قَالُوا هَذَا بَلَدٌ حَرَامٌ، وَشَهْرٌ حَرَامٌ، وَيَوْمٌ حَرَامٌ، قَالَ: أَلاَ وَإِنَّ أَمْوَالكُمْ ـ وَدِمَاءَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا، في بَلَدِكُمْ هَذَا، في يَوْمِكُمْ هَذَا، أَلاَ وَإِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ وَأُكَاثِرُ بِكُمْ الأُمَمَ، فَلاَ تُسَوِّدُوا وَجْهِي، أَلاَ وَإِنِّي مُسْتَنْقِذٌ أُنَاساً، وَمُسْتَنْقِذٌ مِنِّي أُنَاسٌ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّي، أُصَيْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ..

شرح الأحاديث الثلاثة

الحديث الأول: **(دعا النبي ﷺ لأمته: أمة الإجابة الذين صدقوا برسالته ﷺ أن يغفر الله لهم ذنوبهم ـ وذلك في عشية عرفة أي في آخر يوم عرفة من العصر فصاعداً)**. فأجابه الله تعالى في دعائه قائلاً له: **(إني قد غفرت لهم، ما عدا الظالم منهم لعباد الله تعالى)** فلا بد أن يأخذ الله منه للمظلوم، لأن القصاص محتم وواجب، والله هو الحكم العدل فقال النبي ﷺ: يا رب، إن شئت أعطيت المظلوم جزاءه من الجنة فضلاً منك ورحمة، وغفرت للظالم إحساناً منك إليه ومنه، فإنك غفور رحيم، وذو الفضل العظيم، هذا ما كان منه في عرفة.

فلما أصبح من المزدلفة في آخر الليل، أعاد الدعاء والرجاء، فأجابه الله تعالى فيما سأل من المغفرة للجميع، وحقق له رجاءه في المغفرة للظالم وتعويض المظلوم من الجنة فلذلك ضحك النبي ﷺ ـ أو تبسم تبسماً واضحاً قريباً من الضحك، فالمراد من ضحكه ﷺ هو تبسمه، لأن من وصفه ﷺ أنه كان ضحكه التبسم، فقال له الشيخان: أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما: أن هذه لساعة ما كنت تضحك فيها **(وهي ساعة من آخر الليل)** لأنها ساعة تضرع ودعاء، فما الذي أضحكك؟ **(أضحك الله سنك)** جملة دعائية منهما له ﷺ بأن يديم الله عليه السرور الموجب للضحك قال: إن عدو الله أبليس ـ عليه اللعنة ـ لما علم أن الله عز وجل قد استجاب لدعائي وغفر لأمتي أخذ التراب، فجعل يحثوه على رأسه، حزناً منه وغماً على الفضل العظيم الذي فاته وحصل لأمة محمد ﷺ. ويدعو بالويل والثبور أي الهلاك ينادي الويل والهلاك اللذين نزلا به، قال النبي ﷺ: فأضحكني ما رأيت من جزعه. وحزنه على فوات الخير له، وحصوله لأمة محمد ﷺ.

الحديث الثاني: **(ما من يوم أكثر من أن يعتق الله عز وجل فيه عبداً أو أمة من النار من يوم عرفة)**.

المعنى: أن الله تعالى في يوم عرفة يعتق من النار ذكوراً وأناثاً كثيرين، لا يساوي هذا اليوم أي يوم كان في السنة كلها في عتق الرقاب من النار، فهو أكثر الأيام عتقاً للخلق من النار وذلك لفضله على سائر الأيام، وعظيم تجلى الله فيه على عباده، فيصب عليهم من رحمته صباً **(وأنه ليدنو يباهي بهم ملائكته)** أي يقرب برحمته منهم ويباهي بهم الملائكة،

.....

ويقول: **(ما أراد هؤلاء؟)** ليس المقصود الاستفهام بل المقصود مدح عباده الذين تركوا الأهل والأوطان وأتوا إلى مكة شعثاً غبراً يؤدون فريضة الحج ويدعون الله تعالى أن يغفر لهم ويتقبل منهم توبتهم، وقد قصدوه راجين رحمته، خائفين من عذابه، فهو الكريم الرحيم يغفر لهم ويرحمهم.

الحديث الثالث: **(قال النبي ﷺ وهو على ناقته المخضرمة ـ وهي القصواء ـ بعرفات وهو يخطب الناس في ذلك اليوم: أتدرون أي يوم هذا؟ وأي شهر هذا؟ وأي بلد هذا؟)** المقصود من السؤال ـ تقريرهم بحرمة اليوم والشهر والبلد، ليؤكد لهم حرمة أموالهم ودمائهم، فهي كحرمة اليوم في هذا الشهر في هذا البلد ـ ثم قال لهم: إني فرطكم على الحوض، أي أتقدم أمامكم لأهيىء لكم الحوض فتشربوا منه، وأكاثر بكم الأمم فرحاً بكم فلا تسودوا وجهي بذنوبكم حتى تردوا عن الحوض، فإني سأستنقذ أناساً بشفاعتي، ويؤخذ مني أناس لا أشفع فيهم لكثرة ما أحدثوا بعدي. وإذا كان كذلك فاتبعوا سبيلي ولا ترجعوا بعدي كفاراً مرتدين على أعقابكم ﴿**واتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾ ا هـ ـ والله أعلم.

١٨ ـ (ما جاء في الجهاد في سبيل اللَّه تعالى، وفضل الشهداء والإخلاص فيه)

حديث فضل الجهاد في سبيل اللَّه تعالى من صحيح البخاري أَخرجه البخاري في: باب الجهاد من الإيمان جـ ١ ص ١٦

(١٧٤) حَدَّثَنَا حَرَمِيُّ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ، حَدَّثَنَا عُمَارَةُ، حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ بْنُ عَمْرٍو، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، أَنْ أَرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ، أَوْ غَنِيمَةٍ، أَوْ أُدخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ في سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا، ثُمَّ أُقْتَلُ.

* * *

وأَخرجه البخاري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في كتاب الجهاد والسير من باب (أَفضل الناس مؤْمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل اللَّه تعالى).

جـ ٥ ص ٣٥ ـ ٣٦ ـ شرح القسطلاني فقال:

(١٧٥) حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ، حَدَّثَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِي، قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمَسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: مَثَلُ الْمُجَاهِدِ في سَبيل اللَّهِ ـ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجَاهِدُ في سَبِيلِهِ ـ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ، وَتَوَكَّلَ اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِهِ بِأَنْ يَتَوَفَّاهُ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ

شرح الحديث من القسطلاني

(حرمى بن حفص) حرمى بفتح الحاء والراء ـ وهو العتكي، بفتح التاء والعين، نسبة إلى العتيك بن الأسد **(وعبد الواحد)** هو ابن زياد العبدي نسبة إلى عبد القيس البصري **(وعمارة)** بضم العين المهملة ابن القعقاع بن شبرمة الكوفي. **(وأبو زرعة)** اسمه هرم ـ أو عبد الرحمٰن أو عبد الله بن عمرو بن جرير البجلي، بفتح الباء والجيم، نسبة إلى بجيلة بنت صعب. ا هـ.

يَرْجِعَهُ سَالِماً مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَة.

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً في كتاب الجهاد والسَّيَر ـ من باب ـ (قول النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (أُحلَّت لكم الغنائم) جـ ٤ ص ٨٥ ـ ٨٦.

(١٧٦) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ، حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ

(انتدب الله) بنون ساكنة، وتاء فوقية مفتوحة، ودال مهملة، ومعناه: تكفل الله، كما رواه المؤلف في أواخر الجهاد، أو سارع بثوابه وحسن جزائه. وأصله من ندبت فلاناً إلى كذا، فانتدب، أي ـ أجاب إليه. ـ وفي القاموس: ندبه إلى الأمر دعاه وحثه. ا هـ **(لا يخرجه إلا إيمان بي الخ)** المقصود من ذلك أن يكون مخلصاً لله تعالى في خروجه، فليس له باعث على الخروج إلا الإيمان بوعد الله، والامتثال لأمر الله، **(أن أرجعه)** بفتح الهمزة من رجع ـ وأن ـ مصدرية، والأصل بأن أرجعه، أي يرجعه إلى بلده **(بما نال من أجر)** أي بالذي أصابه ـ من النيل، وهو العطاء ـ أي بأجر فقط إن لم يغنموا **(أو أجر مع غنيمة)** ان غنموا، أو أن ـ أو ـ بمعنى الواو ـ كما رواه أبو داود: **(بأجر وغنيمة)** بالواو بدل ـ أو وعبر بالماضي في قوله: **(بما نال)** لتحقيق وعده تعالى **(أو أن أدخله الجنة)** عند دخوله المقربين بلا حساب ولا مؤاخذة بذنوب، إذ تكفرها الشهادة، أو عند موته، لقوله تعالى: ﴿**أحياء عند ربهم يرزقون**﴾.

(ولولا أن أشق على أمتي) أي لولا المشقة على أمتي **(ما قعدت خلف)** بالنصب على الظرفية ـ أي بعد **(سرية)** بل كنت أخرج معها بنفسي، لعظم أجرها والمعنى: امتنع عدم القعود خلف سرية ـ أي امتنع القيام والذهاب والخروج خلف سرية لوجود المشقة وسبب المشقة صعوبة تخلف الصحابة بعده ﷺ ولا قدرة لهم جميعاً على المسير معه لضيق حالهم. وقال ذلك ﷺ، شفقة منه على أمته، جزاه الله عنا أفضل الجزاء.

(ولوددت) عطفاً على ما قعدت، واللام للتأكيد، أو جواب قسم محذوف، أي والله لوددت، أي أحببت. هكذا قال القسطلاني رحمه الله.

(وأقول): ولعل الأولى أن تكون الواو للاستئناف، لا للعطف. لأن مودته ذلك ثابتة ويود ذلك دائماً دون تعليق على خوف مشقته على أمته ﷺ.

(أن أقتل في سبيل الله، ثم أحيا، ثم أقتل، ثم أحيا، ثم أقتل) بضم الهمزة في كل من أقتل وأحيا، وهي خمسة ألفاظ ـ وفي رواية الأصيلي **(أني أقتل)** بدل ـ **(أن أقتل)** ـ ولأبي ذر: **(فأقتل، ثم أحيا، فأقتل ثم أحيا، فأقتل)** كذا في اليونينية وختم بقوله: **(ثم أقتل)**، لأن المراد الشهادة، فختم الحال عليها ـ والأحياء للجزاء أمر معلوم، فلا حاجة إلى ودادته، لأنه

جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ الجهَادُ في سَبِيلِهِ، وَتَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ.

ضروري الوقوع ـ وثم للتراخي في الرتبة أحسن من حملها على تراخي الزمان، لأن التمني حصول مرتبة بعد مرتبة إلى الانتهاء إلى الفردوس الأعلى، والله أعلم. ا هـ.

وأخرج النسائي حديث فضل الجهاد جـ ١ ص ١٦.

(١٧٧) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: انْتَدَبَ اللَّهُ لِمَنْ يَخْرُجُ في سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ الإِيْمَانُ بِي، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِي، أَنَّهُ ضَامِنٌ حَتَّى أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، بِأَيِّهِمَا كَانَ: إِمَّا بِقَتْلٍ أَوْ وَفَاة، أَوْ أَرُدَّهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذي خَرَجَ مِنْهُ، نَالَ مَا نَالَ: مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَة.

* * *

(١٧٨) وفي رواية عَنْهُ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: تَكَفَّلَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيله، وَتَصْديقُ كَلمَتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرُدَّهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْر أَوْ غَنِيمَة.

* * *

(وفي رواية أُخرى له ـ في ثواب السَّرِيَّةِ التي تخفق).

(١٧٩) عَنِ ابْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِيمَا يَحْكيه عَنْ رَبِّه: (ضَمِنْتُ لَهُ أَنْ أَرْجعَهُ إِنْ أَرْجَعْتُهُ، بِمَا أَصَابَ منْ أَجْرٍ أَوْ غَنيمةٍ، وَإِنْ قَبَضْتُهُ غَفَرْتُ لَهُ، وَرَحمْتُهُ.

الشرح: **(لا يخرج إلا الإيمان بي الخ)** أي ليس له باعث على الخروج إلا الإيمان بوعد الله تعالى، والامتثال لأمر الله، وتصديق لرسل الله فيما بلغوه عن الله بوعده الشهداء الجنة، ولا يخرجه إلا قصد إعلاء كلمة الله، ليخلص خروجه للجهاد في سبيله، وقوله: **(إنه ضامن)** أي أن الله تعالى قال: أنا ضامن للمجاهد جزاءه، ومؤتيه إياه وعداً صدقاً، ثم بين هذا الوعد فقال: **(حتى أدخله الجنة بأيهما كان)** أي لا أزال ضامناً له الجزاء حتى أدخله الجنة بأي الحالتين حصلت له: بقتل أو وفاة في سفر الجهاد بغير قتل، أو أرده إلى مسكنه الذي خرج منه، ومعه خير كثير أصابه وناله وحصله، ثم فصل ما ناله، فقال: **(من أجر أو غنيمة)** أي أما أن يرجع بأجر عظيم، لا يقادر قدره، أو يرجع بغنيمة، أن أصاب غنيمة، وظاهر الحديث أنه إذا رجع بغنيمة لم يحصل له أجر، مع أن المجاهد مخلصاً يثبت له الأجر قطعاً: سواء رجع بغنيمة أم لم يرجع.

وقد أجيب عن ذلك بواحد من أمرين:

أحدهما ـ أن أو ـ مانعة الخلو، وهي لا تمنع الجمع بين معطوفها، فيكون المعنى إما أن يرجع بأجر فقط، أن لم تحصل له غنيمة، أو يرجع بأجر ومعه غنيمة إن تحققت له

.....

الغنيمة، فالأجر حاصل له حتماً في الحالين.

الجواب الثاني ـ إن الأجر الذي يناله المجاهد إذا لم يغنم، هو الأجر الكامل الذي أعده الله تعالى للمجاهدين، ـ وأما الغانمون فإنه ينقص أجرهم عن الغزاة الذين لم يغنموا.

وقد استدلوا على ذلك بحديث مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **(ما من غازية تغزوة في سبيل الله، فيصيبون الغنيمة، إلا تعجلوا ثلثي أجرهم، ويبقى لهم الثلث، فإن لم يصيبوا غنيمة تم لهم أجرهم)** ـ قالوا: فهذا صريح ببقاء بعض الأجر مع حصول الغنيمة، فتكون الغنيمة في مقابلة جزء من الأجر ا هـ من القسطلاني ـ ثم قال رحمه الله: وفي التعبير بثلثي الأجر حكمة لطيفة، وذلك أن الله تعالى أعد للمجاهد ثلاث كرامات: اثنتان دنيويتان، وواحدة أخروية ـ فالدنيويتان السلامة والغنيمة، والأخروية ـ دخول الجنة مع الشهداء إن مات بقتل أو بغيره، فإذا رجع سالماً غانماً فقد حصل له ثلثا ما أعده الله تعالى للمجاهدين، وبقي له عند الله الثلث، وإن رجع بغير غنيمة، عوضه الله تعالى عن ذلك ثواباً كاملاً في مقابلة ما فاته.

وليس المراد ظاهر الحديث أنه إذا غنم لا يحصل له أجر. ا هـ ما قاله القسطلاني. ثم قال: إن بعضهم جعل ـ أو ـ بمعنى الواو، أي أجر وغنيمة، لأن الأجر ثابت له قطعاً، واستدل لذلك ببعض روايات مسلم: **(بأجر وغنيمة)** بالواو، فحمل ـ أو ـ على معنى الواو لذلك.

واعترض على ذلك بأن هذا وإن سلم من الإشكال الأول، إلا أنه يشكل عليه ان أو ـ لو كانت بمعنى الواو كرواية مسلم، يلزم على ذلك أن كل مجاهد لا يرجع دون غنيمة ـ وذلك يتخلف كثيراً مع أن وعد الله حق، لا خلف فيه، فالصواب أن تحمل الرواية التي وردت بالواو، على الرواية التي وردت **(بأو)**.

ويجاب عنها بأحد الجوابين السابقين: أي أما أن تكون ـ أو ـ لمنع الخلو، فتجوز الجمع بين الأجر والغنيمة ـ وأما أن يراد بالأجر وبتنكيره الأجر الكامل، الذي أعده الله للمجاهدين، فإن لم يغنم أخذه كاملاً، وإن غنم نقص ذلك الأجر، لسروره بالغنيمة التي غنمها. والله أعلم.

وقوله: **(ولولا أن أشق على أمتي)** أي لولا المشقة تكون موجودة لأمتي بخروجي إلى الجهاد مع كل سرية **(وهي القطعة من الجيش)** ما قعدت بعد خروج السرية، بل كنت أخرج معها بنفسي، لعظم أجرها، وعظم أجر الخروج معها، فلم يخرج ﷺ مع كل سرية، شفقة منه على أمته، حيث لا يمكنهم الخروج، وحيث يشق عليهم القعود بعد خروج رسول الله ﷺ.

وقد ورد ذلك صريحاً في رواية مسلم، ففيها: **(لولا أن يشق على المسلمين ما قعدت**

.....

خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبداً، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني).

(ولو ددت أني أقتل في سبيل الله. . . الخ) هي خمسة ألفاظ مختومة بقوله: **(ثم أقتل)** والمعنى: أن النبي ﷺ يتمنى أن يتكرر له القتل في سبيل الله ثلاث مرات، ليكون له في كل مرة ثواب الشهادة حاصلاً. وفي ذلك دليل على فضل الشهادة ـ وأنه يستحب لكل أحد أن يطلب القتل في سبيل الله تعالى لنيل الشهادة والله أعلم.

(فضل الجهاد في سبيل اللَّه من صحيح الإمام مسلم)

(١٨٠) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبيله، لاَ يُخْرِجُهُ مِنْ بَيْته إِلاَّ جِهَادٌ فِي سَبيلهِ، وَتَصَدِيقٌ بِكَلِمَتِهِ، بِأَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ يَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ مَعَ مَا نَالَ مِنْ أَجْر وَغَنِيمَة.

ومن صحيح مسلم أَيضاً:

* * *

(١٨١) وَعَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: تَضَمَّنَ اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لاَ يُخْرِجُهُ إِلاَّ جِهَاداً فِي سَبِيلي، وَإِيمَاناً بِي، وَتَصْدِيقاً بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ، نَائِلاً مَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْم يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى، إِلاَّ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كُلِمَ، لَوْنُهُ لَوْنُ دَم، وَرِيحُهُ مِسْكٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلاَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، مَا قَعَدْتُ خِلاَفَ سَرِيَّةٍ تَغْزُوا أَبَداً، وَلَكِنْ لاَ أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلَهُمْ وَلاَ يَجِدُونَ سَعَةً، فَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُوَ في سَبِيلِ اللَّهِ، فَأُقْتَلَ ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ.

(حديث قول النبي صلى اللَّه عليه وسلم في أَهل بدر):

اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.

أَخرجه البخاري من ـ باب ـ (غزوة الفتح) جـ ٥ ص ١٤٥.

قوله: **(لا يخرجه إلا جهاداً الخ)** الرواية بالنصب ـ لجهاداً ـ وهي مفعول له أي لا يخرجه مخرج لشيء من الأشياء، إلا لجهاد في سبيلي.

ومعنى **(تضمن)** تكفل، كما في الرواية الأخرى. ا هـ نووي.

وقوله: **(ما من كلم يكلم الخ)** الكلم: الجرح، ويكلم: يجرح، والمعنى: ليس هناك جرح يجرح به صاحبه في الجهاد في سبيل الله، إلا جاء هذا الجرح بمجيء صاحبه يوم القيامة مثل هيئته يوم جرح، وبينه بقوله **(لونه لون الدم)** ولكن ريحه ريح مسك إكراماً له يوم القيامة. والله أعلم.

شرح الحديث

أولاً ـ ذكر الحديث من البخاري ـ باب غزوة الفتح ـ وما بعث به حاطب بن أبي بلتعة، إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ إياهم ـ ومعه بعض زيادات من شرح القسطلاني. جـ ٦ ص ٣٨٧.

وهو من حديث غزوة الفتح، وما بعث به حاطب بن أَبي بلتعة إِلى أَهل مكة يخبرهم بغزو النبي صلى اللَّه عليه وسلم لهم لفتح مكة. وفيه:

(١٨٢) فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يَا حَاطِبُ، مَا هَذَا؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ أَمْرَأً مُلْصَقاً، فِي قُرَيْشٍ ـ يَقُولُ: كُنْتُ حَلِيفاً، وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا ـ وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ، مَنْ لَهُمْ قُرَابَاتٌ، يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذَلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ، أَنّ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَداً، يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَاداً عَنْ دِينِي، وَلاَ رِضاً بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ، فَقَالَ عُمَرُ: وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْراً، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ إِلَى آخر الحديث.

من غزوة الفتح، ومنه أيضاً من كتاب الجهاد ـ باب الجاسوس جـ ٥ ص ١٤١ ـ قال البخاري رحمه الله (حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، قال أخبرني الحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب، المعروف أبوه بابن الحنفية، أنه سمع عبيد الله بضم العين ابن أبي رافع، مولى رسول الله ﷺ، واسمه أسلم، يقول: سمعت علياً رضي الله عنه، يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير بن العوام، والمقداد بن الأسود، فقال لنا: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ **(بخاءين)** معجمتين، بينهما ألف، موضع بين مكة والمدينة، على اثني عشر ميلاً من المدينة، فإن بها ظعينة، أي امرأة في هودج، اسمها سارة كما عند ابن إسحاق أو كنود ـ كما عند الواقدي.

وعنده أن حاطباً جعلها عشرة دنانير على ذلك، وكانت مولاة عمرو بن هشام بن عبد المطلب **(معها كتاب، فخذوه)** أي الكتاب **(منها، قال فانطلقنا، تعادي بنا خيلنا)** أي تجري بنا ـ بحذف إحدى التاءين تخفيفاً **(حتى أتينا الروضة)** فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقلنا **(لتخرجن أو لنلقين الثياب)** أي عنك **(قال: فأخرجته عن عقاصها)** الشعر المضفور **(فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين)** صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل، **(بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: يا حاطب، ما هذا؟ قال: يا رسول الله، لا تعجل علي، إني كنت امرأ ملصقاً في قريش يقول: كنت حليفاً، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن اتخذ عندهم يداً)** أي نعمة ومنة عليهم **(يحمون بها قرابتي)**.

وعند ابن إسحاق: **(وكان لي بين أظهرهم ولد وأهل، فصانعتهم عليه، وما فعلت ذلك**

.....

كفراً، ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: لقد صدقكم). أي قال الصدق. وزاد ـ في باب فضل من شهد بدراً: **(ولا تقولوا إلا خيراً ـ فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق)** واستشكل قول عمر هذا، وإطلاقه عليه النفاق بعد شهادته عليه الصلاة والسلام بأنه ما فعل ذلك كفراً ولا ارتداداً، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام ـ وهذه الشهادة نافية للنفاق.

وأجيب بأنه قال ذلك لما كان عنده من القوة في الدين وبعض المنافقين وظن أن فعله هذا يوجب قتله، لكن لم يجزم بذلك، فلذا استأذن في قتله، وأطلق عليه النفاق لكونه أبطن خلاف ظاهره، وعذره النبي ﷺ، لأنه كان متأولاً ولأنه لم يحصل ضرر مما فعله ـ خصوصاً وألفاظ الكتاب ترشد أهل مكة إلى الخير واتباع النبي ﷺ، فإنه سبيل نجاتهم.

ولفظ الكتاب كما في تفسير يحيى بن سلام:

(أما بعد، يا معشر قريش، فإن رسول الله ﷺ ـ جاءكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، فوالله لو جاءكم وحده لنصره الله، وأنجز له وعده، فانظروا لأنفسكم والسلام).

ولذا قال عليه الصلاة والسلام لعمر مرشداً إلى علة ترك قتله: أنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله أن يكون قد أطلع على أهل بدر أي الذين حضروا وقعتها **(فقال)** تعالى مخاطباً لهم خطاب تشريف وإكرام: **(اعملوا ما شئتم)** أي في المستقبل **(فقد غفرت لكم)** عبر الماضي الواقع ـ عن الآتي مبالغة في تحققه.

قال القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ وهذا الخطاب قد تضمن أن هؤلاء قد حصلت لهم حالة غفرت بها ذنوبهم السابقة، وتأهلوا أن تغفر لهم الذنوب اللاحقة أن وقعت منهم وما أحسن قول بعضهم:

وإذا الحبيب أتى بذنب واحد جاءت محاسنه بألف شفيع

ثم قال القسطلاني ـ رحمه الله تعالى:

وقد أظهر الله تعالى صدق رسول ﷺ في كل من أخبر عنه بشيء، فإن أهل بدر ـ رضي الله عنهم ـ لم يزالوا على أعمال الجنة، إلى أن فارقوا الدنيا، ولو قدر صدور شيء من أحدهم، لبادر بالوتوبة، ولازم الطريقة المثلى كما لا يخفى والمراد الغفران لهم في الآخرة، وإلا فلو توجه على أحد منهم حد مثلاً، فإنه لا بد أن يستوفي منه بلا ريب، إقامة لحدود الله تعالى. والله أعلم. ا هـ.

وقال في فضل من شهد بدراً:

فقال: اعملوا ما شئتم، فقد وجبت لكم الجنة ـ أو فقد غفرت لكم فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم. ا هـ من القسطلاني.

وإنما دمعت عينا عمر رضي الله عنه: اشفاقا على نفسه، حينما قال: دعني أضرب عنقه، وأيضاً يصح أن يكون بكاؤه بكاء سرور، لما علم المزية العظيمة، التي أكرم الله تعالى

.....

بها أهل بدر، ولا سيما وعمر ـ رضي الله عنه ـ واحد من أهل بدر. فلما سمع ما قاله رسول الله ﷺ، مخبراً عن الله تعالى، من أن أهل بدر أقرب إلى المغفرة من غيرهم، دمعت عيناه فرحاً وسروراً. والله أعلم.

ولا شك أن الذين حضروا وقعة بدر، هم الذين كانوا أول من باعوا أنفسهم لله، وجاهدوا في سبيل الله تعالى بنية خالصة، مع كثرة المشركين في العدد والعدة، وقلة المسلمين عدداً وعدة وبهم انتصر الإسلام وظهر أمره في جزيرة العرب، حتى أن أهل الجزيرة جميعاً صاروا ينظرون إلى المسلمين نظرة إكبار واحترام، فصار من تسول له نفسه بالإغارة عليهم يفكرون في الأمر، ويعملون له ألف حساب، فقد رأوا بأعينهم ما حل بالمشركين، الذين أعماهم الاستكبار واتبعوا الشيطان وفرحوا به حينما قال لهم: **(إني جار لكم)**.

كما أن أهل بدر سنوا سنة حسنة، لاخوانهم المسلمين في الصبر على مقارعة الأبطال والاستهانة بكيد المشركين الأشرار.

ولله العزة ولرسوله ولمؤمنين «هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» ـ والله أعلم.

(حديث تكليم اللَّه عبد اللَّه والدُ جابر بعد استشهاده)

أَخرجه الترمذي ـ باب ـ سورة آل عمران، قال بعد السند:

(١٨٣) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ: يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِراً؟ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتُشْهِدَ أَبِي، قُتِلَ يَوْمَ أُحُد، وَتَرَكَ عِيَالاً وَدَيْناً، قَالَ: أَفَلاَ أُبَشِّرُكَ بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟ قُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَداً قَطُّ، إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَاب، وَأَحْيَا أَبَاكَ، فَكَلَّمَهُ كِفَاحاً فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ، تُحيِيني، فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيةً، قَالَ الرَّبُّ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ، قَالَ: وَأُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً﴾... الآية.

قال الترمذي ـ رحمه الله تعالى: حديث حسن غريب.

* * *

وأَخرجه ابن ماجه في سننه ـ من باب ـ فيما أَنكرت الجهميّة بلفظ قريب من رواية الترمذي هذه، ـ وفيها: لما قتل عبد اللَّه بن عمرو بن حرام، يوم أُحد لقيني رسول اللَّه ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ. الحديث.

* * *

وأَخرجه ابن ماجه أَيضاً في سننه ـ باب ـ (فضل الشهادة في سبيل اللَّه).

(١٨٤) ولفظه: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ يَقُولُ: لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَام يَوْمَ أُحُد، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يَا جَابِرُ، أَلاَ أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ لأَبِيكَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَداً إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحاً، فَقَالَ: يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لاَ يَرْجَعُونَ، قَالَ: يَا

الشرح: وفي القاموس: المكافحة والكفاح المواجهة. ا هـ

قوله: **(وكلم أباك كفاحاً)** أي كلمه بدون واسطة مشافهة. وهذا من المتشابه الذي يجب صرفه عن ظاهره مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث فقد كلمه الله تعالى كلاماً

رَبِّ، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِي قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ﴾... الآية كلها.

بغير صوت ولا حرف، مثل ما كلم موسى تكليماً بغير صوت ولا حرف وقال له: **(تمن علي أعطك)** أي تمن سلى من الخير والثواب ما تحبه أعطك إياه فلم يكن له أمنية بتمناها إلا أن يحييه الله، ليقاتل في سبيل الله فيقتل مرة ثانية، لينال فضل شهادة أخرى، غير الشهادة الأولى، التي نالها من القتل في أحد، وإنما تمنى ذلك، لأنه رأى بعينيه عظيم الجزاء الذي يعطي للشهداء فأحب أن يقتل مرة أخرى ليضاعف له ذلك الجزاء.

وفي الحديث بروايتيه بيان لفضل الشهداء، زيادة عما ورد من الأحاديث، أن أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة. فلذلك يتمنون أن يرجعوا إلى الدنيا، ليجاهدوا فيقتلوا في سبيل الله وينالوا فضل الشهادة والحديث يبين المراد من الآية، وأن الشهداء أحياء حياة حقيقية، كاملة يرزقون فيها، كما نصت عليه الآية الكريمة.

كما أفاد الحديث أن من مات لا يرجع إلى الحياة الدنيا. بل الحياة بعدها هي الحياة الآخرة، وهذا بالنسبة إلى مجموع الخلق، فلا ينافي أحياء من أماته الله مائة عامة ثم بعثه، فإن ذلك لتحقيق نموذج من قدرة الله تعالى على إحياء الموتى ولذا قال الله: ﴿**فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير**﴾ ا هـ.

(حديث قول اللَّه تعالى للشهداءِ: هل تشتهون شيئاً؟)

أَخرجه الإمام مسلم في صحيحه، من فضل الجهاد والسير ـ باب ـ في بيان أَن أَرواح الشهداءِ في الجنة... الخ ـ من ثلاث طرق:

(١٨٥) الأُولى: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا ـ أَوْ سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ (أَي ابن مسعود) عَنْ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا في سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ـ قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: أَرْوَاحُهُمْ في جَوْفِ طَيْرٍ خُضْر، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلاَعَةً فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئاً؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟ فَفَعَل ذَلِكَ بِهِمْ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا، قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا في أَجْسَادِنَا، حَتَّى نُقْتَلَ في سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا.

* * *

(وقد اقتصرت على هذه الرواية لأَنَّها تكفي عن غيرها. واللَّه أَعلم).

وأَخرجه الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في صحيحه ـ باب ـ من سورة آل عمران.

(١٨٦) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا في سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ـ فَقَالَ: أَمَا إِنَّا

شرح الحديث وهو مأخوذ من تقريرات على هامش متن مسلم المصور لمطبعة الشعب

ورواه مسلم في صحيحه بثلاث طرق إلى الأعمش، فقال في الأولى: حدثنا يحيى بن يحيى وأبو بكر بن شيبة، كلاهما عن أبي معاوية، ثم حول السند، وقال في الطريق الثانية:

وحدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا جرير وعيسى بن يونس، جميعاً عن الأعمش ـ ثم حول السند، فقال في الطريق الثالثة: وحدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ـ واللفظ له ـ حدثنا أسباط، وأبو معاوية، قالا: حدثنا الأعمش، عن عبد الله بن مرة، عن مسروق قال: سألنا ـ وفي نسخة: سألت عبد الله **(والأكثر على أنه عبد الله بن مسعود)** ويؤيد ما نقله الشارح عن القاضي، من أنه وقع في نسخ مسلم: **(عبد الله بن مسعود)** منسوباً ـ ومن الناس من قال: هو عبد الله بن عمر أي ابن الخطاب. وقوله: **(عن هذه الآية)** أي عن معناها وما المقصود؟

وقوله: **(أما أنا قد سألنا عن ذلك)** يعني سألنا النبي ﷺ عن تأويل هذه الآية، فيكون الحديث مرفوعاً، يدل على ذلك قرينة الحال، فإن ظاهر حال الصحابي أن يكون سؤاله من النبي ﷺ، لا سيما في تأويل آية كهذه ـ مما يتعلق بعلم الغيب ـ وفي المرقاة: قوله: **(تأوي**

قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَأُخْبِرْنَا أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ، تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلاَعَةً، فَقَالَ: هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئاً، فَأَزِيدَكُمْ؟ قَالُوا: رَبَّنَا، وَمَا نَسْتَزِيدُ وَنَحْنُ نَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟ ثُمَّ اطَّلَعَ إِلَيْهِمْ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئاً فَأَزِيدَكُمْ؟ فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ يُتْرَكُوا، قَالُوا: تعِيدُ أَرْوَاحَنَا، حَتَّى نَرْجَعَ إِلَى الدُّنْيَا، فَنُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى.

(قال الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى: حديث حسن صحيح).

* * *

وأَخرجه ابن ماجه في سننه عن ابن مسعود أَيضاً ـ في فضل الشهادة في سبيل اللَّه تعالى ـ بأَلفاظ قريبة من أَلفاظ الترمذي، إِلاَّ أَنه قال فيه:

(١٨٧) (سَلُونِي مَا شِئْتُمْ) مَرَّةً وَاحِدَةً، وَقَالَ فيه: (وَمَاذَا نَسْأَلُكَ، وَنَحْنُ نَسْرَحُ في الْجَنَّةِ، في أَيِّهَا شِئْنَا؟) وَزَادَ فِيهِ: (فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ لَمْ يَسْأَلُوا إِلاَّ ذَلِكَ تُرِكُوا).

* * *

وأَخرجه النسائي ـ في باب (ما يتمنى أَهل الجنة) فقال:

(١٨٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: يَا ابْنَ آدَمَ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَنْزِلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، خَيْرُ مَنْزِلٍ، فَيَقُولُ: سَلْ وَتَمَنَّ، فَيَقُولُ: أُسَائِلُ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيا، فَأُقْتَلَ في سَبِيلِكَ عَشْرَ مَرَّاتٍ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ.

إلى تلك القناديل) أي تنزل فيها، وتأوي إليها ـ ومأوى كل حي هو مسكنه الذي يقيم فيه، أي تكون تلك القناديل بمنزلة أوكار لها، تأوي إليها وتبيت فيها. والله أعلم.

وقوله: **(فاطلع إليهم)** عداه بإلى، لتضمنه معنى نظر إليهم، وجملة الحديث تمثيل لحال الشهداء، وقربهم من الله تعالى، وعنايته بهم، وتمتعهم بما يشا»ون، وتمكنهم مما يشتهون من لذات الجنة.

وقوله: **(ففعل ذلك بهم ثلاث مرات)** أي تكرر سؤاله لهم ثلاث مرات وهم يجيبون بما أجابوا به أو لا، وإنهم ليس لهم مطلب إلا أن يعيد إليهم أرواحهم، حتى يقتلوا مرة أخرى ليحوزوا أجر شهادة ثانية. تركهم ولم يسألهم بعد ـ وتقدم في حديث جابر: **(قال الرب: قد سبق مني أنهم لا يرجعون)**. والله أعلم.

حديث (يختصم الشهداء والمتوفَّوْن على فُرُشِهم)

أَخرجه النسائي في سننه ـ (باب مسأَلة الشهادة) جـ ١ ص ٣٧.

(١٨٩) عَنِ العِرْبَاضِ ابْنِ سَارِيَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَخْتَصِمُ الشُّهَدَاءُ وَالْمُتَوفَّونَ عَلَى فُرُشِهِمْ إِلَى رَبِّنَا، في الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنَ الطَّاعُونِ، فَيَقُولُ الشُّهَدَاءُ: إِخْوَانُنَا قُتِلُوا كَمَا قُتِلْنَا، وَيَقُولُ الْمُتَوَفَّوْنَ عَلَى فُرُشِهِمْ: إِخْوَانُنَا مَاتُوا كَمَا مِتْنَا، فَيَقُولُ رَبُّنَا: انْظُرُوا إِلَى جِرَاحِهِمْ، فَإِنْ أَشْبَهَ جِرَاحُهُمْ جِرَاحَ الْمَقْتُولِينَ، فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ وَمَعَهُمْ، فَإِذَا جِرَاحُهُمْ قَدْ أَشْبَهَتْ جِرَاحُهُمْ.

حديث (من خان غازياً في أَهله)

أَخرجه النسائي في سننه ـ (من خان غازياً في أَهله).

(١٩٠) عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

شرح الحديث

المقصود من الحديث أن الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله يرجون من الله تعالى، أن يكون الذين يتوفون من الطاعون مثل الشهداء في نيل الثواب العظيم الذي أعده الله للشهداء، ويقولون: ربنا: اخواننا هؤلاء، قتلوا في سبيلك، لأنهم صبروا على قضاء الله تعالى حتى ماتوا بالطاعون الذي هو من الله تعالى، كما صبر الشهداء في الحرب، لذلك هم يرجون لهم أجر الشهادة.

ويقول الذين ماتوا على فرشهم دون طاعون: اخواننا ماتوا مثل ما متنا أي على فرشهم فكيف يعطون أجر الشهداء الذين باعوا أنفسهم لله، وقتلوا في سبيله؟، فيقول الله تعالى لهم جميعاً: انظر إلى جراحهم التي مستهم من الطاعون، فإن اشبهت جراحهم جراح الشهداء وهي أن جرحهم يسيل دماً ـ اللون لون الدم والريح ريح المسك ـ فإنهم من الشهداء ومع الشهداء، فينظرون إلى جراحهم، فإذا هي مثل جراح الشهداء ـ ويسمى هؤلاء شهداء الآخرة فقط، فلا يجري عليه أحكام الشهيد في المعركة في ترك غسله والصلاة عليه عند بعض الأئمة، فذلك خاص بشهيد المعركة فقط. والله أعلم.

شرح الأحاديث من ١٩٠ ـ ١٩٣

أولاً حديث ١٩٠ **(من خان غازياً في أهله)** وبيان ما أعده الله له في الآخرة من العذاب قد مهد النبي ﷺ لذلك بقوله: **(حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهاتهم)** ليكون دليلاً على وجوب المحافظة على نساء المجاهدين وصيانتهن والدفاع عن أعراضهن، كما

وَسَلَّمَ ـ قَالَ: حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمِهِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَإِذَا خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ فَخَانَهُ، قِيلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: هَذَا خَانَكَ فِي أَهْلِكَ، فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ، فَمَا ظَنُّكُمْ؟.

* * *

حديث (يجيءُ الرجل آخذاً بيد الرجل، فيقول: يا رب، هذا قتلني).

أَخرجه النسائي في سننه ـ باب ـ (تعظيم الدم).

(١٩١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذاً بِيَدِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: قَتَلْتُهُ لِتَكُونَ الْعِزَّةَ لَكَ، فَيَقُولُ: فَإِنَّهَا لِي، وَيَجِيءُ الرَّجُلُ آخِذاً بِيَدِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ: إِنَّ هَذَا قَتَلَنِي، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: لِمَ قَتَلْتَهُ؟ فَيَقُولُ: لِتَكُونَ الْعِزَّةُ لِفُلاَنٍ، فَيَقُولُ: إِنَّهَا لَيْسَتْ لِفُلاَنٍ، فَيَبُوءُ بِإِثْمِهِ.

* * *

يجب الدفاع عن عرض الإنسان نفسه، بل عن أخص عرض له وهو أمه، وإذا وكانت حرمة نساء المجاهدين على القاعدين كحرمة أمهات القاعدين، فمن خان مجاهداً في أهله، قد اقترف إثماً عظيماً، ثم يوم القيامة يفضحه الله تعالى، ويحكم فيه المجاهد، فيقول له: هذا قد خانك في أهلك، فخذ من حسناته ما شئت، ثم قال النبي ﷺ: **(فما ظنكم؟)** تهويل لقبح الخيانة وتعظيم لجزائها، أي ما الذي تظنون ما يفعله المجاهد حينئذ وهو يريد أن يشفي غليله ممن خانه في أهله، هل يبقى له حسنة؟ ثم ما الذي تظنونه بذلك الخائن يومئذٍ، والخزي يحيق به، مع ما يسلب منه من الحسنات، حتى يكون عرضة لتجريده منها جميعها، فيبوء بإثمه إلى النار، نعوذ بالله من الخيانة، ونسأله أن يستر عوراتنا في الدنيا والآخرة. آمين.

شرح حديث ١٩١ (يجيء الرجل آخذاً بيد الرجل الخ)

المقصود من هذا الحديث أن من يجاهد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وأن العزة لدين الله يكون عمله مشكوراً، لأنه وضع الأمر في نصابه، وقتل نفساً لتكون العزة لله ـ وهي لا تكون إلا لله، فلم يخرج عن طريق الخير، ولا حاد عن العدل.

وأما من قتل نفساً لعزة ملك أو رئيس من الرؤساء، ويكون قتلاً بغير حق، قد حاد عن السبيل، وقصد أن تكون العزة لمن ليس له عزة، فقد تنكب الطريق، لأن العزة لا تكون إلا لله تعالى، فيبوء ويرجع بإثم عمله، ويجزيه الله شر الجزاء ويرفع القتيل درجات.

حديث (عجب ربنا من رجل غزا في سبيل اللَّه)

أَخرجه أَبو داود في سننه ـ باب ـ (الرجل يشتري نفسه) جـ ٢ ص ٣١٢.

(١٩٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَانْهَزَمَ ـ فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فَرَجَعَ حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى، لِمَلاَئِكَتِهِ: (انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي رَجَعَ رَغْبَةً فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، حَتَّى أُهْرِيقَ دَمُهُ).

* * *

حديث (عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل)

أَخرجه أَبو داود في سننه ـ باب ـ (الأَسِيرُ يُوثَقُ) جـ ٢ ص ٣٤٩.

(١٩٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: عَجِبَ رَبُّنَا ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مِنْ قَوْمٍ يُقَادُونَ إِلَى الْجَنَّةِ فِي السَّلاَسِلِ.

شرح حديث ١٩٢ (عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله)

أصل العجب يكون من فعل عظيم خارق للعادة، ويلزمه الرضا بهذا الفعل والسرور به، وإطلاق العجب على الله محال، لأنه لا يكون إلا ممن تتأثر نفسه استحساناً، فيراد منه لازمه وهو الرضا بهذا الفعل، وإعطاء الثواب العظيم والأجر الكبير على هذا العمل فالرجل الذي غزا في سبيل الله تعالى، ثم انهزم وترك المعركة فراراً من القتل فرجع ـ وباع نفسه لله تعالى ابتغاء رضاه، وانتصاراً لدينه، وقاتل حتى قتل ـ لا يضيع الله عمله، بل يرضى عنه ويجعله من الشهداء الذي قال الله فيهم: ﴿**إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**﴾.

فقد رغب هذا الرجل فيما عند الله من الجزاء، وخاف من الوعيد والعذاب الذي توعد الله به الذين يفرون من الزحف، حيث قال الله تعالى: ﴿**ومن يولهم يومئذٍ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير**﴾ لذلك أقبل وباع نفسه وقاتل حتى قتل. فرضي الله عنه وأرضاه. والله أعلم.

شرح حديث ١٩٣ (عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل)

عرفت أن المراد من العجب لازمه وهو الرضا، وإعطاء الجزاء العظيم، والأجر الكبير، ولعل المراد بهؤلاء القوم ـ هم الأسارى الذين يأخذهم المجاهدون في الحرب ويقيدونهم بالسلاسل، ثم يهديهم الله تعالى بعد ذلك إلى الإسلام، فيدخلون الجنة، فدخولهم الجنة سببه إغلالهم بالسلاسل، حتى أمنوا، ولو لم يؤسروا لقتلوا فيموتوا كفاراً. والله تعالى أعلم. ا هـ.

١٩ ـ (تضعيف الأجر على الأعمال لأمة محمد ـ صلى اللَّه عليه وسلم)

حديث (مثل اليهود والنصارى والمسلمين)

أَخرجه البخاري في كتاب الإِجارة ـ باب ـ (الإِجارة إلى صلاة العصر) جـ ٣ ص ٩٠.

(١٩٤) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبي أُوَيْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دِينَارٍ ـ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ـ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَّالاً، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلْ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ، قِيرَاطٍ، فَعَمِلَتِ الْيَهُودَ عَلَى قِيرَاطٍ، ثُمَّ عَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ أَنْتُمُ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلاَةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَقَالُوا: نَحْنُ اكْثَرُ عَمَلاً، وَأَقَلُّ عَطَاءَ، قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُكُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئاً؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: فَذَلِكَ فَضْلِي، أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ.

* * *

وأَخرجه البخاري ـ باب الإِجارة من العصر إلى الليل ـ جـ ٣ ص ٩٠ متن وشرح جـ ٤ ص ١٣٣.

(١٩٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْعَلاَءِ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ بُرَيْد، عَنْ أَبي بُرْدَةَ، عَنْ أَبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ، وَالْيَهُودِ، وَالنَّصَارَى، كَمَثَلِ رَجُل اسْتَأْجَرَ قَوْماً يَعْمَلُونَ لَهُ عَمَلاً يَوْماً إِلى اللَّيْلِ، عَلَى أَجْرٍ مَعْلُوم، فَعَمِلُوا لَهُ إِلى نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالُوا: لاَ حَاجَةَ لَنَا إِلى أَجْرِكَ الَّذِي شَرَطْتَ لَنَا، وَمَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ، فَقَالَ لَهُمْ، لاَ تَفْعَلُوا أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ، وَخُذُوا أَجْرَكُمْ كَامِلاً، فَأَبَوْا وَتَرَكُوا، وَاسْتَأْجَرَ آخَرِينَ بَعْدَهُمُ، فَقَالَ: أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ هَذَا، وَلَكُمُ شَرَطْتُ لَهُمْ مِنَ الأَجْرِ، فَعَمِلُوا حَتَّى إِذَا كَانَ حِينَ الْعَصْرِ، قَالُوا: لَكَ مَا عَمِلْنَا بَاطِلٌ، وَلَكَ الأَجْرُ الَّذِي جَعَلْتَ لَنَا فِيهِ، فَقَالَ لَهُمْ،

أَكْمِلُوا بَقِيَّةَ عَمَلِكُمْ، فَإِنَّ مَا بَقِيَ مِنَ النَّهَارِ شَيْءٌ يَسِيرٌ، وَاسْتَأْجَرَ قَوْماً أَنْ يَعْمَلُوا لَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ، فَعَمِلُوا بَقِيَّةَ يَوْمِهِمْ حَتَّى غَابَتْ الشَّمْسُ، وَاسْتَكْمَلُوا أَجْرَ الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا، فَذَاكَ مَثَلُهُمْ وَمَثَلُ مَا قَبِلُوا مِنْ هَذَا النُّورِ.

شرح الحديثين من القسطلاني في مواضع

أما الحديث الأول فقد أخرجه البخاري أيضاً في كتاب الصلاة ـ باب ـ **(من أدرك ركعة من العصر قبل الغروب)** ـ وأخرجه في كتاب الإجارة **(باب الإجارة إلى نصف النهار)** ـ وأخرجه في كتاب التوحيد ـ باب ـ قول الله تعالى: **(قل فأتوا بالتوارة فأتلوها)** ـ وفي باب قول الله: ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء**﴾ وفي غالب هذه الروايات زيادة: **(ثم عجزوا)** بعد كل من اليهود والنصارى، ثم ذكر فيها قوله: **(ثم أوتيتم ـ أو عطيتم القرآن، فعملتم به حتى غروب الشمس فأعطيتم قيراطين قيراطين)**.

فهذا الحديث برواياته المتعددة، فيه بيان لحال كل من اليهود والنصارى الذين عمل كل منهم بكتابه، وماتوا على ذلك قبل أن ينسخ كتابهم، فعمل اليهود بكتابهم **(التوراة)** قبل بعثة المسيح عليه السلام، وكذلك عمل النصارى بكتابهم **(الإنجيل)** وماتوا قبل أن يبعث نبينا محمد ﷺ.

فكل من هؤلاء يعطون أجرهم على العمل بكتابهم ـ قيراطاً قيراطاً، ويعطي من آمن بمحمد ﷺ بعد مبعثه أجره، قيراطين قيراطين، قال الله تعالى: ﴿**أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا**﴾ بعد قوله: ﴿**الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون**﴾.

وذكر رسول الله ﷺ من الثلاثة الذين يؤتون أجرهم مرتين **(رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه، ثم آمن بي)** ـ فهذا هو المراد من الحديث الأول، وأنه فيمن مات منهم قبل نسخ كتابه. ا هـ.

وأما الحديث الثاني:

فهو تمثيل لحال أهل الكتابين، الذين أدركوا الزمان الذي نسخ فيه كتابهم بشريعة نبي أتى بكتاب آخر، وكذبوا بهذا النبي وبكتابه ـ وذلك كاليهود الذين أدركوا زمن سيدنا عيسى عليه السلام، وقد أتاهم بالإنجيل ـ وقد قال لهم: **(ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم)** فكفروا بعيسى عليه السلام، وكذبوا بالإنجيل، فكأنهم قالوا لربهم: لا حاجة لنا في أجرك الذي شرطت لنا.

وكذلك كل من اليهود والنصارى الذين أدركوا بعثة نبينا محمد ﷺ، ثم كفر كل منهم بمحمد ﷺ، وبالقرآن الذي جاء به من عند الله، فكأنهم يقولون: لك ما عملنا باطل، ولا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا.

وقد روى البخاري ـ رحمه الله ـ هذا الحديث الثاني أيضاً، الذي يدل على كفر أهل الكتابين كل منهم بالرسول الذي بعث بشريعة ناسخة لشريعة من قبله ـ رواه في كتاب الصلاة

.....

ـ باب **(من أدرك ركعة من العصر)** ـ وقال القسطلاني بعد هذا الحديث:

فذلك مثل المسلمين الذين قبلوا هدى الله، وما جاء به رسوله ﷺ، ومثل اليهود والنصارى، الذين تركوا ما أمرهم الله به ـ وقال القسطلاني أيضاً في حديث ابن عمر السابق: إنه استأجر اليهود من أول النهار إلى نصفه، والنصارى منه إلى العصر ـ فبين الحديثين مغايرة وأجيب بأن ذلك بالنسبة إلى من عجز عن الإيمان بالموت قبل ظهور دين آخر.

وأما الحديث الثاني فبالنسبة إلى من أدرك دين الإسلام، ولم يؤمن به، والظاهر أنهما قضيتان. ولذا قال بعضهم ما حاصله: إن حديث ابن عمر سيق مثالاً لأهل الأعذار، لقوله، **(فعجزوا)** وحديث أبي موسى سيق مثالاً لمن تأخر عن الإيمان دون عذر، وأشار إلى ذلك بقولهم:

(لا حاجة لنا إلى أجرك). اهـ ملخصاً. والله أعلم.

٢٠ ـ (صفة النبي ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ في التوراة)

حديث صفة النبي ﷺ في التوراة

أَخرجه البخاري ـ رحمه اللَّه من سورة الفتح ـ باب ـ (قول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّا أَرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾) جـ ٦ ص ١٣٦

(١٩٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ ابْنِ هِلاَلٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ: إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ: (﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾) ـ قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَحِرْزاً لِلأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا: لاَ إِلَه إِلاَّ اللَّهُ فَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُناً عُمْياً، وَآذَاناً صُمًّا، وَقُلُوباً غُلْفاً.

* * *

وأَخرج هذا الحديث البخاري أَيضاً، في أَول كتاب البيوع، وفيه:

(١٩٧) بسنده إِلَى عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: لَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قُلْتُ لَهُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِي التَّوْرَاةِ، قَالَ: أَجَلْ، وَاللَّهِ، إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَاةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ: (﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾... إِلى آخر الحديث).

شرح الحديث من القسطلاني جـ ٤ ص ٥١ ـ ٥٢

قوله: **(قلت له)** أي لعبد الله بن عمرو بن العاص: **(أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة)** أي لأن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ كان قد قرأ التوراة وعرف ما فيها.

(قال عبد الله: أجل) هي حرف جواب مثل نعم، فيكون تصديقاً للمخبر، وإعلاماً للمستخبر، ووعداً للطالب. ـ وقيل: تختص بالخبر، وهو قول الزمخشري وابن مالك، وقيد المالقي الخبر بالمثبت، والطلب بغير النهي.

وقال في القاموس: هي جواب، كنعم، إلا أنه أحسن منه في التصديق، ونعم ـ أحسن

.....

منه في الاستفهام. ا هـ ـ وهذا ما قاله الأخفش كما في المغني، قال الطيبي: وفي الحديث جاء جواباً للأمر، على تأويل ـ قرأت التوراة، فهل وجدت صفة رسول الله ﷺ فيها؟ فأخبرني، قال: أجل، **(والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن)** أكد كلامه بتأكيدات: الحلف بالله، والجملة الاسمية، ودخول ـ إن عليها ـ ولام التأكيد على الخبر. ﴿**إنا أرسلناك شاهداً**﴾ لأمتك المؤمنين بتصديقهم، وعلى الكافرين بتكذيبهم ﴿**ومبشراً**﴾ للمؤمنين بالجنة ﴿**ونذيراً**﴾ للكافرين بالنار **(وحرزاً)** أي حصنا **(للأميين)** أي للعرب لأن أغلبهم كانوا لا يقرأون ولا يكتبون **(أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل)** على الله تعالى لقناعتك ـ باليسير من الرزق، واعتمادك على الله تعالى في النصر، والصبر على انتظار الفرج والأخذ بمحاسن الأخلاق، واليقين بتمام وعد الله تعالى.

لذلك توكل على الله، فسماه المتوكل ـ **(ليس بفظ)** أي ليس سيىء الخلق جافياً، **(ولا غليظ)** أي ليس قاسي القلب.

وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾ ـ وذلك بالنسبة للمؤمنين، وأما بالنسبة للكافرين والمنافقين، فأمره الله تعالى أن يغلظ عليهم بقوله: ﴿يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾.

وفي قوله: **(ليس بفظ.. الخ)**التفات من الخطاب الى الغيبة **(ولا سخاب)** بتشديد الخاء بعد السين، وهي لغة في ـ صخاب ـ أثبتها الفراء وغيره. والصخاب أشهر، وهو الذي يرفع صوته على الناس، لسوء خلقه.

فهو لا يكثر الصياح عليهم في الأسواق، بل يلين جانبه لهم، ويرفق بهم. وفيه ذم لأهل السوق الذين يكونون بهذه الصفة المذمومة، من الصخب، واللغط، والزيادة في المدح لما يتبايعونه، والإيمان الكاذبة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: **(شر البقاع الأسواق)** أي لما يغلب على أهلها من هذه الأحوال المذمومة.

(ولا يدفع بالسيئة السيئة) هو كقوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ **(ولكن يعفو ويغفر)** أي ما لم تنتهك حرمات الله تعالى **(ولن يقبضه الله)** أي لن يميته الله **(حتى يقيم به الملة العوجاء)** أي ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فإنها قد عولجت في أيام الفترة، فزيدت ونقصت، وغيرت عن استقامتها، وأميلت بعد قوامها، وما زالت كذلك حتى قام الرسول ﷺ، فأقامها بنفي ما كان عليه العرب من الشرك وإثبات التوحيد بأن يقولوا **(لا إله إلا الله، ويفتح بها)** أي بكلمة التوحيد **(أعيناً عميا)** أي يقيم الله بواسطته ـ ﷺ ـ الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بواسطة هذه الكلمة أعيناً عميا عن الحق **(وآذاناً صما، وقلوباً غلفا)** صما ـ بضم الصاد، وتشديد الميم جمع صماء، صفة ـ آذانا ـ وغلفا بضم الغين، وسكون اللام جمع أغلف، صفة ـ قلوبا ـ.

.....

والأغلف: كل شيء كان في غلاف، يقال: سيف أغلف، إذا كان في غلاف. قاله البخاري وقال: ـ قوس غلفاء ـ إذا كانت في غلاف كالجعبة ونحوها، وكذا رجل أغلف ـ إذا لم يكن مختوناً.

قاله أبو عبد الله البخاري: وهو كلام أبي عبيدة في المجاز. اهـ قسطلاني.

وقال القسطلاني ـ رحمه الله تعالى:

ولا منافاة بين الحديث، وبين قوله تعالى: ﴿وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم﴾، لأن المنفي عنه ـ ﷺ ـ الاستقلال بذلك، وأما أنه ﷺ سبب في ذلك، فقد ثبت له ﷺ الهداية بهذا المعنى في القرآن الكريم، فقال الله تعالى:

﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾. اهـ ملخصاً والله أعلم.

٢١ ـ (جزاء الصبر على المصيبة)

حديث (جزاءُ الصبر على فقد العينين)

أَخرجه البخاري في كتاب الطب ـ باب ـ (فضل من ذهب بصره) جـ ٧ ص ١١٦:

(١٩٨) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ يُوسُفَ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ الْهَادِ، عَنْ عَمرو مَوْلَى الْمُطَّلِبِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُول: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ، عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ. يريد عينيه.

* * *

وأَخرجه الترمذي في صحيحه ـ باب ـ (ما جاءَ في ذهاب البصر) جـ ٢ ص ٦٤ ولفظه:

(١٩٩) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: إِذَا أَخَذْتُ كَرِيمَتَيْ عَبْدِي في الْدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ جَزَاءٌ عِنْدِي إِلاَّ الْجَنَّةَ.

قال أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ حديث حسن غريب.

شرح الحديث من القسطلاني جـ ٨ ص ٣٨٦

(عبد الله بن يوسف) هو أبو محمد الدمشقي، ثم التنيسي الكلاعي الحافظ **(حدثنا الليث)** هو ابن سعد الإمام **(حدثني ابن الهاد)** هو يزيد بن عبد الله بن أسامة الليثي **(عن عمرو مولى المطلب)** هو ابن عبد الله بن حنطب، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ.

قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إن الله تعالى قال: **(إذا ابتليت عبدي)** المؤمن **(بحبيبتيه)** بالتثنية أي محبوبتيه، إذ هما أحب أعضاء الإنسان إليه، لما يحصل له بفقدهما من الأسف الشديد، على فوات رؤيته من خير، فيسر به، أو شر فيجتنبه **(فصبر)** لتذكره ما وعد الله به الصابرين من الثواب. زاد الترمذي: **(واحتسب)**.

(عوضته منهما الجنة) وهي أعظم العوض، لأن الالتذاذ بالبصر يفنى بالموت ـ مع أن

والحديث الغريب: ما كان في بعض طبقات سنده راو واحد، ولو تعددت المواضع. والغرابة في سند الحديث لا تجعله ضعيفاً، حيث تكون طبقة الانفراد من رجال الصحة أَو الحسن.

* * *

وأَخرجه الترمذي عن أَبي هريرة رضي اللَّه عنه، مرفوعاً إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم.

(٢٠٠) قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: مَنْ أَذْهَبْتُ حَبِيبَتَيْهِ، وَصَبَرَ وَاحْتَسَبَ، لَمْ أَرْضَ لَهُ ثَوَاباً إِلاَّ الْجَنَّةَ.

قال الترمذي ـ رحمه اللَّه: حديث حسن صحيح.

الالتذاذ بالجنة باق لا يفنى.

وفي حديث أبي أمامة في الأدب للبخاري:

(إذا أخذت كريمتيك، فصبرت عند الصدمة الأولى واحتسبت) قال في الفتح:

فأفاد أن الصبر النافع هو ما يكون في أول وقوع البلاء، فيفوض ويسلم، فلو ضجر في أول وهلة، ثم يئس فصبر، لا يحصل له الغرض المقصود. والله أعلم.

وفي الحديث الصحيح: **(ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا وهم ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلا كفر الله بها من خطاياه)**.

والأجر على المصيبة متوقف على الصبر عليها، والرضا بقضاء الله والتسليم لأمر الله تعالى، وعدم الجزع للبلاء.

وأما من لم يقابل البلاء بالرضا، ولا يكون مستسلماً للقضاء، فلا أجر له ولا جزاء ولا ثواب، بل يكون جزعه معصية يعاقب عليه، والإيمان الصحيح: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومره. اللهم ارزقنا الإيمان الخالص والطف بنا في قضائك وقدرك، واكفنا شر الفتن: ما ظهر منهما وما بطن. آمين.

(حديث ثواب قبض الولد)

أَخرجه البخاري رحمه اللَّه ـ من كتاب الرقاق ـ باب ـ (العمل يبتغي به وجه اللَّه) جـ ٨ ص ٩٠.

(٢٠١) حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، عَنْ عَمْرٍو ـ (هو ابن أَبي عمرو مولى المطلب) عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: مَا لِعَبْدِي الْمُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ، إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ، إِلاَّ الْجَنَّةَ.

قال القسطلاني ـ رحمه اللَّه تعالى: والحديث من أَفراد البخاري ـ أَي لم يخرجه مسلم في صحيحه.

* * *

وأَخرج النسائي في سننه ـ في باب (من يتوفى له ثلاثة أَولاد).

(٢٠٢) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَمُوتُ بَيْنَهُمَا ثَلاَثَةُ أَوْلاَدٍ، لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، إِلاَّ أَدْخَلَهُمَا الله بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمُ الْجَنَّةَ، قَالَ: يُقَالُ لَهُمُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَيَقُولُونَ: حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا، فَيَقُولُ: ادْخُلُوا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ.

* * *

وأَخرج ابن ماجه في سننه حديثين ـ في باب (ما جاءَ في الصبر على المصيبة) أَحدهما عام في كل مصيبه ـ والثاني: في ثواب المصيبة ـ بفقد السقط فيكون المصيبة بفقد الولد أَولى بذلك قال في ذلك جـ ١ ص ٢٤٩.

(٢٠٣) عَنْ أَبي أُمَامَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ابْنُ آدَمَ، إِنْ صَبَرْتَ وَاحْتَسَبْتَ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى، لَمْ أَرْضَ لَكَ ثَوَاباً إِلاَّ الْجَنَّةَ.

وفي الزوائد: إِسناد حديث أَبي أُمامة صحيح، ورجاله ثقات.

* * *

وقال في ـ باب ـ (ما جاءَ فيمن أُصيب بسقط).

(٢٠٤) عَنْ عَلِيٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ السِّقْط لَيُرَاغِمُ (أَي يغاضب ويجادل) رَبَّهُ إِذَا أَدْخَلَ أَبَوَيْهِ النَّارَ، فيُقَالُ: أَيُّهَا السِّقْطُ الْمُرَاغِمُ (أَي المغاضب المجادل) رَبَّهُ، أَدْخِلْ أَبَوَيْك الْجَنَّة، فيَجُرُّهُمَا بِسَرَرِهِ حَتَّى يُدْخِلهُمَا الْجَنَّة.

(قوله: بِسَرَرَه) هو بفتحتين، وتكسر السين: ما تقطعه القابلة، وهو السُّرّ بالضم أَيضاً، وأَما السُّرَّةُ، فهي ما يبقى بعد القطع.

شرح الحديث البخاري من القسطلاني جـ ٩ ص ٢٤٣

(حدثنا يعقوب بن عبد الرحمٰن) الفارسي المدني، نزيل الاسكندرية **(عن عمرو)** هو ابن أبي عمرو، بفتح العين وسكون الميم فيهما ـ مولى المطلب، وقوله: **(ما لعبدي المؤمن جزاء)** أي ثواب **(إذا قبضت صفيه)** بفتح الصاد، وكسر الفاء، وتشديد الياء ـ هو الحبيب المصافي، كالولد والأخ، وكل من أحبه الإنسان **(من أهل الدنيا)** أي حال كون هذا الصفي من أهل الدنيا **(ثم احتسبه)** أي صبر راجياً الثواب من الله تعالى **(إلا الجنة)** بالرفع بدل من جزاء، أي ليس له إلا الجنة ثواباً له من الله جزاء صبره على فقه صفيه، واحتسبه أي ادخره عند الله تعالى. والله أعلم.

(حديث ثواب قبض الولد)

(أَخرجه الترمذي رحمه اللَّه تعالى ـ من أَبواب الجنائز) جـ ١ ص ١٩٠.

(٢٠٥) عَنْ أَبي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ، قَالَ اللَّهُ لِمَلاَئِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَة فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ، وَاسْتَرْجَعَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتاً في الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الْحَمْدِ.

قال أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه ـ: حديث حسن غريب.

والغريب: هو الحديث الذي يكون في بعض طبقات سنده راو واحد وذلك لا يضعف الحديث، حيث كان ذلك الواحد ثقة ضابطاً، لذلك حكم له الترمذي بأَنه حديث حسن. اهـ.

شرح الحديث

قوله تعالى: **(قبضتم ولد عبدي، قبضتم ثمرة فؤاده)** الكلام على الاستفهام، وليس المقصود به حقيقة الاستفهام، بل المقصود منه التمهيد إلى ما يأتي بعده، وهو تحقيق الجزاء وإظهار الملائكة الكرام عليه، وقد قالوا أولاً: في شأن آدم: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء﴾ الآية.

وقوله: **(بيت الحمد)** الإضافة أما للسببية. أي بيت في الجنة سببه الحمد الذي صدر منه عند إصابته بفقد ولده، واسترجاعه، وقوله: **﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾** ـ وأما من إضافة المسمى إلى اسمه، أي بيت، اسمه الحمد.

وأما للتشريف. مثل بيت الله للكعبة المشرفة، رزقنا الله الإنابة والرجوع إليه والرضا بقضائه. آمين.

حديث (في فضل المريض الذي يحمد ربَّه)

أَخرجه الإمام مالك في الموطإ ـ باب ـ (ما جاءَ في فضل المريض) جـ ٢ ص ٢٠٦.

(٢٠٦) عَن عطاءِ بن يسار ـ قال: إِذَا مَرِضَ الْعَبْدُ بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ مَلَكَيْنِ، فَقَالَ: انْظُرَا مَاذَا يَقُولُ لعُوَّاده؟ فَإِنْ هُوَ إِذَا جَاءُوهُ حَمدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، رَفَعَا ذَلكَ إِلى اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ ـ فَيَقُولُ: لِعَبْدِي عَلَيَّ إِنْ تَوَفَّيْتُهُ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَإِنْ أَنَا شَفَيْتُهُ، أَنْ أُبْدِلَ لَهُ لَحْماً خَيْراً مِنْ لَحْمِهِ، وَدَماً خَيْراً مِنْ دَمِهِ، وَأَنْ أُكَفِّرَ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ.

حديث (الحُمَّى هي ناري أَسَلِّطها على عبدي المؤْمن في الدنيا. . الخ)

أَخرجه ابن ماجه في سننه ـ (باب الحمَّى) جـ ٢ ص ١٨٢.

(٢٠٧) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّهُ عَادَ مَرِيضاً، وَمَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، مِنْ وَعَكٍ كَانَ بِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: أَبْشِرْ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: هِيَ نَارِي، أُسَلِّطُهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ في الدُّنْيَا، لِتَكُونَ حَظَّةً مِنَ النَّارِ في الآخِرَةِ.

* * *

الشرح:

نقول قبل الشرح: إن هذا الحديث برواية عطاء بن يسار، ولم يذكر رفعه إلى النبي ﷺ، فيحتمل أن يكون موقوفاً على عطاء بن يسار، وهو ليس صحابياً، فيكون من كلامه، ولكن ما ذكر في هذا الحديث ليس من قبيل الرأي، لأن فيه إضافة فعل قول إلى الله تعالى، وذلك لا يعلم إلا من جهة السمع.

وقد قالوا: إن الصحابي إذا قال قولاً، لا دخل للرأي فيه، فإنه يعطي حكم الرفع إذا لم يكن معروفاً عنه أنه يقرأ في كتب أهل الكتاب.

وعلى هذا ـ فيحتمل أن يكون عطاء بن يسار سمعه من صحابي، فيعطي حكم الرفع، ويحتمل أن يكون موقوفاً عليه، وذلك هو الحديث المقطوع ـ.

غير أن فضل المريض وكفارة المرض قد جاء فيها أحاديث كثيرة في الصحيحين وغيرهما ـ ففي البخاري (عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: **(ما من مصيبة تصيب المسلم، إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها)** وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: أتيت النبي ﷺ في مرضه، وهو يوعك وعكاً شديداً، فقلت: يا رسول الله، إنك لتوعك وعكاً شديداً، قلت: إن ذاك بأن لك أجرين، قال: أجل، ما من مسلم يصيبه أذى، إلا حات الله عنه خطاياه، كما تحات ورق الشجر). اهـ والله أعلم.

حديث (اقْرَأْ وَاصْعَدْ)

أَخرجه ابن ماجه في سننه ـ باب (ثواب القرآن) جـ ٢ ص ٢١٧.

(٢٠٨) عَنْ أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ إِذَا دَخَلَ الْجَنَّةَ: اقْرَأْ وَاصْعَدْ، فَيَقْرَأُ وَيَصْعَدُ بِكُلِّ آيَةٍ دَرَجَةً، حَتَّى يَقْرَأَ آخِرَ شَيْءٍ مَعَهُ.

* * *

حديث (إِنَّ الرجَلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ في الْجَنَّةِ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِهِ)

أَخرجه ابن ماجه في سننه ـ باب ـ (بر الوالدين) جـ ٢ ص ٢٠٣.

(٢٠٩) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الْقِنْطَارُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أُوقِيَّةٍ، كُلُّ أُوقِيَّةٍ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، ـ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ في الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَنى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ.

٢٢ ـ (الانكار على الاسراف في القصاص، وإنما القصاص من الجاني)

حديث النملة التي قرصت نبياً

من صحيح البخاري جـ ٤ ص ٦٢

(٢١٠) حَدَّثَنَا يَحْيى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ، وَأَبِي سَلَمَةَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ، أَحْرَقْتَ أُمَّةً تُسَبِّحُ اللَّهَ؟.

شرح الحديث ملخصاً من شرح القسطلاني

قوله: **(قرصت نملة نبياً.. الخ)** بفتح القاف والراء والصاد، أي لدغته.

وقوله: **(نبياً من الأنبياء)** ـ عند الترمذي الحكيم أنه موسى عليه السلام، وقيل: هو عزير.

واستدل به على جواز حرق الحيوان المؤذي، لأن شرع من قبلنا شرع لنا، إذا لم يأت في شرعنا ما يرفعه، ـ نعم ورد فيه ـ أي في شرعنا ـ النهي عن التعذيب بالنار، إلا في القصاص بشرطه، ـ وكذا لا يجوز قتل النمل، لحديث ـ ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى عن قتل النملة والنحلة.

وقوله: **(أن قرصتك نملة.. الخ)** الكلام على الاستفهام، واللام مقدرة، وهو متعلق بقوله: ـ أحرقت ـ أي لأجل أن قرصتك نملة أحرقت أمة.. الخ.

وفي الرواية الأخرى: **(فهلا نملة واحدة)** أي فهلا أحرقت نملة واحدة. قال القسطلاني فهلا أحرقت نملة واحدة، وهي التي لدغتك.

وقد روي لهذه القصة سبب آخر، وهو أن هذا النبي مر على قرية أهلكها الله بذنوب أهلها فوقف متعجباً، فقال: يا رب، كان فيهم صبيان ودواب ومن لم يقترف ذنباً، ثم نزل تحت شجرة فجرت هذه القصة، وخوطب بهذا العتاب. اهـ ملخصاً من القسطلاني، ثم قال:

والحاصل أن العقوبة من الله عز وجل تعم، فتصير رحمة على المطيع، وطهارة له، وشراً ونقمة على العاصي. والله أعلم.

وأَخرج البخاري رحمه اللَّه الحديث في باب (خمس من الدواب واسق يقتلن في الحرم) جـ ٤ ص ١٢٩. فقال:

(٢١١) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي أُوَيْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ، عَنِ الأَعْرَجِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَلَدَغَتْه نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا، ثُمَّ بَيْتِهَا فَأُحْرِقَ بِالنَّارِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: فَهَلاَّ نَمْلَةً وَاحِدَةً.

* * *

وأَخرجه مسلم ـ باب (النهي عن قتل النمل) جـ ٩ ص ٨٩.

(٢١٢) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّام بْنِ مُنَبِّه، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا بِهِ أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: نَزَلَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِجَهَازِه فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا، وَأَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ بِالنَّارِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ فَهَلاَّ نَمْلَةً وَاحِدَةً.

* * *

وروى هذا الحديث مسلم بروايتين، كما ورد في روايتي البخاري إلا أَنه قال في بعض الروايات.

(٢١٣) (أَفِي أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ وَاحِدةٌ، أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَم تُسَبِّحُ)؟

وأَخرج الحديث النسائي في سننه ـ باب (قتل النمل) جـ ٧ ص ٢١٠.

(٢١٤) قال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّ نَمْلَةً قَرَصَتْ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ إِلَيْهِ: (أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ، أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَم تُسَبِّحُ).

* * *

وأَخرجه أَبو داود في سننه ـ باب (في قتل الذّرّ) جـ ٤ ص ٢٧٣ هامش الزرقاني على الموطإ فقال:

(٢١٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ

قَالَ: نَزَلَ نَبيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَلَدَغَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِجَهَازِهِ فَأُخْرِجَ مِنْ تَحْتِهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: (فَهَلاَّ نَمْلَةً وَاحِدَةً).

* * *

ورواه أَبو داود برواية أُخرى، عن أَبي هُرَيْرَةَ كرواية النسائي، إِلا أَنه قال:

(٢١٦) في أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ، أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَم تُسَبِّحُ؟

وهو على تقدير همزة الاستفهام، المصرح بها في رواية مسلم.

* * *

وأَخرجه ابن ماجه في سننه ـ من باب (ما ينهي عن قتله) جـ ٢ ص ١٥٢.

(٢١٧) فقال: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَرَصَتْهُ نَمْلَةٌ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: (في أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ، أَهْلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَم تُسَبِّحُ؟).

شرح الحديث مأخوذ من شرح النووي على مسلم

قال النووي ـ رحمه الله تعالى: قال العلماء: وهذا الحديث محمول على أن شرع ذلك النبي كان فيه جواز قتل النمل، وجواز الإحراق بالنار، ولم يعتب الله عليه في أصل القتل والإحراق، بل في الزيادة على نملة واحدة.

قال: وأما في شرعنا فلا يجوز الإحراق بالنار ـ إلا قصاصاً فيمن أحرق بالنار، وأما قتل النمل ففيه خلاف عند الأئمة.

وقوله: **(فأمر بقرية النمل فأحرقت)** قرية النمل هي منزلهن، والجهاز بفتح الجيم وكسرها: هو المتاع.

وقد عرفت أن هذا الحديث محمول على أن شرع ذلك النبي ﷺ فيه جواز قتل النمل، وجواز الإحراق بالنار، ولم يعتب عليه في أصل القتل والإحراق، وإنما عتب عليه في الزيادة على نملة واحدة.

وقوله: **(فهلا نملة واحدة)** أي فهلا قتلت نملة واحدة، وهي التي قرصتك، لأنها الجانية، وأما غيرها فليس له جناية.

وأما في شرعنا فلا يجوز الإحراق للحيوان، إلا إذا أحرق إنساناً فمات بالإحراق، فيجوز لوليه الاقتصاص بإحراق الجاني.

وسواء في منع الإحراق النمل وغيره، للحديث المشهور:

.....

(لا يعذب بالنار إلا الله تعالى).

واحتج أصحابنا فيه بحديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ نهى عن قتل أربع من الدواب: النملة، والنحلة، والهدهد والصرد رواه أبو داود بإسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم. ا هـ نووي.

وقال القسطلاني: خص الخطابي النهي بالنمل الكبير، أما الصغير المسمى بالذر فقتله جائز، وكره مالك رحمه الله قتل النمل، إلا أن يضر، ولا يقدر على دفعه إلا بالقتل.

وقال الدميري في قوله: **(فهلا نملة واحدة)**: فيه دليل على جواز قتل المؤذي من الحيوان. ـ **(وكل قتل لحيوان كان لنفع، أو لدفع ضر، فلا بأس به عند العلماء)**. ا هـ من القسطلاني، وفيه زيادات لمن أرادها. جـ ٥ ص ٣١٤.

٢٣ ـ (شفقة النبي ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ على أمته ودعاؤه لهم)

حديث دعاء النبي صلى اللَّه عليه وسلم لأُمته وبكائه شفقة عليهم

أَخرجه مسلم في صحيحه ـ من كتاب الإيمان جـ ٢ ص ١٧٩ هامش القسطلاني:

(٢١٨) فقال: حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى الصَّدَفِيُّ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَمْرُو بْنُ الْحَارِثِ، أَنَّ بَكْرَ بْنَ سَوَادَةَ، حَدَّثَهُ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو بْنِ الْعَاص ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ تَلاَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى فِي إِبْرَاهِيمَ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: (﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾... الآية) وَقَالَ عِيسَى ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ أُمَّتِي.. أُمَّتِي، وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ ـ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ ـ فَسَلْهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ بِمَا قَالَ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّد، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلاَ نَسُوءُكَ.

شرح حديث دعاء النبي ﷺ من شرح النووي على صحيح مسلم قوله: **(حدثني يونس ابن عبد الأعلى الصدفي..)** إلى آخر السند.

قال النووي رحمه الله: قدمنا أن في يونس ست لغات: ضم النون وفتحها وكسرها، مع الهمز فيهن وتركه، وأما الصدفي فبفتح الصاد والدال المهملتين، وبالفاء منسوب إلى الصدف، بفتح الصاد وكسر الدال، قبيلة معروفة.

قال أبو سعيد بن يونس: دعوته في الصدف، وليس من أنفسهم ولا من مواليهم.

توفي يونس بن عبد الأعلى هذا في آخر شهر ربيع الآخر، سنة أربع وستين ومائتين، وكان مولده في ذي الحجة سنة سبعين ومائة ففي هذا الإسناد رواية الإمام مسلم عن شيخ عاش بعده، فإن مسلماً توفي سنة إحدى وستين ومائتين، كما تقدم.

وأما بكر بن سودة، فبفتح السين، وتخفيف الواو. والله أعلم.

وقوله: **(عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ تلا قول الله في إبراهيم ـ ﷺ: ﴿رب إنهن أضللن كثيراً من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك**

.....

غفور رحيم﴾).

وقال عيسى ـ ﷺ: **﴿إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾**.

قال القاضي عياض: قال بعضهم: قوله: **(قال)** هو اسم للقول لا فعل، يقال: قال قولاً وقالا، وقيلا. كأنه قال: وتلا قول عيسى. هذا كلام القاضي عياض رحمه الله تعالى.

قوله: (عن النبي ﷺ: إنه رفع يديه، وقال: اللهم، أمتي، أمتي، وبكى، فقال الله ـ عز وجل ـ: يا جبريل، اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فاسأله: ما يبكيك؟ فسأله فأخبره النبي ـ ﷺ بما قال ـ وهو أعلم ـ أي بما قاله النبي ﷺ ـ فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام: يا جبريل، اذهب إلى محمد، فقل ـ أي قل له: إن الله يقول لك: **(إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوءك)**.

ثم قال النووي ـ رحمه الله تعالى بعد ذلك:

وهذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد: منها بيان كمال شفقته ﷺ ـ على أمته، واعتنائه بمصالحهم، واهتمامه بأمرهم.

ومنها استحباب رفع اليدين في الدعاء، كما فعل النبي ﷺ، ومنها البشارة العظيمة لهذه الأمة ـ زادها الله شرفاً بما وعده الله تعالى لنبيه ـ ﷺ ـ بقوله: **(إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك)**، وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة، أو أرجاها.

ومنها بيان عظيم منزلة النبي ﷺ ـ عند الله تعالى وعظيم لطفه ـ سبحانه به ـ ﷺ.

والحكمة في إرسال جبريل ـ عليه السلام ـ لسؤاله ـ ﷺ ـ إظهار شرف النبي ﷺ ـ وأنه بالمحل الأعلى عند ربه تعالى، فيسترضي، ويكرم بما يرضيه، أي ويكون ذلك بشهادة الملأ الأعلى، إذ يبلغه بذلك جبريل عليه السلام، والله أعلم.

وهذا الحديث موافق لقول الله ـ عز وجل: **﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾**.

وأما قوله تعالى: **(﴿ولا نسوءك﴾)** ـ فقال صاحب التحرير، هو تأكيد للمعنى، أي لا نحزنك فيهم، لأن الإرضاء قد يحصل في حق البعض بالعفو عنهم، ويدخل الباقي النار.

فقال **(إنا سنرضيك)** أي بالعفو عن أمتك، ولا ندخل عليك حزناً من جهة أمتك، فننجي الجميع من النار. والله أعلم.

اللهم اجز عنا نبينا محمداً ﷺ ـ أفضل ما جازيت نبياً عن قومه، ورسولاً عن أمته، واجعلنا يا ربنا من المتبعين لشريعته، المتمسكين بهديه وسنته، واحشرنا في زمرة النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ـ والحمد لله رب العالمين **(آمين)**.

حديث (إن اللَّه زَوَى لِيَ الأَرض فرأَيت مشارقها ومغاربها)

(أَخرجه الإِمام مسلم في صحيحه ـ في كتاب الفتن) جـ ١٠ ص ٣٤٠ وما بعدها ـ من هامش القسطلاني.

(٢١٩) حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيع الْعَتَكِيُّ، وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ـ كلاَهُمَا عَنْ حَمَّادِ بْن زَيْدٍ ـ وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَمَّادٌ، عَنْ ـ أَيُّوبَ، عَنْ أَبي قَلاَبَةَ، عَنْ أَبي أَسْمَاءَ، عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لي مِنْهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ، وَالأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً، فَإِنَّهُ لا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتكَ أَنْ لاَ أُهْلكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّة، وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا منْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَو اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ـ أَوْ قَالَ: مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا ـ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً، وَيَسْبي بَعْضُهُمْ بَعْضاً.

* * *

(٢٢٠) وفي رواية ثانية لمسلم قال: وَحَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّارٍ، قَالَ إِسْحَاقُ: أَخْبَرَنَا، وَقَالَ الآخَرُونَ: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَام، حَدَّثَنِي أَبي، عَنْ قَتَادَةَ: عَنْ أَبي قَلاَبَةَ، عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ الرَّحَبِيِّ، عَنْ ثَوْبَانَ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ: مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَأَعْطَانِي الكَنْزَيْنِ: الأَحْمَرَ، وَالأَبْيَضَ، ثم ذكر نحو حديث أَيوب عن أَبي قَلابة.

* * *

(٢٢١) وفي رواية ثالثة لمسلم قال: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ نُمَيْرٍ ـ ح ـ (أَي تحويل للسند).

وَحَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ ـ واللفظ له ـ حَدَّثَنَا أَبي، حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ حَكِيم، أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْم مِنَ الْعَالِيَةِ، حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ، دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْنَا مَعَهُ،

وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلاً، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي ثَلاَثاً، فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحِدةً، سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ، فَأَعْطَانيها، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لاَ يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ، فَمَنَعَنِيهَا.

* * *

وأَخرج هذا الحديث ابن ماجه في سننه ـ باب ـ (ما يكون من الفتن) جـ ٢ ص ٢٤٢ وألفاظه مخالفة لألفاظ مسلم، ونصّه كالآتي:

(٢٢٢) عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: (زُوِيَتْ لِيَ الأَرْضُ، حَتَّى رَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ: الأَصْفَرَ ـ (أَوِ الأَحْمَرَ)، وَالأَبْيَضَ (يعني الذهب والفضَّة) ـ وَقِيلَ لِي: إِنَّ مُلْكَكَ إِلَى حَيْثُ زُوِيَ لَكَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ ثَلاَثاً: أَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِي جُوعاً، فَيُهْلِكَهُمْ بِهِ عَامَّةً، وَأَنْ لاَ يَلْبِسَهُمْ شِيَعاً، وَيُذِيقَ بَعْضَهُمْ بَأْسَ بَعْضٍ، وَأَنَّهُ قِيلَ لِي: إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ، وَإِنِّي لَنْ أُسَلِّطَ عَلَى أُمَّتِكَ جُوعاً، فَيُهْلِكَهُمْ فِيهِ، وَلَنْ أَجْمَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِ أَقْطَارِهَا، حَتَّى يُفْنِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَيَقْتُلَ بَعْضَهُمْ بَعْضاً، فَإِذَا وُضِعَ السَّيْفُ في أُمَّتِي، فَلَنْ يُرْفَعَ عَنْهُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ مِمَّا أَتَخَوَّفُ عَلَى أُمَّتِي أَئِمَّةً مُضِلِّينَ وَسَتَعْبُدُ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي الأَوْثَانَ، وَسَتَلْحَقُ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ دَجَّالِينَ، كَذَّابِينَ، قَرِيباً مِنْ ثَلاَثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَلَنْ تَزَالَ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورِينَ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ.

* * *

وأَخرج النسائي في سننه حديثاً يقرب منه، ذكره في باب (إحياء الليل). فقال:

(٢٢٣) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، عَنْ خَبَّابٍ أَبِيهِ ـ وَكَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْراً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّهُ رَاقَبَ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ اللَّيْلَةَ كُلَّهَا، حَتَّى كَانَ مَعَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ منْ صَلاَته، جَاءَهُ خَبَّابٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، لَقَدْ صَلَّيْتَ اللَّيْلَةَ صَلاَةً، مَا رَأَيْتُكَ صَلَّيْتَ نَحْوَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: أَجَلْ، إِنَّهَا صَلاَةُ رَغَبَ وَرَهَبٍ، سَأَلْتُ رَبِّي ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فيها ثَلاَثَ

خصَال: فَأَعْطَانِي اثْنَتَيْنِ، وَمَنَعَنِي وَاحدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَنْ لاَ يُهْلكَنَا بِمَا أَهْلَكَ بِهِ الأُمَمَ قَبْلَنَا، فَأَعْطَانيهَا وَسَأَلْتُ رَبِّي ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَنْ لاَ يُظْهِرَ عَلَيْنَا عَدُوًّا منْ غَيْرِنَا، فَأَعْطَانيهَا، وَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لاَ يَلْبِسَكُمْ شَيعاً، فَمَنَعَنيهَا.

شرح الحديث، وهو مأخوذ من شرح النووي على مسلم جـ ١٠ ص ٣٤٠ هامش ـ القسطلاني. قال النووي ـ رحمه الله تعالى

قوله ﷺ: **(إن الله تعالى قد زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض)**.

أما ـ زوى ـ فمعناه جمع. وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة، وقد وقعت كلها بحمد الله تعالى، كما أخبر به رسول الله ـ ﷺ ـ.

قال العلماء: المراد بالكنزين الذهب والفضة، والمراد كنز كسرى وقيصر، ملكي العراق والشام.

وفيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة يكون معظمه امتداداً في جهتي الشرق والغرب، وهكذا وقع، ـ وأما في جهتي الجنوب والشمال فقليل بالنسبة إلى الشرق والمغرب، وصلوات الله وسلامه على رسوله الصادق، ـ الذي لا ينطق عن الهوى، ﴿**إن هو إلا وحي يوحى**﴾ صدق الله العظيم.

وقوله ﷺ: **(فيستبيح بيضتهم)** أي جماعتهم وأصلهم، والبيضة أيضاً: العز والملك.

وقوله سبحانه وتعالى: **(وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة)** السنة: واحدة السنين، والمراد بها القحط، والمعنى: لا أهلكهم ـ بقحط يعمهم، بل إن وقع قحط، فيكون في ناحية يسيرة، بالنسبة إلى باقي بلاد الإسلام.

وقد فسر ذلك في رواية ابن ماجه: **(وإني لن أسلط على أمتك، جوعاً، فيهلكهم فيه)**. ـ ثم قال النووي ـ رحمه الله تعالى: فلله الحمد والشكر على جميع نعمه، أي التي تلطف بها أمة الإسلام، وقوله ﷺ: **(سألت ربي ثلاثاً، فأعطاني ثنتين.. الخ)** قد فسر الاثنتين اللتين أعطيهما ﷺ بقوله: **(سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة)** أي بالجوع بسبب القحط العام **(فأعطانيها)** أي قبل الله تعالى من فضله طلبه في ذلك، وأجابه إليه، كرماً منه. **(وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق)** كما أغرق قوم نوح عليه السلام، أو قوم فرعون **(فأعطانيها)** أي وعدني ذلك ووعده الحق. فلله الحمد والمنة، وهذا أيضاً من المعجزات الباهرة، كما قال النووي ـ رحمه الله تعالى.

(وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم، فمنعنيها) أي لم يجبني إلى هذه، لحكمة سامية تقتضيها، فقضاؤه وأحكامه، وأفعاله كلها عين الحكمة.

وذلك كما قال في الرواية الأولى: **(حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً)**، وهذا كما قال الله تعالى: ﴿**أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض**﴾، وقد

.....

تكرم الله تعالى، وأعطاه أنه لا يسلط على أمته عدواً من سوى أنفسهم، أي من غيرهم **(يستبيح بيضتهم، ويذهب بملكهم وعزهم، ولو اجتمع هذا العدو عليهم، وأحاط ببلادهم من بين أقطارها)**.

فلم يزل للمسلمين في غالب بلاد الإسلام دولة قائمة يقيمون فيها شعائر دينهم دين الإسلام مهما قوي حكم المستعمرين في بلادهم، فلم يوجد منهم فتنة لهم عن دينهم، إلا نادراً جداً. ا هـ.

وأما المذكور في حديث ابن ماجه من الفتن ـ وهو وجود أئمة مضلين، وعبادة الأوثان، ولحوق بعض قبائل بالمشركين، ووجود دجالين قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه نبي ـ فقد قال القسطلاني: وقد ظهر ما في الحديث فلو عد من ادعى النبوة من زمنه ﷺ ممن اشتهر بذلك، واتبعه جماعة على ضلاله لوجد هذا العدد ـ والفرق بين هؤلاء الدجالين والدجال الأكبر، أنهم يدعون النبوة، أما هو فيدعي الألوهية.

مع اشتراك الكل في التمويه، وإدعاء الباطل اهـ نجانا الله من جميع الفتن آمين.

٢٤ ـ (ما جاء في أن رحمة اللَّه غلبت غضبه وقبول التوبة من المذنبين)

حديث (إنَّ رحمتي تغلب غضبي)

أَخرجه البخاري في كتاب التوحيد ـ باب ـ (قول الله تعالى: ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ جـ ٩ ص ١٥٠ ومن القسطلاني جـ ١٠ ص ٣٨١.

(٢٢٤) حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، عَن أَبي حَمْزَةَ، عَن الأَعْمَش، عَنْ أَبي صَالح، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ كَتَبَ في كتَابِه، هُوَ يَكْتُبُ عَلَى نَفْسِه وَهُوَ وَضِعٌ عِنْدَهُ عَلَى الْعَرْشِ، (إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي).

* * *

وأَخرجه البخاري في موضع آخر من كتاب التوحيد، ولفظه:

(٢٢٥) قَالَ: لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ، (إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي).

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً في كتاب ـ بدءِ الخلق ـ أَوله جـ ٥ ص ٢٥١ قسطلاني.

(٢٢٦) وهو عن أَبي هريرة أَيضاً، وقال فيه: (إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي﴾ وقال فيه أَيضاً: (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ).

* * *

وأَخرجه مسلم في التوبة ـ باب ـ (سعة رحمة الله) وأَخرجه النسائي في النعوت قال القسطلاني: وأَخرجه الترمذي بلفظ؛

(٢٢٧) إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ: (إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي) وقال الترمذي

رحمه الله: حديث حسن صحيح غريب.

* * *

(٢٢٨) وأَخرجه ابن ماجه بلفظ: (كَتَبَ رَبُّكُمُ عَلَى نَفْسِهِ بِيَدِهِ، قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي).

حديث (إِنَّ عَبْداً أَصاب ذَنْباً، فقال: رب أَصبت ذنباً)

أَخرجه البخاري في كتاب التوحيد ـ جـ ٩ ص ١٤٥ من باب ﴿يريدون أَن يبدلوا كلام الله﴾ فقال:

(٢٢٩) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَاصِمٍ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ،

شرح الحديث من القسطلاني من كتاب التوحيد جـ ١٠ ص ٣٨١

قوله ﷺ: **(كتب في كتابه)** أي أمر القلم أن يكتب في كتابه، وقوله: **(هو يكتب على نفسه)** بيان لقوله: **(كتب)** وفي رواية: وهو يكتب، فالجملة حالية.

وقوله: **(وهو وضع)** وضع: فيها روايات ثلاث: (١) بفتح الواو، وسكون الضاد المعجمة، ـ أي موضوع (٢) بفتح الواو والضاد فعل ماض مبني للفاعل (٣) في نسخة معتمدة بكسر الضاد مع التنوين ـ أي موضوع أيضاً. **(عنده)** أي علم ذلك عنده **(على العرش)** أي مكتوباً ومستوراً عن سائر الخلق، ومرفوعاً عن حيز الإدراك.

والله تعالى منزه عن الحلول في المكان، وليس الكتب لئلا ينساه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ـ وفي بدء الخلق: **(فوق العرش)** وفيه تنبيه على تعظيم الأمر، وجلالة القدر، فإن اللوح المحفوظ تحت العرش، والكتاب المشتمل على ذلك الحكم فوق العرش.

ولعل السر في ذلك أن ما تحت العرش عالم الأسباب والمسببات، واللوح المحفوظ يشتمل على تفاصيل ذلك، والمكتوب هو قوله تعالى: **(إن رحمتي تغلب غضبي)** والمراد بالغضب لازمه، وهو إيصال العذاب إلى من يقع عليه الغضب، لأن السبق والغلبة باعتبار التعلق، أي تعلق الرحمة سابق على تعلق الغضب لأن الرحمة هي مقتضى ذاته المقدسة، وأما الغضب فإنه متوقف على سابقة عمل من العبد الحادث.

وذكر القسطلاني في كتاب بدء الخلق زيادة على ذلك، وهي ما يأتي: قال: وقال: التوربشتي: **(وفي سبق الرحمة بيان أن قسط الخلق منها أكثر من قسطهم من العذاب، وأنها تنالهم من غير استحقاق، وأن الغضب لا ينالهم إلا باستحقاق، ألا ترى أن الرحمة تشمل الإنسان جنيناً ورضيعاً، وفطيماً وناشئاً من غير أن يصدر منه شيء من الطاعة، ولا يلحقه الغضب إلا بعد أن يصدر عنه من المخالفات ما يستحقه)**. وقال في المصابيح: الغضب إرادة العقاب: والرحمة إرادة الثواب والصفات لا توصف بالغلبة، ولا يسبق بعضها بعضاً، لكن جاء هذا على سبيل الاستعارة.

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ـ سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنَ أَبي عَمْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ عَبْداً أَصَابَ ذَنْباً ـ وَرُبَّمَا قَالَ: أَذْنَبَ ذَنْباً ـ فَقَالَ: رَبِّ أَذْنَبْتُ ذَنْباً ـ وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَبْتُ ـ فَاغْفِرْ لِي، فَقَالَ رَبُّهُ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَصَابَ ذَنْباً ـ أَوْ قَالَ أَذْنَبَ ذَنْباً ـ فَقَالَ: رَبِّ، أَذْنَبْتُ ـ أَوْ أَصَبْتُ آخَرَ، فَاغْفِرْهُ، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ؟ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ مَكَثَ مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَذْنَبَ ذَنْباً ـ وَرُبَّمَا قَالَ: أَصَابَ ذَنْباً، فَقَالَ: رَبِّ، أَصَبْتُ أَوْ قَالَ: أَذْنَبْتُ آخَرَ، فَاغْفِرْهُ لِي، فَقَالَ: أَعَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ، غَفَرْتُ لِعَبْدِي ثَلاَثاً، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ.

وأَخرج هذا الحديث مسلم في صحيحه ـ باب ـ (سعة رحمة اللَّه، وأَنها تغلب غضبه) جـ ١٠ ص ١٨٨ هامش القسطلاني.

ولا يمتنع أن تجعل الرحمة والغضب من صفات الفعل، لا الذات، فالرحمة هي الثواب والإحسان، والغضب هو الانتقام والعقاب، فتكون الغلبة على بابها، ـ أي إن رحمتي أكثر من غضبي. ا هـ.

وقال الطيبي: وهو على وزان قوله تعالى: ﴿**كتب ربكم على نفسه الرحمة**﴾ أي أوجب وعداً منه أن يرحمهم. ا هـ والله أعلم.

شرح الحديث وهو مأخوذ من القسطلاني جـ ١٠ ص ٤٣٨

(أحمد بن إسحاق) بن الحصين بن جابر السرماري، بفتح السين وكسرها، وسكون الراء، نسبة إلى سرمارة، قرية من قرى بخارى.

(عمرو بن عاصم) بفتح العين ـ من عمرو ـ وسكون الميم، أبو عثمان، الكلاباذي، البصري، حدث عنه البخاري بلا واسطة في كتاب الصلاة وغيره، قال: **(حدثنا همام)** هو ابن يحيى، قال: **(حدثنا إسحاق بن عبد الله)** بن أبي طلحة الأنصاري التابعي، الإمام الجليل المشهور، قال: **(سمعت عبد الرحمٰن بن أبي عمرة)** بفتح العين، وسكون الميم، التابعي الجليل المدني، واسم أبيه كنيته، وهو أنصاري، صحابي، وقيل: إن لعبد الرحمٰن رؤية **(أي فعليه يكون صحابياً كأبيه)**.

(قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ قال: إن عبداً أصاب ذنباً ـ وربما قال: أذنب ذنباً) أي بالشك في لفظي ـ **(أصاب وأذنب)** ـ **(فقال: يا رب أذنبت ذنباً ـ أو قال أصبت)** أي ذنباً، بالشك أيضاً فيما قاله: هل قال: أذنبت، أو أصبت **(فاغفر)** أي

(٢٣٠) فقال بسنده إِلَى أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَالَ: أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْباً، فَقَالَ: اللَّهُمَّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْباً، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا، يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْباً، فَعَلَم أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِهِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدي ذَنْباً، فَعَلمَ أَنَّ لهُ رَبًّا، يَغْفُر الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ.

* * *

قال عبد الأَعلى أَحد الرواة: لا أَدري أَقال في الثالثة، أَو في الرابعة: (اعْمَلْ مَا شِئْتَ).

اغفر لي ذنبي ـ ولأبي ذر: **(فاغفره)**، وللكشميهني **(فاغفر لي)** ـ فقال ربه: **(أعلم عبدي)** بهمزة الاستفهام داخلة على الفعل الماضي.

وللأصيلي: **(علم)** بحذف الهمزة ـ أي وهي مقدرة، لأن المعنى على الاستفهام التقريري **(أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ به)** أي يعاقب عليه، وللأصيلي: **(يغفر الذنوب، ويأخذ بها) (غفرت لعبدي)** أي ذنبه ـ أو قال: ذنوبه: ـ.

(ثم مكث ما شاء الله) من الزمان **(ثم أصاب ذنباً)** أي آخر، وفي رواية حماد عند مسلم: **(ثم عاد فأذنب)** ـ **(أو قال: أذنب ذنباً)** فقال: **(يا رب، أذنبت ـ أو قال: أصبت ذنباً آخر، فاغفره)** لي.

وللأصيلي: **(فاغفر لي)** ـ فقال ربه: أعلم، بهمزة الاستفهام. وللأصيلي: **(علم)** بحذف همزة الاستفهام **(عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به)** أي ويعاقب عليه فاعله **(غفرت لعبدي)**، **(ثم مكث ما شاء الله)** من الزمان **(ثم أذنب ذنباً)** آخر **(ـ وربما قال: أصاب ذنباً)** أي بالشك في ـ **(أصاب وأذنب)** ـ فقال: **(يا رب، أصبت ـ أو قال: أذنبت) ذنباً (آخر، فاغفره لي)**.

كذا بالشك في هذه المواضع المذكورة كلها في هذا الحديث من هذا الوجه.

ورواه حماد بن سلمة، عن إسحاق، عند مسلم، بلفظ **(عن النبي ﷺ، فيما يروي عن ربه ـ عز وجل ـ قال: أذنب عبدي ذنباً)** ولم يشك، وكذا في بقية المواضع.

(فقال) ربه: **(أعلم عبدي أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ به) (غفرت لعبدي ثلاثاً)** أي الذنوب الثلاثة، وسقط لفظ ـ ثلاثاً ـ لأبي ذر **(فليعمل ما شاء)** أي إذا كان هذا دأبه، يذنب الذنب فيتوب منه، ويستغفر، لا أنه يذنب الذنب، ثم يعود إليه نفسه فإن هذه توبة الكذابين.

ويدل له قوله: **(أصاب ذنباً آخر)** كذا قرره المنذري، وقال أبو العباس في المفهم: هذا

.....

الحديث يدل على عظم فائدة الاستغفار، وكثرة فضل الله تعالى، وسعة رحمته وحلمه وكرمه. لكن هذا الاستغفار هو الذي يثبت معناه في القلب، مقارناً للسان، لتنحل به عقدة الاصرار، ويحصل به الندم، ويشهد له حديث:

(خياركم كل مفتن تواب) أي الذي يتكرر منه الذنب والتوبة، فكلما وقع في ذنب عاد إلى التوبة.

وليس ذلك من قال: أستغفر الله بلسانه، وقلبه مصر على تلك المعصية، فهذا الذي استغفاره يحتاج إلى استغفار.

وفي حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عند ابن أبي الدنيا مرفوعاً: **(التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من الذنب، وهو مقيم عليه، كالمستهزىء بربه)**.

لكن الراجح أن قوله: **(والمستغفر من الذنب موقوف)** أي ليس مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

وقال ابن بطال في هذا الحديث: إن المصر على المعصية في مشيئة الله: إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له، مغلباً لحسنته التي جاء بها وهي اعتقاده أن له رباً خالقاً يعذبه، ويغفر له، واستغفاره إياه دليل على ذلك.

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿**من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها**﴾ ولا حسنة أعظم من التوحيد.

فإن قيل: إن استغفاره ربه توبة منه، قلنا: ليس الاستغفار أكثر من طلب المغفرة، وقد يطلبها المصر والتائب، ولا دلالة في الحديث على أنه تاب مما سأل الغفران عنه، لأن حد التوبة الرجوع عن الذنب، والعزم على أن لا يعود إليه، والإقلاع عنه ـ والاستغفار بمجرده لا يفهم منه ذلك.

وقال السبكي في الحلبيات: الاستغفار طلب المغفرة: إما باللسان، أو بالقلب، أو بهما. ـ فالأول فيه نفع، لأنه خير من السكوت، ولأنه يعتاد فعل الخير. ـ والثاني نافع جداً ـ والثالث أبلغ منه، لكن لا يمحصان الذنب حتى توجد التوبة منه، فإن العاصي المصر يطلب المغفرة ـ ولا يستلزم ذلك وجود التوبة.. إلى أن قال:

والذي ذكرته أن معنى الاستغفار غير معنى التوبة هو بحسب وضع اللفظ لكنه غلب عند كثير من الناس، أن لفظ ـ **(أستغفر الله)** ـ معناه التوبة. فمن كان ذلك معتقده فهو يريد التوبة لا محالة.

ثم قال: وذكر بعضهم أن التوبة لا تتم إلا بالاستغفار، لقوله: **(﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه﴾)**.

والمشهور: أنه لا يشترط، وقال بعضهم: يكفي في التوبة تحقق الندم على وقوعه منه، فإنه يستلزم الإقلاع عنه، والعزم على أن لا يعود فهما ناشئان عن الندم، وليس الإقلاع عنه، والعزم على عدم العود أصلين في تحقق التوبة، مع الندم.

.....

ومن ثم جاء الحديث: **(الندم توبة)** وهو حديث حسن من حديث ابن مسعود، أخرجه ابن ماجه، وصححه الحاكم.

وأخرجه ابن حبان من حديث أنس بن مالك، وصححه. ا هـ ملخصاً من الفتح، كل ذلك مأخوذ من القسطلاني. والله أعلم.

وقال النووي ـ رحمه الله ـ في شرح مسلم ـ أول كتاب التوبة: **(واتفقوا على أن التوبة من جميع المعاصي واجبة على الفور)**، ووجوبها عند أهل السنة بالشرع ـ وعند المعتزلة بالعقل.

ولا يجب على الله قبولها عقلاً، إذا وجدت الشروط عند أهل السنة، ولكنه يقبلها كرماً منه وفضلاً، وعرفنا قبولها بالشرع والإجماع.

وإذا تاب توبة صحيحة بشروطها، ثم عاود الذنب، كتب عليه الذنب الثاني فقط ولم تبطل توبته، وهذا مذهب أهل السنة، ولو تكررت التوبة ومعاودة الذنب صحت ا هـ والله أعلم.

حديث (وَاللَّهِ، للَّهُ أَفرح بتوبة عبده الخ)

أَخرجه الإِمام مسلم في صحيحه، من كتاب التوبة جـ ١٠ ص ١٧١ هامش القسطلاني.

(٢٣١) حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنِي زَيْدُ بْن أَسْلَمَ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ اللَّه ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذْكُرُنِي، ـ واللَّهِ، للَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ بالْفَلاَةِ، ومنْ تَقَرَّبَ إِليّ شِبْراً، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعاً، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِليَّ ذِرَاعاً، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعاً، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ..

حديث (إِنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّن دَخَلَ النَّارَ اشْتَدَّ صِيَاحُهُمَا)

أَخرجه الإِمام أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ من صفات أَهل النار ـ جـ ٢ ص ٩٩.

شرح الحديث مأخوذاً من شرح النووي على مسلم

قال النووي ـ رحمه الله تعالى:

قوله: **(عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي)** قال القاضي: معناه عند ظنه بالغفران له، إذا استغفر، والقبول للتوبة منه إذا تاب والإجابة لدعائه إذا دعا، والكفاية له إذا طلب الكفاية.

وقيل: المراد به الرجاء وتأميل العفو، وهذا أصح.

وقوله: **(وأنا معه حيث يذكرني)** أي معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية والإعانة.

وأما قوله تعالى: ﴿**وهو معكم أينما كنتم**﴾ فمعناه معكم بالعلم والإحاطة.

وقوله في آخر الحديث: **(ومن تقرب إلي شبراً)** أي مقدار شبر الخ قد سبق أن هذا من أحاديث الصفات ويستحيل إرادة ظاهرة.

قالواجب اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات الحوادث، التي منها المشي والحركة والانتقال، ونحو ذلك مما يلزم منه الحدوث والتغير ـ تعالى الله عن ذلك ومعناه هنا: من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي وبالتوفيق والإعانة، وإن زاد في الطاعة، زدته رحمة وتوفيقاً زيادة مضاعفة. فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي، أتيته هرولة، أي صببت عليه الرحمة صباً، وسبقته بها، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود، والمراد: إن جزاءه يكون تضعيفه على حسب تقربه. والله أعلم. ا هـ نووي.

(٢٣٢) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّنْ دَخَلَ النَّارَ، اشْتَدَّ صِيَاحُهُمَا، فَقَالَ الرَّبُّ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَخْرِجُوهُمَا، فَلَمَّا أُخْرِجَا قَالَ لَهُمَا: لأَيِّ شَيْءٍ اشْتَدَّ صِيَاحُكُمَا؟ قَالاَ: فَعَلْنَا ذَلِكَ لِتَرْحَمَنَا، قَالَ: إِنَّ رَحْمَتي لَكُمَا أَنْ تَنْطَلِقَا فَتُلْقِيَا بِأَنْفُسِكُمَا حَيْثُ كُنْتُمَا مِنَ النَّارِ فَيَنْطَلِقَانِ، فَيُلْقَى أَحَدُهُمَا نَفْسَهِ، فَيَجْعَلُهَا عَلَيْهِ بَرْدَاً وَسَلاَماً، وَيَقُومُ الآخَرُ فَلاَ يُلْقِي نَفْسَهُ، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تُلْقِي نَفْسَكَ كَمَا أَلْقَى صَاحِبُكَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنِّي لأَرْجُو أَنْ لاَ تُعِيدَني فِيهَا، بَعْدَمَا أَخْرَجْتَنِي، فَيَقُولُ لَهُ الرَّبُّ: لَكَ رَجَاءُكَ، فَيَدْخُلاَنِ جَمِيعاً الْجَنَّةَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ.

* * *

قال أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: إسناد هذا الحديث ضعيف، لأَنه عن رُشدين بن سعد ـ ورشدين بن سعد هو ضعيف عند أَهل الحديث.

ورشدين بن سعد أَخذ عن ابن أَبي نُعْم الإِفريقي، والإِفريقي أَيضاً ضعيف عند أَهل الحديث. ا هـ أَي فيكون في سنده رجلان ضعيفان لأَن رشدين بن سعد، وابن أَبي نعم من رجال سند هذا الحديث.

وقوله ﷺ: **(لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالغلاة)**.

قال العلماء: فرح الله تعالى: هو رضاه بذلك.

وقال المازري ـ رحمه الله تعالى: الفرح يأتي على وجوه:

منها السرور، والسرور يقارنه الرضا بالمسرور به، أي والإحسان إليه، قال: فالمراد هنا أن الله تعالى يرضى بتوبة عبده، أشد مما يرضي الواجد لضالته في الفلاة.

فعبر عن الرضا بالفرح، تأكيداً لمعنى الرضا في نفس السامع، ومبالغة في تقريره وإيضاحه، وشدة تحققه. ا هـ نووي من جـ ١٠ ص ١٧٢.

الشرح لهذا الحديث:

قوله ﷺ: **(إن رجلين ممن دخل النار الخ)**.

لا بد أن يكون هذان الرجلان كانا موحدين، لا مشركين، لأن الجنة محرمة على من أشرك بالله تعالى شيئاً، و﴿الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ كما نطق بذلك القرآن الكريم.

وكما قال تعالى: **﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾**. والمراد: أن الله تعالى رحم هذين الرجلين وأخرجهما من النار لأنه امتحنهما فامتثل أحدهما أمر الله دون تأخير وتأويل، وألقى بنفسه في النار فجعلها الله عليه برداً وسلاماً بفضله وكرمه ـ وأما الثاني فقد اشتد رجاؤه في رحمة الله تعالى وقد سبقت رحمته تعالى

٢٥ ـ (ما جاء في استخراج النذر من البخيل، وأنه لا يرد قضاء اللَّه تعالى)

ولا ينبغي لأَحد أَن يقول: أَنا خير من فلان

أَخرج البخاري ـ رحمه اللَّه ـ حديث النذر في كتاب القدر ـ من باب (إِلقاءِ النذر العبد إِلى القدر) جـ ٨ ص ١٢٥.

(٢٣٣) حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْم، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُرَّةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: نَهَى النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَنِ النَّذْرِ، وَقَالَ: إِنَّهُ لاَ يَرُدُّ شَيْئاً، وَإِنَّمَا يُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ.

* * *

وأَخرج البخاري أَيضاً:

(٢٣٤) وَحَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّام بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: لاَ يَأْتِي ابْنَ آدَمَ النَّذْرُ بِشَيْءٍ، لَمْ يَكُنْ قَدْ قَدَّرْتُهُ، وَلٰكِنْ يُلْقيه القَدَرُ، وَقَدْ قَدَّرْتُهُ لَهُ، أَسْتَخْرِجُ بِهِ، مِنَ البَخِيل.

* * *

وأَخرجه ابن ماجه في سننه ـ بلفظ

(٢٣٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ النَّذْرَ لاَ يَأْتي ابْنَ آدَمَ بِشَيْءٍ إِلاَّ مَا قُدِّرَ لَهُ، وَلَكِنْ يَغْلِبُهُ الْقَدَرُ مَا قُدِّرَ لَهُ، فَيَسْتَخْرِجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ، فَيُيَسَّرُ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُيَسَّرُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ: (أَنْفِقْ، أُنْفِقْ عَلَيْكَ).

غضبه، فتداركته رحمته. ـ وليس المراد بذلك أن كل أحد له أن يتكل على ذلك ويقصر في العمل، بل المقصود بيان سعة رحمة الله، وأنه يخص بها من يشاء من عباده كما فعل بهذين الرجلين، نسأله تعالى أن يعمنا برحمته، التي وسعت كل شيء آمين.

.....

شرح حديث النذر من القسطلاني جـ ٩ ص ٣٥٣

الحديث الأول ـ ليس فيه دليل ولا إشارة إلى أنه حديث قدسي، بل هو حديث نبوي ـ وهذا الحديث أخرجه مسلم أيضاً، وأبو داود، والنسائي في النذور، وابن ماجه في الكفارات والنهي عن النذر في الحديث للتنزيه، لا للتحريم.

ولمسلم: **(لا تنذروا ـ فإن النذر لا يغني من القدر شيئاً)** والمعنى: لا تنذروا على أنكم تقصدون أن تصرفوا به ما قدره الله عليكم، أو على أنكم تدركون به شيئاً لم يقدره الله لكم.

وقوله: **(وإنما يستخرج به من البخيل)** أي يستخرج بالنذر من الشخص البخيل، فكأنه لا يتصدق إلا بعوض يستوفيه أو لا ـ والنذر قد يوافق القدر الذي قدره الله للعبد، فيتصدق البخيل، ويخرج ما لولاه لم يكن يريد أن يخرجه.

وفي قوله: **(يستخرج به)** دلالة على وجوب الوفاء.

والمنهي عنه النذر الذي يعتقد فيه أنه يغني عن القدر بنفسه كما زعموا، وكم من جماعة يعتقدون ذلك، لما شاهدوه في غالب الأحوال من حصول المطالب بالنذر.

وأما إذا نذر واعتقد أن الله تعالى هو الضار، وهو النافع، وأن ما قدره فهو لا بد واقع ـ وأن النذر كالوسيلة والذريعة لقضاء الحوائج فلا يكون حينئذٍ منهياً عنه، بل هو طاعة، يجب الوفاء به.

وأما الحديث الثاني فالظاهر منه أنه حديث قدسي، لقوله فيه: **(لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قد قدرته.. ثم قال: استخرج به من البخيل)** فإن الأفعال فيه مسندة إلى من يقدر ـ ومن يستخرج ـ وليس هناك من يفعل ذلك إلا الله تعالى.

وقوله: **(لا يأتي ابن آدم النذر.. الخ)** يأت ـ بغير ياء في نسخة الفرع، على الموصل مثل **(سندع الزبانية)** بغير واو ـ من سندع ـ وفي بقية النسخ بياء على الأصل **(ولكن يلقيه القدر)** أي يلقيه القدر إلى النذر أي يكون القدر سبباً في النذر، فيلقيه القدر ويجره إلى النذر **(استخرج به)** أي بالنذر **(من البخيل)** الذي لا يتصدق ابتداء من نفسه، ابتغاء مرضاة الله تعالى.

فالذي ينبغي أن يكون الباعث للعبد على فعل الخير هو طلب رضا الله تعالى، دون عرض آخر. والله أعلم.

والحديث الثاني من أفراد البخاري رحمه الله ا هـ. قسطلاني.

حديث (لا ينبغي لعبد أَن يقول: أَنا خير من يونس بن مَتَّى)

أَخرجه البخاري ـ رحمه الله تعالى من كتاب التوحيد ـ باب ـ (ذكر النبي صلى اللَّه عليه وسلم، وروايته عن ربه) جـ ٩ ص ١٥٧.

(٢٣٦) حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ عُمَرَ، حَدَّثَنَا شُعْبَة، عَنْ قَتَادَةَ ـ (ح) أَي تحويل للسند ـ وَقَالَ لِي خَلِيفَةُ: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْع، عَنْ سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبي الْعَالِيَةِ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ، قَالَ: لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى وَنَسَبَهُ إِلَى أَبِيهِ.

* * *

وأَخرجه مسلم في صحيحه ـ في باب ـ (من فضائل موسى صلى اللَّه عليه وسلم).

(٢٣٧) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، قَالُوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سَعْدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: سَمِعْتُ حَمِيدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ يُحَدِّثُ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّهُ قَالَ: ـ (يعني اللَّه تبارك وتعالى) لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ لي ـ (وقال ابن مثنى: لعبد) أَنْ يَقُولَ: (أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى ـ صلى اللَّه عليه وسلم).

وقال ابن أَبي شيبة: محمد بن جعفر، عن شعبة. (تحويل).

(٢٣٨) وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُثَنَّى، وَابْنُ بَشَّار ـ (واللفظ لابن مثنى) قَالاَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْعَالِيَةِ يَقُولُ: حَدَّثَنِي ابْنُ عَمِّ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ (يعني ابن عباس رضي الله عنهما) عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ ـ مَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، ونسبه إِلى أَبيه.

شرح الحديث ـ أولاً ـ من القسطلاني جـ ١٠ ص ٤٦٥

(حدثنا حفص بن عمر) بن الحارث بن سخبرة الأزدي، أبو عمر، الحوضي **(شعبة)** بن الحجاج **(حدثنا قتادة)** هو ابن دعامة السدوسي.

(ح) اصطلح المحدثون أن يذكروا حرف **(ح)** إذا أرادوا تحويل السند من طريق إلى

.....

أخرى، تتصل بالراوي الذي وجد عنده التحويل، وهم يقتصرون على حروف (ح) اختصاراً ـ وقد يصرحون بالتحويل.

قال البخاري رحمه الله تعالى في السند الآخر:

(وقال لي خليفة) بن خياط **(حدثنا يزيد بن زريع)** بضم الزاي من زريع مصغراً **(عن سعيد)** هو ابن أبي عروبة ـ **(واللفظ لسعيد)** عن قتادة فاجتمع الاسنادان عند ـ قتادة ـ **(عن أبي العالية)** رفع بضم الراء وفتح الفاء وسكون الياء ـ الرياحي.

(عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ ـ فيما يرويه عن ربه) تبارك وتعالى أنه **(قال: لا ينبغي لعبد أن يقول: إنه)**.

ولأبي ذر عن الحموي والمستملي: **(أن يقول: أنا خير من يونس بن متى)** بفتح الميم، وتشديد التاء الفوقية، مقصوراً **(ونسبه إلى أبيه)**.

أي ليس لأحد أن يفضل نفسه على يونس، أو ليس لأحد أن يفضلني عليه تفضيلاً، يؤدي إلى تنقيصه، لا سيما أن توهم أن ذلك مأخوذ من قصة الحوت فإنها ليست حاطة من مرتبته العلية ـ صلوات الله وسلامه على جميعهم وزادهم شرفاً.

أو قاله تواضعاً منه ﷺ ـ أو قاله قبل علمه بسيادته على الجميع، والدلائل متظاهرة على تفضيله ﷺ عليهم جميعاً.

ثم قال القسطلاني: والحديث قد سبق في سورة النساء والأنعام، وليس فيه: **(فيما يرويه عن ربه)** ولا عن الله ـ وكذا في أحاديث الأنبياء عن حفص بن عمر ـ بالسند المذكور.

قال في الفتح: وقد أخرجه الإسماعيلي من رواية عبد الرحمٰن بن مهدي، ولم أر في شيء من الطرق عن شعبة فيه: **(عن ربه ـ ولا عن الله)**.

وقال السفاقسي: ليس في أكثر الروايات **(يرويه عن ربه)** فإن كان محفوظاً فهو من سوى النبي ﷺ. ا هـ من القسطلاني والله أعلم.

شرح الحديث من شرح النووي على مسلم رحمهما الله تعالى

قال النووي ـ رحمه الله: **(قوله ﷺ: ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى)** وفي رواية:

(إن الله تبارك وتعالى: قال: لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى).

(إن الله تبارك وتعالى: قال: لا ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى). قال العلماء: هذه الأحاديث تحتمل وجهين: أحدهما أنه ﷺ قال هذا قبل أن يعلم أنه أفضل من يونس، فلما علم ذلك.

قال: **(أنا سيد ولد آدم)** ولم يقل هنا: إن يونس عليه السلام أفضل منه أو من غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

والثاني: أنه ﷺ قال هذا زجراً عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئاً من حط مرتبة

.....

يونس ـ ﷺ من أجل ما ذكر من قصته في القرآن العزيز.

قال العلماء: وما جرى ليونس ﷺ لم يحط من قدر النبوة مثقال ذرة، وخص يونس بالذكر، لما ذكرناه من ذكره في القرآن.

وأما قوله ﷺ: **(ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس)** فالضمير في قوله: ـ أنا ـ يعود إلى النبي ﷺ، وقيل: يعود إلى القائل، أي لا يقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين في عبادة أو علم أو غير ذلك من الفضائل، فإنه لو بلغ أحد من الفضائل ما بلغ، لم يبلغ درجة النبوة، ويؤيد هذا التأويل رواية: **(لا ينبغي لعبد لي أن يقول: أنا خير من يونس بن متى)** ا هـ والله أعلم من النووي.

٢٦ ـ (ما جاء في الحث على الفضيلة والنهي عن الرذيلة)

حديث (فضل إنظار المعسر)

أَخرجه مسلم في صحيحه ـ في (كتاب المساقاة والمزارعة). جـ ٦ ص ٤٣٥ هامش القسطلاني.

(٢٣٩) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، أَنَّ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ حَدَّثَهُمْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: تَلَقَّتِ المَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُل مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئاً؟ قَالَ: لاَ، قَالُوا: تَذَكَّرْ، قَالَ: كُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ فَآمُرُ فِتيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا الْمُعْسِرَ، وَيَتَجَوَّزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: تَجَوَّزُوا عَنْهُ.

* * *

(٢٤٠) وفي رواية ثانية لمسلم، بسنده إلى رِبْعِيِّ بْنِ حِرَاشٍ، قَالَ: اجْتَمَعَ حُذَيْفَةُ، وَأَبُو مَسْعُودٍ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: رَجُلٌ لَقِيَ رَبَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ فَقَالَ: مَا عَمِلْتَ؟ قَالَ: مَا عَمِلْتُ مِنَ الخَيْرِ، إِلاَّ أَنِّي كُنْتُ رَجُلاً ذَا مَال، فَكُنْتُ أُطَالِبُ به النَّاسَ، فَكُنْتُ أَقْبَلُ الْمَيْسُورَ، وَأَتَجَاوَزُ عَن الْمَعْسُورِ، فَقَالَ: تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي. قَالَ أَبُو مَسْعودٍ: هَكَذا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ.

(٢٤١) وفي رواية ثالثة له، بسنده إلى ربعي بن حراش، عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: أَتَى اللَّهُ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ، آتَاهُ اللَّهُ مَالاً، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ في الدُّنْيَا؟ ـ قَالَ: ﴿وَلاَ يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ ـ قَالَ: يَا رَبِّ، آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الْجَوَازُ، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأُنْظِرُ الْمُعْسِرَ، فَقَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي.

فَقَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ، وَأَبُو مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيُّ: هَكَذَا سَمِعْنَاهُ مِنْ ـ فيّ ـ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

* * *

(٢٤٢) وفي رواية رابعة له، بسنده إِلَى أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوْجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَيْءٌ، إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وَكَانَ مُوسِراً، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ، قَالَ: قَالَ اللَّهُ: نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ.

(٢٤٣) وأَخرجه مسلم أَيضاً بسنده إِلى أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يُدَاينُ النَّاسَ، فَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِراً، فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، فَلَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى، فَتَجَاوَزَ عَنْهُ.

وأَخرج مسلم من طريق أُخرى إِلى أَبي هريرة أَيضاً، بمثل ذلك.

* * *

وأَخرج هذا الحديث النسائي في سننه ـ في باب ـ (حُسْن المعاملة والرفق في المطالبة).

(٢٤٤) فقال بسنده إِلى أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ رَجُلاً لَمْ يَعْمَلْ خيْراً قطُّ، وَكان يُدَاينُ النَّاسَ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ: خُذْ مَا تيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتجَاوَزْ، لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَمَّا هَلَكَ قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ خَيْراً قَطُّ؟ قَالَ: لاَ، إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ لِي غُلاَمٌ، وَكُنْتُ أُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضَى، قُلْتُ لَهُ، خُذْ مَا تَيَسَّرَ، وَاتْرُكْ مَا عَسُرَ، وَتَجَاوَزْ، لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوَزُ عَنَّا، ـ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: قَدْ تَجَاوَزْتُ عَنْكَ.

شرح الحديث مأخوذ من شرح النووي على صحيح مسلم رحمهما الله تعالى

(من باب فضل انظار المعسر).

قوله: **(كنت أداين الناس، فأمر فتياني أن ينظروا المعسر، ويتجوزوا عن الموسر، قال الله: تجوزوا عنه)** ـ وفي رواية: **(كنت أقبل الميسور، وأتجاوز عن المعسور).**

وفي رواية: **(كنت أنظر المعسر، وأتجوز في السكة ـ أو في النقد).**

وفي رواية: **(وكان من خلقي الجواز، فكنت أتيسر على الموسر، وأنظر المعسر)** ـ فقوله: **(فتياني)** معناه غلماني، كما صرح به في الرواية الأخرى.

والتجاوز، والتجوز ـ معناهما المسامحة في الاقتضاء والاستيفاء، وقبول ما فيه نقص يسير كما قال: **(وأتجوز في السكة).**

.....

وفي هذه الأحاديث فضل إنظار المعسر، والوضع عنه: إما لكل الدين، وإما لبعضه: من كثير أو قليل.

وفيها أيضاً المسامحة في الاقتضاء وفي الاستيفاء: سواء كان استيفاؤه من موسر أو معسر، وفيها فضل الوضع من الدين، وأنه لا يحتقر شيء من أفعال الخير، فلعله يكون سبباً للسعادة والرحمة.

وفيه جواز توكيل العبيد، والإذن لهم في التصرف، وهذا على قول من يقول: **(شرع من قبلنا شرع لنا)**.

وقوله: **(الميسور والمعسور)** أي آخذ ما تيسر، وأسامح بما تعسر.

وقوله في الرواية الأخرى:

(حدثنا أبو سعيد) هو الأشج **(حدثنا خالد)** الأحمر **(عن سعيد)** بن طارق، **(عن ربعي ابن حراش، عن حذيفة)**.

ثم قال في آخر الحديث:

(فقال عقبة بن عامر الجهني، وأبو مسعود الأنصاري: هكذا سمعناه من ـ في ـ رسول الله ﷺ).

هكذا هو في جميع النسخ: **(فقال عقبة بن عامر، وأبو مسعود)**.

قال الحفاظ: هذا الحديث إنما هو محفوظ لأبي مسعود عقبة بن عمرو الأنصاري البدري وحده. وليس لعقبة بن عامر فيه رواية.

قال الدارقطني: والوهم في هذا الإسناد من أبي خالد الأحمر، قال: وصوابه فقال عقبة بن عمرو، وأبو مسعود الأنصاري، كذا رواه أصحاب أبي مالك ـ سعد بن طارق، وتابعهم نعيم بن أبي هند، وعبد الملك بن عمير، ومنصور وغيرهم. ا هـ نووي عن حذيفة، فقالوا في آخر الحديث:

(فقال عقبة بن عمرو، وأبو مسعود.. الخ).

وذكر مسلم في هذا الباب حديث منصور، ونعيم، وعبد الملك، والله أعلم ا هـ نووي.

قلت: وأَخرج مسلم في هذا الباب.

(باب فضل إِنظار المعسر، والتجاوز في الاقتضاء) أَخرج حديثاً سأَذكره، وإِن لم يظهر فيه ما يدل على أَنه حديث قدسي، وهو قوله:

(٢٤٥) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُثَنَّى، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ عَبْد الْملك بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ رِبْعِيِّ بْنِ حرَاشٍ عَنْ حُذَيْفَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّ رَجُلاً مَاتَ فَدَخَلَ الْجَنَّةَ، فَقيلَ لَهُ: مَا كُنْتَ تَعْمَلُ؟ ـ فَقَالَ: إِنِّي كُنْتُ أُبَايعُ النَّاسَ، فَكُنْتُ أُنْظِرُ الْمُعْسَر، وَأَتَجوَّزُ في السِّكَّةِ ـ أَوْ في النَّقْدِ، فَغُفِرَ لَهُ.

(فقال أَبو مسعود: وأَنَا سَمعْتُهُ منْ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

حديث (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً)

أَخرجه البخاري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في كتاب البيوع ـ باب (من أَنظر معسراً) جـ ٤ ص ٢١، وليس فيه تصريح بأَنه حديث قدسيّ ولكن فيه احتمال بأَنَّه قدسيّ. قال:

(٢٤٦) حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ، حَدَّثَنَا زُهَيْرٌ، حَدَّثَنَا مَنْصُورٌ أَنَّ رِبْعيَّ بْنَ حِرَاش حَدَّثَهُ، أَنَّ حُذَيْفَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ حَدَّثَهُ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَقَّتِ الْمَلاَئِكَةُ رُوح رَجُل مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالوا ـ أَوْ فَقَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئاً؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا، وَيَتَجاوَزُوا عَنِ الْمُوسِرِ، قَالَ: فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ ـ أَي بأَمْر اللَّه تعالى لهم بذلك. واللَّه أَعلم.

* * *

(٢٤٧) وقال أَبو مالك عن رِبْعِيٍّ: كُنْتُ أُيَسِّرُ عَلَى الْمُوسِرِ، وَأَنْظِرُ الْمُعْسِرَ.

وقال أَبو عوانة، عن عبد الملك، عن رِبْعيٍّ: (أُنْظِرُ الْمُوسِرَ، وَأَتَجاوَزُ عَن الْمُعْسِر).

* * *

ثم قال البخاري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في باب (فضل من أَنظر معسراً).

(٢٤٨) حَدَّثَنَا هِشَامُ بْنُ عَمَّار، حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَمْزَةَ، حَدَّثَنَا الزَّبِيدِيُّ عن

الزُّهْرِيّ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِراً قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢٤٩) وأخرجه البخاري في بني إسرائيل عن حذيفة قال: سمعته ـ أي رسول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يقولُ: إِنَّ رَجُلاً فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: مَا أَعْلَمُ، قِيلَ لَهُ: انْظُرْ، قَالَ: مَا أَعْلَمُ شَيْئاً، غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا، فَأُجَازِيهِمْ، فَأُنْظِرُ الْمُوسِرَ، وَأَتَجَاوَزُ عَنِ الْمُعْسِرِ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ.

ما يتعلق بشرح الحديث من القسطلاني

(ربعي بن حراش) ربعي ـ بكسر الراء، وسكون الباء الموحدة، وكسر العين بعدها ياء مشددة ـ وحراش بكسر الحاء المهملة، وتخفيف الراء، وبعد الألف شين معجمة ـ **(حذيفة)** هو ابن اليمان ـ رضي الله عنه.

وقوله: **(ويتجاوز عن الموسر)** أي يتسامحوا معه في الاستيفاء.

وقوله: **(فتجاوزوا عنه)** ـ وفي لفظ مسلم: **(فقال الله عز وجل: أنا أحق بذلك منك، تجاوزوا عن عبدي)**.

أقول: فرواية مسلم هذه تدل على أن حديث البخاري حديث قدسي، وإن لم يصرح فيه بذلك.

ثم قال القسطلاني ـ رحمه الله تعالى: وفي حديث أبي اليسر: **(من أنظر معسراً، أو وضع عنه، أظله الله في ظل عرشه)** ـ وقد أمر الله تعالى بالصبر على المعسر، فقال: **(وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة)** ـ أي فعليكم تأخير إلى ميسرة ـ لا كفعل الجاهلية، فكانوا إذا حل الدين يقولون للمدين: **(أما القضاء، وأما بالربا)** ـ فمتى علم صاحب الحق عسر المدين حرمت عليه مطالبته، وإن لم يثبت عسره عند الحاكم.

وحكى القرافي وغيره أن إبراء المعسر أفضل من إنظاره، واستثنى ذلك من قاعدة **(الفرض أفضل من النافلة)** لأن إنظاره واجب وإبراءه مستحب. وهو أفضل من الأنظار وورد في فضل الأنظار للمعسر ما رواه الإمام أحمد قال رسول الله ﷺ: **(من أنظر معسراً، كان له بكل يوم صدقة)** فالمنظر ينال كل يوم عوضاً جديداً. ا هـ والله أعلم.

حديث في النهي عن الفحشاءِ

أَخرجه مسلم ـ باب ـ (النهي عن الفحشاء) جـ ٩ ص ٤٥٨ هامش القسطلاني.

(٢٥٠) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِيمَا قُرِىءَ عَلَيْهِ، عَنْ سَهْلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً، إِلاَّ رَجُلاً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ، حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا.

* * *

وأَخرجه مُسْلِمٌ من طريق أُخرى، غير أَنه قال فيه:

(٢٥١) (إِلاَّ الْمُتَهَاجِرَيْنِ) من رواية عبيدة.

وقال قُتَيْبَةُ: (إِلاَّ الْمُهْتَجِرَيْنِ).

* * *

(٢٥٢) وفي رواية أُخرى عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَفَعَهُ ـ قَالَ: تُعْرَضُ الأَعْمَالُ في كُلِّ يَوْم خَمِيسٍ، أَو اثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ في ذَلِكَ الْيَوْم لِكُلِّ امْرِىءٍ، لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً، إِلاَّ امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: اُرْكُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا.

(٢٥٣) وفي رواية أُخرى عن أَبي هُرَيْرَةَ أَيْضاً، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: تُعْرَضُ أَعْمَالُ النَّاسِ، فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّتَيْنِ: يَوْم الاثْنَيْنِ، وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكلِّ عَبْدٍ مُؤمِنٍ، إِلاَّ عَبْداً بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: اتْرُكُوا ـ أَوِ ارْكُوا هَذَيْنِ، حَتَّى يَفِيئَا.

* * *

(٢٥٤) وأَخرجه الإِمام مالك ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في الموطأ عن أَبي هريرة بروايتين: إِحداهما مثل رواية مسلم الأَخيرة، إِلاَّ أَنه لم يشك بل قال: (فَيُقَالُ: اتْرُكُوا هَذَيْنِ، حَتى يَفِيئَا).

* * *

(٢٥٥) والرواية الثانية مثل رواية مسلم المذكورة هنا أولا، غير أنه ليس فيها تكرير لقوله: (انْظُرُوا هَذَيْنِ حَتىَّ يَصْطَلِحَا) ـ بل ذكرها مرة واحدة فقط.

* * *

وأَخرج هذا الحديث أَبو داود في سننه ـ في باب من يهجر أَخاه المسلم جـ ٤ ص ٢١٨.

(٢٥٦) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ كُلَّ يَوْم اثْنَيْنِ وَخَمْيس، فيُغْفَرُ في ذَيْنِكَ الْيَوْمَيْنِ لِكُلِّ عَبْدٍ، لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً، إِلاَّ مَنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ ـ (أَي من قِبَلِ الله تعالى) أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا.

قال أَبو داود: إِذا كانت الهجرة لله فليس من هذا. ا هـ.

وأَخرج البخاري أَحاديث الهجرة ـ في باب ذم الهجرة من كتاب الأَدب جـ ٩ ص ٥٢ قسطلاني.

(٢٥٧) ومنها عَنْ أَبي أَيُّوب الأَنْصَارِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لاَ يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ، يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ.

* * *

وأَخرج بسنده إلى عوف بن مالك بن الطفيل (هو ابن الحارث) وهو ابن أَخي عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لأُمها (أُم رومان بنت عامر الكنانية).

(٢٥٨) أَنَّ عَائشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ حُدِّثَتْ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ ـ قَالَ في بَيْع ـ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ: وَاللَّهِ لَتَنْتَهِيَنَّ أَوْ لأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: أَهُوَ قَالَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَتْ: هُوَ لله عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ لاَ أُكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبداً، فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا حينَ طَالَتْ الْهِجْرَةُ، فَقَالَتْ: لاَ، وَاللَّهِ لاَ أُشَفِّعُ فيه أَبَداً، وَلاَ أَتَحَنَّثُ إِلَى نَذْرِي، فَلَمَّا طَالَ ذَلكَ عَلَى ابْنِ الزُّبَيْرِ، كَلَّمَ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعَبْدَ الرَّحْمنِ ابْنَ الأَسْوَد بْنِ عَبْد يَغُوثَ ـ وهما من بني زهرة ـ وَقَالَ: أَنْشدُكُمَا باللَّهِ لَمَّا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَى عَائشَةَ، فَإِنَّهَا لاَ يَحلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطيعَتي، فَأَقْبَلَ به الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمنِ مُشْتَملَيْنِ بأَرْدِيَتِهِمَا حَتَّى اسْتَأْذَنَا عَلَى عَائِشَةَ، فَقَالاَ: السَّلاَمُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، أَنَدْخُلُ قَالَتْ عَائِشَةُ: ادْخُلُوا قَالُوا: كُلُّنَا؟ قَالَتْ: نَعَمْ، ادْخُلُوا كُلُّكُمْ،

وَلاَ تَعْلَمُ أَنَّ مَعَهُمَا ابْنَ الزُّبَيْرِ، فَلَمَّا دَخَلُوا، دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الْحِجَابَ فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ، وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي، وَطفِقَ الْمِسْوَرُ وَعَبْدُ الرَّحْمٰنِ يُنَاشِدَانِهَا إِلاَّ مَا كَلَّمَتْهُ وَقَبلتْ مِنْهُ، وَيَقُولاَنَ: إِنَّ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهىَ عَمَّا عَلِمْتِ، مِنَ الْهِجْرَةِ، فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَث لَيَالٍ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ منَ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيج، طَفقَتْ تُذَكِّرُهُمَا وَتَبْكِي، وَتَقُولُ: إِنِّي نَذَرْتُ، وَالنَّذْرُ شَديدٌ، فَلَمْ يَزَالاَ بِهَا، حَتَّى كَلَّمَت ابْنَ الزُّبَيْرِ، وَأَعْتَقَتْ في نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلكَ، فَتَبْكِي حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا.

قال القسطلاني ـ رحمه الله تعالى: واختلف في النذر إذا خرج مخرج اليمين، مثل أن قال: إن كلمت فلاناً فلله علي عتق رقبة، فهذا نذر خرج مخرج اليمين لأنه قصد به منع نفسه عن الفعل، فإذا فعل ذلك وجبت كفارة اليمين، كما ذهب إليه الشافعي وأكثر السلف ـ ويسمى نذر اللجاج.

وقالت المالكية: إنما ينعقد النذر إذا كان في طاعته، مثل ـ لله علي أن أعتق، وحينئذٍ فنذر ترك الكلام الصادر من عائشة في حق ابن الزبير رضي الله عنهما ـ يفضي إلى التهاجر، وهو حرام أو مكروه.

وأجيب بأن عائشة رضي الله عنها: رأت أن ابن الزبير ارتكب بقوله: **(لأحجرن عليها)** أمراً عظيماً، لما فيه من تنقيصها، ونسبته لها إلى التبذير الموجب لمنعها من التصرف، مع ما انضاف إلى ذلك من كونها أم المؤمنين، وخالته أخت أمه فكأنها رأت أن الذي صدر منه نوع عقوق، فهو في معنى نهيه ﷺ المسلمين من كلام كعب بن مالك وصاحبيه، لذلك نذرت مقاطعته. ا هـ.

شرح الحديث من شرح النووي على صحيح مسلم

قال النووي ـ رحمه الله: قوله ﷺ: **(تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس)**. الحديث.

قال القاضي ـ رحمه الله: قال الباجي: معنى فتحها كثرة الصفح والغفران، ورفع المنازل، وإعطاء الثواب الجزيل.

قال القاضي ـ رحمه الله: ويحتمل أن يكون على ظاهره، وأن فتح أبوابها علامة لذلك.

وقوله ﷺ: **(اركوا هذين حتى يصطلحا)**. قوله: **(اركوا)** بالراء الساكنة، وضم الكاف، والهمزة في أوله ـ همزة وصل، أي أخروا. يقال: ركاه يركوه ركوا ـ إذا أخره.

قال صاحب التحرير:

يجوز أن يرويه بقطع الهمزة المفتوحة، من قولهم: أركيت الأمر إذا أخرته.

وذكر غيره أنه روي بقطعها وبوصلها. والشحناء العداوة، كأنه شحن بغضاً له.

.....

وقوله: **(وأنظروا هذين حتى يصطلحا)** هو بقطع الهمزة أمر من أنظر ـ إذا أخر، أي أخروهما حتى يفيئا، أي يرجعا إلى الصلح والمودة. ا هـ نووي.

فالمودة بينهما تكون سبباً لعطف الله عليهما بالمغفرة والرحمة. ا هـ والله أعلم.

تنبيه

الحديث رقم (٢٥٧) والحديث رقم (٢٥٨) هذان الحديثان ليس كل منهما من الأحاديث القدسية.

وقد ذكرا هنا لبيان أن الهجرة حرام فوق ثلاث ليال، وأن محل ذلك إذا لم تكن الهجرة وعدم الكلام لله تعالى. كما فعلت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ مع عبد الله بن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ فقد رأت عائشة رضي الله عنها أن تركها لكلامه كان لله تعالى، حيث إنه لم يراع حرمة أم المؤمنين رضي الله عنها كما لم يراع حقها من حيث إنها خالته أخت أمه السيدة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين. والله أعلم.

(حديث المتحابين في اللَّه تعالى)

أَخرجه مسلم في صحيحه من كتاب الفضائل ـ باب ـ (فضل الحب في اللَّه تعالى) جـ ٩ ص ٤٦٠ من هامش القسطلاني.

(٢٥٩) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعيدٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فيمَا قُرِىءَ عَلَيْهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْد الرَّحْمٰنِ بْنِ مَعْمَرٍ، عَنْ أَبي الْحُبَابِ، سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ، عن أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ في ظِلِّي يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلاَّ ظِلِّي.

* * *

(٢٦٠) وأَخرج الإمام مسلم أَيضاً ـ من باب فضل الحب في اللَّه. قال: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ الأَعْلَى بْنُ حَمَّادٍ، حَدَّثَنَا حَمادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبي رَافِعٍ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّ رَجُلاً زَارَ أَخاً لَهُ في قَرْيَة أُخْرَى، فأَرْصَدَ اللَّهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكاً، قَالَ: أَيْنَ تُريدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخاً لي في هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لاَ، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ في اللَّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ.

* * *

(٢٦١) وأَخرج الإمام مالك في الموطأ حديث المتحابين في اللَّه المذكور أَولاً عن مسلم، غير أَنه قال: (أَيْنَ الْمُتَحَابُّون لِجَلاَلِي)؟ وبقيته مثل لفظ مسلم.

(٢٦٢) وأَخرج حديثاً آخر: عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فيَّ، وَالْمُتزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ.

* * *

وللحديث قصة طريفة في متن الموطأ وهي ما يأْتي:

(٢٦٣) حَدَّثَنِي مَالِكٌ، عَنْ أَبي حَازِمِ بْنِ دِينَارٍ، عَنْ أَبي إِدْرِيسَ ـ الْخَوْلاَنِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإِذَا فَتًى شَابٌّ بَرَّاقُ الثَّنَايَا، وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ ـ (وفي رواية: ومَعَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ عِشْرُونَ ـ وفي رِوَايَةٍ: ثَلاَثُونَ) إِذَا اخْتَلَفُوا في شَيْءٍ

أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ، وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ: هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ هَجَّرْتُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهْجِيرِ، وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي، قَالَ: فانْتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلاتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ، مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ للَّهِ، فَقَالَ: آللَّهِ؟ فقُلْتُ: آلله، فقَالَ: آللَّهِ؟ فَقُلْتُ: آللَّهِ، فَقَالَ: آللَّهِ؟ فَقُلْتُ: آللَّهِ، فَأَخَذَ بَحَبْوِ رِدَائِي ـ (وفي رواية: بِحَبْوَتِيْ رِدَائِي) فَجَبَذَنِي إِلَيْهِ، وَقَالَ: أَبْشِرْ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، والْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ). ا هـ من متن الموطأ.

زاد الطبرانيُّ: (وَالْمُتَصَادِقِينَ فِيَّ).

وفي الزرقاني: وهذا الحديث صحيح، قال الحاكم: على شرط الشيخين.

وقال ابن عبد البر: هذا إسناد صحيح.

ومعنى المتباذلين فيَّ: أَنهم يبذلون أَنفسهم وأَموالهم لله تعالى.

* * *

وأَخرجه الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في باب ـ (الحب في اللَّه).

عن معاذ بن جبل ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ ولفظه:

(٢٦٤) قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: الْمُتَحَابُّونَ في جَلالِي لَهُمْ مَنَابِرُ، مِنْ نُور، يُغْبِطُهُمْ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح جـ ٢ ص ٦٣.

شرح الحديث مأخوذ من شرح النووي هامش القسطلاني جـ ٩ ص ٤٦٠

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ:

قوله ﷺ: **(إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي)** أي لجلالي.

فيه دليل لجواز قول الإنسان: **(الله يقول)** وهو الصواب، الذي عليه العلماء كافة، إلا ما قدمناه في كتاب الإيمان، عن بعض السلف من كراهية ذلك، وإنه لا يقال: يقول الله، بل يقول: قال الله.

وقدمنا أنه بجوازه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿**والله يقول الحق وهو يهدي السبيل**﴾ وأحاديث كثيرة واردة في ذلك.

.....

قوله تعالى: **(المتحابون بجلالي)** أي بعظمتي وطاعتي، لا للدنيا.

وقوله تعالى: **(يوم لا ظل إلا ظلي)** أي أنه لا يكون من له ظل، كما في الدنيا ـ إلا ظلي وجاء في غير حديث مسلم: **(ظل عرشي)**.

قال القاضي ـ رحمه الله تعالى ـ: ظاهره إنه في ظله من الحر والشمس، ووهج الموقف، وأنفاس الخلق. قال: وهو قول الأكثرين.

وقال عيسى بن دينار: معناه كفه من المكاره وإكرامه، وجعله في كنفه وستره، ومنه قولهم: السلطان ظل الله في الأرض.

وقيل: يحتمل أن الظل هنا عبارة عن الراحة والنعيم. يقال: هو في عيش ظليل، أي طيب ا هـ.

وفي شرح الحديث الثاني ـ قال النووي رحمه الله:

قوله صلى ﷺ: **(فأرصد الله له على مدرجته ملكاً)** معنى ـ أرصده ـ أقعده يرقبه، والمدرجة ـ بفتح الميم والراء: هي الطريق، سميت بذلك، لأن الناس يدرجون عليها أي يمضون ويمشون.

وقوله: **(هل لك عليه من نعمة تربها)** أي تقوم بإصلاحها وتنهض إليها بسبب ذلك، أي فأنت تقصد بزيارته منفعة لنفسك فقط، تحصلها بهذه الزيارة.

وقوله: **(بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)** قال العلماء: محبة الله عبده هي رحمته له ورضاه عنه، وإرادته له الخير، وأن يفعل به فعل المحب من الخير.

وأصل المحبة في حق العباد: ميل القلب، والله تعالى منزه عن ذلك.

وفي هذا الحديث فضل المحبة في الله تعالى، وأنها سبب موصل لحب الله تعالى للعبد. وفيه فضيلة زيارة الصالحين والأصحاب.

وفيه أن الآدميين قد يرون الملائكة. ا هـ نووي أي يرون الملائكة في صورة إنسان.

وقوله في رواية مالك: **(فأخذ بحبو ردائي)** وفي رواية: **(بحبوتي ردائي)** أي ما يحتبى به من ردائي.

قال في القاموس: **(واحتبى بالثوب)** اشتمل به، أو جمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها. والاسم الحبوة، بفتح الحاء، ويضم ا هـ من القاموس.

فالمقصود هنا أنه أخذ بمجمع ردائي الذي تكون به الحبوة، بأن يجمع به بين الظهر والساقين، لو أراد الاحتباء. والله أعلم.

وقوله: **(وجبت محبتي للمتحابين في)** أي الذين يتحابون في طاعة الله تعالى وفي التعاون على البر والتقوى ـ لا لغرض دنيوي تنقضي محبتهم بانقضاء ذلك الغرض، فالمحبة لله دائمة، لأنه الحي الذي لا يموت والمحبة للأغراض الدنيوية تنقطع، بل يكون الإخلاء يوم القيامة أعداء، كما قال تعالى: ﴿**الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين**﴾.

.....

وقوله: **(والمتجالسين في)** أي تجمعهم مجالس طاعتي: سواء كانت للذكر، أو لقراءة القرآن، أو لدراسة العلم، أو للوعظ والإرشاد أو للنصيحة في المصالح الدنيوية التي تعود بالخير على النفس وعلى الجماعة.

وقوله: **(والمتباذلين في)** معناه الذين يبذلون أنفسهم وأموالهم لله تعالى ـ أو يعاون بعضهم بعضاً بالنفس أو بالمال أو بهما.

وقوله: **(والمتصادقين في)** هو من لوازم المحبة الخالصة في الله تعالى، فلا يكون هناك محبة خالصة لله، إلا إذا كانت صادقة لا غش فيها ولا خداع، ولا نفاق ولا مداهنة.

وقوله: **(لهم منابر من نور)** أي يكون لهم ذلك يوم القيامة في المحشر والخلق في غاية الكرب والازدحام والحر الشديد، قال الله تعالى: ﴿**لا يحزنهم الفزع الأكبر**﴾.

وقوله: **(يغبطهم النبيون والشهداء)** الغبطة: تمنى مثل ما حصل للغير ـ وهذه مزية لهم لا تقتضي أفضليتهم على النبيين والشهداء فإن لهم منازل أعلى من منازلهم، ومزايا كثيرة لا تتحقق لغيرهم.

رزقنا الله المحبة في الله، ونفعنا بشفاعة حبيبنا الأعظم سيدنا محمد ﷺ آمين.

حديث قول اللَّه تعالى: (مرضت فلم تعدني)

أَخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ باب ـ (فضل عيادة المريض) من كتاب البر والصلة والأدب ـ جـ ٩ ص ٤٦٣ هامش القسطلاني.

(٢٦٥) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِم بْنُ مَيْمُون، حَدَّثَنَا بَهْزٌ، عَنِ أَبِي رَافِع، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَقُولُ: يَوْمَ الْقِيَامَة، يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْت رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدي فُلاَناً مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أَمَا ـ عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ، وَكَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدي فُلاَنٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُك، فَلَمْ تَسْقِني، قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدي فُلاَنٌ فَلَمْ تَسْقه، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي.

حديث (يا عبادي إِني حَرَّمْتُ الظلم على نفسي)

أَخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ باب ـ (تحريم الظلم) جـ ١٠ ص ٨ وما بعدها هامش القسطلاني.

(٢٦٦) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْد الرَّحْمٰنِ بْنِ بَهْرَام الدَّارِمِيُّ، حَدَّثَنَا مَرْوَانُ ـ يعني ابن محمد الدمشقي ـ حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ أَبي

شرح الحديث من شرح النووي على صحيح مسلم

قوله عز وجل: **(مرضت فلم تعدني، قال: يا رب، وكيف أعودك وأنت رب العالمين الخ)** قال العلماء: إنما أضاف المرض إليه سبحانه وتعالى، والمراد العبد تشريفاً للعبد وتقريباً له.

قالوا: ومعنى **(وجدتني عنده)** أي وجدت ثوابي عنده، وكرامتي ورحمتي ـ ويدل عليه قوله في تمام الحديث: **(لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، ولو أسقيته لوجدت ذلك عندي)** أي ثوابه وجزاءه. والله أعلم.

والحديث دليل على فضل عيادة المريض، وعلى فضل إطعام المحتاج وعلى فضل سقي الماء ولا شك أن ذلك كله من مكارم الأخلاق، التي يدعو إليها الإسلام، وبعث النبي ـ ﷺ ـ ليتمم مكارم الأخلاق.

إِدْرِيسَ الْخَوْلاَنِي، عَنْ أَبي ذَرٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: فيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ أَنَّهُ قَالَ: يَا عبَادي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً، فَلاَ تَظَالَمُوا، يَا عبَادي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدكُمْ، يَا عبَادي، كُلُّكُمْ جَائعٌ إِلاَّ مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلاَّ مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يَا عِبَادِي، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذنُوبَ ـ جَمِيعاً، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُوني، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِد مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلُونِي، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي، إِلاَّ كَمَا يَنْقُصُ الْمخْيَطُ، إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْراً فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غُيْرَ ذَلِكَ، فَلاَ يَلُومَنَّ إِلاَّ نَفْسَهُ.

* * *

(٢٦٧) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ (إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى نَفْسِي الظُّلْمَ، وَعَلَى عِبَادِي، فَلاَ تَظَالَمُوا. . .) وساق الحديث بنحوه.

وأخرج مسلم أحاديث قبل هذا الحديث في فضل عيادة المريض: منها قوله ﷺ: **(من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع)** ومنها: **(أن المسلم إذا عاد أخاه المسلم، لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع)** ـ ومنها: **(من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة، قيل: يا رسول الله، وما خرفة الجنة. قال: جناها)** قال النووي: أي يؤول به ذلك إلى الجنة وجني ثمارها والله أعلم.

قال سعيد: كان أبو إدريس الخولاني إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه، وحدثنيه أبو بكر بن إسحاق، حدثنا أبو مسهر، حدثنا سعيد بن عبد العزيز بهذا الإسناد، غير أن مروان أتمهما حديثاً.

قال أبو إسحاق: حدثنا بهذا الحديث الحسن والحسين ابنا بشر ومحمد بن يحيى قالوا: حدثنا أبو مسهر، فذكروا الحديث بطوله.

وحدثنا إسحاق بن إبراهيم، ومحمد بن المثنى كلاهما عن عبد الصمد بن عبد الوارث حدثنا همام، حدثنا قتادة، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن أبي ذر.

وحديث أَبي إِدريس الذي ذكرناه أَتمُّ منه. ا هـ

وأَخرجه أَبو عيسى الترمذي في صحيحه، عن أَبي ذر، بأَلفاظ مغايرة لما ذكره مسلم، وهي كالآتي:

(٢٦٨) عَنْ أَبِي ذَرٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ، إِلاَّ مَنْ هَدَيْتُهُ، فَسَلُونِي الْهُدَى أَهْدِكُمْ، وَكُلُّكُمْ فَقِيرٌ، إِلاَّ مَنْ أَغْنَيْتُهُ، فَسَلُونِي أَرْزُقْكُمْ، وَكُلُّكُمْ مُذْنِبٌ، إِلاَّ مَنْ عَافَيْتُهُ، فَمَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى الْمَغْفِرَةِ، فَاسْتَغْفَرَنِي غَفَرْتُ لَهُ، وَلاَ أُبَالِي، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْ عِبَادِي، مَا زَادَ ذلِكَ فِي مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَشْقَى قَلْبِ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِي، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، وَلَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ، وَحَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ، وَيَابِسَكُمْ، اجْتَمَعُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَسَأَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ مَا بَلَغَتْ أُمْنِيَّتُهُ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ سَائِلٍ ـ مِنْكُمْ مَا سَأَلَ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي، إِلاَّ كَمَا لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ مَرَّ بِالْبَحْرِ، فَغَمَسَ فِيهِ، إِبْرَةً، ثُمَّ رَفَعَهَا إِلَيْهِ، ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ مَاجِدٌ، أَفْعَلُ مَا أُرِيدُ، عَطَائِي كَلاَمٌ، وَعَذَابِي كَلاَمٌ، إِنَّمَا أَمْرِي إِذَا أَرَدْتُهُ أَنْ أَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ.

قال أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى: حديث حسن.

(٢٦٩) وأَخرجه ابن ماجه في سننه، عن أَبي ذر أَيضاً، بأَلفاظ قريبة من أَلفاظ الترمذي، وفيه تقديم وتأخير، ولم يذكر فيه قوله: (وَلَوْ أَنَّ حَيَّكُمْ وَمَيِّتَكُمْ، وَرَطْبَكُمْ وَيَابِسَكُمْ، اجْتَمَعُوا على أَتْقَى قَلْبِ وَاحِدٍ) ـ ولم يذكر فيه أَيضاً قوله: (وَعَذَابِي كَلاَمٌ). وبقيته مثل لفظ الترمذي.

(شرح الحديث مأخوذ من شرح النووي لصحيح مسلم) جـ ١٠ ص ٨ هامش القسطلاني

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى قوله تعالى: (**إني حرمت الظلم على نفسي.. الخ**).

قال العلماء: معناه تقدست عنه وتعاليت، والظلم مستحيل في حق الله سبحانه وتعالى، أي لأن الظلم تجاوز الحد والتصرف في ملك الغير وكيف يتجاوز سبحانه حداً، وليس فوقه

.....

من يطيعه؟ وكيف يتصرف الله في غير ملكه، والعالم كله ملكه وسلطانه؟

وأصل التحريم في اللغة: المنع، فسمى تقدسه سبحانه عن الظلم تحريماً، لمشابهته بالممنوع، في أصل عدم الشيء.

وقوله تعالى: ﴿**وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا**﴾ هو بفتح التاء أي لا تتظالموا، والمراد لا يظلم بعضكم بعضاً، وهو توكيد لقوله: (**وجعلته بينكم محرماً**)، وزيادة تغليظ في تحريمه.

وقوله تعالى: (﴿**كلكم ضال إلا من هديته**﴾) ـ قال المازري رحمه الله: ظاهر هذا أنهم خلقوا للضلال، إلا من هداه الله تعالى. وفي الحديث المشهور: (**كل مولود يولد على الفطرة**) أي فيحصل التعارض وقال في الجواب: قد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل مبعث النبي ﷺ.

أو أنهم لو تركوا وما في طباعهم من إيثار الشهوات والراحة، وإهمال النظر ـ لضلوا. (**وهذا الثاني أظهر**).

وفي هذا دليل لمذهب أصحابنا وسائر أهل السنة ـ أن المهتدي هو من هداه الله تعالى، وبهدى الله اهتدى، وبإرادة الله تعالى له ذلك.

والله سبحانه وتعالى إنما أراد هداية بعض عباده، وهم المهتدون منهم، ولم يرد هداية الآخرين. ولو أرادها لاهتدوا، خلافاً للمعتزلة في قولهم: إنه سبحانه وتعالى أراد هداية الجميع.

جل الله أن يريد ما لا يقع، أو يقع في ملكه ما لا يريد، (**لأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن**).

وقوله تعالى: ﴿**ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا ادخل البحر**﴾ ـ المخيط: بكسر الميم، وفتح الياء ـ هو الإبرة.

قال العلماء: هذا تقريب إلى الأفهام ـ معناه لا ينقص شيئاً أصلاً، كما قال في الحديث الآخر:

(**يد الله سحاء، لا يغيضها نفقة**) ـ أي لا ينقصها نفقة، لأن ما عند الله لا يدخله نقص، وإنما يدخل النقص الشيء المحدود الفاني، وعطاء الله تعالى من رحمته وكرمه، وهما صفتان قديمتان، ـ لا يتطرق إليهما نقص.

فضرب المثل بالمخيط في البحر، لأنه غاية ما يضرب به المثل في القلة وعدم ظهور النقص من المأخوذ منه.

فالمقصود التقريب إلى الأفهام بما شاهدوه، فإن البحر من أعظم المرئيات عياناً وأكبرها ـ والإبرة من أصغر الموجودات ـ مع أنها صقيلة لا يتعلق بها ماء، إذا انغمست في البحر. والله أعلم.

.....

وقوله تعالى: **(يا عبادي، إنكم تخطئون بالليل والنهار)** الرواية المشهورة: بضم التاء ـ من أخطأ ـ وروي بفتح التاء وفتح الطاء، من ـ **(خطىء)**.

يقال: خطىء ـ بكسر الطاء، يخطأ ـ بفتحها، إذا فعل ما يأثم به عامداً، فهو خاطىء، ومنه قوله تعالى: ﴿**استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين**﴾.

قال النووي ـ رحمه الله تعالى: ويقال في الاثم أيضاً: أخطأ ـ فهما صحيحان. ا هـ نووي.

وقوله تعالى في رواية الترمذي وابن ماجة: **(ذلك بأني جواد ماجد)**.

قال في القاموس: الجواد السخي، جمعه أجواد وأجاود، ا هـ قاموس.

وقال في القاموس أيضاً: المجد نيل الشرف، والكرم. مجد كنصر، وكرم مجداً ومجادة، فهو ماجد ومجيد. والمجيد الرفيع والشريف الفعال. ا هـ من القاموس.

فيجمع الوصفان جميع صفات الكرم والعطاء والرحمة والإحسان وكلها صفات ثابتة لله تعالى، واجبة لذاته تعالى، لا يعتريها نقص ولا فناء.

وقوله تعالى: **(أفعل ما أريد، عطائي كلام، وعذابي كلام إنما امري لشيء إذا أردته أن أقول له: ﴿وكن فيكون﴾)**.

هو توضيح لقوله: أفعل ما أريد ـ وبيان لسرعة تحقق مراد الله تعالى، بأنه في التمثيل، كمن يقول لشيء: ﴿كن فيكون﴾.

سواء كان ما يريده عطاء، أم عذاباً، وليس المراد عين الكلام، بل هو تمثيل لذلك، وتوضيح له، وتقريب للأفهام. والله أعلم.

حديث (الكبرياءُ ردائي، والعظمة إزاري)

أَخرجه الإمام مسلم في صحيحه ـ باب ـ (تحريم الكبر) جـ ١٠ ص ٥٣ هامش القسطلاني قال بسنده إلى أَبي هريرة، وأَبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

(٢٧٠) قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: الْعِزَّةُ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ.

* * *

وأَخرجه أَبو داود في سننه ـ باب ـ (ما جاء في الكبر) جـ ٤ ص ٥٠ قال:

(٢٧١) حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، أَنْبَأَنَا مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا، قذَفْتُهُ فِي النَّارِ.

* * *

وأَخرجه ابن ماجه في سننه ـ في باب ـ (البراءة من الكبر، والتواضع) جـ ٢ ص ٢٨٢ فقال بسنده:

(٢٧٢) عن أَبي هريرة ـ وهو مثل أَلفاظ أَبي داود، إِلاَّ أَنه قَالَ: (مَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا، أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ).

(٢٧٣) وأَخرجه ابن ماجه أَيضاً عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مثل ذلك، إِلاَّ أَنه قال: (فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي النَّار).

شرح الحديث من شرح النووي على مسلم جـ ١٠ ص ٥٣

قال النووي ـ رحمه الله تعالى:

قوله ﷺ **(العزة إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته)**.

هكذا هو في جميع النسخ، فالضمير في ـ ازاره، ورداؤه ـ يعود إلى الله تبارك وتعالى ـ للعلم به.

وفيه محذوف، تقديره: قال الله تعالى: **(ومن ينازعني ذلك أعذبه)**.

ومعنى ـ ينازعني ـ يتخلق بذلك، فيصير في معنى المشارك. وهذا وعيد شديد في الكبر، مصرح بتحريمه.

.....

وأما تسميته ازاراً، ورداء ـ فمجازو واستعارة حسنة، كما تقول العرب: فلان شعاره الزهد، ودثاره التقوى، لا يريدون الثوب الذي هو شعار أو دثار.

بل معناه: صفته اللازمة له كذا، فلا تنفك عنه أبداً. قال المازري: ومعنى الاستعارة هنا: أن الإزار والرداء يلصقان بالإنسان ويلزمانه، وهما جمال له.

فضرب ذلك مثلاً لكون العز والكبرياء بالله أحق، وله إلزام، واقتضاهما جلاله.

ومن مشهور كلام العرب: (فلان واسع الرداء، وغمر الرداء) أي واسع العطية. ا هـ من النووي.

أقول:

وقد ورد القرآن الكريم بذم الكبر، والوعيد الشديد عليه، وقد جعله الله تعالى سبباً لمنع الخير والتوفيق عن صاحبه، فقال تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق﴾ ـ وقال تعالى: ﴿أليس في جهنم مثوى للمتكبرين﴾ ـ وقال تعالى: ﴿ذلكم بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون﴾.

وقال تعالى: ﴿فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون﴾. ا هـ نسأله تعالى أن يخلص نفوسنا من الكبر ويرزقنا التواضع آمين.

٢٧ ـ (ما جاء في طلب موسى الاجتماع بالخضر ـ عليهما السلام)

أَخرج البخاري حديث موسى مع الخضر عليهما السلام. جـ ٤ ص ١٥٤ فقال:

(٢٧٤) حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، قَالَ: قُلْتُ لابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ نَوْفاً الْبِكَالِيَّ يَزْعُمُ أَنَّ مُوسَى صَاحِبَ الْخِضِرِ لَيْسَ هُوَ صَاحِبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا هُوَ مُوسَى آخَرُ، فَقَالَ: كَذَبَ عَدُوُّ اللَّهِ ـ حَدَّثَنَا أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّ مُوسَى قَامَ خَطِيباً في بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَسُئِلَ أَيُّ النَّاسِ أَعْلَمُ؟ فَقَالَ: أَنَا، فَعَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: بَلَى، لِي عَبْدٌ بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، وَمَنْ لِي بِهِ؟ ـ وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: أَيْ رَبِّ، وَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ حُوتاً فَتَجْعَلُهُ في مِكْتَلٍ، حَيْثُمَا فَقَدْت الْحُوتَ، فَهُوَ ثَمَّ ـ وَرُبَّمَا قَالَ: فَهُوَ ثَمَّةْ ـ وَأَخَذَ حُوتاً في مِكْتَلٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ هُوَ وَفَتَاهُ، يُوشَعُ بْنُ نُونٍ ـ حَتَّى إِذَا أَتَيَا الصَّخْرَةَ، وَضَعَا رُؤوسَهُمَا... الحديث بطوله.

* * *

وأَخرجه البخاري في سورة الكهف ـ من قوله تعالى: ﴿وإذ قال موسى لفتاه﴾ الآية جـ ٦ ص ٨٨.

(٢٧٥) وفيه: (فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنَّ لِي عَبْداً بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ، أَوْ عِنْدَ مَجمعِ البَحْرَيْنِ ـ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ، قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ، فَكَيْفَ لِي بِهِ؟ قَالَ: تَأْخُذُ مَعَكَ حُوتاً، فتجْعَلُهُ في مِكْتَلٍ، فَحَيْثُمَا فقدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّ...) إلى آخر الحديث.

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً في الباب نفسه، برواية أُخرى، وفيها:

(٢٧٦) فَعَتَبَ ـ (أَي اللَّه) عَلَيْهِ، إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْعِلْمَ إِلَى اللَّهِ، قِيلَ: بَلَى، قَالَ: يَا رَبِّ، فَأَيْنَ؟ قَالَ: بِمَجْمَعِ الْبَحْرِينِ قَالَ: أَيْ رَبِّ، اجْعَلْ لِي عَلَماً، أَعْلَمُ ذَلِكَ

بِهِ ـ فَقَالَ لِي عَمْرٌو: حَيْثُ يُفَارِقُكَ الْحُوتُ ـ وَقَالَ لِي يَعْلَى: قَالَ: خُذْ حُوتاً مَيِّتاً، حَيْثُ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَأَخَذَ حُوتاً. . . إِلى آخر الحديث.

* * *

وقد أَخرجه البخاري في هذا الباب، بأَلفاظ قريبة مما ذكرناه هنا. واللَّه أَعلم.

وقال القسطلاني ـ رحمه الله تعالى ـ في سورة الكهف من جـ ٧ ص ٢٢١: قال: وهذا الحديث سبق في كتاب العلم، وأَخرجه المؤلف ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في أَكثر من عشرة مواضع من كتابه الجامع. ا هـ.

الكلام على حديث الخضر وموسى عليهما السلام متناً وشرحاً من القسطلاني جـ ٥ ص ٣٨١ وما بعدها، قال رحمه الله تعالى:

(حدثنا علي بن عبد الله) المديني قال: **(حدثنا سفيان)** بن عيينة قال: **(حدثنا عمرو بن دينار)** المكي، قال: **(أخبرني سعيد بن جبير)** بضم الجيم مصغراً الكوفي **(قال: قلت لابن عباس: أن نوفا)** بفتح النون وسكون الواو وتنوين الفاء ابن فضالة، بفتح الفاء، والضاد المعجمة، أبا يزيد القاص **(البكالي)** بكسر الباء وتخفيف اللام.

والكاف على الصواب ونقل عن المهلب والصدفي وأبي الحسن بن سراج، نسبة إلى بكال، من حمير، وضبطه أكثر المحدثين فيما قاله عياض البكالي بفتح الموحدة، وتشديد الكاف ـ قال: وكذا قيدناه عن أبي بحر وابن أبي جعفر عن العذري قاله أبو ذر، نسبة إلى بكال بن دعمي **(يزعم أن موسى صاحب الخضر، الذي قص الله عنهما في سورة الكهف ليس هو موسى بني إسرائيل، إنما هو موسى آخر)** يسمى موسى بن ميشا بن إفراثيم بن يوسف بن يعقوب. وموسى الثاني منون للفرق.

فقال ابن عباس: **(كذب عدو الله)** نوف فيما زعم، قاله مبالغة في الإنكار والزجر، وكان في شدة غضبه، لا أنه اعتقد ذلك. ثم قال:

(حدثنا أبي كعب عن النبي ﷺ أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم)؟ أي منهم **(فقال)** بحسب اعتقاده **(أنا)** أي أعلم الناس ـ وهذا أبلغ من قوله في الرواية السابقة، هل نعلم أحداً أعلم منك؟ قال: لا، فإنه نفي هناك علمه، وفي هذه الرواية نفي على البت **(فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه)** فيقول: الله أعلم، ونحوه فقال الله له: **(بلى، لي عبد)** هو خضر **(بمجمع البحرين)** ملتقى بحري فارس والروم مما يلي الشرق **(هو أعلم منك)** أي بشيء مخصوص **(قال)** موسى: **(أي رب، ومن لي به؟)** أي ومن يتكفل لي برؤيته.

.....

(وربما قال سفيان) بن عيينة: **(أي رب، وكيف لي به)** أي كيف يتهيأ لي أن أظفر به **(قال)** تعالى: **(تأخذ حوتاً)** مملوحاً **(فتجعله في مكتل)** بكسر الميم وسكون الكاف، وفتح الفوقية، زنبيل **(حيثما فقدت الحوت)** بفتح القاف **(فهو)** أي الخضر **(ثم)** بفتح المثلثة وتشديد الميم.

(وربما قال: فهو ثمه) بزيادة هاء السكت الساكنة أي هناك.

(وأخذ) بالواو أي موسى **(حوتا)** مملوحاً **(فجعله في مكتل)** كما أمر **(ثم انطلق هو وفتاه ـ يوشع بن نون)** بالصرف كنوح **(حتى أتيا)** ولأبي ذر **(حتى أتيا الصخرة)** عند ساحل مجمع البحرين ـ ويقال: هناك عين تسمى بعين الحياة **(وضعا رؤوسهما)** **(بقية الحديث من البخاري)** **(فرقد موسى، واضطرب الحوت)** أي تحرك، لأن الحياة حلت فيه بإذن الله **(فخرج)** من المكتل **(فسقط في البحر، فاتخذ سبيله في البحر سرباً، فأمسك الله عن الحوت جرية الماء)** فصار عليه مثل الطاق.

(فقال: هكذا مثل الطاق) أي مثل عقد البناء، معجزة لموسى والخضر عليهما السلام **(فانطلقا يمشيان بقية ليلتهما ويومهما، حتى إذا كان من الغد قال)** موسى لفتاه: آتنا غداءنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً.

(ولم يجد موسى التعب حتى جاوز حيث أمره الله، قال له فتاه: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة، فإني نسيت الحوت) أي نسيت أن أخبرك بحياته، وانتضاب الماء مثل الطاق ﴿**وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره**﴾ لما بهر العقل من عظيم القدرة **(واتخذ)** أي الحوت **(سبيله في البحر)** سبيلاً **(عجباً)** وهو كونه كالسرب فكان للحوت مسلكاً سرباً **(ولهما)** أي لموسى وفتاه **(عجباً)** فإنه جمد الماء.

قال له موسى: **(ذلك ما كنا نبغ، فارتدا على آثارهما قصصاً)** أي رجعا يقصان الطريق الذي جاءا فيه، **(يقصان آثارهما قصصاً)** أي يتبعان آثار مسيرهما اتباعاً **(حتى إذا انتهيا إلى الصخرة)** فذهبا يلتمسان الخضر **(فإذا رجل نائم مسجى بثوب)** أي مغطى به كله **(فسلم موسى، فرد عليه)** الخضر فقال: وأني بأرضك السلام؟ وفي رواية: وهل بأرضي من سلام؟ قال الخضر: **(قال: أنا موسى قال)** الخضر **(موسى بني إسرائيل؟)** قال: نعم **(أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً)** ولم يرد أن يعلمه شيئاً من أمر الدين، لأن الأنبياء لا يجهلون ما يتعلق بدينهم الذي تعبدت به أمتهم.

(قال: يا موسى؟ إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه) أي لا أعلم جميعه، وأنت لا تعلم جميع ما عندي، **(قال موسى: هل أتبعك؟ قال: إنك لن تستطيع معي صبراً)** لأن موسى عليه السلام لا يصبر على ترك الإنكار إذا رأى ما يخالف الشرع.

(وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً) أي وكيف تصبر وأنت نبي على ما أفعله من

.....

أمور ظواهرها مناكير ـ وبواطنها لم تحط بها خبراً.. إلى قوله: **(ولا أعصي لك أمراً) (فانطلقا)** موسى والخضر **(يمشيان على ساحل البحر)** ومعهما يوشع **(فمرت بهما سفينة كلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه)** أي وموسى وفتاه **(بغير نول)** بفتح النون أي بغير أجره **(فلما ركبا في السفينة جاء عصفور، فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين، قال له الخضر: يا موسى، ما نقص علمي وعلمك من علم الله)** أي من معلومه **(إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من البحر)**.

ولفظ النقص ليس على ظاهره، وإنما معناه أن علمي وعلمك بالنسبة إلى علم الله تعالى كنسبة ما نقره هذا العصفور إلى ماء البحر، فهو على التقريب إلى الأفهام **(إذ أخذ الخضر الفأس)** بالهمزة **(فنزع لوحاً)** من ألواح السفينة **(فلم يفجأ موسى إلا وقد قلع)** الخضر **(لوحاً)** من السفينة **(بالقدوم)** بفتح القاف وتشديد الدال، وضبطه الصفاني بالفتح والتخفيف.

(فقال له موسى) منكراً **(ما صنعت)**؟ هؤلاء **(قوم حملونا)** في سفينتهم **(بغير نول عمدت)** بفتح الميم **(إلى سفينتهم، فخرقتها لتغرق أهلها)** فإن خرقها سبب لدخول الماء فيها المفضي إلى غرق أهلها.

(لقد جئت شيئاً امراً؟) أي عظيماً **(قال)** الخضر مذكراً لموسى بما سبق من الشرط: **(ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً)** استفهام على سبيل الإنكار **(قال)** موس للخضر **(لا تؤاخذني بما نسيت)** يعني وصيته، وهو اعتذار بالنسيان ـ أو أراد بالنسيان الترك، أي لا تؤاخذني بما تركت.

(ولا ترهقني) أي لا تغشني **(من أمري عسراً)**، فكانت الأولى من موسى نسياناً فلما خرجا من البحر مروا بغلام يلعب مع الصبيان، فأخذ الخضر برأسه، فقلعه بيده هكذا ـ وأومأ سفيان بأطراف أصابعه؟ كأنه يقطف شيئاً **(فقال له موسى: أقتلت نفساً زكية بغير نفس، لقد جئت شيئاً نكراً، قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً قال: إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً، فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها)** واستضافوهم **(فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض)** مائلاً، أوما الخضر بيده هكذا، وأشار سفيان كأنه يمسح شيئاً إلى فوق.

(قال) أي موسى **(قوم أتيناهم)** فاستطعمناهم واستضفناهم **(فلم يطعمونا ولم يضيفونا عمدت إلى حائطهم)** المائل فأقمته **(لو شئت لاتخذت عليه أجراً)** أي جعلا **(قال)** الخضر: **(هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً)** لكونه منكراً بحسب الظاهر.

(قال النبي ﷺ: وددنا أن موسى كان صبر فقص الله علينا من خبرهما ـ قال سفيان: قال النبي ﷺ: يرحم الله موسى لو كان صبر لقص الله علينا من أمرهما).

وفي التفسير، من طريق الحميد عن سفيان: **(وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما)**. ا هـ من القسطلاني. والله أعلم.

٢٨ ـ (جزاء الانتحار النار)

حديث الرجل الذي حزَّ يده بسكين فمات ـ في البخاري أَخرجه من باب الحديث عن بني إِسرائيل. جـ ٤ ص ١٧٠

(٢٧٧) حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ، حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْحَسَنِ، حَدَّثَنَا جُنْدُبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، وَمَا نَسَيْنَا مُنْذُ حَدَّثَنَا، وَمَا نَخْشَى أَنْ يَكُونَ جُنْدُبٌ كَذَبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ، بِهِ جُرْحٌ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سَكِّيناً، فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ، حَتَّى مَاتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ).

شرح الحديث مأخوذ من القسطلاني

قوله: **(كان فيمن كان قبلكم)** أي من بني إسرائيل أو من غيرهم، والأول هو الظاهر **(رجل به جرح)** بضم الجيم وسكون الراء **(فجزع)** بفتح الجيم، وكسر الزاي، أي لم يصبر على ألمه **(فأخذ سكيناً فحز بها يده)** أي قطع يده بها من غير إبانة **(فما رقأ الدم)** أي لم ينقطع الدم **(حتى مات)** لفراغ الدم من بدنه بذلك الجرح.

(قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه) أي استعجل الموت لنفسه بنفسه **(حرمت عليه الجنة)**، أي لأنه استحل ذلك، فكفر، فيكون مخلداً في النار بكفره، لا بقتل نفسه، أو كان كافراً في الأصل وعوقب بهذه المعصية زيادة على كفره. واستشكل قوله: **(بادرني بنفسه)** إذ مقتضاه أن من قتل فقد مات قبل أجله، مع أنه لا يموت أحد بسبب من الأسباب إلا بانقضاء أجله، وقد علم الله أنه يموت بالسبب المذكور، وما علم الله لا يتغير.

وأجيب بأنه لما وجدت منه صورة المبادرة، بقصده واختياره، ولم يطلعه الله على علمه، فاختار هو قتل نفسه فكأنه قد بادر فاستحق المعاقبة لعصيانه ـ والحديث أصل كبير في تعظيم قتل النفس: سواء كان قتل نفسه أم قتل غيره لأن نفسه ليست ملكه هو، بل هي ملك لله تعالى والله أعلم.

٢٩ ـ (لا غنى لأحد عن فضل اللَّه تعالى)

حديث اغتسال أَيّوب ـ عليه السلام ـ، ونزول جراد من ذهب عليه أَخرجه البخاري في كتاب الغسل (باب من اغتسل عرياناً) جـ ١ ص ٦٤.

(٢٧٨) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ هَمَّام بْنِ مُنَبِّهٍ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي في ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ: أَلَمْ أَكُنْ أُغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى، وَعِزَّتِكَ، وَلٰكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ.

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً في كتاب ـ بدءِ الخلق ـ باب ـ قول اللَّه تعالى: ﴿وأيوب إِذ نادى ربه أَني مسنَّي الضر﴾. جـ ٤ ص ١٥١.

وأَخرجه أَيضاً في كتاب التوحيد ـ باب ـ قول الله تعالى: ﴿يريدون أَن يبدلوا كلام اللَّه﴾ جـ ٩ ص ١٤٣.

(٢٧٩) وزاد في هاتين الروايتين: (خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَدٍ مِنْ ذَهَبٍ). ورِجل جراد ـ بكسر الراءِ: أَي جماعة جراد.

* * *

(٢٨٠) وأَخرجه النسائي في سننه ـ (باب الاستتار عند الاغتسال) جـ ١ ص ٢٠١ ولفظه مثل رواية البخاري في كتاب الغسل، المذكورة هنا وقال فيها.

(وَلٰكِنْ لاَ غِنَى لي عَنْ بَرَكَاتِكَ) بجمع بركات.

٣٠ ـ (أسلم سالمها اللَّه تعالى)

أَخرج الحديث مسلم في كتاب الفضائل ـ باب من فضائل غفار وأَسلم. . . الخ) جـ ٩ ص ٤٠٧ من هامش القسطلاني على البخاري.

(٢٨١) وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى، عَنْ خَيْثَم بْنِ عِرَاكٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: (أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ، وَغِفَارُ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا، أَمَا إِنِّي لَمْ أَقُلْهَا، وَلكِنْ قَالَهَا اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ).

* * *

وأَخرج مسلم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ هذا الحديث في صحيحه بروايات كثيرة: منها عن أَبي هُرَيْرَةَ ومنها عن أَبي ذر، ومنها عن جابر بن عبد اللَّه، ومنها عن عبد اللَّه بن عمر، ومنها عن أَبي أَيوب الأَنصاري ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجمعين.

وقد أَخرج مسلم حديث (أَسلم سالمها اللَّه) بسنده إِلى أَبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ بلفظ أَطول مما سبق، فقال فيه بعد السند إِلى محمد بن يعقوب:

شرح حديث اغتسال أيوب عرياناً الحديث في الصفحة السابقة من القسطلاني جـ ١ ص ٣٣٣

قوله: **(فخر عليه جراد من ذهب)**.

قال القسطلاني ـ رحمه الله ـ: وهل كان جراداً حقيقة ذا روح، إلا أنه كان من ذهب ـ أو كان على شكل الجراد، وليس فيه روح؟.

قال في شرح التقريب: الأظهر الثاني. والله أعلم.

وقوله: **(يحتثي في ثوبه)** أي يأخذ بيديه، ويرمي في ثوبه.

وقوله: **(فناداه ربه)** بأن كلمه ربه كما كلم موسى عليهما السلام، أو كان ذلك بواسطة ملك من الملائكة. **(بلى وعزتك)** أي أنت أغنيتني.

(ولكن لا غنى بي عن بركتك) ـ وفي رواية ـ لي ـ عن بركاتك، أي خيرك. ـ وغنى ـ بكسر الغين، والقصر من غير تنوين ـ قال: وروياه بالتنوين.

(٢٨٢) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَعْقُوبَ، قَالَ: سَمِعْتُ عَبْدَ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبي بَكْرَةَ يُحَدِّثُ عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ الأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ جَاءَ إِلَى رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ: إِنَّمَا بَايَعَكَ سُرَّاقُ الْحَجِيجِ، مِنْ أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: أَرَأَيْت أَنْ كان أَسْلمُ وَغِفارُ، وَمُزيْنةُ خيْرًا، مِنْ بَني تمِيم، وَبَنِي عَامِر، وَأَسَد وَغطفَانَ أَخَابُوا وَخَسِرُوا؟ فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسِي بيَدِهِ، إِنَّهُمْ لأَخْيَرُ مِنْهُمْ.

أَخْيرُ: لغة قليلة الاستعمال، والكثير: خير منهم. اهـ نووي.

ثم قال القسطلاني ـ رحمه الله: ومحال أن يكون أيوب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أخذ هذا المال حباً للدنيا، وإنما أخذه كما أخبر هو عن نفسه، لأنه بركة من ربه، حيث إنه قريب العهد بتكوين الله عز وجل، أو أنه نعمة جديدة خارقة للعادة، فينبغي تلقيها بالقبول، ففي ذلك شكر لها، وتعظيم لشأنها، وفي الإعراض عنه كفر بها، ورد لنعمة الله.

وفي الحديث جواز الاغتسال عرياناً، لأن الله لم يعاتبه على الاغتسال عرياناً حيث لا يراه أحد. وإنما عاتبه على جمع الجراد. ا هـ قسطلاني.

أقول: وقد ورد أن موسى كان يغتسل عرياناً فذهب الحجر بثوبه، فضربه وقال: ثوبي حجر مرتين. ا هـ.

شرح الحديث الأول من شرح النووي على صحيح مسلم

قوله ﷺ: **(وأسلم سالمها الله)**. قال العلماء: هو من المسالمة، وترك الحرب. قيل: هو دعاء لهم، وقيل: هو خبر عن حالهم.

قال القاضي في المشارق: هو من أحسن الكلام، ومجانسته، مأخوذ من سالمته ـ إذا لم تر منه مكروهاً، فكأنه ﷺ دعا لهم بأن يصنع الله بهم ما يوافقهم، فيكون ـ سالمها ـ بمعنى سلمها، وقد جاء فاعل بمعنى ـ فعل ـ كقاتله الله، أي قتله. ا هـ.

وكذا يقال في قوله: **(وغفار غفر الله لها؟)** كأنه دعاء لهم بأن يصنع الله بهم ما يوافقهم من المغفرة لهم.

قال: ويكفي غفار فخراً أن أبا ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ منهم، وقد أسلم قديماً، ولإسلامه قصة مشهورة في صحيح البخاري رحمه الله. والله أعلم.

والحديث أخرجه البخاري في كتاب المناقب، وليس فيه قوله: **(أما إني لم أقلها.. الخ)** والله أعلم. ا هـ.

٣١ ـ (ما جاء في تيسير قراءة القرآن)

(وفي تلاوته بالليل، ونزول سورة الكوثر، وفضل الصلاة على النبيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفضل خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُا، وبشارتها ببيت في الجنة).

أَولاً ـ حديث (إن اللَّه عز وجل يأْمرك أَن تقرىءَ القرآن على سبعة أَحرف) أَخرجه النسائي في سننه ـ باب جامع ـ (ما جاءَ في القرآن).

(٢٨٣) عَنْ أُبيِّ بْنِ كَعْبٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ كَانَ عِنْدَ أَضَاةِ بَنِي غِفَارَ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِىءَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، قَالَ: اسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرَتَهُ، وَإِنَّ أُمتِي لاَ تُطيقُ ذَلكَ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانيةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِىءَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفَيْنِ، قَالَ: اسْأَلُ اللَّهَ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفرَتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تُطيقُ ذَلكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الثَّالثَةَ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِىءَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى ثَلاَثَةِ أَحْرُفٍ، فَقَالَ: أَسْأَلُ اللَّهُ مُعَافَاتَهُ وَمَغْفِرتَهُ، وَإِنَّ أُمَّتِي لاَ تُطِيقُ ذلكَ، ثُمَّ جَاءَهُ الرَّابِعَة، فقَالَ: إِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَأْمُرُكَ أَنْ تُقْرِىءَ أُمَّتَكَ الْقُرْآنَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُف، فَأَيُّمَا حَرْف قَرَأُوا عَلْيهِ فَقدْ أَصَابُوا.

شرح الحديث ملخص من شرح القسطلاني

قال القسطلاني ـ رحمه الله ـ في كتاب بدء الخلق جـ ٥ ص ٢٧١ عند شرح حديث: **(عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: أقرأني جبريل على حرف، فلم أزل أستزيده، حتى انتهى إلى سبعة أحرف)**. قال:

(أقرأني جبريل على حرف) أي لغة ـ أو وجه من الإعراب، **(فلم أزل أستزيده)** أي أطلب منه أن يطلب من الله تعالى الزيادة على الحرف ـ **(أي فما فوقه)** ـ توسعة وتخفيفاً ـ أي على أمتي ـ ويسأل جبريل ربه تعالى ويزيده **(حتى انتهى إلى سبعة أحرف)**. ثم قال:

وليس المراد أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه ـ والاختلاف اختلاف تنوع لا تضاد وتناقض، إذ هو محال في القرآن.

وذلك يرجع إلى سبعة: لأنه إما في الحركات من غير تغير في المعنى والصورة، نحو البخل والبخل ويحسب بوجهين، أو بتغير في المعنى فقط، نحو ﴿**فتلقى آدم من ربه**

.....

كلمات﴾ ـ وأما في الحروف بتغير في المعنى لا الصورة، نحو تبلو وتتلو ـ، أو عكس ذلك، نحو السراط والصراط ـ، أو بتغيرهما، نحو **(يأتل ويتأل)** ـ، وأما في التقديم والتأخير، نحو **(فيقتلون ويقتلون)** ـ أو في الزيادة والنقصان، نحو **(أوصى ووصى)**.

ثم قال: وأما نحو الاختلاف في الإظهار والإدغام وغيرهما مما يسمى بالأصول، فليس من الاختلاف الذي يتنوع فيه اللفظ أو المعنى، لأن هذه الصفات المتنوعة في أدائه لا تخرجه عن أن يكون لفظاً واحداً ـ ولئن فرض فيكون من الأول. ا هـ.

وقال القسطلاني في باب **(أنزل القرآن على سبعة أحرف)** من كتاب فضائل القرآن جـ ٧ ص ٤٥١: **(أن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف)** جمع حرف.. أي لغات أو قراءات، فعلى الأول يكون المعنى على أوجه من اللغات، لأن أحد معاني الحرف في اللغة الوجه، قال تعالى: **(ومن الناس من يعبد الله على حرف)** أي على وجه ـ وعلى الثاني يكون من إطلاق الحرف على الكلمة مجازاً، لكونه بعضها.

ثم قال: وإنما جاء ذلك التيسير، لأن ضرورة اختلاف اللغات، ومشقة نطقهم بغير لغتهم اقتضت التوسعة عليهم في أول الأمر، فأذن لكل أن يقرأ على حرفه، أي طريقته في اللغة، إلى أن تدربت الألسن وتمكن الناس من النطق به على الطريقة الواحدة... ثم قال القسطلاني فيما نقله:

لكن هذه الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي، أي إن كل واحد يغير الكلمة بمرادفها في لغته، بل ذلك مقصور على السماع من رسول الله ﷺ، كما يشير إليه قول كل من عمر وهشام وقول كل واحد منهما: **(هكذا أقرأني رسول الله ﷺ)**. ا هـ والله أعلم وفي الحديث كثير من الأقوال ا هـ.

حديث (ثلاثة يحبهم اللَّه عز وجل)

أَخرجه النسائي في سننه ـ باب ـ (فضل صلاة الليل في السفر) جـ ٣ ص ٢٠٧.

(٢٨٤) عَنْ أَبي ذَرٍّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: ثَلاَثَةٌ يُحِبُّهُمْ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: رَجُلٌ أَتَى قَوْماً، فسَأَلهُمْ بِاللَّهِ، وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَمَنَعُوهُ، فَتخَلَّفَ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ، فَأَعْطَاهُ سِرًّا، لاَ يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلاَّ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ وَالَّذِي أَعْطَاهُ، ـ وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتُهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ، نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَقَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتْلُو آيَاتِي، ـ وَرَجُلٌ كَانَ في سَرِيَّةٍ، فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَانْهَزَمُوا، فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ، أَوْ يُفْتَح لَهُ.

شرح الحديث

ذكر في هذا الحديث ثلاثة من الناس يخصهم الله تعالى بزيادة محبته وإقباله عليهم برحمته، ويؤخذ من ذلك الحض والحث على التخلق بهذه الصفات الكريمة.

الأول ـ رجل أعطى الصدقة سراً ابتغاء وجه الله، لا يعلم بها إلا الله تعالى والشخص الذي أخذها منه. مصداق ذلك من حديث **(سبعة يظلهم الله في ظله يوم القيامة)** فقد عد منهم **(رجل تصدق بصدقة أخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه)** وذلك كناية عن غاية الكتمان والإخفاء للصدقة. **(وقوله: فسألهم بالله)** أي يعطونه ابتغاء وجه الله.

الثاني ـ رجل قام من الليل في غفلة من الناس حتى الذين كانوا معه مسافرين وصار يذكر الله ويتلو آياته في الصلاة أو في غيرها، ولا سيما وهو متعب من طول السير بالليل فقد نام إخوانه من التعب.

الثالث ـ رجل أقبل بصدره على الأعداء بعد أن انهزم أصحابه، وقاتل حتى يقتل أو يفتح له ولا شك أن مثل هذا الفعل يقوي من عزيمة المسلمين، ويشجع المنهزمين على الرجوع إلى صف القتال، على عكس نقيضه فإنه يثبط من عزيمتهم، ويدعو غيره إلى الهزيمة، والله أعلم.

(حديث نزول سورة الكوثر)

أَخرجه النسائي في سننه ـ باب (قراءَة بسم اللَّه الرحمٰن الرحيم) جـ ٢ ص ١٣٣.

(٢٨٥) عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: بَيْنَمَا ذَاتَ يَوْم بَيْنَ أَظْهُرِنَا ـ (يريد النبي صلى اللَّه عليه وسلم) إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتبَسِّماً، فقُلْنَا لَهُ: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَزَلَتْ عَلَيَّ آنفاً سُورَةٌ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ ـ ثُمَّ قَالَ:

هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ نَهَرٌ وَعَدَنيه رَبِّي فِي الْجَنَّةِ، آنيَتُهُ أَكْثَرُ منْ عَدَد الْكَوَاكب، تَرِدُهُ عَلَيَّ أُمَّتي، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ منْهُمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّهُ منْ أُمَّتِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ.

شرح الحديث

قوله: **(أغفى إغفاءة)** أي نام رسول الله ﷺ نومة خفيفة ثم رفع رأسه أي من نومه متبسماً من السرور وانشراح صدره الشريف ﷺ من عظيم عطاء الله تعالى له من الكوثر الذي وصفه في هذا الحديث وفي غيره من الأحاديث ـ وسنذكرها إن شاء الله تعالى عند الكلام على حوض النبي ﷺ. **(فقلنا)** معشر الصحابة أي سألوه وقالوا له: **(ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: نزلت علي آنفاً)** أي قريباً **(سورة)** أي سورة الكوثر، وقرأها بتمامها، وقرأ معها البسملة واستدل بذلك بعض الفقهاء أن البسملة آية من السورة التي هي فيها.

وقوله: **(فيختلج العبد منهم)** أي يجذب بشدة ويؤخذ من بين الواردين على الحوض، دون أن يصل إلي. ا هـ والله أعلم نسأل الله السلامة آمين.

(حديث فضل الصلاة والتسليم على النبيّ صلى اللَّه عليه وسلم)

أَخرجه النسائي ـ رحمه اللَّه ـ في سننه ـ باب ـ (فضل التسليم على النبي صلى اللَّه عليه وسلم) جـ ٣ ص ٤٤.

(٢٨٦) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبي طَلْحَةَ، عَنْ أَبيهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ جَاءَ ذَاتَ يَوْم، وَالْبُشْرَى في وَجْهِه، فقُلْنَا: إِنَّا لنرَى الْبُشْرَى في وَجْهِك، فقالَ: إِنَّهُ أَتَاني الْمَلَكُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا يُرْضيك أَنَّهُ لاَ يُصَلّي عَلَيْكَ أَحَدٌ، إِلاَّ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْراً، وَلاَ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ، إِلاَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرَاً؟.

شرح الحديث

قوله: **(والبشرى في وجهه)** أي علامة البشرى التي بشر بها ظاهرة على وجهه، فكان ﷺ إذا ظهر السرور على وجهه يكون له ضياء يلمع كالقمر، فلما سأله الصحابة رضوان الله عليهم عن سبب ذلك:

قال لهم: إنه أي أن الحال والشأن الذي تسبب عنه هذه البشرى أنه أتاني الملك يبشرني من قبل الله تعالى، ويقول: يا محمد، أما يرضيك أنه لا يصلي عليك أحد أي من أمتك إلا صليت أي صلى الله عليه أو صلى عليه الملك بسبب الصلاة الواحدة عشر مرات، فالحسنة بعشر أمثالها. ولا يسلم عليك أحد أي من أمتك أي مرة واحدة، إلا سلمت عليه أي الله أو الملك يسلم عليه عشراً، بتضعيف جزاء العمل إلى عشر.

وإنما قال له الملك ذلك، تبشيراً له بإنجاز بعض وعد الله الذي وعد رسوله ﷺ به في قوله تعالى: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ ا هـ.

وأنا أقول اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا وشفيعنا وحبيبنا محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه ومحبيه، واجعله يا رب لنا شفيعاً، وأنقذنا بشفاعته من النار. آمين.

حديث بشارة أُم المؤمنين السيدة خديجة ـ رضي الله تعالى عنها ـ بِبَيْتٍ في الجنَّة

أَخرجه البخاري رحمه اللَّه ـ في كتاب التوحيد ـ باب قول اللَّه تعالى: ﴿يريدون أَن يبدلوا كلام اللَّه﴾ جـ ٩ ص ١٤٤.

(٢٨٧) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ عُمَارَةَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فَقَالَ: هَذِهِ خَدِيجَةُ، تَأْتيكَ بِإِنَاءٍ، فِيهِ طَعَامٌ ـ أَوْ إِنَاءُ فيه شَرَابٌ، فَأَقْرِئْهَا منْ رَبِّهَا السَّلاَمَ، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ مِنْ قَصَب، لاَ صَخَبَ فيه وَلاَ نَصَبَ.

* * *

وأَخرجه البخاري في كتاب المناقب ـ باب ـ (تزويج النبيّ صلى اللَّه عليه وسلم خديجة، وفضلها ـ رضي الله عنها) ـ فقال:

(٢٨٨) حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ عُمَارَةَ، عَنْ أَبِي زُرْعَة، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: أَتى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ النَّبيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فقالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هذه خديجَةُ قَدْ أَتَتْ، مَعَها إِنَاءٌ، فيه إِدَامٌ ـ أَوْ طَعَامٌ ـ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ منْ رَبِّهَا وَمنيِّ، وَبَشِّرْهَا بِبَيْت في الْجَنَّةِ منْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ.

وأَخرجه البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في هذا الباب ـ باب مناقب خديجة رضي الله عنها وبشارتها ببيت في الجنة، من روايتين لعائشة ـ رضي الله عنها ـ.

ومن رواية لعبد الله بن أَبي أَوفى ـ رضي اللَّه عنه، مقتصراً على البشارة ببيت في الجنة، دون ذكر السلام.

شرح حديث بشارة خديجة رضي الله عنها ـ من القسطلاني جـ ١٠ ص ٤٣٥

(حدثنا زهير بن حرب) زهير بضم الزاي مصغراً ـ وحرب ـ بحاء مهملة، وراء ساكنة، ثم باء موحدة، النسائي الحافظ **(حدثنا ابن فضيل)** فضيل بضم الفاء، وفتح الضاد المعجمة، محمد الضبي ـ مولاهم، الحافظ أبو عبد الرحمٰن **(عن عمارة)** بضم العين، ابن القعقاع، **(عن أبي زرعة)** بضم الزاي، وسكون الراء ـ هرم البجلي **(عن أبي هريرة رضي الله عنه فقال: هذه خديجة، أتتك)** ولأبي ذر عن المستملي ـ تأتيك ـ وفي باب تزويج النبي ـ ﷺ ـ خديجة

.....

وفضلها ـ من طريق قتيبة بن سعيد عن محمد بن فضيل، إلى أبي هريرة ـ قال: أتى جبريل النبي ـ ﷺ ـ فقال: يا رسول الله، هذه خديجة، قد أتت بإناء فيه طعام ـ أو إناء فيه شراب بالشك ـ وللأصيلي ـ أو شراب. شك هل قال: فيه طعام أو إناء فقط.

(فأقرئها) بهمزة مفتوحة بعد الفاء، ثم راء مكسورة، ثم همزة ساكنة بعد الراء ـ **(من ربها السلام، وبشرها ببيت)** في الجنة **(من قصب)** لؤلؤة مجوفة، كما في المعجم الكبير، **(لا صخب فيه)** بالصاد المهملة، والخاء المعجمة، والباء الموحدة المفتوحات، أي لا صياح فيه **(ولا نصب)** أي ولا تعب، جزاء وفاقاً، لأنه ﷺ ـ لما دعا الناس إلى الإسلام وأجابت من غير منازعة ولا تعب، بل أزالت عنه ـ ﷺ ـ كل تعب، وآنسته من كل وحشة، فناسب أن يكون بيتها في الجنة بالصفة المقابلة لفعلها، قاله السهيلي ـ رحمه الله تعالى. ا هـ من شرح القسطلاني في هذا الباب.

وقال القسطلاني ـ رحمه الله تعالى ـ في باب تزويج النبي ـ ﷺ ـ خديجة ـ رضي الله عنها وفضلها:

(أتى جبريل عليه السلام النبي ﷺ) وعند الطبراني في رواية سعيد بن كثير، أن ذلك كان وهو بحراء، **(فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت)** أي إليك **(معها إناء، فيه إدام)** بكسر الهمزة **(أو طعام)** في رواية الطبراني المذكورة: إنه كان حيساً **(أو قال: شراب)** والشك من الراوي **(فإذا أتتك فاقرأ)** بهمزة وصل وفتح الراء **(عليها السلام من ربها)** جل وعلا **(ومني)** ـ وهذا لعمر الله خاصة لم تكن لسواها.

زاد الطبراني في روايته المذكورة **(فقالت: هو السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام)**.

وزاد النسائي من حديث أنس: **(وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته)** فجعلت مكان رد السلام على الله الثناء عليه تعالى، ثم غايرت بين ما يليق بالله تعالى وبين ما يليق بغيره، وهذا يدل على وفور فقهها، كما لا يخفى.

(وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب) أي ليكون منزلها الذي بشرها به ربها مناسباً بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها ـ رضي الله عنها.

ومن خواصها ـ رضي الله عنها أنها لم تسؤه قط، ولم تغاضبه أبداً.

قال القسطلاني ـ رحمه الله: وهذا الحديث من المراسيل **(أي مراسيل الصحابة)** لأن أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ لم يدرك خديجة وأيامها. ا هـ.

أي ومراسيل الصحابة مقبولة، لأن الغالب أنهم يروونها عن الصحابة. والله أعلم.

وأما روايتا عائشة المشار إليهما، فلفظهما كالآتي:

الرواية الأولى: عن عائشة ـ رضي الله عنها: قالت: **(ما غرت على امرأة للنبي ﷺ، ما غرت على خديجة، هلكت)** أي ماتت **(قبل أن يتزوجني لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله**

.....

أن يبشرها ببيت) أي في الجنة **(من قصب)**.

وعند الإسماعيلي من رواية الفضل بن دكين: **(ما حسدت امرأة قط، ما حسدت خديجة، حين بشرها النبي ـ ﷺ ـ ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة، فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن)** أو ما يشبعهن، كما في رواية.

والرواية الثانية: **(قالت: ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله ﷺ إياها، قالت: وتزوجني بعدها بثلاث سنين، وأمره جبريل عليه السلام أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب)**.

ورواية عبد الله بن أبي أوفى: **(عن إسماعيل بن خالد، قال: قلت لعبد الله بن أبي أوفى ـ رضي الله عنهما: بشر النبي ـ ﷺ خديجة؟ قال: نعم: ببيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب)**. قال القسطلاني: وروي هذا الحديث في أبواب العمرة بأتم من هذا. ا هـ.

٣٢ ـ (ما جاء في الإخلاص في العمل وذم الرياء، وترك النهي عن المنكر)

حديث (أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ)

أَخرجه الإِمام مسلم في صحيحه ـ (باب تحريم الرياءِ) جـ ١٠ ص ٤٤٣ هامش القسطلاني.

(٢٨٩) حَدَّثَنِي زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، أَخْبَرَنَا رُوحُ بْنُ الْقَاسم، عَنْ الْعَلاَءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ يَعْقُوبَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: قَالَ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَملَ عَمَلاً أَشْرَكَ فيه غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ.

* * *

وأَخرجه ابن ماجه في سننه ـ جـ ٢ ص ٢٨٥ ـ (من باب الرياءِ والسمعة) بروايتين:

(٢٩٠) إِحداهما: (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ـ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، فَمَنْ عَملَ عَمَلاً أَشْرَكَ فيه غَيْرِي، فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ).

* * *

شرح حديث مسلم من شرح النووي رحمه الله تعالى:

قوله تعالى: **(أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه غيري، تركته وشركه)**.

قال النووي ـ رحمه الله تعالى: هكذا وقع في بعض الأصول: **(وشركه)** وفي بعضها **(وشريكه)**.

ومعناه: أنه غني عن المشاركة وغيرها، فمن عمل عملاً لي ولغيري لم أقبله منه، بل أتركه لذلك الغير، كما قال: **(فليطلب ثوابه من عند غير الله)**.

(٢٩١) والرواية الثانية: (عَنْ أَبي سَعْد بْنِ أَبِي فَضَالَةَ (وكان من الصحابة) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلينَ وَالآخَرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَوْم لاَ رَيْبَ فِيهِ نَادَى مُنَادٍ: مَنْ كَانَ أَشْرَكَ في عَمَلٍ عَمِلَهُ للَّهِ، فَلْيَطْلُبْ ثَوَابَهُ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ).

والمراد: أن عمل المرائي باطل، لا ثواب فيه، ويأثم به. ا هـ منه أي لعدم الإخلاص فيه، والإخلاص في العبادة مأمور به، فقد قال الله تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾.

والرياء في العمل هو الشرك الخفي، وبه يتوصل الشيطان إلى أبطال الأعمال والحرمان من ثوابها.

والإخلاص هو روح العبادة، فكل عبادة تفقد الإخلاص تكون كالجسم الذي فقد الروح، فلا ينتفع به، فضلاً عن أنه يصير جيفة منتنة تؤذي الناس برائحتها الكريهة.

والعمل بالإخلاص يزكو ويطيب، وتظهر ثمرته على صاحبه، حتى يكون له نور يتلألأ على وجهه، وتوجد له حلاوة في منطق صاحبه وتؤثر كلماته في نفوس سامعيها، فيعمل بها السامعون، ويهتدي بها الضالون، لأن الكلام إذا كان صادراً من قلب المتكلم وصل إلى قلوب السامعين، وأما إذا كان من لسانه فقط، ويرائي الناس به، فلا يصل من الآذان إلى القلوب، بل يصل إلى ما يحاذي مصدر صدوره، فالآذان بجوار اللسان وإن خرج من القلوب وصل إلى القلوب، لأن المصدر القلوب فيصل إلى محاذيه وذلك كالماء الصاعد فإنما يصل إلى ما كان مساوياً لمصدره فقط، ولا يعلو عن مصدره إلا برافع آخر. ا هـ رزقنا الله الإخلاص في القول والعمل. آمين.

حديث قول اللَّه تعالى: (أَبِي يَغْتَرُّونَ؟ أَم عليّ يَجْتَرِئون؟)

(أخرجه الإمام الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في الفتن، دون عنوان) جـ ٢ ص ٦٥.

(٢٩٢) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَخْرُجُ في آخرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ، يَخْتَلُونَ الدُّنْيَا بِالدِّينِ، يَلْبَسُونَ للنَّاس جُلُودَ الضَّأْنِ مِنَ اللِّينِ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى من السُّكَّرِ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذِّئابِ، يَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ أَبي يَغْتَرُّون؟ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ؟ فَبي حَلَفْتُ لأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولئكَ منْهُمُ فتْنَةً، تَدَعُ الْحَليمَ منْهُمْ حَيْرَانَ.

(لم يذكر الترمذي ـ رحمه اللَّه ـ في وصفه شيئاً).

* * *

وأَخرجه الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ برواية أُخرى، عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ فقال:

(٢٩٣) عَنْ عَبْد اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: لَقَدْ خَلَقْتُ خَلْقاً، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَقُلُوبُهُمْ أَمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ، فَبِي حَلَفْتُ لأُتيحَنَّهُمْ فتْنَةً، تَدَعُ الْحَليمَ منْهُمْ حَيْرَانَ، فَبِي يَغْتَرُّونَ؟ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرِئُونَ؟.

(قال الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى: حديث حسن غريب).

شرح الحديثين، وقد أخذ معنى الغريب فيهما من القاموس قوله ﷺ: **(يختلون الدنيا بالدين)** أي ينتزعون خيرات الدنيا، ويحصدونها باسم الدين، تمويها على الناس.

وأصله افتعال من ـ خلت الأرض ـ إذا كثر خلاها، وهو الرطب من النبات.

قال في القاموس: الخلي مقصورة الرطب من النبات، واحدتها خلاة، أو كل بقلة قلعتها.. ثم قال: خلت الأرض ـ كثر خلاها، وخلاه خلياً، واختلاه ـ جزه أو نزعه. ا هـ المراد منه.

وقوله: **(يلبسون للناس جلود الضأن من اللين)** هو كناية عن لينهم للناس ظاهراً، وإضمار السوء لهم باطناً، مكراً وخداعاً، فليس في قلوبهم محبة للعباد، بل إنما يحبون أنفسهم فقط، ويخادعون الناس بإظهار المودة والمحبة لهم، قاصدين بذلك استيفاء أغراض دنيوية منهم، كما يريدون احترام الناس لهم بتحسين ظواهرهم.

.....

وقوله: **(ألسنتهم أحلى من السكر، وقلوبهم قلوب الذئاب)** ـ هو تفسير وبيان وتوضيح لقوله: **(يلبسون للناس جلود الضأن من اللين)**.

وقوله: **(أبي يغترون؟)** أي يغترون بحلمي عليهم بتأخير عقوبتهم، وتقديم الجار والمجرور على الفعل، لزيادة التوبيخ والتقريع.

والمعنى: أبي أنا يغترون وأنا الجبار المنتقم ذو البطش الشديد، اغتراراً منهم بحلمي، وعدم تعجيل عقابهم ـ **(أم علي يجترئون؟)** أي بل أعلي أنا يجترئون بانتهاك محارمي، ومخالفة أمري؟

(وقوله: فبي حلفت) أي حلفت بي وحدي، لا يستحقها غيري، كما لا يجوز لأحد أن يحلف بغير الله تعالى وإن كان معظماً عند الناس ـ قال النبي ﷺ: **(لا تحلفوا أيها الناس بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليدع)**.

وقوله في الرواية الثانية: **(لأتيحنهم فتنة)** أي لأقدرن لهم فتنة، وأهيئها لهم ولأسلطنها عليهم، وتلازمهم، لا تنفك عنهم، حتى تدع وتترك الشخص الحليم منهم حيران من شدة وقعها بهم، فلا يهتدون إلى طريق الخلاص منها لأن الله تعالى لم يوفقهم للهداية بسبب ذنوبهم، وبذلك يجنون ثمرات سيئاتهم، ولو أخلصوا لله لهداهم الله على صراط مستقيم. والله أعلم. ا هـ.

حديث قول اللَّه تعالى: (أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى)

أَخرجه ابن ماجه في سننه ـ باب ـ (ما يرجى من رحمة اللَّه يوم القيامة).

(٢٩٤) عَنْ أَنَس بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ فَقَالَ: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى، فَلاَ يُجْعَلُ مَعي إِلٰهٌ آخَرَ، فَمَنِ اتَّقَى أَنْ يَجْعَلَ مَعي إِلٰهَاً آخَرَ، فَأَنَا أَهْلٌ أَنْ أَغْفرَ لَهُ. ا هـ.

شرح الحديث

(قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هو أهل التقوى وأهل المغفرة﴾) أي الله وحده هو أهل ومستحق لأن يتقي ويحذر ويخاف من عقابه، فإنه ذو البطش الشديد، الجبار القهار، الفعال لما يشاء ويريد.

وإتقاء عذابه وغضبه يكون باتخاذ الوقاية من ذلك، وهذه الوقاية لا تكون إلا بتوحيد الله تعالى، وعبادته بالإخلاص والخضوع له وحده لذلك قال الله تعالى في هذا الحديث: **(أنا أهل أن أتقى، فلا يجعل معي إله آخر)** ولا يتحقق الاتقاء من عذاب الله تعالى، إلا بالإيمان به والتصديق بوحدانيته فإن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

ولذا قال: **(فمن اتقى أن يجعل معي آلهاً آخر، فأنا أهل أن أغفر له)** ـ والمعنى أن من جعل لنفسه وقاية من عذابي بأن لم يجعل معي إلهاً آخر، فقد استوجب مغفرتي، وأنا أهل لأن أغفر له، لأني أنا البر الكريم وقلت في كتابي **﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾**.

والتقوى: مصدر المبني للمجهول، كما فسره في الحديث بقوله: **(أنا أهل أن أتقى)** ـ ببناء الفعل للمفعول، فالله هو المتقي عذابه وغضبه والمغفرة مصدر الفعل المبني للفاعل، فالله هو الذي يغفر ذنوب العاصين، وهو أهل لذلك، لأن المغفرة أفضل منه ورحمة ـ ورحمته سبقت غضبه. ـ نسأله تعالى أن يغفر لنا ذنوبنا، ويستر عيوبنا ويكفر عنا سيئاتنا، كما نسأله أن يختم لنا بالإيمان، حتى نكون مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ـ والحمد لله رب العالمين ـ وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الأحاديث القدسية

كتاب يشتمل على الأحاديث القدسية الموجودة في كتب الحديث التالية:

١ ـ موطأ الإمام مالك إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى
٢ ـ صحيح إمام المحدثين محمد بن إسماعيل البخاري رحمه الله تعالى
٣ ـ صحيح الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري رحمه الله تعالى
٤ ـ سنن الإمام أبي داود السجستاني رحمه الله تعالى
٥ ـ جامع الإمام أبي عيسى الترمذي رحمه الله تعالى
٦ ـ سنن الإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي رحمه الله تعالى
٧ ـ سنن الإمام ابن ماجة القزويني رحمه الله تعالى

الجزء الثاني

المدخل إلى الجزء لثاني

حديث (إن أَول الناس يقضى يوم القيامة عليه . . الخ)

أَخرجه الإِمام مسلم في صحيحه في الجهاد، من باب (من قاتل للرياءِ والسمعة استحق النار).

(٢٩٥) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيب الْحَارِثي، حَدَّثَنَا خَالدُ بْنُ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا ابْن جُرَيْج، حَدَّثَني يُونِس بْنُ يُوسُفَ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارَ، قَالَ: تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ فَقَالَ لَهُ ناتلُ أَهْل الشَّام: أَيُّهَا الشَّيْخُ، حَدِّثْنِي حَدِيثاً سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: نَعَمْ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ النَّاس يُقْضَى يَوْم الْقيَامَة عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتيَ به فَعَرَّفَهُ نَعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَملْتَ فيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْت، قَالَ: كَذَبْت، وَلٰكنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَال: جَريءٌ فَقَدْ قيلَ: ثُمَّ أُمرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ في النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نعمه فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْت فِيك الْقُرْآنَ قَالَ: كَذَبْت، وَلٰكِنَّكَ تَعَلَّمْت الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ، ليُقَالَ: هُوَ قَارىءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثمَّ أُمِرَ بِهِ، فسُحِبَ عَلى وَجْهِهِ، حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّار. وَرَجُل وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَال كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلٰكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ، فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ في النَّارِ.

* * *

وأَخرجه مسلم برواية أُخرى عن سليمان بن يسار، بمثل الرواية السابقة، إِلاَّ أَنه قال فيها: (تفرج الناس عن أَبي هريرة، فقال له ناتل الشام. . .) إِلى آخر الحديث.

(٢٩٦) وأَخرجه النسائي في سننه ـ باب من قاتل ليقال: فلان جريء ـ يسنده إِلى سليمان بن يسار، إِلى أَبي هريرة بأَلفاظ قريبة من أَلفاظ مسلم، إِلاَّ أَنه قال: (تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّام) بَدَلَ قَوْل مُسْلِم: (نَاتِلُ أَهْل الشَّام) ـ وَقَالَ: (أَوَّلُ النَّاس يُقْضَى لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلاَثَةٌ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ. . .

إلى آخر الحديث).

وقال الإمام النووي ـ رحمه اللَّه تعالى: قوله: (ناتل أَهل الشام) هو ناتل بن قيس الحزامي الشامي، من أَهل فلسطين، وهو تابعي، وكان أَبوه صحابياً، وكان ناتل كبير قومه. ا هـ. نووي.

* * *

وأَخرجه الترمذي في صحيحه ـ (باب الرياء والسمعة).

(٢٩٧) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلى الْعِبَاد، لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّة جَاثِيَةٌ. فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُونَهُ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَرَجُلٌ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. وَرَجُلٌ كَثِيرُ الْمَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِىءِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى، يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فيمَا عَلِمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلاَنَاً قَارِىءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ الْمَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ، حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى، يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ، وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلاَنٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ في سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِيمَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالْجِهَادِ في سَبِيلِكَ، فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ الْمَلاَئِكَةُ: كَذبْت، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْت أَنْ يُقَالَ: فَلاَنٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَلَى رُكْبَتَيَّ، فَقَالَ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولٰئِكَ الثَّلاَثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ الله، تَسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

شرح الحديث مأخوذ من شرح النووي وغيره

قوله: **(من قاتل للرياء والسمعة)** قال في حياة القلوب: اعلم أن حقيقة الرياء هي طلب المنزلة في قلوب الناس بالعبادات وأعمال الخير.

وهي من خبائث أفعال القلوب، وهي في العبادات استهزاء بالله تعالى. انتهى.

ويقابله الإخلاص، وهو القصد إلى الله تعالى مجرداً عما ذكر.

وفي شرح الأشباه للحموي: الإخلاص سر بينك وبين ربك، لا يطلع عليه ملك

قال الترمذي: حديث حسن غريب.

فيكتبه، ولا شيطان فيبطله، ولا هوى فيميله.

وقال بعض العرفاء: المخلص من لا يحب أن يحمده الناس على شيء من أعماله.

قال النووي ـ رحمه الله تعالى: وفي الحديث دليل على تغليظ تحريم الرياء، وشدة عقوبته يوم القيامة، ـ وعلى الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال، كما قال تعالى: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ وفيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد، إنما هي لمن أراد الله تعالى بذلك مخلصاً، وكذلك الثناء على العلماء، وعلى المنفقين في وجوه الخيرات، كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصاً. ا هـ.

قال الإمام الغزالي في الإحياء:

اعلم أن الرياء حرام، والمرائي عند الله ممقوت، وقد شهدت لذلك الآيات والأخبار والآثار. أما الآيات فقوله تعالى: ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون﴾.

وأما الأخبار فقد قال ﷺ حين سأله رجل، فقال: يا رسول الله فيم النجاة؟ قال: **(أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس)**.

وأما الآثار فيروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ رأى رجلاً يطأطىء رقبته، فقال يا صاحب الرقبة، ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب إنما الخشوع في القلوب.

وقال علي ـ رضي الله عنه ـ: **(للمرائي ثلاث علامات: يكسل إذا كان وحده وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثنى عليه، وينقص إذا ذم.. الخ)**. ا هـ.

وقال بعض العارفين: **(الرياء ترك العبد عمله المعتاد خوفاً من أن يقول الناس مرائياً، وأما العمل للناس فهو شرك)**. ا هـ.

وقوله: **(تفرق الناس عنه)** أي بعد اجتماعهم عليه.

وقوله: **(فعرفه نعمه)** أي عرفه الله تعالى أو الملك بإذنه. والظاهر الأول ـ يعني عدد نعمه التي أنعمها عليه، وبذلها عليه في الدنيا والآخرة **(وقوله: قاتلت فيك)** أي في سبيلك لإعلاء كلمتك، ونصرة دينك. ا هـ والله أعلم.

حديث إن اللَّه ليسأَل العبد يوم القيامة حتى يقول: (ما منعك إِذا رأَيت المنكر أَن تنكره)؟

(٢٩٨) أَخرجه ابن ماجه ـ باب قول اللَّه تعالى: ﴿يأَيها الذين آمنوا عليكم أَنفسكم﴾ فقال: عَنْ أَبِي سَعِيد الخدريّ ـ رضي اللَّهُ عنه ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: إِنَّ اللَّه لَيَسْأَلُ الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتى يَقُولَ: مَا مَنَعَكَ إِذَا رَأَيْتَ الْمُنْكَرَ أَنْ تُنْكِرَهُ؟ فَإِذَا لَقَّنَ اللَّهُ عَبْداً حُجَّتَهُ، قَالَ: يَا رَبِّ، رَجَوْتُكَ وَفَرَقْت النَّاسَ. أَي خفت الناس.

* * *

(٢٩٩) وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: لا يَحْقِرْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ. قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ يَحْقِرُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ؟ قَالَ: يَرَى أَمْرَ اللَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ، ثُمَّ لاَ يَقُولُ فِيهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ أَن تَقُولَ في كَذَا، وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: خَشْيَةَ النَّاس، فَيَقُولُ: فَإِيَّايَ كُنْت أَحَق أَنْ تَخْشَى ـ أَخرجه ابن ماجه.

* * *

حديث: (إِذا جمع اللَّه الخلائق يوم القيامة أَذن لأُمَّة محمد في السجود).

(٣٠٠) عَنْ أَبِي بُرْدَة، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْخَلاَئِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَذن لأُمَّة مُحَمَّد في السُّجُودِ، فَيَسْجُدُون لَهُ طَوِيلاً، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ، قَدْ جَعَلْنَا لَكُمْ عِدَّتَكُمْ فِدَاءَكُمْ مِنَ النَّار. ـ ا هـ ـ أَخرجه ابن ماجه.

والمعنى: أنه يلام على ترك الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، خشية الناس، فيقال له: إن الله تعالى كان أحق أن يخشى ويخاف منه، لأن بطشه شديد، فلا يجوز أن يترك العبد الأمر بالمعروف، ولا النهي عن المنكر، لخوف أحد من الناس بل يجب عليه أن يأمر بالمعروف، وينهي عن المنكر، خوفاً من الله تعالى، حتى لا يصيبنا العذاب الذي ينزل بالظالمين، فقد قال تعالى:

﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ وقال تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ ولا نكون مهتدين إلا إذا أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، فحينئذٍ لا يضرنا ضلال من ضل. والله أعلم.

٣٣ ـ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه

وإرسال ملك الموت إلى موسى عليهما السلام

(٣٠١) (حديث من أَحب لقاءَ الله أَحب الله لقاءَه)

أَخرجه البخاري في كتاب التوحيد، عن أَبي هريرة بلفظ صريح في نسبته إِلى الله تعالى، فيكون نصًّا على أَنه حديث قدسي، ففيه بعد السند:

(عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي، أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ).

* * *

وأَخرجه البخاري في كتاب الرقاق جـ ٩ قسطلاني ص ٢٩٥ من باب: (من أَحب لقاء اللَّه أَحب الله لقاءَه) فقال:

(٣٠٢) حَدَّثَنَا حَجَّاجٌ، حَدَّثَنَا هَمَّامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَس، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ ـ قَالَتْ عَائِشَةُ: ـ أَوْ بَعْضُ أَزْوَاجِهِ ـ: إِنَّا لَنَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ: لَيْسَ ذَاكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا حَضَرَهُ الْمَوْتُ، بُشِّرَ بِرِضْوَانِ اللَّهِ وَكَرَامَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، فَأَحَبَّ لقَاءَ اللَّهِ، وَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِ مِمَّا أَمَامَهُ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِه اللَّهُ لِقَاءَهُ.

ثم قال البخاري ـ رحمه اللَّه ـ اختصره أَبو داود، وعمرو ـ أَي ابن مرزوق ـ عن شعبة ـ وقال سعيد: عن قتادة، عن سعد، عن عائشة، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم.

* * *

ثم أَخرجه البخاري بعد ذلك بسنده عن أَبي موسى الأَشعري ـ رضي اللَّه عنه ـ.

(٣٠٣) (عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ـ قَالَ: (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ).

وليس في هاتين الروايتين تصريح بنسبة الحديث إلى اللَّه تعالى، وظاهر ذلك أَنه ليس حديثاً قدسيًّا.

* * *

وأَخرج مسلم هذا الحديث في صحيحه في الدعوات. ـ باب ـ (من أَحب لقاءَ اللَّه، أَحب اللَّه لقاءَه) بروايات عدّة:

فأَخرجه بسنده إِلى أَبي موسى الأَشعري ـ رضي اللَّه عنه ـ مختصراً، كما ذكره البخاري هنا عنه، ـ وأَخرجه كذلك عن أَبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ مقتصراً على هذا اللفظ وأَخرجه عن عائشة ـ رضي اللَّه عنها ـ بثلاث روايات: (أَوسطها).

(٣٠٤) (عَنْ شُرَيْح بْنِ هَانىءٍ، عَنْ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: من أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّه أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهَ لِقَاءَهُ، وَالْمَوْتُ قَبْلَ لِقَاءِ اللَّهِ).

* * *

والرواية الأُولى لمسلم قال فيها بسنده: عن سعد بن هشام.

(٣٠٥) (عَنْ عَائشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: مَنْ أَحَبَّ لقَاءَ الله، أَحَبَّ اللَّهُ لقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لقَاءَ الله، كَرِهَ اللَّهُ لقَاءَهُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَكَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، قَالَ لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ).

* * *

والرواية الثالثة، قال فيها بسنده: عن شريح:

(٣٠٦) عن أَبي هريرة رضي الله عنه ـ قال: قال رسول اللَّه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: مَنْ أَحَبَّ لِقَاء اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ.

قَالَ ـ أَي شريح ـ: فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ـ فَقُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمنِين،

سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَة يَذْكُرُ عَنْ رَسُولِ اللَّه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثاً، إِنْ كان كذلِك فقدْ هَلَكْنَا فَقَالَتْ: إِنَّ الْهَالِكَ مَنْ هَلَكَ بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: مَنْ أَحَبَّ لقَاءَ الله، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ، ـ وَلَيْسَ مِنَّا أَحَدٌ إِلاَّ وَهُوَ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَتْ: قَدْ قَالَهُ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَلَيْسَ بِالَّذِي تَذْهَبُ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ إِذَا شَخَصَ الْبَصَرُ، وَحَشْرَجَ الصَّدْرُ، وَاقْشَعَرَّ الْجِلْدُ، وَتَشَنَّجَتِ الأَصَابِعُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ: (مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ).

* * *

قال القسطلاني ـ رحمه اللَّه تعالى ـ: وحديث الباب أَخرجه مسلم في الدعوات، والترمذي في الزهد والجنائز، والنسائي فيها. ا هـ.

وأَخرجه مالك في الموطإ بلفظ:

(٣٠٧) (عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ: إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي، أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَإِنْ كَرِهَ لِقَائِي، كَرِهْتُ لِقَاءَهُ).

من كتاب الجنائز.

شرح حديث: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه)

من القسطلاني جـ ٩ ص ٤٩٥ من كتاب الرقاق:

(حدثنا حجاج) هو ابن المنهال **(حدثنا همام)** هو ابن يحيى **(حدثنا قتادة)** هو ابن دعامة **(عن أنس)** هو ابن مالك الصحابي ـ رضي الله عنه ـ **(عن عبادة بن الصامت)** الصحابي ـ رضي الله عنه ـ **(عن النبي ﷺ)** ـ قال: **(من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه)** ـ قال الخطابي: محبة اللقاء: إيثار العبد الآخرة على الدنيا، ولا يحب طول الإقامة فيها، لكن يستعد للارتحال منها.

واللقاء على وجوه:

منها الرؤية، ومنها البعث، كقوله تعالى: (﴿**قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله**﴾) أي البعث.

.....

ومنها الموت، كقوله تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت﴾ ـ ا هـ ـ.

وقال ابن الأثير: المراد باللقاء المصير إلى الدار الآخرة، وطلب ما عند الله، وليس الغرض به الموت، لأن كلا يكرهه، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله، ومن آثرها وركن إليها، كره لقاء الله.

ومحبة الله للقاء عبده: إرادة الخير له، وإنعامه عليه.

وقال في الكواكب:

فإن قلت: الشرط ليس سبباً للجزاء، بل الأمر بالعكس، قلت: مثله يؤول بالأخبار، أي من أحب لقاء الله أخبره الله بأن الله أحب لقاءه، وكذلك الكراهة.

وقال في الفتح:

وفي قوله: **(أحب الله لقاءه)** العدول عن الضمير إلى الظاهر، تفخيماً وتعظيماً، ودفعاً لتوهم عود الضمير على الموصول، ففيه إصلاح اللفظ لإصلاع المعنى، وأيضاً فعود الضمير على المضاف إليه قليل.

(قالت عائشة ـ أو بعض أزواجه) ﷺ ـ ورضي الله عنهن بأو للشك، وجزم سعد بن هشام في روايته عن عائشة بأنها هي التي قالت ذلك، ولم يتردد: **(أنا لنكره الموت)** ظاهره أن المراد بلقاء الله في الحديث الموت، وليس كذلك، لأن لقاء الله غير الموت، يدل عليه قوله في الرواية الأخرى: **(والموت دون لقاء الله)** لكن لما كان الموت وسيلة إلى لقاء الله، عبر عنه بلقاء الله، لأنه لا يصل إليه إلا بالموت.

قال حسان بن الأسود: الموت جسر يوصل الحبيب إلى حبيبه، **(قال عليه الصلاة والسلام: ليس ذاك)** بغير لام مع كسر الكاف، ولأبي ذر: **(ذلك)** ـ.

(ولكن المؤمن) بتشديد نون ـ لكن ـ ولأبي ذر: **(ولكن المؤمن)** بتخفيف النون، ورفع المؤمن **(إذا حضره الموت بشر برضوان الله)** عز وجل **(وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه)** بفتح الهمزة، أي أحب إليه مما يستقبله بعد الموت **(فأحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه)**.

وفي حديث حميد عن أنس، المروي عند أحمد والنسائي والبزار: **(ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله، وليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله، فأحب الله لقاءه)**.

وفي رواية عبد الرحمٰن بن أبي ليلى: حدثني فلان بن فلان أنه سمع رسول الله ﷺ ـ وفي حديثه:

(ولكنه إذا حضر، فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم) فإذا بشر بذلك، **(أحب لقاء الله، والله للقائه أحب)**.

رواه أحمد بسند قوي، وإبهام الصحابي لا يضر.

.....

(وإن الكافر إذا حضر بشر) بضم أولهما، وكسر ثانيهما **(بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما أمامه)** أي مما يستقبل **(كره)** ولأبي ذر: **(فكره لقاء الله)** عز وجل **(وكره الله)** عز وجل **(لقاءه)**.

وفي حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ عند عبد بن حميد مرفوعاً: **(إذا أراد الله بعبد خيراً، قيض الله له قبل موته بعام ملكاً يسدده ويوفقه، حتى يقال: مات بخير ما كان، فإذا حضر ورأى ثوابه، اشتاقت نفسه، فذلك حين أحب لقاء الله، وأحب الله لقاءه، وإذا أراد الله بعبد شراً، قيض له قبل موته بعام شيطاناً فأضله وفتنه، حتى يقال: مات بشر ما كان عليه، فإذا حضر ورأى ما أعده الله له من العذاب، جزعت نفسه، فذلك حين كره لقاء الله، وكره الله لقاءه)** ـ ا هـ ـ من القسطلاني.

شرح الحديث من شرح النووي على صحيح مسلم جزء ١٠ ص ١١٨ هامش القسطلاني

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى: قوله ﷺ: **(من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه الخ)** هذا الحديث يفسر آخره أوله، ويبين المراد بباقي الأحاديث المطلقة: **(من أحب لقاء الله، ومن كره لقاء الله)**.

ومعنى الحديث: أن الكراهة المعتبرة، هي التي تكون عند النزع في حالة لا تقبل توبته ولا غيرها، فحينئذٍ يبشر كل إنسان بما هو صائر إليه، وما أعده الله له، وما يكشف له عن ذلك، فأهل السعادة يحبون الموت ولقاء الله، لينتقلوا إلى ما أعد لهم، ويحب الله ـ لقاءهم، أي فيجزل لهم العطاء والكرامة.

وأهل الشقاوة يكرهون لقاء الله، لما علموا من سوء ما ينتقلون إليه، ويكره الله لقاءهم، أي يبعدهم عن رحمته وكرامته، ولا يريد ذلك بهم، وهذا معنى كراهته سبحانه وتعالى لقاءهم.

وليس معنى هذا الحديث أن سبب كراهة الله تعالى لقاءهم ـ هو كراهتهم ذلك، ولا أن حبه لقاء الآخرين هو حبهم ذلك بل هو صفة لهم.

وقوله: **(إذا شخص البصر، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع)**.

أما شخص البصر، فبفتح الشين والخاء، ومعناه ارتفاع الأجفان إلى فوق، وتحديد النظر.

وأما الحشرجة ـ فهي تردد النفس في الصدور.

وأما اقشعرار الجلد: فهو قيام شعره.

وتشنج الأصابع: تقبضها. والله أعلم.

ا هـ من شرح النووي.

.....

تنبيه

روايات هذا الحديث منها رواية البخاري في التوحيد، ورواية مالك في الموطأ، كلتاهما تنص على أنه حديث قدسي لنسبته إلى الله تعالى صريحاً.

وبقية الروايات لم تصرح فيه بالنسبة إلى الله تعالى فلا يستفاد منها أنه حديث قدسي، وقد ذكرناها تتميماً للفائدة. والله الموفق.

(حديث إرسال ملك الموت إلى موسى عليهما السلام)

أَخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق ـ باب وفاة موسى عليه السلام جـ ٥ قسطلاني ص ٣٨٧ فقال:

(٣٠٨) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُس، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ فلمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّه، فَقَالَ: أَرْسَلْتنِي إِلى عَبْد لا يُرِيدُ الْمَوْت، قَالَ: ارْجعْ إِلَيْهِ، فَقُلْ لَهُ يَضَعْ يدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ، بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةٌ، قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ قَالَ: فَالآنَ، قَالَ: فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ رَمْيَةً بِحَجَر، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ.

* * *

قال عبد الرزاق: وأَخبرنا معمر، عن همَّام، قال: حدثنا أَبو هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي صلى اللَّه عليه وسلم نحوه. فصرح في هذه الرواية بنسبته إلى النبي صلى اللَّه عليه وسلم، ورفعه إليه، كما ذكر في كل الروايات: (قال أَبو هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ فقال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: لو كنت ثَمَّ لأَريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأَحمر).

وأَخرجه البخاري أَيضاً في كتاب الجنائز. (باب من أَحب أَن يدفن في الأَرض المقدسة) جـ ٢ ص ٤٣٥ قسطلاني حدثنا محمود، حدثنا عبد الرزاق، قال: أَخبرنا معمر، عن ابن طاوس ـ عبد اللَّه ـ عن أَبيه، عن أَبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ قال: أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسى عليهما السلام فَلَمَّا جَاءَهُ صَكَّهُ، فَرَجَعَ إِلَى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَنِي إِلى عَبْد لاَ يُرِيدُ الْمَوْتَ، فَرَدَّ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ عَلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجع وَقُلْ لَه: يضع يده على متن ثور فَلَه بكل ما غَطت يده، بكلِّ شعرة سنة، قال: أَيْ ربِّ، ثم ماذا؟ قال: ثُمَّ الْمَوْتُ، قال: فالآن، فَسَأَلَ اللَّه أَنْ يُدْنِيَهُ مِنَ الأَرض المقدسة رَمْيَةً بحجرٍ، قال: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: فلو كنت ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ.

* * *

وأَخرجه مسلم في باب: (من فضائل موسى صلى اللَّه عليه وسلم) جـ ٩ ص ٢٢٤ هامش القسطلاني فقال:

(٣٠٩) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ ـ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْد: (قال عَبْدٌ): أَخبرنا وقال ابن رافع: حدثنا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ ابْنِ طَاوُسٍ عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي اللَّه عنه ـ قَالَ: أُرْسِلَ مَلَكُ الْمَوْت إِلَى مُوسَى عَلَيْه السَّلاَمُ، فَلَمَا جَاءَهُ صَكَّهُ فَفَقَأَ عَيْنَهُ فَرَجَعَ إِلى رَبِّهِ، فَقَالَ: أَرْسَلْتَني إِلَى عَبْد لاَ يُرِيدُ الْمَوْتَ قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجَعْ إِلَيْهِ، وَقُلْ لَهُ: يَضَعْ يَدَهُ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَلَهُ بِمَا غَطَّتْ يَدُهُ، بِكُلِّ شَعْرَةٍ سَنَةً قَالَ: أَيْ رَبِّ، ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَوْتُ، قَالَ: فَالآنَ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُدْنيَهُ منَ الأَرْض الْمُقَدَّسَة رَمْيَةً بِحَجَرٍ فَقَال رَسُولُ اللَّه صلى اللَّه عَليه وسلم: فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكثيبِ الأَحْمَرِ ا هـ.

* * *

وأَخرجه مسلم برواية أُخرى فقال:

(٣١٠) حَدَّثَنَا محمد بن رافع، حَدَّثَنَا عبد الرزاق، حَدَّثَنَا معمر، عن همام ابْنُ مُنَبِّه، قال: هٰذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَذَكَرَ أَحَاديثَ، مِنْهَا: وَقَالَ: جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ، فَقَالَ لَهُ: أَجِبْ رَبَّكَ، قَالَ: فَلَطَمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ فَفَقَأَهَا، قَالَ: فَرَجَعَ الْمَلَكُ إِلى اللَّهِ تَعَالَى، فَقَالَ: إِنَّكَ أَرْسَلْتَنِي إِلَى عَبْد لاَ يُرِيدُ الْمَوْت، وَقَدْ فَقَأَ عَيْنِي، قَالَ: فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ عَيْنَهُ، وَقَالَ: ارْجعْ إِلَى عَبْدِي، فَقُل: الْحَيَاةَ تُرِيدُ؟ فَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْحَيَاةَ فَضَعْ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ، فَمَا تَوَارَتْ يَدُكَ مِنْ شَعْرَة، فَإِنَّكَ تَعِيشُ بِهَا سَنَةً، قَالَ: ثُمَّ مَهْ؟ قَالَ: ثُمَّ تَمُوتُ، قَالَ: فَالآنَ مِنْ قَرِيبٍ، رَبِّ أَمِتْنِي مِنَ الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةَ رَمْيَةَ بِحَجَر قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: واللَّهِ لَوْ أَنِّي عِنْدَهُ لأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلى جَانِبِ الطَّرِيقِ عِنْدَ الْكَثِيبِ الأَحْمَرِ.

ثم قال مسلم: حَدَّثَنَا أَبو إِسْحَاق، حدثنا محمد بن يحيى، حَدَّثَنَا عبد الرزاق، أَخبرنا معمر بمثل هذا الحديث.

وأَخرجه النسائي في باب التعزية جـ ٤ ص ١١٨ بلفظ قريب من رواية مسلم الثانية.

.....

شرح حديث البخاري من القسطلاني جـ ٥ ص ٣٨٧

(حدثنا يحيى بن موسى) المعروف ـ بخت ـ بفتح الخاء المعجمة، وتشديد التاء الفوقية **(حدثنا عبد الرزاق)** هو ابن همام الحميري مولاهم الصنعاني **(معمر)** بن راشد **(بن طاوس)** عبد الله **(عن أبيه طاوس عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: أرسل ملك الموت)** أي **(قال النبي ﷺ أرسل الله ملك الموت إلى موسى عليهما السلام)**.

أي أتاه في صورة آدمي، وكان عمر موسى إذ ذاك مائة وعشرين سنة. **(فلما جاءه)** ظنه آدمياً حقيقة، تسور عليه منزله بغير إذنه، ليوقع به مكروهاً، فلما تصور ذلك **(صكه)**، ولأبي الوقت **(فصكه)** أي لطمه على عينه التي ركبت في الصورة البشرية، دون الصورة الملكية. ففقأها.

وعند أحمد: أن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً، فأتى موسى، فلطمه ففقد عينه **(فرجع)** ملك الموت **(إلى ربه، فقال)**: رب **(أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت)**.

زاد في باب **(من أحب الدفن في الأرض المقدسة)** من الجنائز: **(فرد الله ـ عز وجل ـ عليه عينه)**.

وقيل: المراد بفقء العين هنا المجاز، يعني أن موسى ـ عليه السلام ـ ناظره وحاجه، فغلبه بالحجة، يقال: فقأ عين فلان، إذا غلبه بالحجة وضعف هذا، لقوله: **(فرد الله عليه عينه)**.

(قال) له ربه: **(ارجع إليه، فقل له: يضع يده على متن ثور)** أي ظهر ثور **(فله بما غطت يده، بكل شعرة سنة، قال)** أي موسى: **(أي رب، ثم ماذا)** أي ما يكون بعد هذه السنين؟: حياة أو موت **(قال الله)** عز وجل: **(ثم)** يكون بعدها **(الموت، قال)** أي موسى: **(فالآن)** أي يكون الموت **(قال أبو هريرة)** رضي الله عنه: **(فسأل الله)** عز وجل **(أن يدنيه)** أي يقربه **(من الأرض المقدسة)** ليدفن فيها، لشرفها **(رمية بحجر)** أي دنوا لو رمى رام بحجر من ذلك الموضع الذي هو قبره، لوصل إلى بيت المقدس.

وكان موسى إذ ذاك بالتيه، وإنما سأل الأدناء، ولم يسأل نفس بيت المقدس لأنه خاف أن يشتهر قبره عندهم، فيفتنوا به.

قال ابن عباس: **(لو علمت اليهود قبر موسى وهارون لاتخذوهما إلهين من دون الله)**. **(قال أبو هريرة ـ رضي الله عنه: فقال رسول الله ـ ﷺ: لو كنت ثم)** أي هناك ـ ولأبي ذر: **(فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق)** وفي نسخة: من جانب الطريق **(تحت الكثيب الأحمر)**، وفي نسخة عند الكثيب الأحمر، ـ وهو الرمل المجتمع، وليس نصاً في الإعلام بتعيين قبره.

وقد اشتهر قبره بأريحاء عند كثيب أحمر ـ أنه قبر موسى، وأريحاء: من الأرض المقدسة.

.....

ثم قال القسطلاني: وأما ما يرى عند قبره المقدس من أشباح بالقبة المبنية عليه، مختلفة الهيئات والأفعال، فالله أعلم بحقيقتها.

لكن أخبرني شيخ الإسلام البرهان بن أبي شريف أنه إذا وقع هناك فعل ما لا يجوز، تحصل ظلمه واضطراب حتى يزال فتنجلي.

وقد روى وهب بن منبه أن الملائكة تولوا دفنه والصلاة عليه ا هـ من القسطلاني من هذا الباب.

وقال القسطلاني في كتاب الجنائز ـ باب ـ **(من أحب الدفن في الأرض المقدسة)**: قال وهب: خرج موسى لبعض حاجته، فمر برهط من الملائكة يحفرون قبراً، لم ير شيئاً قط أحسن منه، فقال لهم: لمن تحفرون هذا القبر؟ قالوا: أتحب أن يكون لك؟ قال: وددت، قالوا: فانزل واضطجع فيه، وتوجه إلى ربك، قال: ففعل، ثم تنفس أسهل تنفس، فقبض الله روحه ثم سوت عليه الملائكة التراب.

وقيل: إن ملك الموت أتاه بتفاحة من الجنة، فشمها، فقبض روحه. ا هـ منه.

وقال القسطلاني ـ رحمه الله ـ في الجنائز:

أرسل الله ملك الموت إلى موسى عليهما السلام في صورة آدمي اختباراً وابتلاء فلما جاءه ملك الموت بهذه الصورة ظنه آدمياً حقيقة، تسور عليه منزله، بغير إذنه ليوقع به مكروهاً، فلما تسور عليه صكه، أي لطمه على عينه التي ركبت في الصورة البشرية، التي جاءه فيها، دون الصورة الملكية.

ويحتمل أن موسى عليه السلام علم أنه ملك الموت، وأنه دافع عن نفسه الموت باللطمة المذكورة، والأول أولى، ويؤيده أنه جاء لقبضه، ولم يخيره، وقد كان موسى عليه السلام علم أنه لا يقبض حتى يخير، ولذا لما خيره في الثانية، قال: الآن ا هـ نقول:

إذا صح ذلك يكون قول من قال: **(إن الكلام على سبيل المجاز، وليس فيه فقء للعين حقيقة، بل المراد أنه غلبه بالحجة)** ـ يكون هذا قولاً صحيحاً، لأنه حاجه، وقال له: كيف تقبضني دون أن تخيرني، ولما علم أن الأنبياء يخيرون عند قبضهم قامت عليه الحجة ـ ا هـ ـ.

شرح الحديث من شرح النووي على صحيح مسلم جـ ٩ ص ٢٢٤ هامش القسطلاني

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: أما قوله: **(صكه)** فهو بمعنى لطمه في الرواية الثانية. وفقأ عينه ـ بالهمز، ومتن الثور: ظهره، ورميه حجر: أي قدر ما يبلغه وقوله: **(ثم مه)** هي بهاء السكت، وهو استفهام، أي ثم ماذا يكون؟: أحياة أم موت؟.

والكثيب: الرمل المستطيل المحدودب. ومعنى **(أجب ربك)** أي للموت ومعناه: جئت

.....

لقبض روحك.

وأما سؤاله الادناء من الأرض المقدسة. فلشرفها وفضيلة من فيها من المدفونين من الأنبياء وغيرهم.

ثم قال بعض العلماء: وإنما سأل الأدناء، ولم يسأل نفس بيت المقدس، لأنه خاف أن يكون قبره مشهوراً عندهم، فيفتتن به الناس.

وفي هذا استحباب الدفن في الأماكن الفاضلة، والمواطن المباركة، والقرب من مدافن الصالحين. والله أعلم.

قال المازري: وقد أنكر بعض الملاحدة هذا الحديث، وأنكر تصوره، قالوا: كيف يجوز على موسى فقء عين ملك الموت؟.

قال: وأجاب العلماء عن ذلك بأجوبة:

أحدها: أنه لا يمتنع أن يكون موسى ﷺ قد أذن الله له في تلك اللطمة، ويكون ذلك امتحاناً للملطوم، وأن الله تعالى يفعل في خلقه ما يشاء، ويمتحنهم بما أراد.

الثاني: أن ذلك على المجاز، والمراد أن موسى ـ عليه السلام ـ ناظره فغلبه بالحجة، ويقال: فقأ فلان عين فلان، إذا غالبه بالحجة فغلبه. ويقال: عورت الشيء، إذا أدخلت فيه نقصاً.

قال: وفي هذا ضعف لقوله ﷺ: **(فرد الله عينه)** فإن قيل: أراد رد حجته، كان بعيداً.

والثالث: أن موسى عليه السلام لم يعلم أنه ملك من عند الله تعالى، وظن أنه رجل فصده، يريد نفسه، فدافعه عنها، فأدت إلى فقء عينه، لا أنه قصدها بالفقء.

ويؤيده رواية: **(فصكه)**، وهذا جواب الإمام أبي بكر بن خزيمة وغيره من المتقدمين. واختاره المازري والقاضي عياض، قالوا: وليس في الحديث تصريح بأنه تعمد فقء عينه. ـ فإن قيل: فقد اعترف موسى حين جاءه ثانية بأنه ملك الموت، فالجواب أنه أتاه في المرة الثانية بعلامة علم بها أنه ملك الموت فاستسلم بخلاف المرة الأولى. ا هـ من النووي.

٣٤ ـ ما جاء في الحشر وأهواله، وحديث: (يقبض اللَّه الأرض)

حديث: (إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاة غرْلا)

أَخرجه البخاري من كتاب بدء الخلق ـ باب ـ قول الله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ والقسطلاني جـ ٥ ص ٣٤٢.

(٣١١) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِير، أَخْبَرَنَا سُفْيَان، حَدَّثَنَا الْمُغِيرَةُ بْنُ النُعْمَان، قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْر، عَنْ ابْن عَبَّاس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ حُفَاة عُرَاة غُرْلا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿كَمَا بَدَأنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعلينَ﴾ وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقيَامَة إِبْرَاهيمُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ وإِنَّ أُنَاساً مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّهُم لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ: كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتَ فِيهِمْ﴾... إلى قوله: ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيم﴾.

* * *

وأَخرجه البخاري في الرّقاق ـ باب ـ (كيف الحشر؟) بلفظ:

(٣١٢) عن ابْن عَبَّاس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قَالَ: قَامَ فِينَا النَّبيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَخْطُبُ فَقَالَ: إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاة غرلاً... الحديث.

وأَخرجه في التفسير، وفي أَحاديث الأَنبياء.

وأَخرجه مسلم في صفة القيامة جـ ١ ص ٣١١ هامش القسطلاني فقال بعد السند:

(٣١٣) عن ابن عباس ـ رضي اللَّه عنهما ـ قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ خَطِيباً بِمَوْعِظَةٍ، فَقَالَ: يَأَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ إِلى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً... الحديث.

* * *

(٣١٤) وأَخرجه الترمذي بلفظ قريب من رواية مسلم جـ ٢ ص ١٩٩ وقال عنه: حديث حسن صحيح.

شرح الحديث، وهو مأخوذ من شرح القسطلاني جـ ٥ ص ٣٤٢

(حدثنا محمد بن كثير) بالثاء المثلثة، العبدي البصري **(أخبرنا سفيان)** الثوري **(حدثنا المغيرة بن النعمان)** النخعي الكوفي **(حدثني سعيد بن جبير)** بن مطعم **(عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ، عن النبي ـ ﷺ ـ قال: إنكم تحشرون)** أي بعد الخروج من القبور، حال كونكم **(حفاة)** جمع حاف أي بلا خف ولا نعل **(عراة)** أي لا ثياب عليكم جميعاً، أو بعضكم يحشر عارياً، وبعضكم كاسياً، لحديث سعيد، عند أبي داود، وصححه ابن حبان مرفوعاً: **(إن الميت يبعث في ثيابه التي مات فيها)**.

فقد قال القسطلاني بعد قوله: **(وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم ـ عليه السلام ـ)** أي بعد حشر الناس كلهم عراة ـ أو بعضهم كاسياً، ـ أو بعد خروجهم من قبورهم بأثوابهم التي ماتوا فيها، ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر، فيحشرون كلهم عراة، ثم أول من يكسى إبراهيم من الجنة... الخ.

(قال: يكسى حلة من الجنة، ويؤتى بكرسي، فيطرح عن يمين العرش قال النبي ﷺ: ثم يؤتى بي، فأكسى حلة من الجنة، لا يقوم لها البشر) أي لا يستأهل لها البشر، وليس أحد منهم لها أهلاً. **(غرلاً)** بضم الغين المعجمة، وإسكان الراء، أي غير مختونين. والغرلة: ما يقطعه الخاتن عن الختان، وهي القلفة.

ثم قرأ: **(كما بدأنا أول خلق نعيده)** أي نعيده للحياة كما خلقناه أول مرة. **(وعداً علينا)** أي وعدنا بالإعادة وعداً ثابتاً علينا بفضلنا وقدرتنا **(إنا كنا فاعلين)** تأكيد للوعد وتحققه.

وفي قوله: **(كما بدأنا أول خلق نعيده)** دليل على إعادتهم كما أخبره حفاة عراة غرلاً. أي كما ولدوا من أمهاتهم، ولا شك أن كل مولود يولد حافياً عارياً غير مختون.

ثم قيل: والحكمة في كون إبراهيم الخليل ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أول من يكسى لكونه جرد من ثيابه حين أُلقي في النار، أي وذلك بسبب دعوته إلى الله وتوحيده.

ثم قالوا: ولا يلزم من تخصيص إبراهيم بأولية الكسوة ـ هنا ـ أفضليته على نبينا محمد ـ ﷺ ـ لأن حلية نبينا ﷺ أعلى وأكمل، فتجبر بنفاستها ما فات من الأولية، على أن المزية لا تقتضي الأفضلية، وكم لنبينا محمد ﷺ من فضائل مختصة به، لم يسبق إليها، ولم يشارك فيها، ولو لم يكن له سوى خصوصية الشفاعة العظمى ـ لكفاه.

وقوله: **(وإن أناساً من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال.. الخ)** أي يؤخذ بهم جهة النار **(فأقول: أصحابي، أصحابي)** أي هؤلاء أصحابي، وفي رواية: **(أصيحابي، أصيحابي)** مصغرين، إشارة إلى قلة عددهم، والتكرير للتأكيد **(فيقال: إنهم لم يزالوا)** وفي رواية: **(لن يزالوا مرتدين على أعقابهم)** بالكفر، ـ قيل: المراد بهم من ارتد من الناس بعد وفاته ﷺ، وحاربهم أبو بكر ـ رضي الله عنه.

.....

ولا يقدح ذلك في الصحابة المشهورين، فإن أصحابه ـ وإن شاع استعماله عرفا فيمن لازمه من المهاجرين والأنصار ـ شاع استعماله في كل من تبعه أو أدركه ووفد عليه ولو مرة أي فيحمل لفظ **(أصحابي)** في الحديث على مثل هؤلاء.

وقد ارتد كثير منهم وحاربهم أو بكر ـ رضي الله عنه ـ فرجع كثير منهم إلى الإسلام ونصروه ومات كثير منهم مرتداً عن الإسلام، والعياذ بالله تعالى.

قال النبي ﷺ: **(فأقول كما قال العبد الصالح)** وهو عيسى عليه السلام: **(وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم)** أي رقيباً عليهم، أو مشاهداً لأحوالهم من كفر وإيمان **(فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد أن تعذبهم فإنهم عبادك وأن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)** ا هـ والله أعلم.

حديث (يحشر العباد فيناديهم ربهم: أَنا الملك).

أَخرجه البخاري في كتاب التوحيد ـ والقسطلاني جـ ١٠ ص ٤٢٩.

قال أَبو عبد اللَّه محمد بن إِسماعيل البخاري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في باب قول اللَّه تعالى: ﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أَذن له حتى إِذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العليّ الكبير﴾.

(٣١٥) وَيَذْكُرُ عَنْ جَابِرٍ ـ أَي ابن عبد اللَّه الأَنصاري ـ رضي اللَّه عنهما ـ عَنْ ابْنِ أُنَيْس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ، فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْت يَسْمَعُهُ مَنْ بَعُدَ، كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرُبَ: (أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّان).

شرح الحديث من القسطلاني جـ ١٠ ص ٤٢٩

قوله: **(ويذكر عن جابر بن عبد الله الأنصاري)** ذكره هنا بصيغة التعريض، وذكره في كتاب العلم بصيغة الجزم: **(قال جابر عن عبد الله بن أنيس)** ـ بضم الهمزة، وفتح النون، الأنصاري، أنه قال: **(سمعت النبي ﷺ يقول: يحشر الله)** عز وجل **(العباد)** يوم القيامة **(فيناديهم)** يقول لهم: **(بصوت)** مخلوق غير قائم بذاته تعالى، أو يأمر الله تعالى من ينادي، ففيه مجاز الحذف ـ أي ومجاز الإسناد.

وقال البيهقي ـ رحمه الله ـ: الكلام ما ينطق به المتكلم، وهو مستقر في ذهنه ومنه قول عمر ـ رضي الله عنه ـ في حديث السقيفة: **(وكنت هيأت في نفسي كلاماً)** فسماه كلاماً، قبل أن يتكلم به.

فإن كان المتكلم ذا مخارج ـ سمع كلامه ذا حروف ومخارج.

وأما حديث ابن أنيس فاختلف الحفاظ في الاحتجاج بروايات ابن عقيل لسوء حفظه. ولم يثبت لفظ الصوت في حديث صحيح مرفوع غير حديثه فإن ثبت رجع إلى حديث ابن مسعود.

ـ يعني أن الملائكة يسمعون عند حصول الوحي صوتاً، فيحتمل أن يكون صوت السماء، أو الملك الآتي بالوحي، أو صوت أجنحة الملائكة.

وإذا احتمل ذلك لم يكن نصاً في المسألة، ـ أو أن الراوي أراد: **(فينادي نداء)** فعبر عنه بقوله: **(بصوت)**. ا هـ.

قال في الفتح: وهذا يلزم منه أن الله تعالى لم يسمع أحداً من ملائكته ولا رسله كلامه، بل ألهمهم إياه.

وحاصل الاحتجاج للنفي الرجوع إلى القياس على أصوات المخلوقين، لأنها هي التي

.....

عهد أنها ذات مخارج، ولا يخفى ما فيه. إذ الصوت قد يكون من غير مخارج، كما أن الرؤية قد تكون من غير اتصال أشعة كما تقرر، سلمنا، لكن نمنع القياس المذكور، وصفة الخالق لا تقاس على صفة المخلوقين.

وإذا ثبت ذكر الصوت بهذه الأحاديث الصحيحة، وجب الإيمان به، ثم التفويض أو التأويل. ا هـ كلام الحافظ.

وقوله: **(يسمعه)** أي الصوت **(من بعدكما يسمعه من قرب)** فيه خرق العادة إذ في سائر الأصوات التفاوت ظاهر بين القريب والبعيد.

وليعلم أن المسموع كلام الله تعالى، كما أن موسى عليه السلام لما كلمه الله كان يسمعه من جميع الجهات، ا هـ هذا ما قاله القسطلاني.

ونقول: قد كان ذلك من باب خرق العادة بالنسبة لزمانهم في عصر القسطلاني وغيره، ولكن اليوم بعد ظهور المذياع وغيره، ليس غريباً أن يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب، والله تعالى لا تقاس صفاته على صفات الحوادث، كما قال صاحب الفتح وغيره. فالإيمان واجب بما صح عنه ـ ﷺ ـ دون بحث عن حقيقته ولا عن كيفيته فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقوله تعالى: **(أنا الملك)** أي ذو الملك **(أنا الديان)** أي لا مالك إلا أنا، ولا مجازي على الخير والشر إلا أنا.

وقال الحليمي: هو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿**ملك يوم الدين**﴾ وهو المحاسب المجازي، لا يضيع عمل عامل.

وقال في الكواكب: واختار هذا اللفظ، لأن فيه إشارة إلى الصفات السبعة: الحياة، والعلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام. ليمكن المجازاة على الكليات والجزئيات قولاً وفعلاً. ا هـ قسطلاني.

(ملحوظة)

ما أشار إليه البيهقي من حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ الذي فيه سماع الملائكة عند الوحي قد ذكره البخاري ـ رحمه الله قبل هذا الحديث بقوله:

(وقال مسروق عن ابن مسعود: إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئاً) ولفظ البيهقي: سمع أهل السماء صلصلة كجر السلسلة على الصفا، فيصعقون، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل ـ عليه السلام ـ فإذا جاءهم جبريل فزع عن قلوبهم **(فإذا فزع عن قلوبهم وسكن الصوت.)** وفي نسخة: **(وثبت الصوت عرفوا أنه الحق من ربهم، ونادوا: ماذا قال ربكم)** لأنهم سمعوا قولاً، ولم يفهموا معناه لفزعهم **(قالوا)** قال: **(الحق)** وفي رواية أحمد: **(ويقولون: يا جبريل، ماذا قال ربكم؟ قال: فيقول: الحق، فينادون: الحق الحق).**

.....

قال القسطلاني وهذا التعليق الذي نقله عن مسروق مما وصله البيهقي في الأسماء والصفات من طريق أبي معاوية، عن الأعمش، عن مسلم بن صبيح، وهو أبو الضحى، عن مسروق عن ابن مسعود.

وقال البيهقي: ورواه أحمد بن أبي شريح الرازي، وعلي بن أشكاب وعلي بن مسلم - ثلاثتهم عن أبي معاوية مرفوعاً.

وأخرجه أبو داود في السنن عنهم، ولفظه مثله، إلا أنه قال: **(فيقولون: ماذا قال ربك؟)** من القسطلاني والله أعلم.

حديث يقال يوم القيامة لآدم عليه السلام:

(أَخرج بعث النار من ذريتك)

أَخرجه البخاري من سورة الحج ـ باب ـ (وترى الناس سكارى) جـ ٧ ص ٩٧.

(٣١٦) حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ، حَدَّثَنَا أَبي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ، عَنْ أَبي سَعِيدِ الْخُدَرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَوْمَ القِيَامَةِ: يَا آدَمُ، يَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيُنَادَى بِصَوْت: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُك أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثاً إِلى النَّار، قَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّار؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْف ـ أُرَاهُ قَالَ: تِسْعَمَائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاس، حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَمَائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنْتُمْ في النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ في جَنْبِ الثَّوْرِ الأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ في جَنْبِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرْنَا ..

وقال أَبو أُسامة، عن الأَعمش: (تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى) وقال: (مِنْ كُلِّ أَلْف تِسْعَمَائَة وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ).

وأَخرجه البخاري أَيضاً في ذكر الأَنبياءِ بعد قصة يأجوج ومأجوج، وذكره في آخر كتاب الرقاق وأَخرجه مسلم في باب (بيان كون هذه الأُمة نصف أهل الجنة) بلفظ قريب من لفظ البخاري.

* * *

وأَخرجه الإِمام الترمذي بروايتين في باب (سورة الحج) جـ ٢ ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ فقال:

(٣١٧) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَة شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾... إِلى قوله: ﴿وَلِكنَّ عَذابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ ـ قالَ: أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ هذِهِ وَهُوَ في سَفر، فقالَ: أَتدْرُونَ أَيُّ يَوْمَ ذلِك؟ فَقَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذَلِكَ يَوْمُ يَقُولُ اللَّهُ لآدَمَ: ابْعَثْ بَعْثَ النَّار، فَقَالَ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّار؟ قَالَ: تِسْعُمَائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ

إِلَى النَّارِ، وَوَاحِدٌ إِلى الْجَنَّةِ، فَأَنْشَأَ الْمِسْلِمُونَ يَبْكُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَارِبُوا وَسَدِّدُوا، فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ نُبُوَّةٌ قَطُّ، إِلاَّ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهَا جَاهِلِيَّةٌ، قَالَ: فَيُؤْخَذُ الْعَدَدُ مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنْ تَمَّتْ وَإِلاَّ كَمُلَتْ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، وَمَا مَثَلُكُمْ وَالأُمَم إِلاَّ كَمَثَلِ الرَّقَمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ، أَوْ كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ، ثُمَّ قَالَ: أَنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا ثُلُث أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرُوا، ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَكَبَّرُوا، قَالَ: لاَ أَدْرِي قَالَ: الثُّلُثَيْنِ أَمْ لاَ.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

* * *

والرواية الثانية للترمذي، قال أيضاً:

(٣١٨) عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْن ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ في سَفَرٍ، فَتَفَاوَتَ بَعْضُ أَصْحَابِهِ في السَّيْرِ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ صَوْتَهُ بِهَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ: ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾... إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَصْحَابُهُ حَثُّوا الْمَطِيَّ، وَعَرَفُوا أَنَّهُ عِنْدَ قَوْلَ يَقُولُهُ، قَالَ: ذَلِكَ يَوْمٌ يُنَادِي اللَّهُ فِيهِ آدَمَ، فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ، فَيَقُولُ: يَا آدَمُ، ابْعَثْ بَعْثَ النَّارَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَمَا بَعْثُ النَّار؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمَائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ في النَّارِ، وَوَاحِدٌ في الْجَنَّةِ فَبُئْسَ الْقَوْمُ حَتَّى مَا أَبْدُوا بِضَاحِكَة، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ الَّذِي بِأَصْحَابِهِ، قَالَ: اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ، مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ إِلاَّ كَثَّرَتَاهُ: يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَمَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَبَنِي إِبْلِيسَ، قَالَ: فَسُرِّيَ عَن الْقَوْم بَعْضُ الَّذِي يَجِدُونَ فَقَالَ: اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ في النَّاسِ إِلاَّ كَالشَّامَةِ في جَنْبِ الْبَعِير، أَوْ كَالرَّقَمَةِ في ذِرَاعِ الدَّابَّةِ.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

شرح حديث: (يقال لآدم عليه السلام: أخرج بعث النار) من شرح القسطلاني جـ ٧ ص ٢٤٥ ومن أبواب أخرى

(حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي) هو حفص بن غياث بن طلق الكوفي قال: **(حدثنا الأعمش سليمان بن مهران)** قال: **(حدثنا أبو صالح)** ذكوان السمان **(عن أبي سعيد الخدري)**

.....

رضي الله عنه أنه **(قال: قال النبي ﷺ: يقول الله ـ عز وجل ـ يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك)** أي أجيبك إجابة بعد إجابة، يا **(ربنا وسعديك)** أي واسعدني إسعاداً بعزتك وجلالك ولزوماً لطاعتك.

وفي باب **(كيف الحشر)** عن أبي هريرة مرفوعاً: **(أول من يدعى يوم القيامة آدم، فتتراءى له ذريته، فيقال: هذا أبوكم آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول له: أخرج بعث النار... الخ)**.

وفي قصة يأجوج ومأجوج من رواية أبي سعيد زيادة: **(لبيك وسعديك، والخير في يديك)** وفي الاقتصار على الخير نوع تعطف ورعاية للأدب، وإلا فالشر أيضاً بتقديره ـ جل شأنه.

وفي روايتي الترمذي المذكورتين عن عمران بن حصين، أن النبي ﷺ قال لأصحابه هذا الحديث، وهو في سفر، لما أنزلت عليه: **(﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾... الخ)** فقال: **(أتدرون أي يوم ذلك؟... الخ)**.

(فينادى) بفتح الدال **(بصوت، إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار)** بعثاً ـ بفتح الباء، وسكون العين، أي مبعوثاً منهم، وهم نصيب جهنم، أي أخرج من ذريتك الذين هم أهل النار، وابعثهم إليها **(قال: يا رب، وما بعث النار؟)** أي وما مقدار مبعوث النار؟ **(قال: من كل ألف ـ أراه)** بضم الهمزة أي أظنه **(قال: تسعمائة وتسعة وتسعين)**.

قال القسطلاني: **(وفي حديث أبي هريرة عند المؤلف في باب ـ كيف الحشر من كتاب الرقاق ـ)**: فيقول: **(اخرج من كل مائة تسعة وتسعين)** وهو يدل على أن نصيب أهل الجنة من الألف عشرة ـ ويدل حديث الباب على أن من الألف واحداً، والحكم للزائد، أو يحمل حديث الباب على جميع ذرية آدم فيكون من كل ألف واحد، وحديث أبي هريرة على من عدا يأجوج ومأجوج، فيكون من كل ألف عشرة.

وقال القسطلاني في موضع آخر: ويحتمل أن يكون المراد ببعث النار جميع الكفار وكل من يدخلها من العصاة، فيكون من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون كافراً، ومن كل مائة تسعة وتسعون عاصياً. ا هـ ـ من كتاب الرقاق.

قال رسول الله ﷺ: **(فحينئذٍ تضع الحامل حملها)** أي جنينها الذي حملته في رحمها **(ويشيب الوليد)** من شدة هول ذلك اليوم، وهذا على سبيل الفرض أو التمثيل ـ وأصله أن الهموم تضعف القوى، وتسرع بالشيب. ا هـ ـ أو يحمل ذلك على الحقيقة، لأن كل أحد يبعث على ما مات عليه، فتبعث الحامل حاملاً، والمرضع مرضعة، والطفل طفلاً ـ فإذا وقعت زلزلة الساعة، وقيل ذلك لآدم ـ عليه السلام ـ وسمعوا ما قيل له ـ وقع بهم من الوجل ما تسقط معه الحامل حملها، ويشيب له الطفل، وتذهل المرضعة. ا هـ قاله الحافظ أبو الفضل بن حجر، وسبقه إليه القفال.

.....

(وترى الناس سكارى) أي كأنهم سكارى من شدة الأمر الذي أصابهم، قد دهشت عقولهم، وغابت أذهانهم فمن رآهم حسب أنهم سكارى **(وما هم بسكارى)** على الحقيقة **(ولكن عذاب الله شديد)** تعليل لإثبات السكر المجازي.

قال: **(فشق ذلك على الناس، حتى تغيرت وجوههم)**.

وعند المؤلف **(من قصة يأجوج ومأجوج)** عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه **(قالوا: يا رسول الله، وأينا ذلك الواحد؟ قال ﷺ أبشروا... الخ)**.

وفي البخاري أيضاً في الرقاق من رواية أبي سعيد:

(فاشتد ذلك عليهم، فقالوا: يا رسول الله، أينا ذلك الرجل؟... الخ).

(فقال النبي ﷺ: من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين، ومنكم واحداً) أي يخرج آدم من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين، ويجوز الرفع، كما هو في رواية أخرى، ويكون منكم أيها المسلمون ومن كان مثلكم واحد.

(وعند البخاري في الرقاق):

(من يأجوج ومأجوج ألف، ومنكم رجل واحد) فيحتمل كما في الفتح أن يكون من باب جبر الكسر، والمراد أن من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين: منهم وممن كان مثلهم على الشرك، ومنكم أيها المسلمون من أمتي ومن جميع الأمم أي واحد، وقد أشار إلى ذلك في حديث ابن مسعود بقوله:

(إن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة) ثم قال النبي ﷺ: «أنتم في الناس» أي في أهل المحشر جميعاً **(كالشعرة)** بفتح العين وسكونها **(في جنب الثور الأبيض)** أو **(كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود)** أو ـ للتنويع، أو شك من الراوي.

(وإني لأرجو أن تكونوا) يريد أمته ﷺ المؤمنين به **(ربع أهل الجنة)** أي من جميع الأمم **(فكبرنا)** أي قلنا: الله أكبر، سروراً وفرحاً بهذه البشارة.

(ثم قال: ثلث أهل الجنة) أي ثم قال: أرجو فوق ما تقدم أن تكونوا ثلث أهل الجنة **(فكبرنا)** أي قلنا: الله أكبر، سروراً وفرحاً بذلك **(ثم قال: شطر أهل الجنة)** أي ثم قال النبي ﷺ: أرجو أن تكونوا شطر أي نصف أهل الجنة أي نصف من يدخل الجنة من جميع الأمم **(فكبرنا)** سروراً واستعظاماً لهذه النعمة الجليلة، والمنحة الكبيرة. فهذا الاستعظام بعد الاستعظام الأول إشارة إلى فوزهم بالبغية. وفي الرقاق عند البخاري: **(باب: ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾)**.

(ثم قال ﷺ: والذي نفسي بيده) وفي رواية **(في يده، إني ـ لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة)** أي فقال: **(أطمع)** بدل **(أرجو)** فالمراد بالطمع هو الرجاء من الله تعالى، وقد فتح الله لنبيه ﷺ باب الرجاء وحققه بما أخبر به من الزيادة.

وفي هذا الباب من رواية ابن مسعود، قال:

.....

(**كنا مع النبي** ﷺ) زاد في مسلم عن محمد بن المثنى: (**نحواً من أربعين رجلاً، في قبة من أدم**) أي من جلد (**فقال: أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قلنا: نعم، قال: أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟**) أي نصفها ـ (**قلنا: نعم**).

قال السفاقسي: ذكره بلفظ الاستفهام، لإرادة تقرير البشارة بذلك، وذكره بلفظ التدريج، ليكون أعظم لسرورهم.

ثم قال: (**وما أنتم في أهل الشرك، إلا كالشعرة البيضاء... الخ**).

وعند عبد الله ابن الإمام أحمد في زياداته، والطبراني من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه.

زيادة: (**أنتم ثلثا أهل الجنة**).

وفي الترمذي وصححه من حديث بريدة رفعه: (**أهل الجنة عشرون**) ومائة صف، أمتي منها ثمانون.

قال القسطلاني ـ رحمه الله تعالى:

والظاهر أنه ﷺ لما رجا من رحمة الله تعالى أن تكون أمته ﷺ نصف أهل الجنة ـ أعطاه الله ما رجاه، وزاده من فضله ا هـ.

أي زاده على النصف، حتى بلغت أمته ثلثي أهل الجنة، تحقيقاً لوعده تعالى له في قوله: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ ـ وقد ورد أن النبي ﷺ قال: (**إذا لا أرضى وواحد من أمتي في النار**) صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم تسليماً كثيراً، وجزاه عنا أفضل ما جازى نبياً عن أمته. وجعلنا من أهل شفاعته ومن الواردين على حوضه. آمين ـ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حديث (يقبض اللَّه الأرض. . . ثم يقول: أنا الملك)

أَخرجه البخاري من كتاب التفسير ـ سورة الزمر ـ ﴿وما قدروا اللَّه حتى قدره﴾ جـ ٦ ص ١٢٦.

(٣١٩) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ ـ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: (يَقْبِضُ اللَّهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمٰوَاتِ بَيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟).

أَخرجه البخاري بهذا اللفظ عن أَبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه في كتاب التفسير ـ سورة الزمر ـ قوله تعالى: ﴿وما قدروا اللَّه حق قدره﴾ وفي كتاب الرقاق كذلك عنه.

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً في كتاب التوحيد عن عبد اللَّه بن عمر ـ رضي اللَّه عنهما ـ بلفظ:

(٣٢٠) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ـ رضي اللَّه عنهما ـ (إِنَّ اللَّهَ يَقْبِضُ الأَرْضَ ـ أَوْ الأَرَضِينَ ـ وَتَكُونُ السَّمٰوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ).

وأَخرجه البخاري أَيضاً في كتاب التوحيد بروايتين عن عبد اللَّه بن مسعود ـ رضي اللَّه عنه ـ وفي رواية منهما:

(ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، ثُمَ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا المَلِكُ).

* * *

وفي رواية له من كتاب التفسير ـ سورة الزمر ـ بأَطول من ذلك كله، قال:

(٣٢١) حَدَّثَنَا آدَمُ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ، عَنْ مَنْصُور، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عبيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِنَ الأَحْبَار إِلى رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمٰوَاتِ عَلَى إِصْبَع، وَالأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَع، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَع، وَالمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَع، وَسَائِرَ

الخَلاَئِقِ عَلَى إِصْبعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا المَلِكُ، فَضَحِكَ النَّبيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، تَصْدِيقاً لقَوْل الْحَبْر، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّه ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: ﴿ومَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه وَالأَرْضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمٰوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

* * *

(٣٢٢) وأَخرج مسلم حديث الحبر، في باب (صفة القيامة والجنة والنار) بلفظ: (فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ـ أَوْ يا أَبَا الْقَاسِم، إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمٰواتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى إِصْبَع، . . إلى أَن قال: ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ، وَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ).

* * *

ثم أَخرجه مسلم برواية أُخرى، ولم يذكر فيها: (ثُمَّ يَهُزُّهُنَّ)، ثم أَعاده بروايات قريبة من ذلك.

(٣٢٣) وزاد في بعض الروايات بعد قوله: (فَرَأَيْتُ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ضَحِكَ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ) ـ قَالَ: (تَصْدِيقاً لَهُ، تَعَجُّباً لِمَا قَالَ) ـ ثم أَخرج مسلم حديث أَبي هريرة مثل لفظ البخاري المذكور هنا.

* * *

ثم أَخرجه مسلم بروايات أُخرى بزيادات، وهي عن عبد اللَّه بن مسعود. فقال:

(٣٢٤) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر بْنُ شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ، عَنْ عُمَرَ بْن حَمْزَةَ عَنْ سَالِم بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (يَطْوِي اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ السَّمٰوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُون؟ ثُمَّ يَطْوِي الأَرْضَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ)؟

* * *

وقال مسلم أَيضاً:

(٣٢٥) (وَحَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ مَنْصُور، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ ـ يعني ابن عبد الرحمٰن ـ حَدَّثَنَا أَبُو حَازِم، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْن مُقَسِّم، أَنَّهُ نَظَرَ إِلى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ـ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمَا ـ كَيْفَ يَحْكِي رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَأْخُذُ اللَّهُ سَمٰوَاتِهِ وَأَرَاضِيهِ بِيَدَيْهِ، وَيَقُولُ: أَنَا اللَّهُ، ويقبض أَصابعه ويبسطها ـ أَنا الْمَلِكُ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلى الْمِنْبَر يَتحَرَّك مِنْ أَسفل شيءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي لأَقُولُ: أَسَاقِطٌ هو بِرَسُول اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؟

* * *

وأَخرج ابن ماجه حديث ابن عمر الثاني المرويَّ في مسلم، بلفظ:

(٣٢٦) عَنْ ابْن عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: يَأْخُذُ الْجَبَّارُ سَمٰوَاتِهِ وَأَرَضِيهِ بِيَدِهِ ـ وَقَبَض بِيَدِهِ، فَجَعَل يَقْبِضُها وَيَبْسُطُهَا ثُمَّ يَقُولُ: أَنا الْجَبَّارُ، أَيْن الْجَبَّارُون؟ أَيْن الْمُتكبِّرُون؟ وَيَتمَثَّلُ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ، حَتَّى نظرْتُ الْمِنْبَرَ يَتحَرَّكُ مِنْ أَسْفل شْيءٍ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي أَقُولُ: أَسَاقِطٌ هُوَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ جـ ١ من سنن ابن ماجه ص ٤٥ باب (فيما أَنكرت الجهمية).

* * *

وأَخرجه أَبو داود في سننه ـ (من باب الرؤية) جـ ٤ ص ١٨٣ فقال:

(٣٢٧) عَنْ ابْن عُمَرَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: (يَطْوي اللَّهُ السَّمٰواتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوي الأَرْضِينَ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ ـ قال ابن العلاءِ: بِيَدِهِ الأُخْرَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ ـ الْمُتَكَبِّرُونَ؟.

شرح الأحاديث المذكورة من القسطلاني جـ ٧ ص ٣٢٠

أولاً ـ شرح الحديث الذي قاله الحبر من أهل الكتاب للنبي ﷺ: قوله: **(جاء حبر من أحبار اليهود... الخ)** الحبر بفتح الحاء، أي عالم من علماء اليهود، قال الحافظ ابن حجر: لم أقف على اسمه ـ **(إلى رسول الله ﷺ ـ فقال: إنا نجد)** أي في التوراة **(أن الله يجعل السموات على إصبع)** وفي التوحيد عند البخاري: **(إن الله يمسك)** بدل ـ يجعل ـ **(والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى)** أي **(التراب على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع)**.

.....

وفي بعض النسخ: **(والماء على إصبع، والثرى على إصبع)** وسقط في بعضها **(والماء على إصبع)**.

(فيقول: أنا الملك) أي المنفرد بالملك **(فضحك النبي ﷺ ـ حتى بدت نواجذه)** بالجيم والذال المعجمة أي أنيابه، وهي الضواحك، التي تبدو عند الضحك ـ **(تصديقاً لقول الحبر)**.

ثم قرأ رسول الله ﷺ: **﴿وما قدروا الله حق قدره﴾** وقراءته عليه الصلاة والسلام هذه الآية تدل على صحة قول الحبر، كضحكه، قاله النووي. ا هـ ـ من القسطلاني.

وفي التوحيد برواية فضيل بن عياض، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة عن عبد الله ـ رضي الله عنه: **(فضحك رسول الله ﷺ تعجباً مما قاله الحبر وتصديقاً له ـ)** ورواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

وعند مسلم: **(تعجباً مما قاله الحبر، وتصديقاً له)**.

وعند ابن خزيمة ـ من رواية إسرائيل، عن منصور: **(حتى بدت نواجذه تصديقاً له)**.

وعند الترمذي من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال مر يهودي بالنبي ﷺ، فقال: كيف تقول: يا أبا القاسم إذا وضع الله السموات على ذه، والأرضين على ذه، والماء على ذه، والجبال على ذه، وسائر الخلق على ذه، وأشار محمد بن الصلت: أبو جعفر لخنصره أولاً، ثم بلغ الإبهام.

ثم قال القسطلاني رحمه الله:

وهذا من شديد الاشتباه، وقد حمله بعضهم على أن اليهود مشبهة، ويزعمون فيما أنزل إليهم ألفاظاً تدخل في التشبيه، ليس القول بها من مذهب المسلمين، وبهذا قال الخطابي.

وقال: إنه روى هذا الحديث غير واحد، عن عبد الله بن مسعود، من طريق عبيدة فلم يذكروا قوله: **(تصديقاً لقول الحبر)**. ولعله من الراوي ظن وحسبان، وضحكه ﷺ تعجب من كذب اليهودي، فظن الراوي أن ذلك التعجب تصديق له، وليس كذلك. ا هـ كلام الخطابي.

وأشار القسطلاني إلى ما قاله الخطابي عند شرح الحديث في كتاب التوحيد من باب قول الله: **(هو الخالق البارىء المصور)** فقال:

إن الخطابي ذكر الأصبع، وقال: إنه لم يقع في القرآن، ولا في حديث مقطوع به، وقد تقرر أن اليد أي المضافة إلى الله ليست جارحة، حتى يتوهم من ثبوتها ثبوت الأصابع، بل هو توقيف أطلقه الشارع، فلا يكيف ولا يشبه: ولعل ذلك الأصابع من تخليط اليهود، فإن اليهود مشبهة ـ وقول من قال من الرواة: **(وتصديقاً له)** أي لليهودي ـ ظن وحسبان، وقد روى هذا الحديث غير واحد من أصحاب عبد الله بن مسعود، فلم يذكروا فيه **(تصديقاً له)** ا هـ.

ثم نقل القسطلاني في شرح الحديث في هذا الباب عن القرطبي ما يأتي:

.....

(قال القرطبي في المفهم: ضحكه ﷺ إنما هو للتعجب من جهل اليهودي ولهذا قرأ عند ذلك: ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾).

فهذه الرواية هي الصحيحة المحققة، ـ وأما من زاد: **(وتصديقاً له)** فليست بشيء فإنها من قول الراوي وهي باطلة، لأنه ﷺ لا يصدق المحال، وهذه الأوصاف في حق الله تعالى محال، إذ لو كان ذايد أو أصابع وجوارح لكان كواحد منا، ولو كان ذلك، لاستحال أن يكون إلهاً، فقول اليهودي محال وكذب. ا هـ ما قاله في المفهم.

ثم قال القسطلاني: وتعقبه بعضهم بورود الأصابع في عدة أحاديث: منها ما أخرجه مسلم: **(إن قلب ابن آدم بين أصبعين من أصابع الرحمٰن)** ولكن هذا لا يرد عليه، لأنه إنما نفى القطع.

نعم ذهب الشيخ أبو عمرو بن الصلاح إلى أن ما اتفق عليه الشيخان بمنزلة المتواتر فلا ينبغي التجاسر على الطعن في ثقات الرواة، ورد الأخبار الثابتة.

ولو كان الأمر على خلاف ما فهمه الراوي بالظن، للزم منه إقراره ﷺ اليهودي على الباطل، وسكوته عن الإنكار على اليهودي وحاش لله من ذلك.

وقد اشتد إنكار ابن خزيمة على من ادعى أن الضحك المذكور، كان على سبيل الإنكار، فقال بعد أن أورد هذا الحديث في صحيحه في كتاب التوحيد ما يأتي:

قد أجل ـ بتشديد اللام ـ الله تعالى نبيه ﷺ أن يوصف ربه بحضرته بما ليس هو من صفاته، فيجعل بدل الإنكار والغضب على الوصف ـ ضحكاً ـ، بل لا يصف النبي ﷺ بهذا الوصف من يؤمن بنبوته ﷺ. ا هـ.

ما قاله القسطلاني في كتاب التوحيد جـ ١٠ ص ٣٨٨

وقال في كتاب التفسير بعد أن نقل كلام الخطابي، وكلام القرطبي في المفهم: **(ولا ريب أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا أعلم بما رووه، وقد قالوا: أن ضحكه ﷺ كان تصديقاً له)**، وقد ثبت في الحديث الصحيح:

(ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمٰن) ـ رواه مسلم.

وفي حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال رسول الله ﷺ: **(أتاني الليلة ربي في أحسن صورة)**... الحديث... وفيه: **(فوضع يده بين كتفي)**.

وفي رواية معاذ: **(فرأيته وضع كفه بين كتفي، فوجدت برد أنامله بين ثديي)** فهذه روايات متضافرة على ذكر الأصابع.

وكيف يطعن في حديث أجمع على إخراجه الشيخان وغيرهما من أئمة النقد والاتقان؟ لا سيما وقد قال ابن الصلاح: ما اتفق عليه الشيخان هو بمنزلة المتواتر، وكيف يسمع النبي ﷺ وصف ربه تعالى بما لا يرضاه، فيضحك؟ ولم ينكره أشد الإنكار، حاشاه الله من ذلك.

.....

ثم قال: وإذا تقرر صحة ذلك فهو من المتشابه كغيره، من الوجه واليدين والقدم والرجل والجنب في قوله تعالى: ﴿**يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله**﴾.

واختلف في ذلك أئمتنا:

هل نؤول المشكل، أم نفوض معناه المراد منه إلى الله تعالى؟ مع اتفاقهم على أن جهلنا بتفصيله لا يقدح في اعتقادنا المراد منه:

والتفويض مذهب السلف، وهو أسلم، والتأويل مذهب الخلف، وهو أعلم أي أحوج إلى مزيد علم، فنؤول الأصبع هنا بالقدرة، إذ ـ إرادة الجارحة مستحيلة.

وقد قال الزمخشري في كشافه بعد ذكر نحو حديث الباب:

إنما ضحك أفصح العرب وتعجب، لأنه لم يفهم منه إلا ما يفهمه علماء البيان، من غير تصور إمساك ولا أصبع، ولا هز ولا شيء من ذلك، ولكن فهمه وقع أول شيء وآخره على الزبدة والخلاصة، التي هي الدلالة على القدرة الباهرة، وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأذهان، ولا تكتنهها الأوهام هينة عليه هواناً، لا يوصل السامع إلى الوقوف عليه إلا إجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل، ولا ترى باباً في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأهون على تعاطي تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى في القرآن وسائر الكتب السماوية، وكلام الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ فإن أكثره وعليته **(أي أعلى شيء فيه)** تخييلات قد زلت فيها الأقدام، وما أتى الزالون إلا من قلة عنايتهم بالبحث والتنقيب.

حتى يعلموا أن في عداد العلوم الدقيقة علماً، لو قدروه حق قدره، لما خفي عليهم أن العلوم كلها مفتقرة إليه، وعيال عليه، إذ لا يحل عقدها الموربة **(أي الموقعة في الريب)** ولا يفك قيودها المكربة **(أي الموقعة في الكرب)** ـ إلا هو، وكم من آية من آيات التنزيل، وحديث من أحاديث الرسول ﷺ قد ضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة، والوجوه الرثة، لأن من تأول ليس من هذا العلم في عير ولا نفير، ولا يعرف قبيلاً من دبير. ا هـ ما نقله القسطلاني عن الزمخشري في كشافه وهو حسن جداً.

ثم قال: وقال ابن فورك: يحتمل أن يكون المراد أصبع بعض مخلوقاته وقد تقدم لنا نقل ما قال القسطلاني في كتاب التوحيد عند شرح هذا الحديث.

وهو قوله:

(وقد اشتد إنكار ابن خزيمة على من ادعى أن الضحك المذكور كان على سبيل الإنكار منه ﷺ... الخ ما تقدم).

ثانياً ـ

(شرح حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمر في البخاري ومسلم وغيرهما)

قوله: **(يقبض الله الأرض ويطوي السموات بيمينه)** يطلق الطي على الإدراج، كطي

.....

القرطاس، كما قال تعالى: ﴿**يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب**﴾ ـ ويطلق على الإفناء، تقول العرب: طويت فلاناً بسيفي أي أفنيته.

وقال القاضي: عبر عن إفناء الله تعالى هذه المظلة والمقلة وإخراجهما من أن يكونا مأوى ومنزلاً لبني آدم بقدرته الباهرة، التي تهون عليها الأفعال العظام: التي تتضاءل دونها القوى والقدر، وتتحير فيها الأفهام والفكر على طريقة التمثيل والتخييل، (**ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**).

ولمسلم من حديث ابن عمر مرفوعاً: (**يطوي الله السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرض بشماله، ثم يقول أنا الملك**)... الخ.

فأضاف طي السموات وقبضها إلى اليمين، وطي الأرض إلى الشمال، تنبيهاً وتخييلاً لما بين المقبوضين من التفاوت والتفاضل.

ثالثاً:

(شرح حديث ابن عمر الذي أخرجه مسلم وابن ماجه، وفيه هز المنبر)

مأخوذ من شرح النووي على صحيح مسلم جـ ١٠ ص ٥٤٨ هامش القسطلاني

قال النووي ـ رحمه الله تعالى: وفي رواية: (**ان ابن مقسم نظر إلى ابن عمر ـ كيف يحكي رسول الله ﷺ ـ قال: يأخذ الله سمواته وأراضيه بيديه، ويقول: أنا الله، ويقبض أصابعه ويبسطها، ويقول: أنا الملك، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه**).

قال العلماء: المراد بقوله: (**يقبض أصابعه ويبسطها**): النبي ﷺ ولهذا قال ان ابن مقسم نظر إلى ابن عمر كيف يحكي رسول الله ﷺ.

وأما إطلاق اليدين لله تعالى، فمتأول على القدرة، وكني عن ذلك باليدين، لأن أفعالنا تقع باليدين، فخوطبنا بما نفهمه، ليكون أوضح وأوكد في النفوس وذكر اليمين والشمال حتى يتم المنال، لأننا نتناول باليمين ما نكرمه، وبالشمال ما دونه، ولأن اليمين في حقنا تقوى لما لا تقوى له الشمال.

ومعلوم أن السموات أعظم من الأرض، فأضافها إلى اليمين، والأرض إلى الشمال، ليظهر التقريب في الاستعارة، وإن كان الله لا يوصف بأن شيئاً أخف عليه من شيء، ولا أثقل من شيء. هذا مختصر كلام المازري في هذا الحديث.

ثم قال النووي رحمه الله تعالى: وقوله: (**المنبر يتحرك... الخ**) أي من أسفله إلى أعلاه، بحركة النبي ﷺ، ثم قال النووي ـ رحمه الله:

.....

قال القاضي: ونحن نؤمن بالله وبصفاته، ولا نشبه شيئاً به، ولا نشبهه بشيء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وما قاله رسول الله ﷺ فهو حق وصدق، فما أدركنا علمه، فبفضل الله تعالى، وما خفي علينا آمنا به، ووكلنا علمه إلى الله تعالى، وحملنا لفظه على ما احتمل من كلام العرب، ولم نقطع على أحد معنييه بعد تنزيهه تعالى عن مشابهة الحوادث. ا هـ والله أعلم.

أقول:

وبالجملة فكل آيات الصفات وأحاديث الصفات الواجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد أن المعنى المراد منها لله تعالى هو عين الحق واليقين، ونقول فيها ما قاله السلف، وهو التفويض إلى الله تعالى مع إيماننا بالتنزيه، أو ما قاله الخلف، وهو التأويل والحمل على معنى يليق بجلاله وبعظمته، وقد علمت أن مذهب الخلف يحتاج إلى علم أكثر، فالأحسن مذهب السلف، لسلامته من الوقوع في الخطر، وتأويل كلام الله أو كلام رسوله بما لا يكون مراداً لله خطر جسيم.

وفقنا الله تعالى إلى الإيمان به وبصفاته، ووقانا شر الخطأ والزلل وسلمنا من الشكوك والشبهات والريب آمين يا رب العالمين.

٣٥ ـ (ما جاء من أحاديث الشفاعة)

أولاً: روايات البخاري أَخرجه البُخاري من كتاب بدءِ الخلق جـ ٤ ص ١٣٤ ـ من باب ـ قول اللَّه تعالى: ﴿إنا أَرسلنا نوحاً إِلى قومه إِن أَنذرْ قومك من قبل أَن يأْتيهم عذاب أَليم﴾.

(٣٢٨) حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْد، حَدَّثَنَا أَبُو حَيَّانَ عَنْ أَبِي زُرْعَةَ ـ عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ في دَعْوَةٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ، ـ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ ـ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، وَقَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ بِمَ؟ ـ: يَجْمَعُ اللَّهُ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ في صَعِيد وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ، وَيُسْمِعُهُمْ الدَّاعِي، وَتَدْنُو الشَّمْسُ، فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ إِلَى مَا بَلَغَكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ، أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وأَمَرَ الْمَلاَئَكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ، أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَنَهَانِي عَن الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهبُوا إِلَى نُوح، فَيَأْتُون نُوحاً، فَيَقُولُون: يَا نُوحُ، أَنْت أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرض، وَسَمَّاك اللَّهُ عَبْداً شَكُوراً، أَمَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا بَلَغَنَا؟ أَلا تَشْفعُ لنا إِلَى رَبِّك؟ فَيَقُولُ: رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، نَفْسِي، نَفْسِي، ائْتُوا النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُوني، فَأَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ.

قال محمد بن عُبَيْدٍ: لاَ أَحْفَظُ سَائِرَهُ.

شرح الحديث من القسطلاني

(حدثنا إسحاق بن نصر) هو إسحاق بن إبراهيم بن نصر السعدي **(حدثنا محمد بن عبيد)** بالتصغير، الطنافسي الأحدب الكوفي **(حدثنا أبو حيان)** بتشديد الياء هو يحيى بن

.....

سعيد بن حيان التيمي **(عن أبي زرعة)** هو هرم بن عمرو البجلي **(عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه)**.

(قال: كنا مع النبي ﷺ في دعوة) بفتح الدال، وحكي كسرها: طعام يدعى إليه على سبيل الضيافة **(فرفع إليه الذراع)** أي قدمت إليه الذراع من الذبيحة **(وكانت تعجبه)** لأنها أعجل نضجاً، وأخف على المعدة، وأسرع هضماً، مع حلاوة مذاقها **(فنهس منها نهسة)** أي أخذ منها بأطراف أسنانه، وروي بالشين أي أخذ من لحمها بأضراسه **(وقال: أنا سيد الناس يوم القيامة)** أي السيد الذي يهرع الناس إلى يوم القيامة لتفريج كربهم وكشف غمتهم، وخص يوم القيامة، لأنه اليوم الذي يرتفع فيه سؤدده، ويسلم له الجميع فيه بالسؤدد، وإذا كان سيد الناس يوم القيامة، ففي الدنيا يكون أولى بذلك.

وقوله ﷺ: **(لا تخيروا بين الأنبياء)** أي تخييراً يؤدي إلى تنقيص وليس في ذلك إشارة إلى تنقيص غيره من الأنبياء. أو المعنى: لا تخيروا بين الأنبياء بالنسبة إلى ذات النبوة، فإنها اختبار من الله لمن يشاؤه من عباده، فيعصمه عن الزلل، ويصطفيه بوحيه. فلا ينافي أنه قد يأتي التفضيل بأمور أخرى غير النبوة والرسالة.

ثم بين النبي ﷺ السبب الذي تظهر به سيادته يوم القيامة على جميع الناس بقوله:

(يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد) الصعيد: الأرض المستوية الواسعة **(فيبصرهم الناظر)** أي يحيط بهم بصر الناظر، لاستواء الأرض وعدم الحجاب **(ويسمعهم الداعي)** لأن الأبصار والأسماع تقوى في هذا اليوم كما قال تعالى: ﴿فكشفنا عنك غطاؤك فبصرك اليوم حديد﴾ وقال تعالى: ﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾ وقال: ﴿مهطعين إلى الداع﴾ أي مسرعين إليه مادي أعناقهم.

(وتدنو الشمس) أي من الناس مع اشتداد حرها. **(فيقول بعض الناس ألا ترون إلى ما أنتم فيه)** إلى ما بلغكم؟ بدل منه أي يلهمهم الله تعالى هذا القول لحكمة كبرى وهي إظهار فضل الشفيع لهم، وإعلان سيادة النبي ﷺ **(ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم)** أي عند ربكم لعله ينقذكم من طول الوقوف ويجعل لهم الحساب والانصراف من هول هذا اليوم، الشديد هوله: ﴿إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريراً﴾.

ثم يلهمهم الله تعالى إلى التوجه إلى آدم عليه السلام، **(فيقول بعض الناس: أبوكم آدم)** أي هو الذي يشفع لكم عند ربكم **(فيأتونه فيقولون: يا آدم أنت أبو البشر)** أي الذي يحزنه ما يسوءهم، ويسعى لتفريج كربهم، ثم يذكرون له نعم الله عليه التي تجعله يرجو أن تقبل شفاعته، فلا يتأخر عن إجابة مطلبهم فيقولون له: **(خلقك الله بيده)** أي بقدرته من غير واسطة أب ولا أم، ونفخ فيك من روحه، دون بقية الخلق، فإن الله يأمر الملك الموكل بالأرحام بنفخ الروح فيه، **(وأمر الملائكة فسجدوا لك)** أي سجدوا لله متجهين لك كالقبلة، تعظيماً لك **(وأسكنك الجنة)** إكراماً له قبل أن يأكل من الشجرة، فلما أكل من الشجرة

.....

أخرجه الله من الجنة لحكمة عظيمة.

وإضافة الروح إلى الله للتشريف والتعظيم والاختصاص، أي الروح التي استأثر الله بخلقها وبعلم أسرارها **(ألا تشفع لنا إلى ربك؟)** أي عند ربك **(ألا ترى ما نحن فيه)** من الكرب **(وما بلغنا)** من الشدائد، وذلك استعطاف منهم لآدم عليه السلام، لعله يقبل منهم، فيشفع لهم، فيذكر لهم سبب امتناعه عن الشفاعة لهم، قائلاً: **(ربي غضب غضباً لم يغضب قبله مثله)** لأن أيام الدنيا كانت أيام امهال وانظار للعباد لعلهم يرجعون إليه ويتوبون. **(ولا يغضب بعده مثله)** لأنه بعد فصل القضاء يستقر الناس في مستقرهم: فريق في الجنة وفريق في السعير.

ونسبة الغضب إلى الله تعالى: المراد به لازمه، وهو إرادة إيصال الشر لمن غضب عليه.

وقال النووي رحمه الله تعالى: المراد ما يظهره الله تعالى من انتقامه، وما يشاهد من الأهوال التي لم يكن قبلها، ولن يكون بعدها مثلها.

(ونهاني الله عن الشجرة) أي عن الأكل منها **(فعصيته)** فلذلك لا يمكنني التقدم للشفاعة بل أرجو أن يسامحني الله تعالى من ذلك **(نفسي، نفسي)** أي هي التي أطلب نجاتها.

أقول:

قد سمى الله تعالى أكله من الشجرة عصياناً، فقال: ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ إلا أنه عقبه بقوله: ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ وقال في سورة البقرة: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾.

ولعل هذه الكلمات هي قوله من سورة الأعراف: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.

فآدم ـ وإن كان الله قد تاب عليه واجتباه واصطفاه بالرسالة ـ يكون يوم القيامة شديد الخوف من الله تعالى، كما هو شأن المقربين يكونون شديدي الخوف من الله تعالى، لذلك لم يتقدم للشفاعة، وقال: **(نفسي، نفسي)** أي هي التي تستحق أن يشفع لها، كما ورد في رواية ثابت عند سعيد بن منصور: **(إني أخطأت وأنا في الفردوس، فإن تغفر لي اليوم فحسبي)**.

واستشكل قوله في نوح: ﴿إنه أول الرسل إلى أهل الأرض﴾ بأن آدم عليه السلام نبي مرسل لبنيه، وكذا إدريس عليهما السلام، وكلهم قبل نوح عليه السلام.

وأجيب بأن الأولية مقيدة بقوله: **(إلى أهل الأرض)**، أي فهو أول رسول أرسله الله تعالى إلى قوم يعبدون الأصنام، ليخرجهم من الإشراك إلى التوحيد، وأولاد آدم لم يسبق لهم إشراك فرسالته إليهم لتشريع أحكام الدين فقط.

وعموم رسالة نوح عارضة بعد الغرق: ولم يبق إلا ذريته كما قال تعالى: ﴿وجعلنا

.....

ذريته هم الباقين﴾ ﴿وعبداً شكوراً﴾ أي مستغرقاً في القيام بشكر الله تعالى على نعمائه حامداً له على جميع الحالات.

(ائتوا النبي) أي محمداً ﷺ. والمعروف أن آدم دلهم على نوح ونوح دلهم على إبراهيم وإبراهيم على موسى وموسى على عيسى وعيسى على محمد ﷺ. ولعل ذلك لم يذكر هنا، لأنه من جملة ما لم يحفظه محمد بن عبيد أحد الرواة. والله أعلم. انتهى.

وأخرجه البخاري من كتاب التفسير ـ سورة البقرة ـ باب ﴿وعلم آدم الأَسماءَ كلها﴾ جـ ٦ ص ١٧ ـ ١٨.

(٣٢٩) حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هَشامٌ، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ أَنَسٍ ـ هو ابن مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: أَبو عبد اللَّه أَي البخاري وقال لي خليفة: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْع، حَدَّثَنَا سَعيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُونَ: لَوِ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ أبو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلّ شَيْءٍ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هُنَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ذَنْبَهُ، فَيَسْتَحْيِي، ائْتُوا نُوحاً، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعْثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ. وَيَذْكُرُ سُؤَالَهُ رَبَّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ. فَيَسْتَحْيِي، فَيَقُولُ: ائْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمٰنِ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائْتُوا مُوسَى، عَبْداً كَلَّمَهُ اللَّهُ، وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ قَتْلَ النَّفْسِ بِغَيْرِ نَفْسٍ، فَيَسْتَحْيِي مِنْ رَبِّهِ، فَيَقُولُ: ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحَهُ، فَيَأْتُونَه، فيَقُولُ: لسْتُ هُناكُمْ، ائْتُوا مُحَمَّداً ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَبْداً غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأتُونَنِي، فَأَنْطَلِقُ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ عَلَى رَبِّي فَيُؤْذَنُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وقَعْتُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّه، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رَأسَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ، فيَحُدَّ لي حدًّا، فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ إِلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي مِثْلَهُ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لي حدًّا، فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ، فَأَقُولُ: مَا بَقِيَ في النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ.

قال أَبو عبد اللَّه ـ أَي البخاري: (إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ) يعني قول اللَّه تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

شرح الحديث ٣٢٩ مأخوذ من شرح القسطلاني

أولاً: ذكر البخاري ـ رحمه الله تعالى لهذا الحديث إسنادين إلى قتادة عن أنس رضي الله عنه.

الأول: حدثه مسلم بن إبراهيم الفراهيدي البصري، حدثه هشام الدستوائي، حدثه قتادة، هو ابن دعامة.

.....

الثاني: قال له خليفة بن خياط العصفري، بضم العين، وسكون الصاد المهملتين وضم الفاء، البصري ـ وكان على سبيل المذاكرة أو التحديث ـ حدثه يزيد بن زريع مصغراً، أبو معاوية البصري، حدثه سعيد، هو ابن أبي عروبة، عن قتادة عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

وقوله: **(يجتمع المؤمنون الخ)** في هذا دليل على أن المؤمنين من الناس هم المفكرون في طلب الشفاعة، وهم الساعون إلى الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام.

وقوله: **(حتى يريحنا من مكاننا هذا)** ـ فيه إشارة إلى أن هذه الشفاعة في فصل القضاء، وقوله: **(لست هناكم)** أي لست في المنزلة التي تؤهلني للشفاعة.

قوله: **(ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم)** أي المحكي في القرآن بقوله تعالى:

﴿**رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين**﴾ أي أنك وعدتني أن تنجي أهلي، وأن ابني من أهلي، ولذا قال الله له: **(يا نوح إنه ليس من أهلك)** وقال: ﴿فلا تسألن ما ليس لك به علم﴾.

أي المراد بأهلك من آمن منهم وعمل صالحاً، وإن ابنك لم يؤمن بما أرسلتك به ولم يعمل صالحاً، بل هو عمل غير صالح، مبالغة بجعله نفس العمل غير الصالح، أو عمل غير صالح ـ على القراءة الأخرى.

وقوله: **(غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)** كناية عن عصمته ﷺ عن الوقوع في الذنوب.

وقوله: **(فيحد لي حداً)** أي يبين أقواماً أشفع فيهم، كأن يقول مثلاً: شفعتك فيمن أخل بالصلاة، أو فيمن يؤخرها عن أوقاتها مثلاً، أو غير ذلك من الأمور العامة، التي عبر عنها بقوله: **(فيحد لي حداً)**.

وفي القسطلاني ما يأتي:

واستشكل سياق هذا الحديث من جهة المطلوب، لأن الشفاعة المطلوبة، لأجل إراحتهم من طول الموقف يوم القيامة، لما يحصل لهم من ذلك من الكرب الشديد، لا للإخراج من النار.

وأجيب بأنه قد انتهت حكاية الإراحة عند لفظ: **(فيؤذن لي)** وأما ما بعده فهو زيادة على ذلك، قاله الكرماني.

وقال في فتوح الغيب: إيراد قصة واحدة في مقامات متعددة، بعبارات مختلفة، وأنحاء شتى، بحيث لا تغيير ولا تناقض البتة ـ من فصيح الكلام ـ وبليغه. وهو باب من الإيجاز المختص بالإعجاز، ويحتاج في التوفيق إلى قانون يرجع إليه، وهو أن يعمد إلى الاقتصارات المتفرقة، ويجعل لها أصل، فما نقص فيه من تلك المعاني شيء يلحق به. ا هـ. والله أعلم.

وأَخرج البخاري الحديث في كتاب الرقاق ـ باب ـ صفة الجنة والنار جـ ٨ ص ١١٦ قال أَبو عبد اللَّه البخاري.

(٣٣٠) حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَس ـ هو ابن مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُونَ: لَو اسْتَشْفَعْنَا عَلَى رَبَّنَا، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ الَّذِي خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّنَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، وَيَقُولُ: ائْتُوا نُوحاً، أَوَّلَ رَسُول بَعَثَهُ اللَّهُ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلاً، فَيَأْتُونَهُ، فيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، ائْتُوا مُوسَى، الَّذِي كَلَّمَهُ اللَّهُ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، فَيَذْكُرُ خِطِيئَتَهُ، ائْتُوا عِيسَى فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، ائْتُوا مُحَمَّداً ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَقَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُوني، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِداً، فَيَدعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ رأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِتَحْمِيد يُعَلِّمُنِي، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لي حَدًّا، ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَقَعُ سَاجِداً مِثْلَهُ، في الثَّالِثَةِ، أَوْ الرَّابِعَةِ، حَتَّى مَا بَقِيَ في النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ.

قال أَبو عبد اللَّه البخاري ـ رحمه اللَّه ـ: وكان قتادة يقول عند هذا: أَي وجب عليه الخلود. ا هـ.

شرح الحديث من القسطلاني جـ ٩ ص ٣١٧ كتاب الرقاق

(حدثنا مسدد) ـ بضم الميم، وتشديد الدال المفتوحة، هو ابن مسرهد.

(حدثنا أبو عوانة) الوضاح بن عبد الله اليشكري **(عن قتادة عن أنس هو ابن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يجمع الله الناس يوم القيامة)** وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: **(يجمع الله الناس: الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس من رؤوسهم فيشتد عليهم حرها)**.

(فيقولون: لو استشفعنا على ربنا) الاستشفاع طلب الشفاعة، و ـ لو ـ للتمني والطلب، فلا تحتاج إلى جواب، أو جوابها محذوف، أي لكان خيراً لنا، أو نحوه **(حتى يريحنا من مكاننا)** صريح في أن الاستشفاع لفصل القضاء والانصراف من الموقف الطويل، **(فيأتون آدم، فيقولون: أنت الذي خلقك الله بيده)** أي بقدرته دون واسطة **(ونفخ فيك من روحه)** التي

.....

استأثر بخلقها وإيصالها إلى جسمك دون واسطة ملك.

(وأمر الملائكة فسجدوا لك) إظهاراً لفضلك **(فاشفع لنا عند ربنا، فيقول: لست هناكم)** أي لست أهلاً لهذه المنزلة الرفيعة، وهي التقدم بالشفاعة **(ويذكر خطيئته)** وهي أكل الشجرة قال ذلك تواضعاً واعتذاراً عن الإجابة **(ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته)** وهي سؤاله ربه ما ليس له به علم **(ائتوا إبراهيم الذي اتخذه الله خليلاً)** فيأتونه فيقول: **(لست هناكم)**، ويذكر خطيئته أي إبراهيم، وفي رواية همام: **(إني كذبت ثلاث كذبات)** وزاد سفيان قوله: **(إني سقيم)** وقوله: **(بل فعله كبيرهم هذا)** وقوله لامرأته: **(أخبري الملك إني أخوك)** وهذه الثلاث من المعاريض، إلا أنها لما كانت صورتها صورة الكذب أشفق منها على نفسه.

قال القسطلاني ـ رحمه الله: وقد ألهم الله الناس سؤال آدم ومن بعده في الابتداء، ولم يلهموا سؤال نبينا محمد ﷺ أولاً، مع أن فيهم من سمع هذا الحديث منه ﷺ ـ وتحقق لديه اختصاصه ﷺ بذلك إظهاراً لفضيلة نبينا محمد ﷺ ورفعة منزلته، وكمال قربه، وتفضيله، على جميع المخلوقين ﷺ وشرف وعظم آمين.

وأخرج البخاري من كتاب الرقاق ـ باب: (الصراط جسر جهنم) جـ ٨ ص ١١٧ وَمَا بعدها.

(٣٣١) حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَان، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَن الزُّهْرِي، أَخْبَرَني سَعِيد وَعَطَاءُ ابْنُ يَزِيدَ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَخْبَرَهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وقال البخاري ـ رحمه اللَّه:

وَحَدَّثَنِي مَحْمُودُ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاق، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِي، عَنْ عَطَاءِ ابْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِي، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ ـ قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللَّه، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَة؟ فَقَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ في الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: هَلْ تُضَارُونَ في الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟ قَالُوا: لاَ، يَا رَسُولَ اللَّه، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتَّبِعْهُ فيَتَّبعُ مَنْ كان يَعْبُدُ الشَّمْسَ (أَي الشمس) وَيَتَّبعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ (أَي القمر) وَيَتَّبعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغيت (أَي الطواغيت)، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ، فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ في غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِينَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ في الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ، وَبِهِ كلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِم: فَمِنْهُمْ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخَرْدَلُ، ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ مِنَ النَّارِ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ: مِمَّنْ كَانَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوهُمْ، فيَعْرِفُونَهُمْ بِعَلاَمَة آثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ يَأْكُلَ مِنَ ابْنِ آدَمَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ ـ يُقَالُ لَهُ: مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّة في حَمِيلِ السَّيْلِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، قَدْ قَشَبَني رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو اللَّه، فَيَقُولُ: لَعَلَّكَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لاَ، وَعِزَّتِكَ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيَصْرِفُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ: يَا رَبِّ، قَرِّبْنِي إِلَى بَاب الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَلَسْتَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لاَ

تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ وَيْلَكَ ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلُنِي غَيْرَهُ، فَيَقُولُ: لاَ، وَعِزَّتِكَ، لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، فَيُعْطِي اللَّهَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهُ، فَيُقَرِّبُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا رَأَى مَا فِيهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، ثُمَّ يَقُولُ ـ أَي اللَّهُ ـ: أَوَ لَيْسَ قَدْ زَعَمْتَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، لاَ تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ ـ أَي اللَّه تعالى، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ أَذِنَ لَهُ بِالدُّخُول فيهَا، فَإِذَا دَخَلَ فيهَا قيلَ لَهُ: تَمَنَّ مِنْ كَذَا، فَيَتَمَنَّى، ثُمَّ يُقَالُ لهُ: تَمَنَّ مِنْ كذَا. فَيَتَمَنَّى حَتَّى تَنْقَطِعَ بِه الأَمَانِيَّ، فَيَقُولُ لَهُ؛ هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ.

قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخرُ أَهْلِ الْجَنَّة دُخُولاً.

قَالَ: وَأَبُو سَعيد الْخُدْرِيُّ جَالسٌ مَعَ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لا يُغَيِّرُ عَلَيْه شَيْئاً منْ حَدِيثِهِ، حَتَّى انْتَهَى إِلى قَولِهِ: (هَذَا لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ) ـ قَالَ أَبُو سَعِيد: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: حَفِظْتُ: (مِثْلُهُ مَعَهُ).

شرح الحديث مأخوذ من القسطلاني جـ ٨ ص ٣٣٠ وما بعدها

(حدثنا أبو اليمان) إلى آخره ـ ذكر البخاري للحديث سندين إلى أبي هريرة: الأول روى فيه الزهري عن رجلين: سعيد وعطاء بن يزيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه والثاني روى فيه الزهري عن عطاء بن يزيد فقط عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله: **(هل تضارون)** بتخفيف الراء، أي هل يضيركم ويضركم أحد، من الضير، بمعنى الضرر وبتشديد الراء من المضارة، أي هل تضرون أحداً، أو يضركم أحد، عند رؤية الشمس أو القمر دون حجاب، بمنازعة، أو مضايقة، أو تكذيب ومجاملة.

وقد روي **(هل تضامون)** بتشديد الميم، من الضم، وهو الازدحام، أي أنتم لا تزدحمون عند رؤيته، كما لا تزدحمون عند رؤية الشمس والقمر، لأن رؤيتهما متيسرة للجميع، وكل في مكانه دون زحمة.

وروي: **(هل تضامون)** بتخفيف الميم، من ضامه يضيمه، من الضيم، وهو الذل، أي لا يذل بعضكم بعضاً، بالمزاحمة والمنازعة.

وفي رواية: **(لا تضامون ـ أو تضاهون)** بالهاء، أي لا يشتبه عليكم، ولا ترتابون في رؤيته، ولا يعارض بعضكم بعضاً، بل تكونون على يقين أنكم رأيتم ربكم.

وفي رواية: **(هل تمارون)** بضم التاء ـ أي هل تجادلون في ذلك، أو يدخلكم شك ومرية في الرؤية ـ من المراء أي الجدال ـ أو المرية، بمعنى الشك.

.....

وروي بفتح التاء، **(وأصله: تتمارن)** فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً، وفي رواية البيهقي: **(تتمارون)** بإثبات التاءين على الأصل.

(وقوله: فإنكم ترونه كذلك) الكاف ليست لتشبيه المرئي، فليس لله شبيه، قال تعالى **﴿ليس كمثله شيء﴾** ـ وإنما هل لتشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح واليقين، وعدم المجادلة، ونفي الشك فيها.

ومعناه: أنها رؤية حقيقية، لا شك فيها، كما أن رؤية الشمس أو القمر دون حجاب لا شك فيها.

والطواغيت: جمع طاغوت، وهو الشيطان والصنم، أو كل طاغ، دعا الناس إلى عبادته.

وقوله: **(فيأتيهم ربهم... الخ)** الكلام في نسبة الإتيان وما أشبهه إلى الرب، يجري فيه مذهب السلف والخلف ـ وطريقة السلف في التشابه أسلم، لأنهم يؤمنون به، مع اعتقادهم تنزيه الله تعالى عن مشابهة الحوادث، ويفوضون تعيين المراد منه إلى الله تسالب، فيقولون: الله أعلم بذلك.

وأما طريقة الخلف ـ فيؤولون المتشابه، بصرفه عن معناه الحقيقي الموهم للتشبيه ـ إلى معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته.

فيقولون في الإتيان هنا: التجلي للعباد، حتى يروه بلا كيف ولا انحصار، وهذه هي الرؤية التي يعرفها المؤمنون الموحدون، فيقولون حينئذٍ: أنت ربنا ـ وأما الرؤية الأولى التي ينكرونها، فقد رجح القاضي عياض أن في الكلام مضافاً محذوفاً، أي فيأتيهم بعض ملائكة ربهم، ولذا قال: **(في غير الصورة التي يعرفون)**.

أي في غير الصفة التي يعرفونه بها في الدنيا. فينكرها المؤمنون، ويمتاز عنهم المنافقون الذين كانوا يدعون أنهم مع المؤمنين، ويكون ذلك امتحاناً لتمييزهم، ولأن المنافقين لا يستحقون الإكرام برؤية الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون﴾.

ويكون النبي ﷺ أول من يجوز على الصراط، وقال النووي ـ رحمه الله تعالى: **(أكون أنا وأمتي أول من يجوز على الصراط ويقطعه)**.

وقوله: **(وفي جهنم كلاليب)** أي خطاطيف، تخطف الناس بسبب أعمالهم، وهي الشهوات المشار إليها في حديث: **(حفت النار بالشهوات)** فمن وقع الدنيا في الشهوات، اختطفته الكلاليب فيقع في النار.

وشوك السعدان، بسكون العين، وفتح السين: نبات ذو شوك، إلا أن الكلاليب لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى:

وقوله: **(فمنهم الموبق بعمله)** الموبق بفتح الباء، على زنة اسم المفعول، أي المهلك

.....

بسبب عمله، وهو الكافر، **(ومنهم المخردل)** المخردل: هو المؤمن العاصي، ومعنى المخردل هنا المصروع.

وعند ابن ماجه مرفوعاً: **(ثم يستجيز الناس: فناج مسلم، ومخدوش به ثم ناج، ومحتبس به، ومنكوس فيها)**.

وفي حديث أبي سعيد: **(فناج مسلم، ومخدوش مكدوس في جهنم، حتى يمر آخرهم، فيسحب سحباً)**.

وقوله: **(قد امتحشوا)** أي أحرقوا وأسودوا، فيصب عليهم ماء، يقال له: ماء الحياة، أي ماء يكون سبباً في حياة من يصب عليه، فينبتون صافية أجسامهم، كصفاء الحبة بكسر الحاء ـ وهي من بزور الصحراء، حينما تنبت في حميل السيل، والحميل بكسر الميم: ما يحمله السيل من الغثاء، ويكون فيه الحبة، فتقع في جانب الوادي، فتصبح من يومها نابتة، فشبهوا بها، لسرعة إنباتها، وصفائها.

وقوله: **(يا رب: قد قشبني ريحها)** أي أهلكني ريحها، **(وأحرقني ذكاؤها)**! بالمد والقصر، أي لهبها واشتعالها، وشدة وهجها.

وقوله: **(ما أغدرك)** هو فعل تعجب من الغدر ونقض العهد، وترك الوفاء.

وقوله: **(فإذا رأى ما فيها)** في رواية شعيب: **(فإذا بلغ بابها، ورأى زهرتها، وما فيها من النضرة)** ـ ورؤية ما فيها: إما لأن جدارها شفاف، فيرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، ـ وإما أن يكون المراد بالرؤية العلم، بسبب سطوع ريحها الطيب، وأنوارها المضيئة، كما كان يحصل له أذى لفح النار، وهو من خارجها. ا هـ قسطلاني.

وقوله: **(سكت ما شاء الله أن يسكت)** أي سكت زماناً طويلاً، لا يعلم تقديره وتحديده إلا الله تعالى، وسكوته كان حياء من الله تعالى، أن يسأله شيئاً بعد أن أعطى ما أعطى من العهود والمواثيق، ولكنه يرجع، ويسأل الله تعالى، لأنه يغلب عليه الرجاء في عفو الله وفضله وكرمه، ولذا قال: **(يا رب، لا تجعلني أشقى خلقك)**.

ومعنى: **(لا تجعلني أشقى خلقك)** أي أشقى خلقك الذين أدخلتهم الجنة، فهو عام أريد به خاص، ومراده: أنه يصير أشقاهم إذا استمر خارجاً عن الجنة، وكونه أشقاهم ظاهر لو استمر خارج الجنة، وهم في داخلها. ا هـ قسطلاني.

وقوله: **(فلا يزال يدعو حتى يضحك)** أي يضحك الله عز وجل منه. قال القسطلاني: وهو مجاز عن لازمه وهو الرضا، أي حتى يرضى الله عنه، فإذا رضي أذن بالدخول فيها.

وقوله: **(قيل له: تمن من كذا الخ)** المعنى. أن الله تعالى يذكره بأجناس من الأشياء التي يكون بها النعيم، فلا يزال يتمنى، ويذكره ربه حتى تنقطع به الأماني، أي لم يبق في ضميره شيء يتمناه.

.....

وفي رواية أبي سعيد الخدري عند أحمد: **(فيسأل ويتمنى مقدار ثلاثة أيام من أيام الدنيا)**.

وقوله: **(وأبو سعيد جالس مع أبي هريرة)** المعنى: أن أبا هريرة كان يروي هذا الحديث عن رسول الله ﷺ، والحال أن أبا سعيد الخدري جالس يسمعه من أوله إلى آخره، ولم يغير شيئاً مما سمعه منه، إلا قوله عن النبي ﷺ: **(هذا لك ومثله معه)** أي كل ما تمنيته لك ومثله معه. قال له أبو سعيد الخدري: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(هذا لك وعشرة أمثاله)** فقال أبو هريرة: **(حفظت مثله معه)** ـ وجمع بينهما بأن أبا هريرة سمع أولاً الحديث كما حدث به، ثم حدث به النبي ﷺ مرة أخرى بما حدث به أبو سعيد منه، ويكون فضلاً من الله تعالى أخبر به النبي ﷺ. ا هـ شرح الحديث والله أعلم.

وأخرجه أَبو عبد اللَّه البخاري في كتاب التوحيد ـ باب قول اللَّه تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾ جـ ٩ ص ١٢١ وما بعدها:

(٣٣٢) حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ فُضَالَةَ، حَدَّثَنَا هِشَامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَس ـ هو ابن مالك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَجْمَعُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُون: يَا آدَمُ، أَمَا ترَى النَّاسَ؟ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، اشْفَعْ لَنَا إِلى رَبِّنَا، حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكَ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ، وَلٰكن ائْتُوا نُوحاً، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُول بَعَثَهُ اللَّهُ إِلى أَهْل الأَرْض، فَيَأْتُونَ نُوحاً، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتي أَصَابَ، وَلٰكن ائْتُوا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمٰن، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطَايَاهُ الَّتي أَصَابَهَا، وَلٰكِن ائْتُوا مُوسَى، عَبْداً آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَاةَ، وَكَلَّمَهُ تَكْلِيماً، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ لَهُمْ خَطِيئَتَهُ الَّتي أَصَابَ، وَلٰكَنْ ائْتُوا عِيسَى عَبْدَ اللَّهِ، وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَتَهُ وَرُوحَهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلٰكِنَ ائْتُوا مُحَمَّداً ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: عَبْداً غُفِرَ لَهُ مَا تقدَّمَ مِنْ ذنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فيَأْتُونني فأَنْطِلقُ، فأَسْتأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فيُؤْذنُ لي عَليْهِ، فإِذا رَأَيْتُ رَبِّي وَقعْتُ سَاجداً، فَيَدعُنِي مَا شاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقالُ لي: ارْفعْ مُحَمَّداً، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطهْ، وَاشفع تُشفَّعْ، فأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيها، ثُمَّ أَشْفعُ فيَحُدُّ لي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجعُ فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي، وَقَعْتُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لي حَدًّا، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجعُ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وقَعت سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُ رَبِّي بِمَحَامِدَ عَلَّمَنِيهَا رَبِّي، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لي حَدًّا. فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَرْجعُ، فَأَقُولُ:

شرح حديث الشفاعة الوارد في البخاري من كتاب التوحيد (باب قول الله: ﴿لما خلقت بيدي﴾)

قوله: **(يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك)** وهو بمعنى قوله في روايته في التفسير: **(يجتمع المؤمنون يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا الخ)** وهو المراد من قوله في كتاب

يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ فِي النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقرآنُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ.

قَالَ النَّبِيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ بُرَّةً، ثُمَّ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مَا يَزِنُ مِنَ الْخَيْرِ ذَرَّةً.

الرقاق: **(يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقولون: لو استشفعنا الخ)** فالمراد في الكل أن الله تعالى يجمع الناس يوم القيامة: المؤمنين منهم والكافرين، فيقول المؤمنون منهم: **(لو استشفعنا الخ)**، لأن المؤمنين هم أهل العقل والفكر فيفكرون فيما يكون وسيلة لنجاة الناس جميعاً من طول يوم الموقف، ووسيلة للبدء في فصل القضاء، فيسعون إلى الأنبياء المذكورين، يطلبون منهم الشفاعة لهم، ليقضي الله بينهم، فينصرفوا من هول الموقف، فيعتذر لهم المرسلون بما يعتذرون به، وما نسب إلى الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ـ من الخطايا فهو من باب التواضع وأن حسنات الأبرار سيئات المقربين وإلا فهم صلوات الله وسلامه عليهم معصومون من الوقوع في الخطايا والزلات، لأنه يجب لهم الأمانة. ـ وهي حفظ ظواهرهم وبواطنهم من الوقوع في المحرم والمكروه وخلاف الأولى.

واستئذان النبي ﷺ أولاً ـ يكون للشفاعة في فصل القضاء بين العباد، وهذه هي التي اختص بها نبينا محمد ﷺ، وهي المقام المحمود الذي وعده الله لمحمد ﷺ.

ثم يكون للنبي ﷺ شفاعات أخرى، كما يكون لغيره من الأنبياء والمرسلين صلى الله عليهم أجمعين شفاعات كثيرة.

وقد نبه في الحديث على شفاعات النبي ﷺ لإخراج من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله من النار، فيحد له أولاً حداً لقوم مخصوصين، وهم من كان في قلبه من الخير أي من الإيمان مثقال شعيرة من إيمان ثم يشفع ثانياً، فيحد له حداً في قوم هم أقل إيماناً من الأولين، وهم من كان في قلبه من الإيمان مثقال ذرة، أي حبة قمح، ثم يشفع ثالثاً، فيحد الله له حداً في قوم في قلبهم مثقال ذرة من إيمان **(والذرة: واحدة الذر وهو النمل الصغير، أو الهباء الذي يظهر في الشمس الداخلة من كوة)** ـ وفي الحديث بيان أفضلية نبينا محمد ﷺ وأمته ـ وفيه الرد على المعتزلة في نفيهم الشفاعة لأصحاب الكبائر، اللهم شفع فينا نبينا محمداً ﷺ. آمين.

من روايات حديث الشفاعة من البخاري

وقال أَبو عبد اللَّه البخاري ـ رحمه اللَّه ـ في كتاب التوحيد ـ باب قول اللَّه تعالى: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إِلى ربها ناظرة﴾ جـ ٩ ص ١٢٧ وما بعدها:

(٣٣٣) حَدَّثَنَا عَبْدَةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا حُسَيْنُ الْجُعْفِيُّ، عَنْ زَائِدَةَ، حَدَّثَنَا بَيَانُ بْنُ بِشْرٍ، عَنْ قَيْس بْن أَبي حَازِم، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ـ هو البجلي ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ لَيْلَةَ الْبَدْر، فَقَالَ: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لاَ تُضَامُّونَ في رُؤْيَتِهِ.

* * *

(٣٣٤) وقال البخاريُّ ـ رحمه اللَّه تعالى: حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْد، عَنْ ابْن شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بن يَزِيدَ اللَّيْثِيِّ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ تُضَارُّونَ في الْقَمَر لَيْلَةَ الْبَدْر؟ قَالُوا: لا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَهَلْ تُضَارُّونَ في الشَّمْس لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لاَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ. يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتْبَعْهُ: فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ ـ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبد الْقَمَرَ ـ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ ـ الطَّواغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا ـ أَوْ مُنَافِقُوهَا ـ شَكَّ إِبْرَاهِيمُ ـ أَي ابْنُ سَعْد ـ فَيَأْتِيهُمُ اللَّهُ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا، حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهُمُ اللَّهُ في صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتَّبِعُونَهُ ـ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُل يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ، سَلِّمْ، وَفي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَان غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلاَّ اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ: فَمِنْهُمْ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ ـ أَوْ الْمُوثَقُ بِعَمَلِهِ (أَوْ فَمِنْهُمُ الْمُؤْمِنُ بَقِيَ بِعَمَلِهِ ـ أَوْ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ) وَمِنْهُمُ الْمُخَرْدَلُ، ـ أَوْ الْمُجَازَى أَوْ نَحْوُهُ، ثُمَّ يَتَجَلَّى، ـ حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْل النَّار، أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّار مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمَّنْ يَشْهَدُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ في النَّار بِأَثَرِ السُّجُودِ، تَأْكُلُ النَّارُ ابْنَ آدَمَ، إِلاَّ أَثَرَ

السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّار قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ تَحْتَهُ، كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ في حَمِيل السَّيْل، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مِنْهُمْ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّار، هُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولاً الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللَّهَ، بِمَا شَاءَ أَنْ يَدْعُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لاَ، وَعِزَّتِكَ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُود وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَن النَّار، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا، سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ أَلَسْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ أَبَداً؟ وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، وَيَدْعُو اللَّه، حَتَّى يَقُولَ: هَلْ عَسَيْتَ ـ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ لا وَعِزَّتِكَ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي مَا شَاءَ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فإِذَا قَامَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ انْفقهتْ لهُ الْجَنَّةُ، فرَأَى مَا فِيها مِن الْحَبْرَةِ وَالسُّرُور، فيَسْكُتُ مَا شاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُت، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَلَسْتَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ لاَ أَكُونَنَّ أَشْقَى خلْقِك، فَلاَ يَزَالُ يَدْعُو حَتَّى يَضْحَكَ اللَّهُ مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ مِنْهُ قَالَ لَهُ: ادْخل الْجَنَّةَ، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ: تَمَنَّهْ، فَسَأَلَ رَبَّهُ وَتَمَنَّى، حَتَّى إِنَّ اللَّه لَيُذَكِّرُهُ، وَيَقُولُ لَهُ، تَمَنَّ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ: ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ. قَالَ عَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ: وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ مَعَ أَبِي هُرَيْرَةَ، لاَ يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئاً، حَتَّى إِذَا حَدَّثَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَالَ: ذَلِكَ لَكَ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ ـ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخَدرِيُّ: وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا حَفِظْتُ إِلاَّ قَوْلَهُ: ذَلِكَ لكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: أَشْهَد أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ذَلِكَ لَكَ، وَعَشْرَةُ أَمْثَالِهِ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ.

شرح حديثي ٣٣٣، ٣٣٤ من القسطلاني

قوله: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: **(إنكم سترون ربكم يوم القيامة... الخ)** تفيد هذه الرواية أن النبي ﷺ هو الذي ابتدأ إخبارهم بالرؤية، دون سؤال منهم، وتفيد الروايات الأخرى أنهم سألوه عن رؤية الله، فأجابهم بما أجاب. فلعل ذلك قد تكرر في حالات

.....

متعددة، سألوه في بعضها، فأجابهم بذلك وأخبرهم في بعضها بالرؤية، دون تقدم سؤال منهم، ولا حرج في ذلك والله أعلم.

وقوله: **(لا تضامون في رؤيته)** بتشديد الميم، أي لا تزدحمون عند رؤيته، حتى ينضم بعضكم إلى بعض من شدة الازدحام، كازدحامكم عند رؤية الهلال أول الشهر لدقته، ولكن إذا صار بدراً، فإن كل إنسان يراه وهو جالس في مكانه لشدة ظهوره، وقوله: **(فإنكم ترونه كذلك)** أي ترونه رؤية واضحة جلية بلا شك، وبلا مشقة وبلا اختلاف في تحققها، فالتشبيه لبيان تحقق الرؤية، ونفي الشك فيها. لأن الله تعالى يتنزه عن مشابهة الحوادث، فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقوله: **(ويتبع من كان يعبد الطواغيت: هي جمع طاغوت، وهي الشياطين، أو الأصنام، وفي الصحاح)** الطاغوت: الكاهن، أو كل رأس ضلال.

(وتبقى هذه الأمة) أي الأمة التي أجابت الدعوة ولو ظاهراً، **(فيها شافعوها ـ أو منافقوها ـ شك إبراهيم)** شافعوها: هم الذين يشفعون في هذه الأمة ـ أو قال: **(منافقوها)** ـ قال الحافظ ابن حجر: والأول هو المعتمد ـ أي رواية والله أعلم.

وقوله: **(فيأتيهم الله)** أي يظهر لهم على غير الصفة التي يؤمنون بها في الدنيا، أو يأتيهم ملك من ملائكته على الإسناد المجازي، نحو قطع الأمير اللص، ولذا قال فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، أي لست ربنا، فإن ربنا لا يشبه المخلوقات فإذا تجلى لنا ربنا بصفاته العلية التي تتنزه عن مشابهة صفات الحوادث عرفناه **(فيأتيهم ربهم في صورته التي يعرفون)** أي يتجلى الله تعالى لأوليائه بصفاته التي يعرفون عنه في الدنيا ـ وهو أنه منزه عن مشابهة الحوادث.

وهذه هي العلامة التي بها يعرفون ربهم، أي عرفهم الله تعالى بنفسه، وأزال عن أبصارهم الموانع ـ وقال في المصابيح: في صورته التي يعرفون، أي في علامة جعلها الله تعالى دليلاً على معرفته، والتفرقة بينه وبين مخلوقاته. فسمى الدليل والعلامة صورة مجازاً، كما تقول العرب: صورة أمرك كذا، وصورة حديثك كذا.

والأمر والحديث لا صورة لهما، وإنما يريدون حقيقة أمرك وحديثك، وكثيراً ما يجري على ألسنة الفقهاء، فيقولون: **(صورة هذه المسألة... كذا)**. ا هـ قسطلاني.

وقوله: **(ثم يتجلى)** أي يتبين، قال في الفتح: ويحتمل أن يكون بالخاء أي يخلى عنه، فيرجع إلى معنى: **(ينجو من الكلاليب)** ا هـ قسطلاني.

وقوله: **(حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد... الخ)** قال ابن المنير: الفراغ إذا أسند إلى الله تعالى يكون معناه القضاء وحلوله بالمقضى عليه، والمراد إخراج الموحدين من النار وإدخالهم الجنة، واستقرار أهل النار في النار.

وحاصلة أن معنى يفرغ الله أي من القضاء بعذاب من يفرغ عذابه، ومن لا يفرغ،

.....

فيكون إطلاق الفراغ بطريق المقابلة، وإن لم يذكر لفظها. ا هـ.

وقوله: **(أثر السجود)** أي موضعه، وهو الجبهة ـ أو مواضع السجود السبعة، ورجحه النووي لكن في مسلم: **(الإدارات الوجوه)** وهو كما قال عياض يدل على أن المراد بأثر السجود الوجه خاصة، ثم قال: ودل التنصيص على دارات الوجوه، أن الوجه كله لا تؤثر فيه النار إكراماً لمحل السجود. ا هـ قسطلاني باختصار.

وقوله: **(كما تنبت الحبة في حميل السيل)** الحبة بكسر الحاء من بزور الصحراء، وحميل السيل: ما يحمله من طين ونحوه يجيء به السيل، تكون فيه الحبة، فتقع في جانب الوادي فتصبح من يومها نابتة، فالتشبيه في سرعة الإنبات وطراوته وحسنه. ا هـ قسطلاني.

وقوله: **(انفقهت له الجنة)** بسكون النون، وفتح الفاء والهاء والقاف، أي انفتحت واتسعت، فرأى ما فيها من الحبرة والسرور، والحبرة بفتح الحاء، وسكون الباء الموحدة. أي من النعمة وسعة العيش ونحوه.

وقوله: **(لا أكونن أشقى خلقك)** بنون التوكيد، وروي بإسقاطها، أي أشقى أهل التوحيد الذين هم أبناء جنسه فيه. وقال الطيبي: كأنه قال: يا رب، أنا وإن أعطيت العهود والمواثيق، ولكن تأملت كرمك وعفوك ورحمتك ـ وقولك: ﴿لا تيأسوا من روح الله أنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾ فعلمت أني لست من الكفار الذين أيسوا من رحمتك، وطمعت في كرمك وسعة رحمتك، فسألتك ذلك، وكأنه تعالى رضي منه بهذا القول فضحك، كما قال: فما زال يدعو، حتى ضحك الله. ا هـ والله أعلم.

حديث الشفاعة من البخاري

وأَخرجه البخاري في كتاب التوحيد، من باب قول اللَّه تعالى: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إِلى ربّها نَاظِرَةٌ﴾ جـ ٩ ص ١٢٩ وما بعدها:

(٣٣٥) حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ بْنُ سَعْد، عَنْ خَالِد بْن يَزِيدَ عَنْ سَعِيدِ بْن أَبي هِلاَل، عَنْ زَيْد ـ هو ابن أَسلم ـ عَنْ عَطَاءِ بْن يَسَار عَنْ أَبي سَعِيد الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالْقَمَر، إِذَا كَانَتْ صَحْواً؟ قُلْنَا: لاَ، قَالَ فَإِنَّكُمْ لاَ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ يَوْمَئِذٍ، إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ في رُؤْيَتِهِمَا، ثُمَّ قَالَ: يُنَادي مُنَاد: لِيَذْهَبْ كُلُّ قَوْم إِلَى مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، فَيَذْهَبُ أَصْحَابُ الصَّلِيبِ مَعَ صَلِيبِهِمْ، وَأَصْحَابُ الأَوْثَانِ مَعَ أَوْثَانِهِمْ، وَأَصْحَابُ كُلِّ آلِهَةٍ مَعَ آلِهَتِهِمْ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ برٍّ أَوْ فَاجِرٍ، وَغُبَّرَاتٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِجَهَنَّمَ تُعْرَضُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ، فَيُقَالُ لِلْيَهُودِ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْراً ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ للَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ قَالُوا: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ في جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلنَّصَارَى: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللَّهِ، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، لَمْ يَكُنْ للَّهِ صَاحِبَةٌ وَلاَ وَلَدٌ، فَمَا تُرِيدُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نُرِيدُ أَنْ تَسْقِيَنَا، فَيُقَالُ: اشْرَبُوا، فَيَتَسَاقَطُونَ في جَهَنَّمَ، حَتَّى يَبْقَى مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا يَحْبِسُكُمْ وَقَدْ ذَهَبَ النَّاسُ؟ فَيَقُولُونَ: فَارَقْنَاهُمْ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَيْهِ الْيَوْمَ، وَإِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي: لِيَلْحَقْ كُلُّ قَوْم بِمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَإِنَّمَا نَنْتَظِرُ رَبَّنَا، قَالَ: فَيَأْتِيهِمُ الْجَبَّارُ في صُورَةٍ غَيْرَ صُورَتِهِ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، أَوَّلَ مَرَّة، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَلاَ يُكَلِّمُهُ إِلاَّ الأَنْبِيَاءُ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ تَعْرِفُونَهُ؟ فَيَقُولُونَ: السَّاقُ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ، فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، وَيَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للَّهِ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ كَيْمَا يَسْجُدُ، فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقاً وَاحِداً، ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ، فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ، وَكَلاَلِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ، لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْقَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهُ السَّعْدَانُ، الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا

كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ: فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ في نارِ جَهنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْباً، فمَا أَنْتُمْ بِأَشدَّ لي مُناشدَةً في الْحَقِّ قدْ تبَيَّن لكُمْ مِن الْمُؤْمِن يَومْئِذٍ لِلْجَبَّار، إذا رَأَوْا أَنَّهُم قدْ نجَوْا في إِخْوانِهِمْ، يَقُولُون: رَبَّنا إِخْوَانُنا، كانُوا يُصَلُّون مَعَنا، وَيَصُومُون مَعَنا، وَيَعْمَلُون مَعَنا، فيَقُولُ اللَّهُ تعَالَى: اذْهبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ في قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمان فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللَّهُ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّار، فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ في النَّارِ إِلَى قَدَمِه، وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْه، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عَرَفُوا، ثُمَّ يَعُودونَ فَيَقُولُ: اذْهَبُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ في قَلْبِه مثْقَالَ نصْف دينَارٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ مَنْ عرَفُوا، ثُمَّ يَعُودُونَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا، فمَنْ وَجَدْتُمْ في قَلْبه مِثْقالَ ذرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فأَخْرِجُوهُ، فيُخْرِجُون مَنْ عَرَفُوا.

قَالَ أَبُو سَعِيد: فإِنْ لمْ تُصَدِّقُوا فاقْرَؤوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقالَ ذرَّةٍ وَإِنْ تكُ حَسَنةً يُضاعِفْها﴾ فيَشْفعُ النَّبِيُّون وَالْمَلاَئِكَةُ وَالْمُؤْمِنُونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَقِيَتْ شَفَاعَتِي، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ أَقْوَاماً قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ في نَهرٍ بِأَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ في حَافَتَيْهِ، كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْلِ، قَدْ رَأَيْتُمُوهَا إِلَى جَانِبِ الصَّخْرَةِ: إِلى جَانِبِ الشَّجَرَةِ، فَمَا كَانَ إِلَى الشَّمْس مِنْهَا كَانَ أَخْضَرَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ كَانَ أَبْيَضَ، فَيَخْرُجونَ كَأَنَّهُمْ اللُّؤْلُؤُ، فَيُجْعَلُ في رِقَابِهِمُ الْخَوَاتِيمُ، فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلاءِ عُتَقَاءُ الرَّحْمٰنِ، أَدْخَلَهُمْ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ وَمِثْلُهُ مَعَهُ.

شرح حديث رقم ٣٣٥ مأخوذ من القسطلاني

قوله: **(فإنكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذ، إلا كما تضارون في رؤية الشمس والقمر، إذا كانت صحواً)**.

الكلام من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم، وهو من البلاغة. والمعنى المقصود: حيث أنكم لا تضارون في رؤية الشمس والقمر، إذا كانت السماء صحواً، كذلك لا تضارون في رؤية ربكم، فقد أتيت شيئاً من العيب، على تقدير أن رؤية الشمس وقت الصحو من العيب، وذلك التقدير محال، لأنه من كمال الرؤية دون ضرر، والتأكيد فيه من جهة أنه كدعوى الشيء ببينة. ا هـ قسطلاني.

وقوله: **(وغبرات أهل الكتاب)** هو بضم الغين، وتشديد الباء، أي بقايا أهل الكتاب،

.....

وهو مرفوع، أو مجرور ـ عطفاً على فاعل ـ يبقى ـ أو على المجرور قبله.

وقوله: **(فما تريدون؟)** ـ في رواية له في تفسير سورة النساء: **(فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا ربنا، فاسقنا، فيشار: ألا تردون، فيحشرون إلى النار كأنها سراب، يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار. ا هـ)**.

وقوله: **(كذبتم، لم يكن لله صاحبة ولا ولد)** أي كذبتم في أن عزيراً ابن الله، وفي أنه يستحق العبادة، وإذا فلا عبادة لكم صحيحة، بل كنتم على ضلال مبين.

وقوله: **(فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس، فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم)** لفظ الحديث في سورة النساء: ﴿فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم﴾.

ومعناها: نحن فارقنا أقاربنا وأصحابنا في الدنيا، وكنا أحوج إليهم في المعاش رغبة منا في مقاطعة أعدائك يا رب، فكان احتياجنا إليهم في الدنيا أشد من حاجتنا إليهم اليوم، فحيث لم نكن مصاحبين لهم في الدنيا، كراهية لما كانوا يعتقدون، لا نكون مصاحبين لهم في الآخرة، مع أنا في غنى عنهم. ولا يرجى من ورائهم نفع أبداً. ا هـ ملخصاً من القسطلاني ومن تقرير عليه.

قوله: **(فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها)**.

تقدم أن المراد بالصورة العلامة والدليل على معرفته تعالى، أو في صفة غير الصفة التي كانوا يعتقدون اتصافه بها.

وقوله: **(فيقولون: الساق، فيكشف عن ساقه)** ـ قيل: الساق تأتي بمعنى النفس، أي تتجلى لهم ذاته المقدسة. وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ في تفسير: ﴿يوم يكشف عن ساق﴾: هي الشدة من الأمر، والعرب تقول: **(قامت الحرب على ساق)** إذا اشتدت. وأصله أن العذارى اللاتي يحافظن على الستر إذا اعتراهن كرب شديد وخطب جسيم، هربن كاشفات عن سوقهن فصار كشف الساق كناية عن حدوث شدة زائدة عن الحد تذهل لها النفس.

وقال: أبو موسى الأشعري ـ رضي الله عنه: الساق النور، أو ما يتجدد للمؤمنين من الفوائد والألطاف الربانية، كما قاله ابن فورك، أو رحمة للمؤمنين، نقمة لغيرهم، كما قاله المهلب ا هـ قسطلاني.

وقوله: **(ثم يؤتى بالجسر)** روي بكسر الجيم وفتحها، وهو الصراط الذي ينصب على متن جهنم. وقوله: **(مدحضة مزلة)** أي هو مكان تدحض فيه الأقدام وتنزلق، وتزل ولا تثبت ـ والحسكة: نبات مفروش في الأرض. ذو شوك، يعلق بكل من يمر به، ـ وقد يتخذ مثله من الحديد.

(ومفلطحة) أي فيها عرض واتساع، وقال الأصمعي: واسعة الأعلى، دقيقة الأسفل.

وقوله: **(لها شوكة عقيقاء)** أي معوجة، وروي **(عقيقة)** بوزن كريمة وقوله: **(المؤمن**

.....

عليها كالطرف. . . الخ) أي يختلف حال المؤمنين في المرور على الصراط، فمنهم من يمر عليه كالطرف، أي كلمح البصر، ومنهم من يمر عليه كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر عليه كالريح العاصف، ومنهم من يمر عليه كجياد الخيل والركاب أي الإبل. فالناس في مرورهم عليه: منهم ناج: لا يمسه سوء، ومنهم ناج مخدوش أي ممزق اللحم من الكلاليب ـ أو مكدوس ـ أي مصروع، واقع في نار جهنم، حتى يمر آخرهم، أي آخر الناجين يسحب سحباً. ا هـ.

وقوله: **(فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق قد تبين لكم من المؤمن يومئذٍ للجبار)** أي لستم أيها المؤمنون في الدنيا ـ من جهة طلب الحق، إذا تبين لكم أنه لكم، لستم بأشد من طلب المؤمنين من الله، في شأن نجاة إخوانهم المؤمنين المعذبين في النار، وذلك يكون منهم إذا رأوا أنفسهم قد نجوا، وإخوانهم في النار فيطلبون من الله تعالى نجاة إخوانهم مثلهم، فيقولون: ربنا، إخواننا ـ أي هؤلاء إخواننا، كانوا في الدنيا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون كل الخيرات معنا، أي فندعوك ربنا أن تنجيهم من النار بفضلك كما أنجيتنا. فيقال لهم: **(اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه)**.

المقصود من ذلك: أن الله تعالى يقبل شفاعتهم في إخوانهم، ويأمرهم بإخراجهم من النار على ثلاث مراتب:

الأولى يخرجون من وجدوا في قلبه مثقال دينار من إيمان ـ الثانية: يخرجون من النار من وجدوا في قلبه مثقال نصف دينار من إيمان الثالثة: يخرجون من النار من وجدوا في قلبه مثقال ذرة من إيمان وقد حرم الله صورهم على النار، فيعرفونهم من صورهم ويجدون بعضهم قد غاب في النار إلى قدمه، وبعضهم قد غاب إلى أنصاف ساقيه.

ولما كان آخر من يخرجونهم من النار من وجدوا في قلبه مثقال ذرة ـ استشهد أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه بالآية، وقال: فاقرأوا إن شئتم: ﴿أن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها﴾.

وفي الحديث دليل على أن الأعمال القلبية تتجلى كالشيء المحسوس الذي يكون له مقدار يوزن ـ فالإيمان يعرفونه مقدار الدينار، ومقدار نصفه، ومقدار الذرة. والله أعلم وقوله: **(فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون. . . الخ)**.

والمراد: أن الله تعالى بعد أن يقبل شفاعات المكرمين من خلقه، يقول: بقيت شفاعتي وإطلاق الشفاعة على إخراج أهل النار بأمر الله من باب المشاكلة، والمراد: ما يكون منه تعالى من إخراج من يخرجهم من النار، دون شفاعة أحد من الخلق وأشار إلى هؤلاء بقوله: **(فيقبض قبضة من النار)** أي يقبض قبضة من أهل النار من المؤمنين المعذبين فيها، وهم أقوام من المؤمنين معهم مجرد الإيمان، ولم يؤذن لأحد في الشفاعة لهم، فيخرجهم الله تعالى بفضله، دون شفاعة أحد.

.....

وقوله: **(فيلقون في نهر بأفواه الجنة)** المراد بالأفواه: مفتتح المسالك لقصور الجنة، **(فينبتون في حافتيه)** أي في جانبيه، كما تنبت الحبة فيما يحمله السيل من طين ونحوه، فإذا استقرت الحبة على شط مجرى السيل نبتت في يوم وليلة، فشبه به لسرعة نباته، وحسنه.

وقوله: **(قد رأيتموها إلى جانب الصخرة الخ)** تمثيل للمحسوس الذي يرونه من الحبة في جانب الصخرة أو في جانب الشجرة، وتصوير لحال الحبة حين ظهورها من جهة الشمس ومن جهة الظل، فما يكون منها جهة الشمس يكون أخضر. وما يكون منها جهة الظل يكون أبيض، لأن الشمس لم تؤثر بأشعتها فيه. ا هـ.

وقوله: **(فيخرجون منها كأنهم اللؤلؤ)** أي مثل اللؤلؤ في الصفاء والنضارة والبياض ثم يحلون بخواتيم الذهب وغيره تكون أطواقاً في أعناقهم، علامة لهم بها يعرفون، ولذا يقول أهل الجنة إذا رأوهم: **(هؤلاء عتقاء الرحمٰن)** فإذا دخلوا الجنة ورأوا فيها أشياء كثيرة يقال لهم: **(لكم ما رأيتم ومثله معه)** والله أعلم. اللهم أدخلنا الجنة بعفوك ورحمتك آمين.

حديث الشفاعة من البخاري

أَخرجه البخاري من كتاب التوحيد ـ باب ـ قول اللَّه تعالى: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إِلى ربها ناظرة﴾ جـ ٩ ص ١٣١ وما بعدها.

وقال أَبو عبد اللَّه البخاري رحمه اللَّه تعالى:

(٣٣٦) وقال حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَال، حَدَّثَنَا هَمَّامُ بْنُ يَحْيَى، حَدَّثَنَا قَتَادَةُ عَنْ أَنَس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يُحْبَسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُهِمُّوا بِذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: لَو اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ، أَبُو النَّاس، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْماءَ كُلَّ شَيْءٍ، لِتَشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يُرِيحَنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، قَالَ: فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، قَالَ وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتي أَصَابَ: أَكْلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ، وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا، وَلكن ائْتُوا نُوحاً، أَوَّلَ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلى أَهْلِ الأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحاً، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتي أَصَابَ: سُؤَالَهُ رَبَّهُ بِغَيْرِ عِلْم، وَلكن ائْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمٰنِ، قالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ ثَلاَثَ كَلِمَات كَذَبَهُنَّ، وَلكن ائْتُوا مُوسَى عَبْداً آتَاهُ اللَّهُ التَّوْرَاةَ، وَكَلَّمَهُ وَقَرَّبَهُ نَجِيًّا، قَالَ: فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ، الَّتي أَصَابَ: قَتْلَهُ النَّفْسَ، وَلكن ائْتُوا عِيسَى، عَبْدَ اللَّه وَرَسُولَهُ، وَرُوحَ اللَّه وَكَلِمَتَهُ، قَالَ: فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلكن ائْتُوا مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَبْداً غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، فَيَأْتُونَنِي، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي في دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِداً، فَيَدَعُني مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، فَيَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْني عَلَى رَبِّي بِثَنَاءِ وَتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَأَخْرُجُ، فَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ، قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ أَيْضاً يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي في دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَ، قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بِثَنَاءٍ

وَتَحْمِيدٍ، يُعَلِّمُنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لي حَدًّا، فَأَخْرُجُ، فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّة، قَالَ قَتَادَةُ: وَسَمِعْتُهُ أَيْضاً يَقُولُ: فَأَخْرجُ، فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي في دَارِهِ، فَيُؤْذَنُ لي عَلَيْهِ، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يَقُولُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ قَالَ: فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأُثْنِي عَلَى رَبِّي بثَنَاءٍ وَتَحْمِيد يُعَلِّمُنِيهِ، قَالَ: ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيُحَد لي حَدًّا، فَأَخْرُجُ فَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، قَالَ قَتَادَةُ، وَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: فَأَخْرُجُ فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّار وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، حَتَّى مَا يَبْقَى في النَّارِ إِلاَّ مَنْ حَبَسَهُ الْقُرْآنُ. أَيْ وَجَبَ عَلَيْهِ الْخُلُودُ ـ قَالَ: ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ قال: وَهَذَا الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي وُعِدَهُ نَبِيُّكُمْ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

شرح حديث ٣٣٦ من القسطلاني

قوله: **(وقال حجاج بن منهال)** بكسر الميم، قال القسطلاني: ولعله سمعه منه في المذاكرة، أو نحوها. وقوله: **(يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك)** ـ روي بضم الياء من يهموا وكسر الهاء، من أهم الرباعي ـ وروي بفتح الياء، وضم الهاء من هم الثلاثي، ومعناه: حتى يحزنوا بذلك الحبس، فيقولون... الخ.

وقوله: **(أكله من الشجرة)** بدل من خطيئته أو بيان لها **(وقد نهى عنها)** أي والحال أنه قد نهى عنها أي عن الأكل منها بقوله تعالى: ﴿ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾

وقوله في نوح عليه السلام: **(ويذكر خطيئته التي أصاب: سؤاله ربه الخ)** بيان لخطيئته قوله: **(رب ان ابني من أهلي)** وكذا ما يأتي بعده في خليل الله إبراهيم عليه السلام في قوله: **(ويذكر ثلاث كذبات)** كما هو في رواية: إحداها.

قوله: **(إني سقيم)** والثانية قوله: **(بل فعله كبيرهم هذا)** والثالثة في شأن سارة: **(هي أختي)** وهذه في الحقيقة ليست كذباً بل هي معاريض، لكن لما كانت صورتها صورة الكذب أشفق على نفسه منها، وكلما كان العبد أعرف بربه كان أشد خوفاً له من غيره. ا هـ.

وقوله: **(فاستأذن على ربي في داره)** أي في جنته التي اتخذها داراً لأوليائه وأضافها إليه تشريفاً. ا هـ قسطلاني.

أي فهو كقولك في المسجد: هو بيت الله، ويقال في الكعبة: بيت الله، وذلك كله لتشريفها، وللتنويه بمكانة من يعظمها ويطهرها، وقد قال الله تعالى:

﴿وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل إن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود﴾.

قوله: **(قال قتادة: وقد سمعته أيضاً يقول... الخ)** المعنى: أن قتادة روى عن أنس قول النبي ﷺ: **(فأخرج ـ أي من داره ـ فأدخلهم الجنة)** كما أنه روي أيضاً عن أنس زيادة

.....

هي قوله: **(فأخرج، فأخرجهم من النار، وأدخلهم الجنة)**.

ثم الاستئذان الذي يكون منه ﷺ: هو استئذانه ربه في الشفاعة، لقوله تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ ولذلك كان ﷺ بعد أن يؤذن له يقدم بين يدي شفاعته السجود لله، ثم الثناء عليه، ثم التحميد له تعالى، مقدمة للشفاعة.

وقوله: **(فيؤذن لي عليه)** أي يؤذن لي في التقدم إلى الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ وقال: ﴿وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى﴾.

وقوله: **(إلا من حبسه القرآن)** أي من وجب عليه الخلود في النار، وهم الكفار، الذين قال الله فيهم: ﴿**خالدين فيها أبداً**﴾ وأنهم ليسوا أهلاً للمغفرة، لقوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ ـ فليس هناك من يجرؤ على الإقدام للشفاعة لهؤلاء الكفرة، لأنهم لا شفيع لهم، قال تعالى: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾ على معنى نفي الشفاعة لهم أصلاً ـ على أنه لو فرض المستحيل، وجاء من يشفع لهم، فما تنفعهم شفاعته، لأنها غير مقبولة، حيث كانت دون إذن، كما قال تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ قوله: **(ثم تلا الآية)** الظاهر أن الذي تلا الآية هو النبي ﷺ ـ ثم قال النبي ﷺ بعد تلاوة الآية: **(وهذا المقام المحمود)** أي هو المقام المحمود **(الذي وعده نبيكم ﷺ)** أي الذي وعده الله نبيكم في قوله: ﴿**ومن الليل فتجهد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً**﴾ ـ والظاهر أن الإشارة لما تقدم من الشفاعات التي منها ـ بل أعظمها الشفاعة للناس في فصل القضاء، ليريحهم من كرب الموقف وطوله، اللهم إنا نسألك أن تشفع فينا نبينا محمد ﷺ أمين. والحمد لله رب العالمين. ا هـ.

وأَخرجه البخاري رحمه اللَّه في كتاب التوحيد ـ باب «كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأَنْبياءِ) جـ ٩ ص ١٤٦ وما بعدها:

(٣٣٧) حَدَّثَنَا يُوسُفُ بْنُ رَاشِدٍ، حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ عَيَّاش، عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَساً ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، شُفِّعْتُ، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، أَدْخِلْ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ في قَلْبه خَرْدَلَةٌ، فَيَدْخُلُونَ، ثُمَّ أَقُولُ: أَدْخِلِ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ أَدْنَى شَيْءٍ ـ فَقَالَ أَنَسٌ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَصَابع رَسُول اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

شرح حديث ٣٣٧ من القسطلاني

(يوسف بن راشد) هو يوسف بن موسى بن راشد القطان الكوفي، نزيل بغداد **(حدثنا أحمد بن عبد الله)** اليربوعي، روى عنه البخاري بغير واسطة في الوضوء **(حدثنا أبو بكر بن عياش)** بالياء المثناة المشددة، وبالشين القارىء راوي عاصم أحد القراء **(عن حميد)** بضم الحاء وفتح الميم الطويل أنه قال: **(سمعت أنسا ـ رضي الله عنه ـ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: إذا كان يوم القيامة، شفعت)** بضم الشين، وكسر الفاء المشددة من التشفيع، وهو تفويض الشفاعة إليه والقبول منه، وفي رواية: **(شفعت)** بالبناء للفاعل، مع التخفيف **(فقلت: يا رب، أدخل الجنة)** من الإدخال فهو رباعي بهمزة قطع **(من كان في قلبه خردلة)** أي مثقال خردلة من إيمان ـ وفي الرواية: **(إن الله تعالى هو الذي يقول ذلك)**، وهو المعروف في سائر الأخبار **(فيدخلون)** الجنة **(ثم أقول يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه أدنى شيء)** أي من إيمان ـ وهو التصديق الذي لا بد منه لتحقيق الإيمان ـ فقال أنس ـ رضي الله عنه: **(كأني أنظر إلى أصابع رسول الله ﷺ)** أي حيث يقلله عند قوله: **(أدنى شيء، ويشير إلى رأس أصابعه بالقلة)** ـ قال القسطلاني: سائر الروايات فيها: أن الله يأمره أن يخرج الخ. وفي مستخرج أبي نعيم: **(أشفع يوم القيامة، فيقال لي: لك من كان في قلبه شعيرة، ولك من في قلبه خردلة، ولك من في قلبه شيء)** قال: فهذا من كلام الرب تعالى من النبي ﷺ، والجمع بينهما أن النبي يسأل أولاً ثم يجاب إلى ذلك ثانياً والله أعلم. اهـ.

حديث الشفاعة

أَخرجه أَبو عبد اللَّه البخاري ـ رحمه اللَّه في كتاب التوحيد ـ باب (كلام الرب ـ عز وجل يوم القيامة مع الأَنبياءِ وغيرهم) جـ ٩ ص ١٤٦ وما بعدها:

(٣٣٨) حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْد، حَدَّثَنَا مَعْبَدُ بْنُ هِلاَل الْعَنَزِيُّ، قَالَ: اجْتَمَعْنَا نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، فَذَهَبْنَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ وَذَهَبْنَا مَعَنَا بِثَابت الْبُنَانيِّ إِلَيْهِ، يَسْأَلُهُ لَنَا عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَإِذَا هُوَ في قَصْرِهِ، فَوَافَقْنَاهُ يُصَلِّي الضُّحَى، فَاسْتَأْذَنَّا، فَأَذِنَ لَنَا وَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ. فَقُلْنَا لِثَابِتٍ لاَ تَسْأَلْه عن شَيْءٍ أَوَّل مِنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْزَةَ، هَؤُلاَءِ إِخْوَانُكَ مِنْ أَهْل الْبَصْرَةِ جَاءُوكَ، يَسْأَلُونَكَ عَنْ حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ؟ ـ فَقَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ في بَعْض، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِإِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّهُ خَلِيلُ الرَّحْمٰنِ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُوسَى، فَإِنَّهُ

شرح الحديث ٣٣٨ من القسطلاني

(البناني) نسبة إلى بنائه بضم الباء الموحدة وتخفيف النون، أمة لسعد بن لؤي كانت تحضنه، فنسب إليها ـ أو زوجته ـ أو سكة بالبصرة، كان ينزلها فنسب إليها وفيه تقديم الرجل الذي هو من خاصة العالم ليسأله.

وقوله: **(ماج الناس)** أي اضطربوا من شدة هول ذلك اليوم.

وقوله: **(ولكن عليكم بإبراهيم)** قال القسطلاني: في الأحاديث السابقة: **(فيقول آدم عليكم بنوح)** ولم يذكر هنا نوحاً. ا هـ.

نقول لعل آدم عليه السلام يقول: **(ائتوا نوحاً أو إبراهيم، فاقتصر معظم الرواة على نوح)**، لأنه الذي يليه قبل إبراهيم، أو لعل بعض الرواة هنا أسقط نوحاً نسياناً. والله أعلم.

وقوله: **(فاستأذن على ربي... الخ)** أي استأذن على ربي في الأقدام على الشفاعة العامة التي وعده بها، وهي الشفاعة في فصل القضاء، ففي الكلام حذف.

وفي مسند البزار: **(أنه ﷺ يقول: يا رب عجل على الخلق الحساب)** ا هـ.

أي ثم تذهب كل أمة مع من كانت تعبده، ويؤتى بجهنم وبالموازين، وتتناثر الصحف. وينصب الصراط، إلى غير ذلك مما سيكون من الأهوال، ويدخل العصاة النار.

كَلِيمُ اللَّه، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِعِيسَى؛ فَإِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْت لَهَا، ولكن عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّد ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْتُونَني، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا، لاَ تَحْضُرُني الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَة مِنْ إِيمَان، فأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلْ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِداً، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي، أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّة ـ أَوْ خَرْدَلَة مِنْ إِيمَان، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ سَاجِداً، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتي، أُمَّتي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ، فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَال حَبَّةِ خَرْدَل مِنْ إِيمَان، فَأَخْرِجْهُ مِنْ النَّار،

ثم بين الشفاعات الأخرى، فقال: **(ويلهمني ربي محامد، أحمده بها، لا تحضرني الآن الخ)** وقوله: **(أدنى أدنى أدنى)** في بعض النسخ مرتين، وللكشميهني ثلاث مرات.

قال القسطلاني: وفائدة التكرار التوكيد في القلة، أي فهو بالغ أقصى المبالغة في الأدنى من الإيمان، الذي هو التصديق. **(فأخرج منها)** لأبي ذر: **(أخرج من النار)** بتكرارها في المواضع الثلاثة **(لو مررنا بالحسن البصري، وهو متوار في منزل أبي خليفة)** أي مختف في منزل أبي خليفة الطائي البصري خوفاً من الحجاج بن يوسف الثقفي.

وقوله آخراً: **(لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله)** أي مع محمد رسول الله.

وفي مسلم: **(أئذن لي فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: ليس ذلك لك، ولكن وعزتي وكبريائي، وعظمتي وجبريائي، لأخرجن من قال: لا إله إلا الله)** أي ليس ذلك لك ولكن أفعل أنا ذلك، تعظيماً لاسمي، وإجلالاً لتوحيدي.

والمراد: إخراج من قال: **(لا إله إلا الله)** من النار إذا كان مصدقاً لها بقلبه، ليخرج المنافق الذي يقولها بلسانه، دون تصديق بقلبه ـ ولذا قال النبي ﷺ: **(أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة: من قال: لا إله إلا الله صادقاً مصدقاً بها من قلبه أو من نفسه)** ـ والمختص بشفاعة الله تعالى من قالها مصدقاً، وإن لم يثمر عليه تصديقه بعمل من أعمال الخير. والذي يشفع له النبي ﷺ: من أثمر عليه تصديقه بعمل الخير، قال ذلك في شرح المشكاة. ا هـ والله أعلم.

فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ـ فَلَمَّا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدَ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُلْتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا: لَوْ مَرَرْنَا بِالْحَسَن، وَهُوَ مُتَوَارٍ فِي مَنْزِلِ أَبِي خَلِيفَةَ، فَحَدَّثْنَاهُ بِمَا حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِك. فَأَتَيْنَاهُ، فَسَلَّمْنَا عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَنَا، فَقُلْنَا لَهُ: يَا أَبَا سَعِيد، جِئْنَاكَ مِنْ عِنْدَ أَخِيكَ أَنِس بْن مَالِك، فَلَمْ نَرَ مِثْلَ مَا حَدَّثَنَا فِي الشَّفَاعَة، فَقَالَ: هِيهِ، فَحَدَّثْنَاهُ بِالْحَدِيثِ، فَانْتَهَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِع، فَقَالَ: هيه، فَقُلْنَا لَهُ: لَمْ يَزِدْ عَلَى هَذَا، فَقَالَ: لَقَدْ حَدَّثَنِي ـ وَهُوَ جَمِيعٌ ـ مُنْذُ عِشْرِينَ سَنَةً، فَلاَ أَدْرِي: أَنِسِيَ، أَمْ كَرِهَ أَنْ تَتَّكِلُوا، فَقُلْنَا: يَا أَبَا سَعِيد، فَحَدِّثْنَا، فَضَحِكَ، وَقَالَ: خُلِقَ الإِنْسَانُ عَجُولاً، مَا ذَكَرْتُهُ إِلاَّ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُحَدِّثَكُمْ، حَدَّثَنِي كَمَا حَدَّثَكُمْ بِهِ، قَالَ: ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِداً، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لي فِيمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَيَقُولُ: وَعِزَّتي وَجَلاَلي، وَكِبْرِيَائي وَعَظَمَتِي: لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ.

بسْم اللَّهِ الرَّحْمٰن الرَّحيم

(ثانياً) وهذه روايات حديث الشفاعة من صحيح الإمام مسلم باب (إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم سبحانه وتعالى) الباب ص ١٠٥، الحديث ص ١٠٧ جـ ٢ هامش القسطلاني.

(٣٣٩) حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ اللَّيْثِي. أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَخْبَرَهُ أَنَّ نَاساً قَالُوا لِرَسُول اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ تُضَارُّونَ ـ (أَوْ هَلْ تُضَامُّونَ) في الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قَالُوا: لا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ في الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئاً فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ ـ الشَّمْسَ، وَيَتَّبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ ـ الْقَمَرَ، وَيَتَّبِعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ ـ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ، فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، في صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ الَّتي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ في صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتَّبِعُونَهُ ـ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ نُجِيزُ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ، مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَان، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شوْكِ السَّعْدَان، غيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ مَا قدْرُ عِظمِها إِلاَّ اللَّهُ، تخْطفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فمِنْهُمْ الْمُؤْمِنُ بَقيَ بَعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُجَازَى حَتَّى يَنْجَى، ـ حَتَّى إِذَا فَرَغَ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّار مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً، مِمَّنْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْحَمَهُ، ممَّنْ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، فَيَعْرِفُونَهُمْ في النَّارِ، وَيَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السُّجُود، تَأْكُلُ النَّارُ مَن ابْن آدَمَ، إِلاَّ أَثَرَ السُّجُود، حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّار أَنْ تَأْكُلُ أَثَرَ السُّجُود، فَيُخْرُجُونَ منَ النَّار، قَد امْتَحِشُوا، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ منْهُ، كَمَا تَنْبُتُ الْحبَّةُ في حَميلِ السَّيْل، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ منَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلُ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْل الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ،

فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَأَنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللَّهَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَلْ عَسَيْتُ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَنِي غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لا أَسْأَلُكَ غَيْرَه، وَيُعْطِي، رَبَّهُ من عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللَّهُ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَن النَّار، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الْجَنَّةِ وَرَآهَا، سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتُ ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إِلَى بَاب الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ، لاَ تَسْأَلُنِي غَيْرَ الَّذِي أَعْطَيْتُكَ؟ وَيْلَكَ يَا ابْن آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، وَيَدْعُو اللَّه، حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تسْأَلَ غيْرَهُ؟ فيَقُولَ: لاَ، وَعِزَّتِك، فيُعْطِي رَبَّهُ مَا شاءَ مِنْ عُهُود وَمَوَاثِيقَ، فيُقدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فإِذَا قامَ عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ، انْفقهتْ لهُ الْجَنَّةُ، فرَأَى مَا فِيها مِن الْخيْرِ وَالسُّرُور، فيَسْكُتُ مَا شاءَ اللَّهُ، أَنْ يَسْكُت، ثُمَّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّة، فيَقُولُ اللَّهُ ـ تبَارَك وَتَعَالَى لهُ: أَلَيْسَ قدْ أَعْطيْت عُهُودَك وَمَوَاثِيقك أَنْ لاَ تسْأَلَ غيْرَ مَا أَعْطيْت؟ وَيْلك يَا ابْن آدَمَ، مَا أَغْدَرَك، فيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، لاَ أَكُونُ أَشْقى خلْقِك، فَلا يَزالُ يَدْعُو اللَّهَ، حَتَّى يَضْحَك اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مِنْهُ، فإِذا ضحِك اللَّهُ مِنْهُ، قالَ: ادْخُل الْجَنَّة، فإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللَّهُ لَهُ: تَمَنَّهْ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى، حَتَّى إِنَّ اللَّهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الأَمَانيُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ.

* * *

قَال عطَاءُ بْنُ يزِيد: وأَبُو سعِيد مع أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ لاَ يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِهِ شَيْئاً، حَتَّى إِذَا حَدَّث أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ قَالَ لِذَلِكَ الرَّجُل: وَمِثْلُهُ مَعَهُ، قَالَ أَبُو سَعِيد: (وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ مَعَهُ، يَا أَبَا هُرَيْرَةَ) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: مَا حَفِظْتُ إِلاَّ قَوْلَهُ: (ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ) ـ قَالَ أَبُو سَعِيد: أَشْهَدُ أَنِّي حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَوْلَهُ: (ذَلِكَ لَكَ، وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ) ـ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ.

بيان المشكل والغريب في حديث مسلم

مأخوذ من شرح الإمام النووي على صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٠٨ هامش القسطلاني

قال الإمام النووي ـ رحمه الله ـ: قوله: **(هل تضارون في القمر ليلة البدر)** قال:

وفي الرواية الأخرى: **(هل تضامون)** ـ وروي: **(هل تضارون)** ـ بتشديد الراء،

.....

وبتخفيفها، والتاء مضمومة فيهما.

ومعنى المشدد: هل تضارون غيركم في حال الرؤية بزحمة أو مخالفة في الرؤية أو غيرها، لخفائه، كما تفعلون أول ليلة من الشهر.

ومعنى المخفف: هل يلحقكم في رؤيته ضير ـ وهو الضرر.

وروي أيضاً: **(هل تضامون)** بتشديد الميم، وتخفيفها، فمن شددها فتح التاء، ومن خففها ضم التاء، ومعنى المشدد: هل تتضامون، وتتلطفون في التوصل إلى رؤيته؟

ومعنى المخفف: هل يلحقكم ضيم، وهو المشقة والتعب.

قال القاضي عياض ـ رحمه الله تعالى: وقال فيه بعض أهل اللغة: تضامون أو تضارون ـ بفتح التاء، وتشديد الراء.

وأشار القاضي بهذا إلى أن غير هذا القائل يقولهما بضم التاء: سواء شدد أو خفف، وكل هذا صحيح ظاهر المعنى.

وفي رواية للبخاري: **(لا تضامون ـ أو لا تضارون)** على الشك، ومعناه: لا يشتبه عليكم وترتابون فيه، فيعارض بعضكم بعضاً في رؤيته والله أعلم. ا هـ منه.

وقوله: **(فإنكم ترونه كذلك)** معناه: تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح، وزوال الشك والمشقة والاختلاف. ا هـ منه.

وقوله: **(الطواغيت)** جمع طاغوت، قال الليث وأبو عبيدة والكسائي، وجماهير أهل اللغة: الطاغوت، كل ما عبد من دون الله تعالى.

وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ ومقاتل والكلبي الطاغوت الشيطان، وقيل: الأصنام ـ وقال الواحدي: الطاغوت يكون جمعاً وواحداً، ويؤنث ويذكر، قال الله تعالى: ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به﴾ فهذا في الواحد، وقال تعالى في الجمع: ﴿والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾.

وقال في المؤنث: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها﴾ ـ قال الواحدي: ومثله من **(الأسماء الفلك)** أي تقع للواحد وللمتعدد.

وقوله: **(وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها)** قال العلماء: إنما بقوا في زمرة المؤمنين لأنهم كانوا في الدنيا مستترين بهم، فيستترون بهم أيضاً في الآخرة، وسلكوا مسلكهم، ودخلوا في جملتهم وتبعوهم ومشوا في نورهم، حتى ضرب بينهم بسور له باب، باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قبله العذاب، وذهب عنهم نور المؤمنين، قال بعض العلماء: هؤلاء هم المطرودون عن الحوض، الذين يقال لهم: سحقاً، سحقاً، والله أعلم. ا هـ منه.

وقوله ﷺ: **(فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون... إلى قوله: فيتبعونه)**.

قال النووي ـ رحمه الله تعالى: اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات

.....

الصفات قولين: ـ أحدهما ـ وهو مذهب معظم السلف ـ أو كلهم ـ أنه لا يتكلم في معناها، بل يقولون: يجب علينا أن نؤمن بها، ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته، مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء وأنه منزه عن التجسم والانتقال، والتحيز في جهته، ومنزه عن سائر صفات المخلوق.

وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين: واختاره جماعة من محققيهم، وهو أسلم.

والقول الثاني ـ وهو مذهب المتكلمين: أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها، وإنما يسوغ ذلك التأويل لمن كان من أهله، عارف بلسان العرب، وقواعد الأصول والفروع، ذا رياضة في العلم. ا هـ.

فعلى هذا المذهب يقال في قوله ﷺ: **(فيأتيهم الله في صورة الخ)**.

إن الإتيان عبارة عن رؤيتهم إياه، لأن العادة أن من غاب عن غيره لا يمكن رؤيته إلا بالإتيان والمجيء، فعبر بالإتيان والمجيء هنا عن الرؤية مجازاً ـ وقيل: الإتيان فعل من أفعال الله تعالى، سماه اتياناً.

وقيل: المراد بيأتيهم الله: أي يأتيهم بعض ملائكته. ا هـ.

قال القاضي عياض ـ رحمه الله تعالى: هذا الوجه أشبه عندي بالحديث، قال: ويكون هذا الملك الذي جاءهم في الصورة التي أنكروها، من سمات الحدوث الظاهرة على الملك والمخلوق.

قال: أو يكون معناه: يأتيهم الله في صورة، أي يأتيهم الله بصورة ويظهر لهم من صور ملائكته ومخلوقاته، التي لا تشبه صفات الإله، ليختبرهم، وهذا آخر امتحان المؤمنين، فإذا قال لهم هذا الملك ـ أو هذه الصورة: أنا ربكم رأوا عليه من علامات المخلوق ما ينكرونه، ويعلمون أنه ليس ربهم، ويستعيذون بالله منه. ا هـ نووي.

وقوله: **(فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون)** قال: فالمراد بالصورة هنا: الصفة، ومعناه: فيتجلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ لهم على الصفة التي يعلمونها ويعرفونها، وإنما عرفوه بصفته، وإن لم تكن تقدمت لهم رؤية له سبحانه وتعالى، لأنهم يرونه لا يشبه شيئاً من مخلوقاته، وقد علموا أنه لا يشبه شيئاً من مخلوقاته، فيعلمون أنه ربهم، فيقولون: أنت ربنا.

وإنما عبر بالصورة عن الصفة، لمشابهتها إياها، ولمجانسة الكلام، فإنه تقدم ذكر الصورة ـ وأما قولهم: نعوذ بالله منك، فإنما استعاذوا بالله منه، لكونهم رأوا سمات المخلوق عليه. ا هـ.

وأما قوله: **(فيتبعونه)** فمعناه: يتبعون أمره إياهم بذهابهم إلى الجنة، أو يتبعون ملائكته الذين يذهبون بهم إلى الجنة. والله أعلم. ا هـ نووي.

.....

وقوله: **(ويضرب الصراط بين ظهري جهنم)** معناه: يمد الصراط عليها.

وفي هذا إثبات للصراط، ومذهب أهل الحق إثباته، وقد أجمع السلف على إثباته، وهو جسر على متن جهنم، يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم أي منازلهم والآخرون يسقطون في جهنم ـ أعاذنا الله تعالى منها بمنه وفضله وكرمه. آمين.

وقوله: **(ودعوى الرسل يومئذٍ: اللهم سلم سلم)** هذا من كمال شفقتهم ورحمتهم للخلق ـ وفيه أن الدعوات تكون بحسب المواطن فيدعي في كل موطن بما يليق به **(وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان)** الكلاليب: جمع كلوب، وهو حديدة معطوفة الرأس، يعلق فيها اللحم، وترسل في التنور به.

وقال صاحب المطالع: هي خشبة في رأسها عقافة حديد، وقد تكون حديداً كلها، ويقال لها أيضاً كلاب.

وأما السعدان بفتح السين وسكون العين، فهو نبت له شوكة عظيمة مثل الحسك من كل الجوانب، وقوله: **(تخطف الناس بأعمالهم)** تخطف بفتح الطاء، ويجوز كسرها، يقال: خطف يخطف من باب علم يعلم، ويقال: خطف يخطف من باب ضرب يضرب، والأول أفصح، أي تخطف الناس بسبب أعمالهم القبيحة، أو تخطفهم على قدر أعمالهم. والله أعلم.. وقوله: **(فمنهم المؤمن بقي بعمله... الخ)** قال القاضي عياض ـ رحمه الله: روي على ثلاثة أوجه: أحدها ـ **(المؤمن بقي بعمله)** بالميم والباء ـ الثاني ـ **(الموثق بعمله)** بالمثلثة. ـ الثالث ـ **(الموبق أي بعمله)** ـ ورواه بعضهم: **(المخردل)** أي المقطع بالكلاليب يقال: خردلت اللحم أي قطعته وقيل: خردلت بمعنى صرعت. وزاد بعضهم في رواية للبخاري: **(المجردل)** بالجيم أي المشرف على الهلاك والسقوط. ا هـ من النووي.

وقوله: **(تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود)** ظاهر هذا أن النار لا تأكل جميع أعضاء السجود السبعة وهكذا قاله بعض العلماء، وأنكره القاضي عياض، وقال: المراد بأثر السجود الجبهة خاصة. والله أعلم **(وقوله: انفقهت له الجنة)** أي انفتحت واتسعت، وقوله: **(حتى يضحك الله منه)** قال العلماء: ضحك الله منه: هو رضاه بفعل عبده ومحبته إياه، وإظهار نعمته عليه، وإيجابها له. والله أعلم. ا هـ نووي **(حتى إن الله ليذكره من كذا وكذا)** معناه يقول له: تمن من الشيء الفلاني والشيء الفلاني ويسمي أنواعاً له. ا هـ نووي على مسلم.

بقية روايات مسلم في حديث الشفاعة

(٣٤٠) قال: وَحَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، قَالَ: هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وذكر أحاديث، منها:

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنَّ أَدْنَى مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى، وَيَتَمَنَّى، فَيَقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ لَهُ: فَإِنَّ لَكَ مَا تَمَنَّيْتَ، وَمِثْلَهُ مَعَهُ).

* * *

(٣٤١) حَدَّثَني سُوَيْدُ بْنُ سَعِيد، حَدَّثَني حَفْصُ بْنُ مَيْسَرَةَ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، عَنْ أَبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ نَاساً في زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بالظَّهِيرَة صَحْواً لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ؟ وَهَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْواً، لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟ قَالُوا: لاَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: مَا تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ اللَّهِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتْبَعْ كُلُّ أُمَّة مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، فَلاَ يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ: مِنَ الأَصْنَام والانْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ في النَّارِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ: مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَتُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: نَعْبُدُ عُزَيْراً ابْنَ اللَّه، فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ منْ صَاحبة وَلاَ وَلَد، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقنَا، فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ. أَلاَ تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّار، كَأَنَّهَا سَرَابٌ، يَحْطِمُ بَعْضَهَا بَعْضاً، فَيَتَسَاقَطُونَ في النَّار، ثُمَّ تُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسيحَ ابْنَ اللَّه، فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللَّهُ منْ صَاحبَةٍ وَلاَ وَلَد، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ: أَلاَ تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلى جَهَنَّمَ، كَأَنَّهَا سَرَابٌ يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضاً، فَيَتَسَاقَطُونَ في النَّار، حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ، أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ ـ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في أَدْنَى صُورَة مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا، قَالَ: فَمَاذَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّة مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ في

الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، لاَ نُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً ـ مَرَّتَيْن أَوْ ثَلاَثاً ـ حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ، فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَكْشِفُ عَنْ سَاقٍ، فَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ للَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، إِلاَّ أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بالسُّجُودِ، وَلاَ يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً، إِلاَّ جَعَلَ اللَّهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً، كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ، ثُمَّ يَرْفَعُونَ رُؤوسَهُمْ، وَقَدْ تَحَوَّلَ في صُورَتِهِ الَّتي رَأَوْهُ فِيهَا أَوَّل مَرَّةٍ، فَقَالَ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: دَحْضٌ مَزَلَّةٌ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ، وَحَسَكَةٌ تَكُونُ بِنَجْد، فِيهَا شُوَيْكَةٌ، يُقَالُ لَهَا السَّعْدَانُ، فَيَمُرَّ الْمُؤْمِنُونَ: كَطَرْفِ الْعَيْن، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَالطَّيْرِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ: فَنَاج مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُرْسَل، وَمَكْدُوشٌ في نَار جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّار ـ فَوَالَّذِي نَفْسي بِيَده مَا منْ أَحَد منْكُمْ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً للَّهِ في اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ للَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ في النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنا، كانُوا يَصُومُون مَعَنا، وَيُصَلُّون وَيَحُجُّون، فيُقالُ لهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّار، فيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً، قدْ أَخذتِ النَّارُ إِلى نصْفِ سَاقيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فيَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ في قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مَنْ خَيْرٍ، فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقاً كَثِيراً، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحداً مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ في قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَار مِنْ خَيْر، فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خلْقاً كثِيراً، ثُمَّ ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْراً، وَكَانَ أَبُو سَعِيد الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ، فَاقْرَؤوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّة وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾ ـ فَيَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ شَفَعَتِ الْمَلاَئِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّار فَيخْرجُ مِنْهَا قَوماً لَمْ يَعْمَلُوا خَيْراً قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَماً، فَيُلْقِيهِمْ في نَهَر في أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نهَرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ، كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ في حَمِيل السَّيْل، أَلاَ تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَر ـ أَو الشَّجَر، مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْس أُصَيْفِرُ وَأُخَيْضِرُ، وَمَا يَكُونُ إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ، فَقالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرْعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤ، في رِقَابهمُ الْخَوَاتِمُ، يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ،

هَؤُلاَءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ، الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ، وَلاَ خَيْرٍ، قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيُقَالُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبداً.

وزاد في رواية: (بِغَيْر عَمَل عَمِلُوهُ، وَلاَ قَدَم قَدَّمُوهُ، فَيُقَالُ لَهُم: لَكُمْ مَا رَأَيْتُمْ، وَمِثْلُهُ مَعَهُ) ا هـ.

شرح حديث ٣٤١ من شرح النووي على صحيح مسلم

(قوله: ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما). معناه: أنتم لا تضارون في رؤية الله أصلاً كما لا تضارون في رؤية أحدهما حينئذٍ. ا هـ **(وقوله: من بر وفاجر وغبر أهل الكتاب)** أما البر فهو المطيع، والفاجر: هو العاصي، وغبر أهل الكتاب ـ بضم الغين، وتشديد الباء الموحدة المفتوحة، أي بقاياهم. ا هـ منه.

وقوله: **(كأنها سراب، يحطم بعضها بعضاً)** ـ أي فالكفار يأتون جهنم، وهم عطاش فيحسبونها ماء، فيتساقطون فيها، يحطم بعضها بعضاً، لشدة اتقادها. ا هـ.

وقوله: **(في أدنى صورة من التي رأوها)** الصورة: معناها الصفة، ورأوها: أي علمها المؤمنون لله تعالى وهم في الدنيا ـ وهي أنه ليس كمثله شيء. فيرونه على غير الصفة التي علموها له، ولذلك يعوذون بالله تعالى، ويقولون: لا نشرك بالله شيئاً ـ مرتين أو ثلاثاً.

وقوله: **(فيكشف عن ساق)** فسر ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وجمهور أهل اللغة الساق هنا بالشدة، أي يكشف عن شدة، وأمر مهول. وهو مثل تضربه العرب لشدة الأمر، وعظم الخطب، ولهذا يقولون: قامت الحرب على ساق. وأصله: أن الإنسان إذا وقع في أمر شديد، وفجأه كرب عظيم، شمر عن ساعده، وكشف عن ساقه، للاهتمام له.

وقوله: **(دحض مزلة)** دحض بفتح الدال، وسكون الحاء وبالضاد منونة ـ ومزلة ـ بفتح الميم ـ والزاي تفتح وتكسر.

والدحض والمزلة بمعنى واحد، وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام، وتزلق ولا تستقر، ومنه: دحضت الشمس مالت. ا هـ نووي.

(والحسك) بفتح الحاء والسين: شوك صلب.

وقوله: **(فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوش في نار جهنم)** معناه: أنهم على ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء من مكروه، وقسم يخدش، ثم ينجو ويخلص، وقسم يكدس ويلقى فيسقط في جهنم. ا هـ.

وقوله: **(فوالذي نفسي بيده، ما من أحد منكم بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة، لإخوانهم الذين في النار).**

.....

قال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى: قوله: **(استقصاء الحق)** ضبطت على أوجه: ـ أحدها ـ استيضاء الحق، بالياء والضاد، المعجمة ـ والثاني ـ: **(استضاء الحق ـ)** بحذف الياء. الثالث ـ: استيفاء الحق، بالفاء بدل الضاد، والرابع ـ: **(استقصاء الحق)** بالقاف والصاد.

ثم قال: وجميع الروايات التي ذكرناها صحيحة، لكل منها معنى حسن. وقد جاء في رواية يحيى بن بكير، عن الليث: **(فما أنتم بأشد مناشدة في الحق قد تبين لكم، من المؤمنين يومئذٍ للجبار ـ تعالى وتقدس ـ إذا رأوا أنهم قد نجوا ـ في إخوانهم)**.

وهذه الرواية التي ذكرها الليث توضح المعنى، فمعنى الرواية الأولى والثانية: أنكم إذا عرض لكم في الدنيا أمر مهم، والتبس الحال فيه، وسألتم الله تعالى بيانه، وناشدتموه في استيضائه، وبالغتم فيها، لا تكون مناشدة أحدكم بأشد من مناشدة المؤمنين لله تعالى في الشفاعة لإخوانهم الذين في النار.

وأما الرواية الثالثة والرابعة: فمعناهما أيضاً ـ ما منكم من أحد يناشد الله في الدنيا في استيفاء حقه، أو في استقصائه، وتحصيله من خصمه تاماً كاملاً، وأخذه ممن تعدى عليه ـ بأشد من مناشدة المؤمنين الله ـ تعالى ـ في الشفاعة لإخوانهم الذين في النار يوم القيامة. ا هـ نووي على مسلم.

وقوله: **(فيقبض قبضة من النار)** معناه: يجمع جماعة من الخلق الذين يعذبون في النار، فيخرجهم من النار، وهم قوم لم يعملوا خيراً قط.

وقوله: **(قد عادوا حمماً، فيلقيهم ـ. . . الخ)** أي قد صاروا حمماً، ـ والحمم: بضم الحاء، وفتح الميم الأولى مخففة، الواحدة حممة، وهو الفحم. ونهر ـ بفتح الهاء وسكونها، والفتح أجود، وبه جاء القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿أن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق﴾.

والأفواه: جمع فوهة، بضم الفاء، وتشديد الواو المفتوحة، وهو جمع سمع من العرب، على غير قياس. ـ وأفواه الأزقة والأنهارة، أوائلها.

قال صاحب المطالع: كأن المراد في الحديث مفتتح من مسالك قصور الجنة ومنازلها. ا هـ نووي.

وقوله: **(ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر)** كان هنا تامة. وـ ما ـ مبتدأ، وأصيفر خبرها، مرفوعاً ـ أي ما يوجد منها إلى جهة الشمس أصيفر وأخيضر، ولفظ ـ أبيض ـ في الجملة الثانية: منصوب خبر ـ يكون ـ الثانية، وجملة ـ يكون ـ واسمها وخبرها ـ خبر المبتدأ ـ وهو قوله: **(وما يكون منها إلى الظل)**.

وقوله: **(كنت ترعى بالبادية)** المقصود: أن النبي ﷺ قد وصف نبات البادية وصفاً دقيقاً، كأنه كان يرعى بالبادية. ا هـ.

وقوله: **(فيخرجون كاللؤلؤ، في رقابهم الخواتم)**. قال صاحب التحرير: المراد

.....

بالخواتم هنا ـ أشياء تعلق في أعناقهم، علامة لهم يعرفون بها، وتشبيه صفائهم وحسن بشرتهم باللؤلؤ في الجمال والبهاء، لعدم ظهور أثر النار عليهم، والله أعلم. ا هـ نووي.

وقوله: **(هؤلاء عتقاء الله)** أي يقول أهل الجنة في شأن هؤلاء الذين كانوا في النار وأخرجهم الله تعالى، دون شفاعة أحد من الخلق: **(هؤلاء هم عتقاء الله من النار، الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه)** ـ أي بل أدخلهم الله الجنة بمجرد الإيمان، حيث لم يكن لهم عمل صالح أبداً غير الإيمان.

وقوله في الرواية الثانية: **(ولا قدم قدموه)** القدم معناه الخير، كما في الرواية الأخرى، وقوله: **(فما رأيتموه فهو لكم)** أي كل ما وقع عليه بصركم فهو لكم ملكاً وانتفاعاً، ولا يرون إلا ما قدر لهم، وقوله: **(ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين)** أي من الذين لم يدخلوا الجنة، بل استمروا في النار، وأما أهل الجنة الذين سبقوهم فبالضرورة يكون عطاؤهم خيراً من عطاء هؤلاء ـ أو قالوا ذلك بحسب ظنهم حينما رأوا ما أعطاهم ـ **(وقوله: لكم عندي أفضل من هذا الخ)** تعجبوا أن يكون هناك أمر محسوس أفضل مما أعطوه، فبين لهم الله ما أعده لهم من رضاء أفضل، ولا شك أن رضوان الله أكبر، قال تعالى: ﴿ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾. ا هـ والله أعلم.

وقال الإمام مسلم في باب إثبات الشفاعة، وإخراج الموحّدين من النار جـ ٢ ص ١٢٨ هامش القسطلاني:

(٣٤٢) حَدَّثَنَي هَارُونُ بْنُ سَعِيد الأَيْلي، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْب أَخْبَرَني مَالِكُ بْنُ أَنَس، عَنْ عَمْرو بْن يَحْيَى بْن عِمَارَةَ، قالَ أَخْبَرني أَبي، عَنْ أَبي سَعِيد الْخُدْريِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ ـ الْجَنَّةَ، يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ برَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّار ـ النَّارَ ـ ثُمَّ يَقُولُ: انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ في قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّة مِنْ خَرْدَل مِنْ إِيمَان، فَأَخْرجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ مِنْهَا حُمَماً، قَدِ امْتُحِشُوا، فَيُلْقَوْنَ في نَهْرِ الْحَيَاةِ ـ أَو الْحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ، كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلى جَانِبِ السَّيْل، أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً.

شرح حديث الشفاعة من صحيح مسلم ص ٣٤٢ من شرح النووي

قوله: **(في إثبات الشفاعة، وإخراج الموحدين من النار)**.

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: قال القاضي عياض ـ رحمه الله تعالى: مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلاً، ووجوبها سمعاً، بصريح قوله تعالى: ﴿يومئذٍ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمٰن ورضي له قولاً﴾.

وقوله تعالى: ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ وأمثالهما، وبخبر الصادق ـ ﷺ، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر ـ بصحة الشفاعة في الآخرة، ووقوعها لمذنبي المؤمنين، وأجمع السلف والخلف ومن بعدهم من أهل السنة عليها.

ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها، وتعلقوا بمذاهبهم في تخليد المذنبين في النار، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ وبقوله: ﴿ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع﴾. ـ وهذه الآيات في الكفار. وأما تأويلهم أحاديث الشفاعة، بكونها في زيادة الدرجات ـ فباطل، وألفاظ الأحاديث في الكتاب وغيره صريحة في بطلان مذهبهم، وإخراج من استوجب النار ـ أي بدون كفر وإشراك بالله تعالى.

لكن الشفاعة خمسة أقسام:

أولها ـ مختصة بنبينا محمد ﷺ، وهي الشفاعة لفصل القضاء، وللإراحة من هول الموقف، وتعجيل الحساب.

الثانية ـ الشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وهذه وردت أيضاً لنبينا ﷺ وقد ذكرها مسلم رحمه الله.

الثالثة ـ الشفاعة لقوم استوجبوا النار، فيشفع فيهم نبينا ﷺ، ومن شاء الله تعالى من الصالحين.

الرابعة ـ الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين، فقد جاءت هذه الأحاديث بإخراجهم

.....

من النار بشفاعة نبينا محمد ﷺ والملائكة وإخوانهم من المؤمنين الصالحين، ثم يخرج الله تعالى كل من قال: لا إله إلا الله، كما جاء في الحديث: ﴿لا يبقى فيها إلا الكافرون﴾.

الخامسة ـ الشفاعة في زيادة الدرجات في الجنة لأهلها، وهذه لا ينكرها المعتزلة، ولا ينكرون أيضاً شفاعة الحشر.

قال القاضي عياض: وقد عرف بالنقل المستفيض سؤال السلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ شفاعة نبينا محمد ﷺ رغبتهم فيها. ـ وعلى هذا لا يلتفت إلى قول من قال: إنه يكره أن يسأل الإنسان الله تعالى أن يرزقه شفاعة محمد ﷺ لكونها لا تكون إلا للمذنبين، فإنها قد تكون لتخفيف الحساب وزيادة الدرجات، ثم كل عاقل معترف بالتقصير محتاج إلى العفو، غير معتد بعمله، مشفق أن يكون من الهالكين. ا هـ نووي **(الحياة ـ أو الحيا)** رواية غير مالك: **(الحياة)** من غير شك ـ ثم إن الحيا ـ مقصور هو المطر، سمي بذلك، لأنه تحيا به الأرض، ولذلك يحيا به المحترقون، وتحدث لهم النضارة **(وقوله: ألم تروها)** يلفت أنظارهم إلى صفاء لونها كالنبات، وإلى شيء من ضعفها. ا هـ نووي.

أَخرجه مسلم في الباب نفسه ص ١٣١ من هامش القسطلاني جـ ٢.

(٣٤٣) قال الإمام مسلم ـ رحمه اللَّه تعالى:

وَحَدَّثَنِي نَصْرُ بْنُ عَلِيٍّ الجَهْضَمِيُّ، حَدَّثَنَا بِشْرٌ ـ يَعْنِي ابن مُفَضَّل ـ عَنْ أَبِي مَسْلَمَةَ، عَنْ أَبِي نَضْلَةَ، عَنْ أَبِي سَعِيد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: أَمَّا أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَإِنَّهُمْ لاَ يَمُوتُونَ فِيهَا وَلاَ يَحْيَوْنَ، وَلكِنْ نَاسٌ أَصَابَتْهُمْ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ ـ أَوْ قَالَ: بِخَطَايَاهُمْ ـ فَأَمَاتَهُمْ إِمَاتَةً، حَتَّى إِذَا كَانُوا فَحْماً، أُذِن بِالشَّفَاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبَائِرَ، ضَبَائِرَ، فَبُثُّوا عَلَى أَنْهَارِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ قِيلَ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، أَفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتُونَ نَبَاتَ الْحِبَّةِ، تَكُونُ فِي حَمِيل السَّيْل، فَقَالَ رَجُلٌ: كَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَدْ كَانَ بِالْبَادِيَةِ.

شرح حديث ص ٣٤٣ من شرح النووي على صحيح مسلم

قوله: **(أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون)** معنى هذا أن الكفار الذين هم أهل النار، والمستحقون للخلود فيها، فإنهم لا يموتون فيها أبداً، ولا يحيون فيها حياة ينتفعون بها، ولا يستريحون معها، كما قال تعالى: ﴿لا يقضي عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور﴾.

وكما قال تعالى: ﴿لا يموت فيها ولا يحيا﴾ ـ وهذا جار على مذهب أهل الحق أن نعيم أهل الجنة دائم، وأن عذاب أهل الخلود في النار دائم.

قوله: **(ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم ـ أو قال بخطاياهم... الخ)** معناه: أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله تعالى بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله تعالى ـ وهذه الإماتة إماته حقيقية، يذهب معها الإحساس ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم ثم يميتهم، ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس ـ المدة التي قدرها الله تعالى ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحما فيحملون ضبائر، ضبائر أي جماعات متفرقة وروي: **(ضبارات)** وهو جمع ضبارة بفتح الضاد وكسرها لغتان ولم يذكر الهروي فيها إلا الكسر ـ والضبائر بالفتح فقط. ا هـ أي ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحما ويلقون على أنهار الجنة، فيصب عليهم ماء الحياة، فيحيون، وينبتون، كما تنبت الحبة في حميل السيل، أي في سرعة نباتها وضعفها، فتخرج لضعفها صفراء ملتوية، ثم تشتد قوتهم بعد ذلك، ويسيرون إلى منازلهم، وتكمل أحوالهم.

فهذا هو الظاهر من لفظ الحديث ـ ومعناه.

وحكم القاضي عياض ـ رحمه الله تعالى فيه وجهين: **(أحدهما)** أنها إماتة حقيقية، **(والثاني)** أنه ليس بموت حقيقي، ولكن يغيب إحساسهم بالآلام عنهم. ـ قال: ويجوز أن تكون آلامهم أخف، فهذا كلام القاضي.

.....

قال النووي: والمختار ما قدمناه... والله أعلم.

وقوله: **(كأن رسول الله ﷺ كان بالبادية)** تقدم معناه، وهو أنهم قالوا: كأن النبي ﷺ كان يسكن البادية، ورأى نبات الحبة في حميل السيل في الأودية، وأنها تخرج صفراء ملتوية. ا هـ والله أعلم.

(٣٤٤) وقال الإمام مسلم ـ رحمه اللَّه تعالى في الباب نفسه ص ١٣٣ هامش القسطلاني:

حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ أَبي شَيْبَةَ وَإِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْحَنْظَلِيُّ كِلاَهُمَا عَنْ جَرِيرٍ: قَالَ عُثْمَانُ: حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ عَبِيدَةَ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْن مَسْعُود ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجاً مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً الْجَنَّةَ: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبواً، فَيَقُولُ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لَهُ: اذْهَبْ، فَادْخُل الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: اذْهَب، فَادْخُل الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْه أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: اذْهَبْ، فَادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا، ـ أَوْ إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَال الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بي ـ أَوْ أَتَضْحَكُ بي، وَأَنْتَ الْمَلِكُ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ضَحِكَ، حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزَلَةً.

* * *

(٣٤٥) وفي رواية أُخرى عن ابن مسعود مثل ذلك، إلا أنه قال: رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْهَا زَحْفاً، فَيُقَالُ لَهُ: انْطَلِقْ، فَادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَيَذْهَبُ فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ، فَيَجِدُ النَّاسَ قَدْ أَخَذُوا الْمَنَازِلَ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَذْكُرُ الزَّمَانَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى، فَيُقَالُ لَهُ: لك الَّذِي تَمَنَّيْتَ، وَعَشَرَةُ أَضْعَافِ الدُّنْيَا، قَالَ: فيقُولُ: تَسْخَرُ بي، وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟ قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ.

شرح حديث رقم ٣٤٤، ٣٤٥ من النووي

قوله: **(رجل يخرج من النار حبواً)** ـ وفي الرواية الأخرى: **(زحفاً)**.

قال أهل اللغة: الحبو ـ المشي على اليدين والرجلين، وربما قالوا: على اليدين والركبتين ـ وربما قالوا: على يديه ومقعدته.

وأما الزحف فقال ابن دريد وغيره: هو المشي على الإست مع إشرافه بصدره.

فحصل بهذا أن الحبو والزحف متماثلان أو متقاربان، ولو ثبت اختلافهما حمل على أنه في حال يزحف، وفي حال يحبو ـ والله أعلم. ا هـ من النووي.

وقوله: **(أتسخر بي ـ أو أتضحكك بي؟... الخ)** هذا شك من الراوي.

.....

فإن كان الذي ورد هو: **(أتضحك بي؟)** فمعناه: أتسخر بي، لأن الساخر في العادة يضحك ممن يسخر به، فوضع الضحك موضع السخرية مجازاً.

وأما معنى: **(أتسخر بي؟)** هنا، ففيه أقوال ثلاثة: ـ أحدها ـ أنه خرج على المقابلة الموجودة في معنى الحديث، دون لفظه، لأنه عاهد الله مراراً أنه لا يسأل غير ما سأل، ثم غدر، فحل غدره محل الاستهزاء، فسمى جزاء السخرية سخرية وقال: **(أتسخر بي)** أي **(أتعاقبني بالأطماع؟)**.

والقول الثاني: أن معناه نفي السخرية التي لا تجوز على الله تعالى، كأنه يقول: اعلم أنك لا تهزأ بي، لأنك رب العالمين، وما أعطيتني فهو حق، ولكن العجب أنك أعطيتني هذا وأنا غير أهل له.

والقول الثالث قاله القاضي عياض ـ رحمه الله تعالى: أن يكون هذا الكلام صدر من هذا الرجل، وهو خير ضابط لما قاله، من أجل ما ناله من السرور، ببلوغ ما لم يخطر بباله، فلم يضبط لسانه دهشاً وفرحاً، فقاله، وهو لا يعتقد حقيقة معناه، وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق. ـ وهذا كما قال النبي ﷺ في الرجل الآخر: أنه لم يضبط نفسه من الفرح، فقال: **(أنت عبدي، وأنا ربك)** والله أعلم. ا هـ نووي.

ثم قال النووي ـ رحمه الله: واعلم أنه وقع في الروايات: **(أتسخر بي؟)** وهو صحيح، يقال: سخرت منه، وسخرت به، والأول هو الأفصح، وبه جاء القرآن العزيز، قال: ﴿إن تسخروا منا فإنا نسخر منكم﴾ ـ والثاني فصيح أيضاً، ولذا قال بعض العلماء: إنما جاء بالباء لإرادة معناه، كأنه قال: **(أتهزأ بي)** والله أعلم. ا هـ نووي.

وقوله: **(رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه)** بالجيم والذال المعجمة.

قال أبو العباس ثعلب وجماهير العلماء من أهل اللغة وغريب الحديث وغيرهم: المراد ـ بالنواجذ هنا: الأنياب، وقيل: المراد بالنواجذ هنا ـ الضواحك، وقيل: المراد بها الأضراس، وهذا هو الأشهر في إطلاق النواجذ في اللغة، ولكن الصواب عند الجماهير ما قدمناه.

وفي هذا جواز الضحك، وأنه ليس بمكروه في بعض المواطن، ولا بمسقط للمروءة، إذا لم يجاوز به الحد المعتاد من أمثاله، في مثل تلك الحال. والله أعلم. ا هـ نووي.

وقوله ﷺ: فيقول الله تعالى له: اذهب، فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها ـ وفي الرواية الأخرى: **(لك الذي تمنيت وعشرة أضعاف الدنيا)** هاتان الروايتان بمعنى واحد، وإحداهما تفسير الأخرى فالمراد بالأضعاف الأمثال، فإن المختار عند أهل اللغة أن الضعف المثل.

وأما قوله ﷺ في رواية أخرى عند مسلم: فيقول الله تعالى: ﴿أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها﴾ ـ وفي الرواية الأخرى: **(أترضى أن يكون لك مثل ملك ملك من ملوك**

.....

الدنيا، فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك، ومثله، ومثله، ومثله، ومثله، ومثله، فقال في الخمسة: رضيت رب، فيقول: هذا لك، وعشرة أمثاله) ـ قال النووي ـ رحمه الله تعالى: فهاتان الروايتان لا تخالفان الأوليين، فإن المراد بالأولى من هاتين الروايتين أن يقال له أولاً: **(لك الدنيا ومثلها)** ثم يزاد إلى تمام ـ عشرة أمثالها ـ كما بينه في الرواية الأخيرة ـ وأما الأخيرة فالمراد بها أن أحد ملوك الدنيا، لا ينتهي ملكه إلى جميع الأرض، بل يملك بعضاً منها.

ثم منهم من يكثر البعض الذي يملكه، ومنهم من يقل بعضه، فيعطى هذا الرجل مثل أحد ملوك الدنيا خمس مرات، وذلك كله قدر الدنيا كلها.

ثم يقال له: **(لك عشرة أمثال هذا)** فيعود معنى هذه الرواية إلى موافقة الروايات المتقدمة، ولله الحمد. وهو أعلم. ا هـ نووي بلفظه.

تابع حديث الشفاعة وآخر من يدخل الجنة من صحيح مسلم قال الإمام مسلم ـ رحمه اللَّه تعالى:

(٣٤٦) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر بْنُ شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ، عَنْ أَنَسٍ، عَنْ ابْن مَسْعُودٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكَ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئاً مَا أَعْطَاهُ أَحَداً مِنَ الأَولِينَ وَالآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ منْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لاَ، يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لاَ يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، ـ وَرَبُّهُ تَعَالَى يَعْذُرُهُ، لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْه، فَيُدْنيه منْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ منْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، لأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَم تُعَاهِدْني أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ فَيَقُولُ لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا، تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ تَعَالَى يَعْذُرُهُ، لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَاب الْجَنَّةِ، هِيَ أَحْسَنُ مِنْ الأَوَلَيْيْن، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ الشَّجَرَةِ، لأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْني أَنْ لاَ تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى، يَا رَبِّ، هَذِهِ لاَ أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ تَعَالَى يَعْذُرُهُ، لأَنَّهُ يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ منْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ منْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتُ أَهْلِ الْجَنَّة، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخلْنيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا يَصْرِيني منْكَ؟ أَيُرْضيكَ أَنْ أُعْطيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَتَسْتَهْزِىءُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودَ ـ رضي اللَّه عنه ـ.

فَقَالَ: أَلاَ تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ قَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحكَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مِنْ ضَحِكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ، حِينَ قَالَ: (أَتَسْتَهْزِىءُ مِنِّي، وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟).

فَيَقُولُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِىءُ مِنْكَ، وَلكنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادرٌ.

* * *

أَقول: إلى هنا ـ قد نقلت معظم الروايات التي ذكرها الإمام مسلم، في صحيحه، وبقي فيه روايات كثيرة، غالبها ليس فيه كبير تغيير عمّا نقلته هنا، فلذلك اكتفيت بهذا القدر.

مع العلم بأَن في غالب ما ذكرته من الروايات زيادات، أَو مخالفة في الأُسلوب لا يغني عنه غيره ـ وهذا هو السبب في تكثير هذه الروايات هنا.

إلا أَن في بعض الروايات التي لم أَذكرها زيادة، يجب ذكرها، وهي:

قال: (ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُور الْعِين، فَتَقُولاَن لَهُ: الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ) ا هـ.

شرح حديث مسلم رقم ٣٤٦ من شرح النووي على صحيح مسلم

قوله ﷺ: **(فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة)** قال النووي رحمه الله: أما يكبو فمعناه يسقط على وجهه ـ وأما تسفعه النار ـ فهو بفتح التاء، وإسكان السين، وفتح الفاء، ومعناه تضرب وجهه، وتسوده، وتؤثر فيه أثراً سيئاً. ـ وقوله: **(لأنه يرى ما لا صبر له عليه)** أي لأنه يرى حالة لهذا الرجل، لا صبر له عليها، لذلك عذره الله تعالى في الرجوع عن عهده ومواثيقه.

وقال النووي ـ رحمه الله تعالى: معناه ـ لأنه يرى نعمة لا صبر له عليها ـ أي عنها. فيكون الذي يرى هو ذلك الرجل. والله أعلم. ا هـ.

وقوله: **(يا ابن آدم، ما يصريني منك؟)** يصريني بفتح الياء، وإسكان الصاد، أي ما الذي يقطع مسألتك مني.

قال أهل اللغة: الصرى بفتح الصاد، وإسكان الراء هو القطع.

وروي في غير مسلم: **(ما يصريك مني)** قال إبراهيم الحربي: هو الصواب، وأنكر الرواية التي في صحيح مسلم.

وقال النووي: وليس هو كما قال، بل كلاهما صحيح، فإن السائل متى انقطع من المسؤول، انقطع المسؤول منه، والمعنى: أي شيء يرضيك ويقطع السؤال بيني وبينك. والله أعلم. ا هـ نووي.

وقوله: **(قالوا: مم تضحك يا رسول الله، قال: من ضحك رب العالمين)** قال النووي: قد قدمنا معنى الضحك من الله تعالى، وهو الرضا والرحمة، وإرادة الخير لمن يشاء رحمته من عباده. والله أعلم. ا هـ.

وقوله ﷺ: **(فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين، فتقولان: الحمد لله الذي أحياك لنا،**

.....

وأحينا لك). ـ قال النووي ـ رحمه الله تعالى: هكذا ثبت في الروايات والأصول: **(زوجتاه)** بالتاء، تثنية زوجة بالهاء، وهي لغة صحيحة معروفة، وفيها أبيات كثيرة من شعر العرب، وذكرها ابن السكيت وجماعات من أهل اللغة.

وقوله ﷺ: **(فتقولان)** هو بالتاء المثناة من فوق ـ قال: وإنما ضبطت هذا، وإن كان ظاهراً: لكونه مما يغلط فيه بعض من لا يميزه، فيقول بالمثناة من تحت ـ وذلك لحن لا شك فيه، قال الله تعالى: ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا﴾ وقال تعالى: ﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾ وقال تعالى: ﴿أن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾ وقال تعالى: ﴿فيهما عينان تجريان﴾ ـ وأما قوله: الحمد لله الذي أحياك لنا، وأحيانا لك، فمعناه: الذي خلقك لنا وخلقنا لك، وجمع بيننا في هذه الدار الدائمة السرور، والله أعلم. ا هـ نووي.

ثالثاً ـ حديث الشفاعة من سنن النسائي

ـ باب زيادة الإيمان ـ جـ ٨ ص ١١٢ ـ ١١٣

(٣٤٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: مَا مُجادَلَةُ أَحَدِكُمْ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا، بِأَشَدَّ مُجَادَلَةً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ، قَالَ: يَقُولُونَ: رَبَّنَا، إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا، وَيَصُومُونَ مَعَنَا، وَيَحُجُّونَ مَعَنَا، فَأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ، قَالَ: فَيَقُولُ: اذْهَبُوا، فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ مِنْهُمْ، قَالَ: فَيَأْتُونَهُمْ، فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبَيْهِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا قَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ أَمَرْتَنَا، قَالَ: وَيَقُولُ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنَ الإِيْمَانِ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ نِصْفُ دِينَارٍ، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ. قَالَ أَبُو سَعِيد: فَمَنْ لَمْ يُصَدِّق فَلْيَقْرَأْ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّ اللَّه لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾... إلى ﴿عَظِيماً﴾ ا هـ.

شرح حديث الشفاعة من سنن النسائي

قوله: **(ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا، بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار)**.

المعنى: أن الإنسان في الدنيا إذا كان له حق ـ وقد تبين وظهر له، فلا بد أن يجادل عنه، ويدافع خصمه، حتى يأخذ حقه منه.

فالمؤمنون إذا خلصوا من النار، وبقي إخوانهم المؤمنون في النار، يجادلون عنهم ربهم، أي يطلبون منه أن يرحم إخوانهم بالخروج من النار حيث إنه قد تفضل عليهم بالنجاة من النار من أجل إيمانهم، فيقولون: ربنا، هؤلاء إخواننا كانوا مؤمنين مثلنا، ويؤدون أركان الإسلام معنا: ويصلون ويصومون معنا، ويحجون معنا، أي وأنت يا رب رحمتك وسعت كل شيء، فارحم إخواننا هؤلاء.

أي فليست مجادلة المؤمن في الدنيا لأخذ حقه ممن هو عنده ـ بأشد مجادلة من مجادلة المؤمنين ربهم، لأجل إخوانهم المؤمنين، بل إما أن تستوي المجادلتان، أو تكون مجادلة المؤمنين عن إخوانهم أشد، وأقوى من مجادلتهم لأخذ حقهم في الدنيا.

وفي ذلك بيان لعظيم فضل الله تعالى، حيث وسع الرجاء للمؤمنين أن يطلبوا منه إخراج إخوانهم المؤمنين، فلم يقدم المؤمنون على ذلك إلا بعد أن أيقنوا أن باب الرجاء

.....

مفتوح، وأن الإذن لهم في الشفاعة لإخوانهم محقق، فقد قال تعالى: ﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

ويدل أيضاً على عظيم التراحم بين المؤمنين حيث يعطف الناجون منهم على إخوانهم المؤمنين. نسألك اللهم أن تشفع فينا نبيك محمداً ﷺ وترضى عنا. آمين. ا هـ والله أعلم.

رابعاً: حديث الشفاعة من صحيح الترمذي

(باب ما جاءَ في الشفاعة) جـ ٢ ص ٧٠ وما بعدها:

(٣٤٨) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ:

أُتِي رسولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَحْم، فَرُفِعَ إِليه الذّراع، فَأَكَلَهُ ـ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ ـ فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، ثُمَّ قَالَ: أَنَا سَيِّدُ ٱلنَّاس يَوْم الْقِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ لِمَ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ: الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ في صَعِيد وَاحِدٍ، فَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْهُمْ، فَبَلَغَ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ، وَلاَ يَحْتَمِلُون، فَيَقُولُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلاَ تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلغكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفعُ لكُمْ إِلى رَبِّكُمْ؟ فيَقُولُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيُقُولُونَ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ آدمُ إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبْ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوح، فَيَأْتُونَ نُوحاً، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْداً شَكُوراً، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمْ نُوحٌ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ ـ فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ في الْحَدِيث ـ نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّه، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى الْبَشَرِ، اشْفَعْ لَنا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْساً، لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ

وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ في الْمَهْدِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَى: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً نَفْسِي، نَفْسِي، نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلى مُحَمَّدٍ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً، فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَخِرُّ سَاجِداً لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَد قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتي، يَا رَبِّ، أُمَّتِي، يَا رَبِّ، أُمَّتِي، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ، مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سوَى ذَلِكَ منَ الأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ، مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيع الْجَنَّةِ، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَر، وَكَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى.

قال الترمذي: حديث حسن صحيح.

شرح حديث الترمذي في الشفاعة رقم ٣٤٨

قوله: **(في صعيد واحد)** قال في القاموس: والصعيد التراب أو وجه الأرض، والطريق ا هـ.

وقوله: **(وينفذهم البصر)** في القاموس: **(ونفذهم)**: جازهم وتخلفهم، كأنفذهم. ا هـ ـ أي يحيط بهم البصر، ويتجاوزهم. كفارا.

وهكذا ما اعتذر به في هذه الرواية ـ وفيما تقدم من الروايات اعتذر بقوله: **(إني سألت ربي ما ليس لي به علم)**.

فلعله يكون قد ذكر الأمرين معاً، واقتصر كل راو على ما ذكره ـ مع أنه لا ينافي ما قاله الآخر. ا هـ. والله أعلم).

قوله: **(أبو حيان: هو أحد رواة الحديث عند الترمذي. ا هـ)**.

خامساً: حديث الشفاعة من سنن الإمام ابن ماجه

من الجزءِ الأَول ـ باب في الإِيمان ص ١٦

(٣٤٩) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِذا خَلَّصَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّارِ، وَأَمِنُوا ـ فَمَا مُجَادَلَةُ أَحَدِكُمْ لِصَاحِبِهِ فِي الْحَقِّ يَكُونُ لَهُ فِي الدُّنْيَا ـ أَشَدَّ ـ مُجَادَلَةً، مِنَ الْمُؤمِنِينَ لِرَبِّهِمْ فِي إِخْوَانِهِم، الَّذِينَ أُدْخِلُوا النَّارَ، قَالَ: يَقُولُون: رَبَّنَا، إِخْوَانُنَا، كَانُوا يُصَلُّون مَعَنا، وَيَصُومُون مَعَنا، وَيَحُجُّونَ مَعَنا، فأَدْخَلْتَهُمُ النَّارَ، فَيَقُولُ: اذْهَبُوا، فَأَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ منْهُمْ، فَيَأْتُونَهُمْ فَيَعْرِفُونَهُمْ بِصُوَرِهِمْ، لاَ تَأْكُلُ النَّارَ صُوَرَهُمْ، فَمنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ النَّارُ إِلى أَنْصَافِ سَاقيُه، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ إِلَى كَعْبَيْهِ، فَيُخْرِجُونَهُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، قَدْ أَخْرَجْنَا مَنْ قَدْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ وَزْنُ دِينَارٍ مِنَ الإِيمَان، ثُمَّ مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ وَزْنُ نِصْفِ دينَارٍ، ثُمَّ مَنْ كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّة مِنْ خَرْدَل.

قال أَبُو سَعِيدٍ: فَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ هَذَا، فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّة وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفُهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرَاً عَظِيماً﴾.

شرح حديث ابن ماجه في الشفاعة رقم ٣٤٩

قوله: **(فيعرفونهم بصورهم، لا تأكل النار صورهم... الخ)**.

ظاهر هذا أن النار لا تأكل جميع الوجه، لأنه هو الذي يكون صورة للإنسان، والنار لا تأكل مواضع السجود، ومنها الجبهة، فيكون الوجه كله قد أكرمه الله تعالى، ولم تحرقه النار، لأن الوجه كله يخضع ساجداً لله تعالى.

وفي رواية لمسلم: **(أن قوماً يخرجون من النار يحترقون، الادارت وجوههم)** قال النووي ـ رحمه الله ـ: وهي جمع دارة، وهو ما يحيط بالوجه. ا هـ.

وحديث ابن ماجه هذا يقوي أن صورة الوجه تبقى كلها. والله أعلم. ا هـ.

تابع حديث ابن ماجه في الشفاعة

أَخرجه ابن ماجه جـ ٢ ص ٣٠٢ ـ ص ٣٠٣

(٣٥٠) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُلْهَمُونَ ـ أَوْ يَهُمُّونَ ـ شَكَّ سَعِيدٌ ـ يَقُولُونَ: لَوْ تَشَفَّعْنَا إِلَى رَبِّنَا، فَأَرَاحَنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ، أَبُو النَّاس، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لَكَ مَلاَئِكَتَهُ، فَاشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ، يُرِحْنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ وَيَشْكُو إِلَيْهِمْ ذَنْبَهُ، الَّذِي أَصَابَ، فَيَسْتَحْيِي مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنِ ائْتُوا نُوحاً، فَإِنَّهُ أَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ سُؤَالَهُ رَبَّهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِهِ عِلْمٌ، وَيَسْتَحْيِي مِنْ ذَلِكَ، وَلَكِنِ ائْتُوا خَلِيلَ الرَّحْمٰنِ: إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلكِنِ ائْتُوا مُوسَى: عَبْداً: كَلَّمَهُ اللَّهُ، وَأَعْطَاهُ التَّوْرَاةَ، فَيَأْتُونَهُ، فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ قَتْلَهُ النَّفْسَ بِغَيْرِ النَّفْس، وَلٰكِن ائْتُوا عِيسَى: عَبْدَ اللَّهِ وَرَسُولَهُ، وَكَلِمَةَ اللَّهِ وَرُوحهُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَلكِنِ ائْتُوا مُحَمَّداً ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ عَبْداً غَفَرَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: فَيَأْتُوني، فَأَنْطَلِقُ، فَأَمْشِي بَيْنَ السِّمَاطَيْنِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (السِّمَاط بكسر السين: الصف من الناس) فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَإِذَا رَأَيْتُهُ وَقَعْتُ سَاجداً، فَيَدَعُني مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ يَا مُحَمَّدُ، وَقُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَحْمَدُهُ بِتَحْمِيدٍ يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لي حَدًّا، فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُم أَعُودُ الثَّانِية، فإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِداً فيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَني، ثُمَّ يُقَالُ لي: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، وَسَل تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَحْمَدُه بِتَحْمِيد يُعَلِّمُنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الثَّالِثَةَ، فَإِذَا رَأَيْتُ رَبِّي وَقَعْتُ سَاجِداً، فَيَدَعُنِي مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَدَعَنِي، ثُمَّ يُقَالُ: ارْفَعْ مُحَمَّدُ، قُلْ تُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسي، فَأَحْمَدُهُ بتَحْمِيد يُعَلِّمنِيهِ، ثُمَّ أَشْفَعُ، فَيَحُدُّ لي حَدًّا فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ، ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مَا بَقِيَ إِلاَّ مَنْ حَبَسهُ الْقُرْآنُ.

أقول: هذا الحديث قد تقدم شرح ما فيه من المشكل، فلا داعي لإعادته، والله أعلم.

(ملحوظة) في تكرار حديث الشفاعة.

إجماع أهل الحديث على إخراج حديث الشفاعة دليل على صحته بل ربما يبلغ مبلغ التواتر، فيكون رداً على من أنكر الشفاعة.

٣٦ ـ (ما جاء في وقوف العبد بين يدي ربه يوم القيامة)

(وسؤال الأَنبياءِ عن التبليغ)

(حديث وقوف العبد بين يدي ربه يوم القيامة)

من صحيح البخاري ـ كتاب الزكاة ـ باب الصدقة قبل الردّ جـ ٢ ص ١٠٩.

(٣٥١) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّد، حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِم النَّبِيلُ، أَخْبَرَنَا سَعْدَانُ بْنُ بِشْرٍ، حَدَّثَنَا أَبُو مُجَاهِد، حَدَّثَنَا مُحِلُّ بْنُ خَلِيفَةَ الطَّائِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ عَدِيَّ بْنَ حَاتم ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَجَاءَهُ رَجُلاَن: أَحَدُهُمَا يَشْكُو الْعَيْلَةَ، وَالآخَرُ يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ فَإِنَّهُ لاَ يَأْتِي عَلَيْكَ إِلاَّ قَلِيلٌ، حَتَّى تَخْرُجَ الْعِيرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ، وَأَمَّا الْعَيْلَةُ فَإِنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ، لاَ يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ، ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلاَ تُرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالاً؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ؛ أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولاً؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ، فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شَمَالِهِ، فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَة طَيبَةٍ.

(وأَخرجه البخاري في كتاب بدءِ الخلق ـ باب علامات النبوة في الإِسلام).

(٣٥٢) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْحَكَم، أَخْبَرَنَا النَّضْرُ، أَخْبَرَنَا إِسْرَائِيلُ، أَخْبَرَنَا سَعْدٌ الطَّائِيُّ، أَخْبَرَنَا مُحِلُّ بْنُ خَلِيفَةَ، عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِم ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ، فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ، فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ؟ قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ: فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لاَ تَخَافُ أَحَداً، إِلاَّ اللَّهَ، قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّىء الَّذِينَ سَعَّرُوا الْبِلاَدَ؟ ـ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَفْتَتِحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى، قُلْتُ: كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ؟ قَالَ: كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ، يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ: مَنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ، فَلاَ يَجِدُ أَحَداً يَقْبَلُهُ مِنْهُ،

وَلَيَلْقَيَنَّ اللَّهَ. أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ، وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، فَلَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولاً، فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالاً وَوَلَداً، وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ، فَلاَ يَرَى إِلاَّ جَهَنَّمَ ـ قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: اتَّقُوا النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَة، فَإِنْ لَمْ تَجِدْ شِقَّ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ.

قَالَ عَدِيٌّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَة، حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لاَ تَخَافُ إِلاَّ اللَّه، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ ـ أَبُو الْقَاسِمِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ.

شرح الحديثين من القسطلاني

العيلة بفتح العين: الفقر، وقطع السبيل أي قطع الطريق على المارين به، ويكون من طائفة يترصدون في المكامن، لأخذ مال، أو لقتل نفس، أو لإرعاب الناس، اعتماداً على القوة والشوكة مع البعد عن الغوث.

والعير: الإبل تحمل الميرة والطعام وغيرهما مما يحتاج إلى حمله في السفر، وقوله: **(بين يدي ربه، ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان)**. هذا على سبيل التمثيل، لأن الله تعالى لا يحيط به شيء، ولا يحجبه حجاب، وإنما يستر عن أبصارنا بما وضع فيها من الحجب، للعجز عن الإدراك في الدنيا، فإذا كان في الآخرة، كشفها عن أبصارنا وقوى أبصارنا، ويشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾.

والحيرة بكسر الحاء وسكون الياء المثناة، كانت بلد ملوك العرب، الذي هم تحت حكم فارس.

(ودعار طيىء) بالدال المهملة: قطاع الطريق **(الذين سعروا البلاد)** أي ملأوها شراً، مستعار من ـ استعار النار ـ وهو توقدها.

(لتفتتحن) بالبناء للفاعل **(ولتفتحن)** بالبناء للمجهول.

(والظعينة) ـ بالظاء والعين: المرأة في الهودج.

(ولئن طالت بكم حياة لترون الخ) أي يخرج أحدكم ملء كفه: ذهباً أو فضة، فلا يجد أحداً يقبله منه، أي لعدم الفقراء حينئذٍ ـ قيل: ويكون ذلك زمن عيسى عليه السلام.

وجزم البيهقي بأن ذلك كان في زمن عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه، لحديث عمر ابن أسيد بن عبد الرحمٰن بن زيد بن الخطاب قال: لما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهراً، لا والله، ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله، نتذاكر من نضعه فيه فلا نجده، قد أغنى عمر الناس ـ رواه البيهقي ـ وفيه تصديق ما روينا في حديث عدي بن حاتم. ا هـ والله أعلم.

حديث (يدنو المؤمن مِن ربّه حتى يضع عليه كنفه)

أَخرجه البخاري في كتاب التفسير ـ من سورة هود ـ عليه السلام جـ ٦ ص ٧٤.

(٣٥٣) حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ زُرَيْع، حَدَّثَنَا سَعِيدٌ وَهِشَامٌ، قَالاَ: حَدَّثَنَا قَتَادَةُ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، قَالَ: بَيْنَا ابْنُ عُمَرَ يَطُوفُ، إِذْ عَرَضَ لَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمٰنِ ـ أَوْ قَالَ: يَا ٱبْنَ عُمَرَ، هَلْ سَمِعْتَ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: يُدْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ ـ وَقَالَ هِشَامٌ: يَدْنُو الْمُؤْمِنُ (أَي من ربه) حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ، يَقُولُ: رَبِّ، أَعْرِفُ مَرَّتَيْنِ، فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الآخَرُونَ ـ أَوِ الْكُفَّارُ ـ فَيُنَادَى عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ: ﴿هَؤُلاَءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

* * *

قال القسطلاني ـ رحمه اللَّه تعالى: وأَخرجه البخاري أَيضاً في المظالم والأَدب والتوحيد ـ وأَخرجه مسلم في التوبة ـ وأَخرجه النسائي في التفسير والرقائق ـ وأَخرجه ابن ماجه في السنَّة. ا هـ قسطلاني جـ ٤ ص ٢٥٨.

شرح حديث

يدنو المؤمن من ربه من القسطلاني من كتاب المظالم جـ ٤ ص ٢٥٤، ومن كتاب التفسير ـ سورة هود عليه السلام جـ ٧ ص ١٧١

قال رحمه الله ـ: **(حدثنا مسدد)** هو ابن مسرهد **(حدثنا يزيد زريع)** بضم الزاي مصغراً **(حدثنا سعيد وهشام)** سعيد بن أبي عروبة، وهشام بن أبي عبد الدستواني **(حدثنا قتادة بن دعامة عن صفوان بن محرز)** بضم الميم وسكون الحاء المهملة، وكسر الراء ـ آخره زاي المازني **(قال: بينا ابن عمر)** عبد الله بن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما **(يطوف)** بالكعبة **(إذ عرض له رجل)** ـ وفي المظالم بلفظ **(بينا أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما ـ آخذ بيده، إذ عرض له رجل، فقال: يا أبا عبد الرحمٰن ـ أو يا ابن عمر، هل سمعت النبي ﷺ في النجوى؟)** أي ما قال في النجوى التي تكون في القيامة بين الله تعالى وبين المؤمنين أي حين حسابهم، وفي المظالم بلفظ كيف سمعت النبي ﷺ في النجوى، فقال: سمعت النبي

.....

ﷺ يقول: **(يدني المؤمن من ربه)** وقال هشام في روايته: **(يدنو المؤمن ـ أي من ربه)**.

وفي المظالم: **(إن الله ـ عز وجل ـ يدني المؤمن)** أي يقربة **(فيضع عليه كنفه)** بفتح الكاف والنون ـ كنفه: جانبه ـ والدنو، والكنف مجازان، والمراد الستر، والرحمة ـ أي ستره ـ والمراد: يستره عن أهل الموقف، لئلا يفتضح بين أهل الموقف **(فيقرره بذنوبه)** يقول له: **(تعرف ذنب كذا؟)** يقول العبد: أعرف رب، أعرف مرتين **(فيقول الله جل وعلا له: سترتها عليك في الدنيا، وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته)** وفي رواية: ثم يعطى صحيفة حسناته **(وأما الآخرون ـ أو الكفار)** شك من الراوي، وفي المظالم: **(وأما الكافر والمنافقون أو المنافق، فينادي على رؤوس الأشهاد: ﴿هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين﴾)** ـ وفي الحديث دليل على أن ستر الله في الآخرة لمن لم يتجاهر بالمعاصي في الدنيا، وكونت في ستر الله تعالى، أما من جهر وتجاهر بالمعصية فليس أهلاً لستر الله عليه في الآخرة، وفي المظالم: **(حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه قد هلك)** اللهم إنا نسألك أن تستر علينا في الدنيا والآخرة بحبك وفضلك يا كريم آمين.

حديث: (يلقى العبد ربه، فيقول: أَي فُلْ، أَلم أَكرمك الخ)

أَخرجه الإِمام مسلم في صحيحه ـ من كتاب الزهد جـ ١٠ ص ٣٤٢ هامش القسطلاني.

(٣٥٤) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عُمَرَ، حَدَّثَنَا سُفْيَان، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبي صَالِح، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا ـ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: هَلْ تُضارُّون في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ في الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ في سَحَابَةٍ؟ قَالُوا: لا، قالَ: فهلْ تُضارُّون في رُؤْيَةِ الْقَمرِ لَيْلة الْبَدْرِ لَيْسَ في سَحَابَة؟ قالُوا: لا، قالَ: وَالَّذِي نفْسِي بِيَدِهِ، لا تُضارُّون في رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، إِلاَّ كمَا تُضارُّونَ في رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا، قالَ: فيَلْقى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَي فُل، أَلَمْ أُكْرِمْك؟ وَأُسَوِّدْك، وَأُزوِّجْك، وَأَسَخِّرْ لك الْخيْلَ وَالإِبِلَ وَأَذرْك ترْأْسُ، وَترْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فيقول: أَفظننْت أَنَّك مُلاَقيَّ؟ فيَقُولُ: لاَ، فيَقُولُ: فإِنِّي أَنْسَاكَ كمَا نسِيتنِي، ثُمَّ يَلْقى الثَّاني، فيَقُولُ: أَيْ فُل، أَلَمْ أُكْرِمْك، وَأُسَوِّدْك، وَأُزَوِّجْكَ وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالإِبِلَ؟ وَأَذَرْكَ تَرْأْسُ، وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلاَقيَّ، فَيَقُولُ: لاَ، فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي، ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ وَصُمْتُ وَتَصَدَّقْتُ، وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَهنَا إِذاً، قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا ـ عَلَيْكَ، وَيَتَفَكَّرُ في نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخْذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي، فَتَنْطِقُ فَخذُهُ، وَلَحْمُهُ، وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ، وَذَلِكَ لِيَعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافقُ، وَذَلكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللَّهُ عَلَيْهِ.

* * *

وأَخرجه مسلم عن أَنس بن مالك رضي اللَّه عنه فقال:

(٣٥٥) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْر بْنِ النَّضْر بْن أَبي النَّضْر، حَدَّثَنَا أَبُو النَّضْر هَاشمُ بْنُ أَبي الْقَاسم، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ الأَشْجَعيُّ، عَنْ سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ، عَنْ عبيد الْمَكْتَبِ، عَنْ فُضَيْلٍ عَنْ الشَّعْبِيِّ، عَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ فَضَحِكَ، فَقَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَقُولُ: يَا رَبِّ، أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْم؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لاَ أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلاَّ شاهِداً

مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ شَهِيداً، وَبِالْكِرَام الْكَاتِبِينَ شُهُوداً، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطقي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلاَمَ، قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْداً لَكُنَّ وَسُحْقاً، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ.

* * *

وأَخرجه الترمذي في جامعه عن أَبي هريرة، وأَبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنهما ـ وهو مختصر عن روايتي مسلم المذكورتين هنا، فقال:

(٣٥٦) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ، وأَبي سَعِيد ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعاً وَبَصَراً، وَمَالاً وَوَلَداً، وَسَخَّرْتُ لَكَ الأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ، وَتَرَكْتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَكُنْتَ تَظُنُّ أَنَّكَ مُلاَقِيَّ يَوْمَكَ هَذَا؟ قَالَ: فَيَقُولُ: لاَ، فَيَقُولُ لَهُ: الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. قال أَبو عيسى الترمذي: حديث صحيح غريب.

شرح الحديثين من النووي على صحيح مسلم

قوله: **(لا تضارون في رؤية ربكم، إلا كما تضارون في رؤية أحدهما)** أي سترون ربكم رؤية حقيقية، يقينية، لا تشكون فيها، كما لا تشكون في رؤيتكم الشمس دون سحابة ـ أو رؤيتكم القمر ليلة البدر، دون سحابة.

وقوله: **(فيلقى العبد)** أي فيلقى الله العبد **(فيقول)** له: **(أي قل)** أي يا فلان، كناية عن اسمه، وهو بضم الفاء، وإسكان اللام، وهو ترخيم على غير قياس، وقيل: هي لغة بمعنى فلان. حكاها القاضي.

وقوله: **(ألم أكرمك وأسودك)** أي ألم أجعلك سيداً على غيرك **(وأزوجك)** أي وأمتعك بزوجة خلقتها لك تسكن إليها **(وجعل بينكم مودة ورحمة)** ـ وأسخر لك الخيل والإبل، **(وأذرك)** أي أتركك **(ترأس)** أي تكون رئيس القوم وكبيرهم **(وتربع)** وفي رواية: **(ترتع)**.

قال النووي ـ رحمه الله تعالى: ومعناه تأخذ المرباع الذي كانت ملوك الجاهلية تأخذه من الغنيمة، وهو ربعها ـ يقال: ربعتهم، أي أخذت ربع أموالهم، ومعناه، **(ألم أجعلك رئيساً مطاعاً؟)**.

وقال القاضي بعد حكاية نحو ما ذكرته: عندي أن معناه ـ تركتك مستريحاً لا تحتاج إلى مشقة وتعب، من قولهم: أربع على نفسك، أي أرفق بها، ومعناه بالمثناة **(ترتع)**: تتنعم، وقيل: تلهو، وقيل: تعيش في سعة ـ وقوله: **(فإني أنساك كما نسيتني)** أي أمنعك الرحمة، كما امتنعت من طاعتي، وأتركك دون عطف ورحمة، كما تركت طاعتي، دون تفكير فيها ـ وقوله ﷺ في الحديث الأول: **(فيقول الله تعالى له: ههنا إذا)** معناه: أن الله

.....

تعالى يقول ذلك للعبد الذي زعم أنه آمن بالله وبكتابه وبرسله وصلى وصام وتصدق إلى آخر ما يقول، وهو كاذب في كل ذلك، ويظن أن كذبه ينجيه ذلك اليوم، وذلك هو المنافق الذي يقول الله تعالى في وصفهم:

(يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا أنهم هم الكاذبون).

فيقول الله لمن صفته هكذا: **(ههنا إذا)** معناه قف ههنا، حتى تشهد عليك جوارحك، إذ كنت وصرت منكراً **(ويقول الله له: الآن نبعث شاهدنا عليك، ويتفكر)** أي العبد **(في نفسه)** قائلاً: **(من الذي يشهد علي)** جاهلاً أن جوارحه هي التي تشهد عليه **(فيختم على قلبه)** أي يخرس فمه فلا يقدر على الكلام **(وتنطق جوارحه بعمله)** وذلك كما قال تعالى: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾.

(وذلك المنافق الذي يسخط الله عليه) فيقول لأركانه **(بعداً لكنّ وسحقاً)** أي بعداً عن رحمة الله ـ والسحق: أشد البغض **(فعنكن كنت أناضل)** أي إنما أنكرت لأني كنت أدافع عنكن، فكيف تشهدن علي؟ وأنكن اللاتي سيكون العذاب عليكن، ولكن أنطقها الله الذي أنطق كل شيء. نسأل الله تعالى أن يستر عيوبنا ويغفر ذنوبنا ويدخلنا الجنة بفضله وكرمه. آمين.

حديث (يجاءُ بابن آدم يوم القيامة، فيوقف بين يدي اللَّه)

أَخرجه الترمذي في جامعه ـ باب ـ (ما جاءَ في شأْن الحشر) جـ ٢ ص ٦٩ فقال:

(٣٥٧) عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يُجَاءُ بِابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَأَنَّهُ بَذَج، فَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَي اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَعْطَيْتُكَ وَخَوَّلْتُكَ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْكَ، فَمَاذَا صَنَعْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، جَمَعْتُهُ وَثَمَّرْتُهُ، فَتَرَكْتُهُ أَكْثَرَ مَا كَانَ، فَارْجِعْني آتِكَ بِهِ، فَإِذَا عَبْدٌ لَمْ يُقَدِّمْ خَيْراً، ـ فَيُمْضَى بِهِ إِلَى النَّارِ.

قال الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في وصف هذا الحديث:

(وقد روى هذا الحديث غير واحد عن الحسن ـ أَحد رجال السند قوله: (ولم يسندوه ـ وإِسماعيل بن مسلم أَحد رجال السند، وهو الذي روى عن الحسن ـ يضعف هذا الحديث من قبل حفظه. ا هـ).

قوله: **(كأنه بذج)** ـ قال في القاموس: البذج محركة: ولد الضأن، كالعتود من المعز، جمعه بذجان بالكسر. ا هـ.

والحديث دليل على أن العبد إذا لم يقدم مما يملكه ـ شيئاً لآخرته، فلن يغنيه ذلك من الله شيئاً، قال تعالى: ﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾.

فعلى العاقل ألا يغتر بكثرة ما يجمع، ولكن يفرح بخير ما يقدم، حتى لا يندم حيث لا ينفعه الندم، قال تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ وفقنا الله للعمل للآخرة آمين.

حديث: (من شغله القرآن وذكري عن مسألتي)

أَخرجه الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى في جامعه قبل أَبواب تفسير القرآن. جـ ٢ ص ١٥٢:

(٣٥٨) عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ الرَّبُّ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ، وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي، أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلاَم اللَّهِ عَلَى سَائِر الْكَلاَم كَفَضْل اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ.

(قال أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى: حديث حسن غريب).

* * *

(حديث سؤال نوح عليه السلام؛ هل بلغت؟)

أَخرجه البخاري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ من كتاب الأَنبياءِ ـ عليهم السلام باب ﴿إنا أَرسلنا نوحاً إِلى قومه أَن أَنذر قومك﴾ الآية جـ ٤ ص ١٣٤ والقسطلاني جـ ٥ ص ٣٣٨:

(٣٥٩) حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيَّادٍ، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، عَنْ أَبِي صَالِح، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَّغْتُ؟ فَيَقُولُ: نَعَم، أَيْ رَبِّ، فَيَقُولُ لأُمَّتِهِ؛ هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ، فَيَقُولُ لِنُوح: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ وَأُمَّتُهُ ـ فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلَهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ ـ والوسط: (العدل).

* * *

قوله: **(والوسط: العدل)**، قال القسطلاني ـ رحمه الله تعالى: هذا من لفظ الحديث، وليس مدرجاً فيه. ا هـ وحديث ابن ماجه يدل على أن السؤال بلفظ: **(هل بلغت قومك)**؟ ليس مختصاً بنوح عليه السلام، ـ بل إن ذلك يكون في جميع الأنبياء أي المرسلين ـ مع أممهم.

فالأمم يجحدون، والأنبياء يطلبون شهادة محمد ﷺ وأمته. فتشهد أمة محمد ﷺ،

وأَخرجه البُخاري ـ رحمه اللَّه تعالى أَيضاً في كتاب التفسير من تفسير سورة البقرة جـ ٦ ص ٣١ بلفظ قريب مما هنا.

* * *

(٣٦٠) وأَخرجه الترمذي بلفظ قريب أَيضاً عن أَبي سعيد الخدري وقال فيه:

(فيَقُولُون: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، وَمَا أَتَانَا مِنْ أَحَدٍ، فَيُقَالُ: مَنْ شُهُودُكَ؟... إِلى آخره).

ثم قال: حديث حسن صحيح.

* * *

وأَخرجه ابن ماجه في باب صفة أُمة محمد ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ جـ ٢ ص ٢٩٧ فقال:

(٣٦١) عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يَجِيءُ النَّبِيُّ ـ وَمَعَهُ الرَّجُلاَنِ، وَيَجِيءُ النَّبِيُّ ـ وَمَعَهُ الثَلاَثَةُ، وَأَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ وَأَقَلُّ، فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ قَوْمَكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُدْعَى قَوْمُهُ، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيُقَالُ: مَنْ شَهِدَ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَيُدْعَى أُمَّةُ مُحَمَّد، فَيُقَالُ: هَلْ بَلَّغ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: وَمَا عِلْمُكُمْ بِذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: أَخْبَرَنَا نَبِيُّنَا بِذَلِكَ، أَنَّ الرُّسُلَ قَدْ بَلَّغُوا، فَصَدَّقْنَاهُ، قَالَ: فَذَلِكُمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾.

(﴿**ويكون الرسول عليكم شهيداً**﴾) أي شهيداً على شهادة أمته، مزكياً لهم بأنهم شهداء عدول، جزى الله تعالى عنا نبينا أفضل ما جازى نبياً عن أمته آمين. وشفعه فينا يوم الزحام آمين.

والحمد لله رب العالمين.

٣٧ ـ (الجنة محرمة على الكافرين ولا تنفعهم قرابة)

حديث: (يلقى إِبْرَاهِيمُ عليه السلام آزَرَ يوم القيامة) أَخرجه البخاري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في كتاب (بدءِ الخلق).

باب قوله تعالى: ﴿واتخذ اللَّه إبراهيم خليلاً﴾ جـ ٤ ص ١٣٩:

(٣٦٢) حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَخي عَبْدُ الْحَمِيدِ، عَنِ ابْن أَبِي ذِئْبٍ، عَنْ سَعِيد الْمَقْبُرِي عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى وَجْهِ آزَرَ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: لاَ تَعْصِنِي، فَيَقُولُ أَبُوهُ: فَالْيَوْمَ لا أَعْصِيكَ، فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا رَبِّ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لاَ تُخْزِيَنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ، وَأَيُّ خِزْيٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الأَبْعَدِ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّة عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يُقَالُ يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رِجْلَيْكَ؟ فَيَنْظُرُ، فَإِذَا هُوَ بَذِيخ مُلْتَطخ فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِه، فَيُلْقَى في النَّارِ.

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً في كتاب التفسير ـ من سورة الشعراءِ جـ ٦ ص ١١١ بلفظ مختصر ـ وفي القسطلاني جـ ٧ ص ٣٧٨.

شرح الحديث

رقم ٣٦٢ من القسطلاني جـ ٥ ص ٣٤٣

(حدثنا إسماعيل بن عبد الله) بن أبي أويس الأصبحي ابن أخت الإمام مالك ـ وأخوه عبد الحميد أبو بكر الأعشى بن أبي أويس. وابن أبي ذئب: محمد بن عبد الرحمٰن وسعيد ابن أبي سعيد المقبري، بضم الباء ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: يلقى إبراهيم ـ عليه السلام ـ أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قترة، أي سواد كالدخان، وغبرة أي غبار، فيقول له إبراهيم ـ عليه السلام ـ **(ألم أقل لك: لا تعصني)** إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً يا أبت لا تعبد

.....

الشيطان إن الشيطان كان للرحمٰن عصياً﴾.

فيقول أبوه: **(فاليوم لا أعصيك، فيقول إبراهيم ـ عليه السلام ـ: يا رب إنك وعدتني أن لا تخزيني يوم يبعثون)** أي فإنه دعا بذلك ولم يكن بدعاء ربه شقياً، فهو كان يرجو الإجابة.

قال: **(وأي خزي أخزى من أبي الأبعد)** أي من رحمة الله، فالفاسق بعيد من رحمة الله والكافر أبعد منه ـ قال تعالى: ﴿**إن رحمة الله قريب من المحسنين**﴾. فيقول الله تعالى: ﴿**إني حرمت الجنة على الكافرين**﴾ أي وإن أباك كافر، فالجنة حرام عليه **(ثم يقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك؟)** على الاستفهام، ليلتفت عن النظر إلى آزر **(فإذا هو بذيخ)** الذيخ يكسر الذال، وسكون الياء، آخره خاء معجمة: ضبع كثير الشعر **(ملتطخ)** أي بالدم أو بالرجيع الذي يخرج منه **(فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار)**.

وعند ابن المنذر: **(فإذا رآه كذلك تبرأ منه، وقال: لست أبي)** ـ والحكمة في مسخه ضبعاً دون غيره من الحيوان أن الضبع أحمق الحيوان، ومن حمقه أنه يغفل عما يجب التيقظ له، فلما لم يقبل آزر النصيحة من أشفق الناس إليه ـ شبه به ـ والحديث دليل على أن شرف الولد لا ينفع الوالد إذ لم يكن مسلماً ـ وكذا العكس. كنوح عليه السلام مع ابنه. والله أعلم.

حديث: (يقال لأَهون أَهل النار عذاباً)

أَخرجه البخاري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ من كتاب (بدءِ الخلق).

باب (خلق آدم) جـ ٤ ص ١٣٤ شرح القسطلاني جـ ٥ ص ٣٢٤ وما بعدها:

(٣٦٣) حَدَّثَنَا قَيْسُ بْنُ حَفْص، حَدَّثَنَا خَالدُ بْنُ الْحَارِث، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ الْجَوْنِّي، عَنْ أَنَس يَرْفَعُهُ: إِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يَقُولُ لأَهْوَنَ أَهْلُ النَّارِ عَذَاباً: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا في الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ ذَلِكَ وَأَنْتَ في صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي، فَأَبَيْتَ.

* * *

وأَخرجه البخاري في باب ـ (صفة الجنة والنار) كتاب الرقاق قسطلاني جـ ٩ ص ٣٢١ بلفظ:

(٣٦٤) حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ، حَدَّثَنَا غُنْدَرٌ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي عِمْرَانَ ـ أَي الجَوْنيّ ـ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لأَهْوَن أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَو أَنَّ لَكَ مَا في الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ في صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي شَيْئاً، فَأَبَيْتَ أَنْ لاَ تُشْرِكَ بِي.

* * *

وأَخرجه الإمام مسلم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ من باب الكفارات جـ ١٠ ص ٢٦٤ هامش القسطلاني:

(٣٦٥) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُعَاذ الْعَنْبَرِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ أَبِي عِمْرَان الْجَوْنِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لأَهْوَن أَهْلِ النَّارِ عَذَاباً، لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ مُفْتَدِياً بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا، وَأَنْتَ في صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لاَ تُشْرِكَ ـ أَحْسِبُهُ قَالَ: وَلاَ أُدْخِلُكَ النَّارَ، فَأَبَيْتَ إِلاَّ الشِّرْكَ.

* * *

(٣٦٦) وأخرجه مسلم بسند آخر، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يُقَالُ لِلْكَافِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَباً، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ ـ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ سُئِلْتَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِكَ.

* * *

(٣٦٧) وفي رواية أُخرى له:

(فَيُقَالُ لَهُ: كَذَبْتَ، قَدْ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ) ا هـ.

شرح الحديث

مأخوذ من شرح النووي على صحيح مسلم ـ رحمهما الله تعالى

قال النووي ـ رحمه الله تعالى: **(المراد بقوله: أردت منك في الرواية الأولى طلبت منك، وأمرتك)**، وقد أوضحه في الروايتين الأخيرتين بقوله: **(سئلت أيسر من ذلك)** فيتعين تأويل **(أردت)** على ذلك، جمعاً بين الروايات، لأنه يستحيل عند أهل الحق أن يريد الله تعالى شيئاً فلا يقع.

ومذهب أهل الحق أن الله تعالى مريد لجميع الكائنات: خيرها وشرها، ومنها الإيمان والكفر ـ فهو تعالى مريد لإيمان المؤمن، كما هو مريد لكفر الكافر، خلافاً للمعتزلة في قولهم: إنه أراد الإيمان للكافر، ولم يرد كفره ـ تعالى الله عن قولهم الباطل ـ فإنه يلزم من قولهم إثبات العجز في حقه تعالى، وأنه وقع في ملكه ما لم يرده.

وأما الحديث فقد بينا تأويله ـ أي بما سبق.

وأما قوله: **(كذبت)** فالظاهر أن معناه: يقال له: لو رددنا إلى الدنيا، وكانت لك كلها، أكنت تفتدي بها؟ فيقول: نعم: فيقال له: كذبت، قد سئلت أيسر من ذلك، فأبيت.

ويكون هذا من معنى قوله تعالى: ﴿**ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه**﴾ ـ ولا بد من هذا التأويل، ليجمع بينه وبين قوله تعالى: ﴿**ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة**﴾ أي لو كان لهم ذلك كله يوم القيامة، وأمكنهم الافتداء به ـ لافتدوا به.

وفي هذا الحديث دليل على أنه يجوز أن يقول الإنسان: **(الله يقول)** وقد أنكره بعض السلف وقال: يكره أن يقول: **(الله يقول)** وإنما يقال: **(قال الله)** ـ وقد قدمنا فساد هذا المذهب وبينا أن الصواب جواز ذلك. وبه قال عامة العلماء من السلف والخلف، ـ وبه جاء القرآن العزيز في قوله تعالى: ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾.

وفي الصحيحين أحاديث كثيرة مثل هذا. والله أعلم. ا هـ من النووي.

.....

وفي القسطلاني جـ ٥ ص ٣٢٤: **(يرفعه)** أي إلى النبي ﷺ **(تفتدي به)** أي لخلاص نفسه مما وقع فيه بدفع ما يملكه **(سألتك ما هو أهون من ذلك)** أي حين أخذ الميثاق، فأبيت إذ أخرجتك إلى الدنيا إلا الشرك. ا هـ قسطلاني.

٣٨ ـ (احتجاج الجنة والنار وشكوى النار)

حديث: (تحاجَّت الجنَّة والنَّار)

أَخرجه البخاري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في كتاب التفسير ـ من سورة (ق) جـ ٦ ص ١٣٨ فقال:

(٣٦٨) حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّد، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزاقِ، أَخْبَرَنَا مَعمَرٌ، عَنْ هَمَّام، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، وَالْمُتَجَبِّرِينَ، وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: مَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلاَّ ضُعَفاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ؟ قَالَ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادي، وَقَالَ لِلنَّارِ: إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابِي، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ مِنْ عِبَادِي، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا، فَأَمَّا النَّارُ فَلاَ تَمْتَلِىءُ، حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ، فَتَقُولُ: قَطِ، قَطِ، قَطِ؛ فَهُنَاكَ تَمْتَلِىءُ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَلاَ يَظْلِمُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مِنْ خَلْقِهِ أَحَداً، وَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّهَ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ يُنْشِىءُ اللَّهُ لَهَا خَلْقاً.

* * *

وأَخرجه البخاري في كتاب التوحيد ـ باب ما جاءَ في قول اللَّه تعالى: ﴿إن رحمة اللَّه قريب من المحسنين﴾ جـ ٩ ص ١٣٤ قال بسنده إِلى أَبي هريرة.

(٣٦٩) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: اخْتَصَمَتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ إِلَى رَبِّهِمَا، فَقَالَتِ الْجَنَّةُ: يَا رَبِّ، مَا لَهَا، لاَ يَدْخُلُهَا إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمُ؟ وَقَالَتِ النَّارُ: ـ يعني ـ أُوثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ، فَقَالَ اللَّهُ ـ تَعَالَى ـ لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، وَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا، قَالَ: فَأَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّ اللَّه لاَ يَظْلِمُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَداً، وَأَنَّهُ يُنْشِىءُ لِلنَّارِ مَنْ يَشَاءُ، فَيُلْقَوْنَ فِيهَا فَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيد؟ ـ ثَلاثاً ـ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا قَدَمَهُ، فَتَمْتَلِىءُ، وَيُرَدُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْض، وَتَقُولُ: قَطِ، قَطِ، قَطِ.

* * *

وأَخرج الحديث مسلم في صحيحه في باب جهنم ـ أَعاذنا اللَّه تعالى منها ـ وقد أَخرجه الإِمام مسلم بروايات متعددة عن أَبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ.

(٣٧٠) أَولاها: مثل رواية البخاري الأُولى، المذكورة في سورة (ق) وزاد فيها:

(وَقَالَتِ الْجَنَّةُ: فَمَا لِي لاَ يَدْخُلُنِي إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ وَعَجَزُهُمْ) وقال فيها: (وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا).

* * *

(٣٧١) الرواية الثانية مثل الرواية الأُولى، إِلا أَنه قال: (احْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ).

* * *

(٣٧٢) والرواية الثالثة: عن أَبي هريرة من جملة أَحاديث، وقال فيها: (وقَالَتِ الْجَنَّةُ) فَمَا لِي، لاَ يَدْخُلُنِي إِلاَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ، وَسَقَطُهُمْ وَغَرَّتُهُمْ) وهي مثل غيرها من الروايتين.

* * *

(٣٧٣) وأَخرجه مسلم في الرواية الرابعة عن أَبي سعيد الخدري ـ رضي اللَّه عنه ـ مثل حديث أَبي هريرة ـ وقال: (وَلِكِلَيْكُمَا مِلْؤُهَا) ولم يذكر ما بعده من الزيادة.

* * *

ثم أَخرجه مسلم ـ رحمه اللَّه تعالى ـ بسنده إِلى أَنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ فقال:

(٣٧٤) عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِك ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعِزَّةِ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ قَدَمَهُ، فَتَقُولُ: قَطْ، قَطْ، وَعِزَّتِكَ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ.

* * *

وأَخرجه أَيضاً عن أَنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه ـ فقال:

(٣٧٥) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّهُ قَالَ: لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ يُلْقَى فِيهَا، وَتَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ؟ حَتَّى يَضَعَ رَبُّ الْعِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ، فَيَنْزَوِيَ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، وَتَقُولَ: قَطِ، قَطِ، بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ، وَلاَ يَزَالُ فِي الْجَنَّةِ فَضْلٌ، حَتَّى يُنْشِىء اللَّهُ لَهَا خَلْقاً، فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ.

* * *

(٣٧٦) وقال مسلم في رواية أَيضاً:

(عَنْ أَنَس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ يَقُولُ: يَبْقَى مِنَ الْجَنَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَبْقَى، حَتَّى يُنْشِىءَ اللَّهُ لَهَا خَلْقاً مِمَّا يَشَاءُ).

* * *

وأَخرج الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ حجاج الجنة والنار، فقال بسنده:

(٣٧٧) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: احْتَجَّتِ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَتِ الْجَنَّةُ: يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ، وَقَالَتِ النَّارُ: يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ، فَقَالَ لِلنَّارِ: أَنْتِ عَذَابِي، أَنْتَقِمُ بِكِ مِمَّنْ شِئْتُ، وَقَال لِلْجَنَّةِ: أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ شِئْتُ.

شرح أحاديث

البخاري من القسطلاني جـ ٧ ص ٣٥٤

(حدثنا عبد الله بن محمد) المسندي **(عبد الرزاق بن همام)** بتشديد الميم وفتح الهاء **(معمر)** بن راشد ـ همام بن منبه. **(تحاجت الجنة والنار)** أي تخاصمت بلسان المقال ـ ولا حرج في ذلك على قدرة الله تعالى ـ أو بلسان الحال.

(فقالت النار: أثرت) بضم الهمزة مبنياً للمفعول، بمعنى اختصصت **(بالمتكبرين والمتجبرين)** مترادفان لغة، فالثاني تأكيد لسابقه، أو المتكبر المتعظم بما ليس فيه، والمتجبر: الممنوع الذي لا يوصل إليه، أو الذي لا يكترث بأمر الضعفاء من الناس وسقطهم.

(وقالت الجنة: ما لي؟ لا يدخلني إلا ضعفاء الناس) الذين لا يلتفت إليهم لمسكنتهم **(وسقطهم)** بفتحتين: هم المحتقرون بين الناس، الساقطون من أعينهم، لتواضعهم إلى ربهم، وذلتهم له **(قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي)** سماها رحمة، لأن بها تظهر آثار

.....

رحمته تعالى، كما قال: **(أرحم بك من أشاء من عبادي)** وإلا فرحمة الله تعالى من صفاته التي لم يزل بها موصوفاً **(وقال للنار: إنما أنت عذاب)** وفي نسخة: عذابي، أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما وفي نسخة منكما ملؤها، ـ **(فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله)** ـ وفي مسلم: **(حتى يضع الله رجله)**.

وأنكر ابن فورك لفظ ـ **(رجله)** وقال: إنها غير ثابتة ـ وقال ابن الجوزي: هي تحريف من بعض الرواة.

ورد عليهما برواية الصحيحين بها، وأولت بالجماعة، كرجل من جراد، أي يضع فيها جماعة، وأضافهم إليه إضافة اختصاص.

وقال محيياً لسنة: القدم والرجل في هذا الحديث من صفات الله المنزهة عن التكييف والتشبيه، فالإيمان بها فرض، والامتناع عن الخوض فيها واجب، فالمهتدي من سلك فيها طريق التسليم، والخائض فيها زائغ، والمنكر معطل، والمكيف مشبه، **(ليس كمثله شيء)**.

(فتقول) أي النار إذا وضع رجله فيها: **(قط، قط، قط)** ثلاثاً، بتنوينها مكسورة، ومسكنة.

وعند أبي ذر: **(مرتين فقط ـ فهناك تمتلىء ويزوى)** بضم أوله، وفتح ثالثه **(بعضها إلى بعض)** أي تجتمع وتلتقي على من فيها، ولا ينشىء لها خلقاً **(ولا يظلم الله ـ عز وجل ـ من خلقه أحداً)**. أي لم يعمل سوءاً.

(وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشىء لها خلقاً) أي لم يعملوا خيراً قط حتى تمتلىء فالثواب ليس موقوفاً على العمل.

وفي حديث أنس عند مسلم مرفوعاً: **(يبقى من الجنة ما شاء الله، ثم ينشىء لها مما يشاء)** ـ وفي رواية له: **(ولا يزال في الجنة فضل، حتى ينشىء الله لها خلقاً، فيسكنهم في فضل الجنة)** ا هـ من القسطلاني كتاب التفسير جـ ٧ ص ٣٥٥.

وقال القسطلاني في شرح الحديث، من كتاب التوحيد ـ باب ـ **(إن رحمة الله قريب من المحسنين)** جـ ١٠ ص ٤١٣.

(اختصمت الجنة والنار إلى ربهما) تعالى، مجازاً عن حالهما المشابه للخصومة، أو حقيقة بأن خلق الله فيهما الحياة والنطق ـ والله أعلم.

وقال أبو العباس القرطبي: يجوز أن يخلق الله ذلك القول، فيما شاء من أجزاء الجنة والنار، لأنه لا يشترط عقلاً في الأصوات أن يكون محلها حياً على الراجح، ـ ولو سلمنا الشرط، لجاز أن يخلق الله تعالى في بعض أجزائها، الجمادية حياة، لا سيما وقد قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿**وإن الدار الآخرة لهي الحيوان**﴾. إن كل ما في الجنة حي. ويحتمل أن يكون ذلك بلسان الحال، والأول أولى.

.....

واختصامهما: هو افتخار إحداهما على الأخرى بمن يسكنها، فتظن النار أنها بمن ألقي فيها من عظماء الدنيا آثر عند الله من الجنة، وتظن الجنة أنها بمن يسكنها من أولياء الله تعالى آثر عند الله من النار.

(فقالت الجنة: ما لها؟) مقتضى الظاهر أن تقول **(ما لي)**؟ ولكنها تقول ذلك على طريق الالتفات **(لا يدخلها إلا ضعفاء الناس وسقطهم)** أي الضعفاء الساقطون من أعين الناس، لتواضعهم لربهم وذلتهم له **(فقال الله)** مجيباً لهما، ومبيناً بأنه فضل لإحداكما على الأخرى، من طريق من يسكنكما، ـ وقد رد الله ذلك إلى مشيئته، فقال تعالى **(للجنة: أنت رحمتي، وقال للنار: أنت عذابي، أصيب بك من أشاء، ولكل منكما ملؤها، فأما الجنة فإن الله لا يظلم من خلقه أحداً، وأنه ينشىء للنار من يشاء)** من خلقه **(فيلقون فيها، فتقول: هل من مزيد؟ ثلاثاً ـ حتى يضع فيها قدمه)** هو عبارة عن زجرها، وتسكينها، كما يقال: جعلته تحت رجلي، ووضعته تحت قدمي، **(فتمتلىء ويرد بعضها)** بضم الياء وفتح الراء **(إلى بعض، وتقول: قط، قط، قط)** بالتكرار ثلاثاً، للتأكيد مع فتح القاف وتسكين الطاء، مخففة فيها ـ أي حسبي.

وهذا الحديث قد سبق في سورة ـ ق ـ بخلاف هذه الرواية، فإنه قال هناك: **(وأما النار فتمتلىء، ولا يظلم الله من خلقه أحداً، وأما الجنة، فإن الله ينشىء لها خلقاً)** ـ وكذا في صحيح مسلم قال: **(وأما الجنة فإن الله ينشىء لها خلقاً)**.

فقال جماعة: إن الذي ورد هنا من المقلوب، وجزم ابن القيم بأنه غلط، محتجاً بأن الله تعالى أخبر بأن جهنم تمتلىء من إبليس وأتباعه. أي بقوله تعالى: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾.

وكذا أنكرها البلقيني، واحتج بقوله: **(ولا يظلم ربك أحداً)**.

وقال أبو الحسن القابسي: المعروف أن الله ينشىء للجنة خلقاً، ـ قال: ولا أعلم في شيء من الأحاديث أنه ينشىء للنار خلقاً، إلا هذا الحديث. ا هـ.

واحتج بأن تعذيب غير العاصي لا يليق بكرمه تعالى، بخلاف الأنعام على غير المطيع. ـ وقال البلقيني: حمله على أحجار تلقى في النار أقرب من حمله على ذي روح يعذب بغير ذنب. ا هـ.

قال في الفتح: ويمكن أن يكونوا من ذوي الأرواح ولكن يعذبون فيها، كما في الخزنة الذين يتولون تعذيب أهل النار.

ويحتمل أن يراد بالإنشاء ابتداء إدخال النار. وعبر عن ابتداء الإدخال بالإنشاء فهو إنشاء الإدخال، ـ لا الإنشاء بمعنى ابتداء الخلق، بدليل قوله: **(فيلقون فيها، وتقول: هل من مزيد؟)**. ا هـ ما قاله القسطلاني هنا.

.....

شرح أحاديث الإمام مسلم

وهو مأخوذ من شرح الإمام النووي جـ ١٠ ص ٢٩٧ هامش القسطلاني

قال ـ رحمه الله: **(قوله ﷺ: تحاجت النار والجنة... الخ)**.

هذا الحديث على ظاهره، وأن الله تعالى جعل في النار والجنة تمييزاً، تدركان به، فتحاجتا، ولا يلزم هذا أن يكون ذلك التمييز فيهما دائماً.

وقوله ﷺ: **(وقالت الجنة: فما لي، لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم)** ـ أما سقطهم فبفتح السين والقاف وأما عجزهم فبفتح العين والجيم، جمع عاجز، أي العاجزون عن طلب الدنيا والتمكن فيها والثروة والشوكة ـ والسقط: الضعفاء المحتقرون منهم.

وأما رواية محمد بن رافع ففيها: **(لا يدخلني إلا ضعاف الناس وغرثهم)** فروي على ثلاثة أوجه، حكاها القاضي، وهي موجودة في النسخ. أحدها ـ غرثهم ـ بغين معجمة مفتوحة، وراء مفتوحة، وثاء مثلثة، قال القاضي: هذه رواية الأكثرين من شيوخنا.

ومعناها البله الغافلون، الذين ليس لهم والغرث: الجوع. والثاني ـ عجزتهم ـ بعين مهملة مفتوحة، وجيم وزاي، وتاء، جمع عاجز كما سبق.

والثالث ـ غرتهم ـ بغين معجمة مكسورة، وراء مشددة، وتاء مثناة فوق، وهذا هو الأشهر في نسخ بلادنا.

ومعناها: البله الغافلون، الذين ليس لهم فتك، وحذق في أمور الدنيا ـ وهو نحو الحديث الآخر **(أكثر أهل الجنة البله)**.

قال القاضي: معناه سواد الناس وعامتهم من أهل الإيمان، الذين لا يفطنون للسنة، فيدخل عليهم الفتنة، أو يدخلهم في البدعة أو غيرها، فهم ثابتو الإيمان، وصحيحو العقيدة، وهم أكثر المؤمنين ـ وهم أكثر أهل الجنة، وأما العارفون والعلماء العاملون، والصالحون والمتعبدون، فهم قليلون، وهم أصحاب الدرجات العلى. ـ قال: وقيل: معنى الضعفاء هنا وفي الحديث الآخر: **(أهل الجنة كل ضعيف متضعف)** أنه الخاضع لله تعالى، المذل نفسه لله تعالى، ـ ضد المتكبر المتجبر.

وقوله ﷺ: **(فتقول: قط، قط)** بإسكان الطاء فيهما، وبكسرها منونة، وغير منونة.

وقوله ﷺ: **(فلا تمتلىء حتى يضع الله ـ تبارك وتعالى ـ رجله)**.

وفي الرواية التي بعدها: **(لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد؟ حتى يضع فيها رب العزة ـ تبارك وتعالى ـ قدمه، فتقول: قط، قط)**.

وفي الرواية الأولى: **(فيضع قدمه عليها)**.

.....

هذا الحديث من مشاهير أحاديث الصفات ـ وقد سبق مراراً بيان اختلاف العلماء فيها على مذهبين:

أحدهما ـ وهو قول جمهور السلف، وطائفة من المتكلمين أنه لا يتكلم في تأويلها، بل نؤمن أنها حق على ما أراده الله تعالى، ولها معنى يليق بها، وظاهرها غير مراد.

والثاني ـ وهو قول جمهور المتكلمين أنها تتأول بحسب ما يليق بها.

فعلى هذا اختلفوا في تأويل هذا الحديث، فقيل: المراد بالقدم هنا: المتقدم، وهو شائع في اللغة، ومعناه: حتى يضع الله ـ تعالى ـ فيها من قدمه لها من أهل العذاب.

قال المازري والقاضي: هذا تأويل النضر بن شميل، ونحوه عن ابن الأعرابي، الثاني ـ أن المراد قدم بعض المخلوقين، فيعود الضمير في قدمه إلى ذلك المخلوق المعلوم.

الثالث ـ أنه يحتمل أن يكون في المخلوقات ما يسمى بهذه التسمية.

وأما الرواية التي فيها: **(حتى يضع الله فيها رجله)** فقد زعم الإمام أبو بكر بن فورك أنها غير ثابتة عند أهل النقل، ولكن قد رواها مسلم وغيره، فهي صحيحة ـ وتأويلها كما سبق في القدم.

ويجوز أن يراد بالرجل الجماعة من الناس، كما يقال: رجل من جراد، أي قطعة منه.

قال القاضي: أظهر التأويلات ـ أنهم قوم استحقوها، وخلقوا لها، قالوا: ولا بد من صرفه عن ظاهره، لقيام الدليل القطعي على استحالة الجارحة على الله تعالى. ا هـ من النووي على مسلم. والله أعلم.

نسألك اللهم أن تنجينا من النار، وتدخلنا الجنة بمنك وفضلك مع الأبرار، وتمتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم ـ آمين يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حديث: (اشتكت النار إلى ربها)

أَخرجه البخاري ـ رحمه اللَّه ـ في كتاب (بدءِ الخلق ـ باب صفة النار) ـ جـ ٤ ص ١٤٠.

(٣٧٨) حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَان، أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِي، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: اشْتَكَتِ النَّارُ إِلى رَبِّهَا، فَقَالَتْ: رَبِّ، أَكَلَ بَعْضِي بَعْضاً، فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْن: نَفَسٍ في الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ في الصَّيْفِ، فَأَشَدَّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدَّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ.

شرح الحديث من القسطلاني جـ ٥ ص ٢٨٨

(اشتكت النار إلى ربها) أي اشتكت حقيقة بلسان المقال، بحياة يخلقها الله تعالى فيها، أو مجازاً بلسان الحال ـ عن غليانها، وأكل بعضها بعضاً ـ فقالت: يا رب، أكل بعضي بعضاً، فأذن لها ربها **(بنفسين)** حملها البيضاوي على المجاز، وغيره حملها على النفس الحقيقي، وهو في الأصل ما يخرج من الجوف ويدخل فيه من الهواء: **(نفس في الشتاء، ونفس في الصيف)** بجر نفس على البدلية **(فأشد ما تجدون في الحر)** وفي رواية: **(من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير)** أي هذا كله من ذلك النفس.

والذي خلق الملك من الثلج والنار قادر على إخراج الزمهرير من النار ا هـ قسطلاني والله أعلم.

٣٩ ـ (ما جاء في حوض النبي صلى اللَّه عليه وسلم)

حديث الحوض أَخرجه البخاري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في باب الحوض ـ جـ ٨ ص ١١٩

(٣٧٩) حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَر، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنِ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْض، وَلَيُرْفَعَنَّ مَعِي رِجَالٌ مِنْكُمْ، ثُمَّ لَيُخْتَلَجُنَّ دُوني، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ.

* * *

وأَخرجه البخاري بسند آخر، عن حذيفة ـ رضي اللَّه عنه عن النبي ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ، وأَخرجه مسلم من طريق حصين عن أَبي وائل، عن حذيفة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ.

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً بسنده إِلى أَنس بن مالك ـ رضي اللَّه عنه عن النبي ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ فقال:

(٣٨٠) حَدَّثَنَا مُسْلِمُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِي الْحَوْض حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ، اخْتُلِجُوا دُوني، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: لاَ تَدْرِي ما أَحَدَثُوا بَعْدَكَ.

وأَخرج مسلم الحديث في المناقب. ا هـ قسطلاني.

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً بسنده إِلى سهل بن سعد ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ فقال:

(٣٨١) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُطَرِّف، حَدَّثَني أَبُو حَازِم، عَنْ سَهْل بْنِ سَعْد، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ، أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونَنِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ.

قَالَ أَبُو حَازِم: فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عِيَاشٍ، فَقَالَ: هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدَرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ لَسَمِعْتُهُ، وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا:

(فَأَقُولُ: إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سُحْقاً، سُحْقاً، لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي).

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً بسنده إِلى أَبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ عن النبي ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ فقال:

(٣٨٢) وَقَالَ أَحْمَدُ بْنُ شَبِيبِ بْنِ سَعِيد الْحَبَطِيُّ، حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ يُونُسَ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسِيبِ، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَرِدُ عَلَي يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُجْلَوْنَ عَنِ الْحَوْضِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ الْقَهْقَرَى.

وَقَالَ شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِي: كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: (فَيُجْلَوْنَ) وَقَالَ عُقَيْلٌ ـ أَي عن الزهري: (فَيُحَلَّئُونَ).

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً عن أَبي هريرة ـ رضي اللَّه عنه ـ بلفظ أَطول مما سبق فقال:

(٣٨٣) حَدَّثَنِي إِبْرَاهِيمُ بن المنْذِرِ الحزاميُّ، حَدَّثَنِي محمد بن فُلَيْح حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا هِلاَلٌ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَار، عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ، فَإِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ، خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: وَمَا

شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى، ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ، خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ، قُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمْ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ الْقَهْقَرَى فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلاَّ مِثْلُ هَمَل النَّعَم.

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً بسنده عن أَسماءَ بنت أَبي بكر الصديق رضي اللَّه عنهما في الباب نفسه جـ ٩ ص ٣٤٣ قسطلاني، فقال:

(٣٨٤) حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ أَبِي مَرْيَمَ، عَنْ نَافِعِ بْنِ عُمَرَ ـ أَي ابن عبد اللَّه الجمحي ـ قَالَ: حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَتْ: قَالَ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ، حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ مِنْ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي، وَمِنْ أُمَّتِي، فَيُقَالُ: هَلْ شَعُرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يَرْجِعُون عَلَى أَعْقَابِهِمْ، فكَانَ ابْنُ أَبي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا، أَوْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا.

(أَعقابكم تَنْكِصُونَ: تَرْجِعُونَ إِلى الْعَقَبِ).

شرح حديث الحوض

روايات البخاري من شرح القسطلاني

أولاً: شرح حديث ابن مسعود ـ رضي الله عنه:

قوله: **(أنا فرطكم على الحوض)** فرطكم بفتح الفاء والراء، بعدها طاء مهملة، أي سابقكم إليه، لأصلحه وأهيئه لكم.

والفرط: الذي يتقدم الواردين، ليصلح لهم الحياض. فهنيئاً لواردِيه، جعلنا الله تعالى منهم، بوجهه الكريم، من غير عذاب، إنه كريم وهاب.

وفيه بشارة عظيمة بهذه الأمة المحمدية، ـ زادها الله شرفاً به آمين.

(وليرفعن رجال منكم، حتى أراهم) ـ اللام للقسم، والفعل مبني للمجهول، وهو مبني على الفتح، لاتصاله بنون التوكيد، ورجال نائب فاعل، أي ليظهرن له رجال، حتى يراهم بعينه.

(ثم ليختلجن) بضم الجيم، وواو الجماعة محذوفة، لالتقاء الساكنين، أي يجتذبون ويقتطعون عني **(فأقول: يا رب، أصحابي)** أي من أمتي **(فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا**

.....

بعدك) أي من الردة عن الإسلام أو من المعاصي. ا هـ.

ثانياً ـ شرح حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه. **(قوله: ليردن)** من الورود **(على ناس من أصحابي)** أي من أمتي **(الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا)** بالبناء للمجهول، أي جذبوا وأخذوا بشدة **(دوني)** أي بالقرب مني **(فأقول: أصحابي)** وفي رواية: **(أصيحابي)** بالتصغير للتقليل **(فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك)** من المعاصي، التي هي سبب الطرد والحرمان من الشرب. ا هـ والله أعلم.

ثالثاً ـ شرح حديث سهل بن سعد ـ رضي الله عنه.

عن النبي ﷺ قال: **(أنا فرطكم على الحوض، من مر علي شرب)** أي من مكن من المرور علي شرب منه ـ وفي رواية: **(يشرب)** بالمضارع المجزوم ـ وزاد ابن أبي عاصم: **(ومن صرف عنه لم يرد أبداً)** ـ **(ومن شرب منه لم يظمأ أبداً، وليردن على أقوام أعرفهم ويعرفونني)**.

وفي رواية: **(ويعرفوني) (ثم يحال بيني وبينهم)**.

قال أبو حازم، أحد رواة الحديث: **(فسمعني النعمان بن أبي عياش، فقال: هكذا سمعت من سهل؟)** بتقدير همزة الاستفهام قيل ـ هكذا **(فقلت: نعم فقال النعمان: أشهد على أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه لسمعته ـ وهو يزيد فيها)** أي عن النبي ﷺ: **(فأقول: إنهم مني)** أي إن الذين يحال بيني وبينهم ـ هم من أمتي **(فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)** أي من المعصية الموجبة لطردهم، وبعدهم عن الحوض **(فأقول: سحقاً، سحقاً)** أي بعدا وكررها تأكيداً ـ فبعدا **(لمن غير بعدي)** أي غير دينه، لأنه لا يقال للعصاة بغير الكفر: **(سحقاً، سحقاً)** بل يشفع لهم، ويهتم بأمرهم، كما هو بالمؤمنين رؤوف رحيم ـ ﷺ ونفعنا بشفاعته آمين. والله أعلم.

رابعاً ـ شرح حديث أبي هريرة الأول ـ رضي الله عنه ـ.

قوله: **(يرد علي يوم القيامة رهط)** الرهط: ما دون العشرة إلى أربعين. **(من أصحابي، فيجلون)** مبني للمجهول ـ من الإجلاء ـ أي يبعدون ويطردون ويصرفون عن الحوض.

وفي رواية: **(فيحلقون)** بالحاء والهمزة، وتشديد اللام، أي يطردون ـ **(عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي)**، فيقول الله تعالى: ﴿إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك﴾ إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى، القهقرى نصب على المصدرية، لفعل من غير لفظه، كقولك: قعدت جلوساً ـ ورجعت القهقرى، وهي الرجوع إلى خلف، فكأنك رجعت الرجوع، الذي يعرف بهذا الاسم.

وقال ابن الأثير: القهقرى ـ المشي إلى خلف من غير أن يعيد وجهه، إلى جهة مشيه قيل: إنه من باب القهر، ـ وقال الأزهري: معناه الارتداد عما كانوا عليه. ا هـ.

خامساً ـ شرح حديث أبي هريرة الثاني الطويل ـ رضي الله عنه ـ قوله: **(بينا أنا نائم)** أي

.....

على الحوض **(فإذا زمرة)** أي جماعة ـ وفي رواية: **(بينا أنا نائم)**.

قال القسطلاني: ويحتمل أن توجه رواية النون ـ أنه رأى ذلك في المنام وهو ما سيقع في الآخرة ـ أي ورؤيا الأنبياء وحي.

(حتى إذا عرفتهم خرج رجل) أي ملك ـ على صورة رجل ـ موكل بذلك **(من بيني وبينهم)** ـ فقال لهم: أي تعالوا **(فقلت له: أين)** تذهب بهم **(قال)** الملك: اذهب بهم إلى **(النار والله)** بالخفض بواو القسم **(قلت)** له: **(وما شأنهم؟)** حتى تذهب بهم إلى النار **(قال)** الملك: **(إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى)** وهو الرجوع إلى خلف **(ثم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم)** أي تعالوا **(قلت: أين؟ قال: إلى النار والله، قلت: وما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا بعدك، على أدبارهم القهقرى، فلا أراه)** بضم الهمزة، أي فلا أظن أنه **(يخلص منهم)** أي من هؤلاء الذين دنوا من الحوض، وكادوا يردونه، فصدوا عنه ـ وفي رواية: **(فيهم)** بدل ـ منهم **(إلا مثل همل النعم)** بفتح الهاء والميم، أي ضوال الإبل، واحدها هامل ـ أو هي الإبل بلا راع، ولا يقال ذلك في الغنم، يعني أن الناجي منهم قليل، في قلة النعم الضالة، وهذا يشعر بأنهم صنفان: كفار وعصاة. ا هـ.

سادساً ـ شرح حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنهما ـ

عن النبي ﷺ قال: **(إني علي الحوض)** أي يوم القيامة ـ **(حتى أنظر)** بالرفع، والنصب، أي حتى أن أنظر **(من يرد على منكم، وسيؤخذ ناس من دوني)** أي بالقرب مني **(فأقول: يا رب، مني ومن أمتي)** هذا أعم من قوله: أصيحابي ـ أو أصاحبي **(فيقال: هل شعرت)** أي هل علمت **(ما عملوا بعدك؟ ـ والله ما برحوا)** أي ما زالوا **(يرجعون على أعقابهم)** أي مرتدين.

(فكان ابن أبي مليكة) أي الراوي عن أسماء **(يقول: اللهم إنا نعوذ بك أن نرد على أعقابنا ـ أو نفتن عن ديننا)**.

قال القسطلاني ـ رحمه الله ـ: وفيه إشارة إلى أن الرجوع على العقب كناية عن مخالفة الأمر، الذي تكون الفتنة بسببه، فاستعاذ منهما جميعاً لذلك. والله أعلم. ا هـ قسطلاني.

وهذه مباحث في الكلام على الحوض من القسطلاني جـ ٩ ص ٣٣٥.

ذكرناها لأهميتها: تتميماً للفائدة، والله المستعان.

قال في الصحاح: الحوض واحد الأحواض والحياض، وحضت أحوض: اتخذت حوضاً، واستحوض الماء: اجتمع، والمحوض بالتشديد: شيء كالحوض، يجعل للنخلة تشرب منه.

وقال ابن قرقول: والحوض حيث تستقر المياه، أي تجتمع لتشرب منها الإبل. ا هـ واختلف في حوضه ـ ﷺ: هل هو قبل الصراط أو بعده؟

.....

قال أبو الحسن القابسي: الصحيح أن الحوض قبل الصراط.

قال القاضي في تذكرته: والمعنى يقتضيه، فإن الناس يخرجون عطاشاً من قبورهم ـ واستدل بما في البخاري من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً: **(بينا أنا قائم على الحوض)**، إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم، خرج رجل من بيني وبينهم، فقال: هلم، فقلت: أين؟ قال: إلى النار والله... الحديث.

قال القرطبي: فهذا الحديث يدل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط لأن الصراط، إنما هو جسر ممدود، يجاز عليه، فمن جازه سلم من النار.

وقال آخرون: إنه بعد الصراط ـ وصنيع البخاري في إيراده لأحاديث الحوض بعد أحاديث الشفاعة، وبعد نصب الميزان مشعر بذلك.

وفي حديث أنس عن الترمذي ما يدل له، ولفظه:

(سألت رسول الله ﷺ أن يشفع لي؟ فقال: أنا فاعل، فقلت أين أطلبك؟ قال: أطلبني أول ما تطلبني على الصراط، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: أنا عند الميزان، قلت: فإن لم ألقك؟ قال: أنا عند الحوض).

ويؤيده ظاهر قوله ﷺ في حديث الحوض: **(من شرب منه لم يظمأ أبداً)** لأنه يدل أن الشرب منه يكون بعد الحساب والنجاة من النار، لأن ظاهر حال من لا يظمأ أن لا يعذب في النار ـ ثم قال:

وأما حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ المستدل به على القبلية ـ فأجيب عنه باحتمال أنهم يقربون من الحوض، بحيث يرونه، ويرون، فيدفعون إلى النار قبل أن يخلصوا من بقية الصراط. فليتأمل. ا هـ.

ونقول: قد تأملناه فوجدناه غير قوي إذا عرضناه على طريق البحث، لأن حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ صريح في أن ذلك يكون في الموقف، والنبي ﷺ قائم على الحوض، فيفاجأ بهذه الزمرة ترد للشرب، فيخرج رجل، من بينه وبينهم، فيحول بينهم وبين الحوض، فالتأويل الذي ذكره بعيد جداً.

وأما التأييد الذي قاله من حديث صفة الحوض، وهو: **(من شرب منه لم يظمأ أبداً)** فلا يتم به ذلك له، لأنه ظاهره الدلالة على أنه في الموقف قبل الصراط، ويكون الشرب منه لدفع العطش الذي يكون في الموقف، ولمنع حدوث العطش بعد ذلك كما يكون علامة للنجاة من النار، ـ ولو كان بعد الصراط في الجنة، فماذا تكون الفائدة فيه ـ والجنة لا ظمأ فيها ـ وإنما يحتاج الشرب منه من كان في الموقف، فمن شرب منه حينئذٍ لا يظمأ أبداً، ولا يعذب في النار، وينجو من كلاليب الصراط.

وأما تأويلهم لحديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ بأنهم يقربون منه على الصراط ثم يقعون في النار، فهذا التأويل لا يخطر ببال أحد يبحث في العلم.

.....

على أن هذا الحديث قد ذكر فيه: **(فأقول: أين؟ فيقول: إلى النار، فيقال: إنك لا تدري ما حدثوا بعدك)** ـ وذلك كالصريح في أن ذلك في الموقف قبل الصراط. ا هـ والله أعلم.

ثم قال القسطلاني: **(وقال صاحب التذكرة: والصحيح أن له ﷺ حوضين)**: أحدهما في الموقف قبل الصراط والآخر في الجنة، وكلاهما في الجنة، وكلاهما يسمى كوثراً. ا هـ.

وتعقبه القسطلاني بأن الكوثر نهر في الجنة، وماؤه يصب في الحوض، ويطلق على الحوض أيضاً ـ كوثر، لكونه يمد منه.

وفي حديث أبي ذر عند مسلم: **(إن الحوض يشخب فيه ميزابان من الجنة)**.

وقد سبق أن الصراط جسر جهنم، وأنه بين الجنة وأرض الموقف، فلو كان الحوض دونه، لحالت النار بينه وبين الماء الذي يصب من الكوثر في الحوض. والله أعلم.

ونقول: هذا التعقيب غير ظاهر، لأنه قاس أمر الآخرة على شؤون الدنيا، وقال: إن النار تحول بين مرور الماء من الكوثر الذي في الجنة ـ أي إلى الحوض ـ وذلك فيه قياس لعالم الغيب ـ الذي ليس له مصدر إلا السمع ـ على عالم الشهادة، فهو كلام في أمر ليس للعقل فيه مجال، وإنما مصدره السمع كما تقدم. والله أعلم.

على أنه ليس أحد يعلم باليقين مكان النار، حتى يجزم بأنها تحول بين ماء الكوثر وبين الحوض.

زد على ذلك ما قدمناه من أن الحوض إنما يحتاج إليه في موقف، يتعرض الناس فيه للعطش الشديد، وذلك إنما يتحقق في الموقف ـ أو النار ـ وأهل النار مقطوع بحرمانهم من كل ما يدفع عنهم العطش، فقد قال الله تعالى:

﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين﴾.

وأما أهل الجنة فهم في أعظم نعيم، يسقون من رحيق مختوم، ومن كأس كان مزاجها كافوراً ومن كأس كان مزاجها زنجبيلاً فلم يبق هناك مكان يحتاج المؤمن فيه إلى دفع العطش إلا أرض الموقف. والله أعلم.

هذا هو الذي يقتضيه البحث العلمي ـ إن كان ذلك موكولاً إلى البحث والعقل ولكن قد بينت أن ذلك ليس له مصدر إلا السمع، وقد ثبت ذلك السمع بحديث أبي هريرة وغيره. وهذا ما ظهر. والله أعلم.

(تتمة تتعلق بالحوض)

نذكر فيها الأحاديث التي ذكرها البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ في وصف الحوض، فقد

.....

ذكر في باب الحوض أحاديث في وصفه، وهي:

١ ـ روي بسنده إلى ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ.

قال: **(أمامكم حوض، كما بين جرباء وأذرح)** وجرباء ـ بفتح الجيم، وسكون الراء، بمد وقصر: قرية بالشام ـ وأذرح ـ بفتح الهمزة، وسكون الذال، وضم الراء، وبعدها حاء مهملة: قرية أخرى بالشام أيضاً.

وقد وضح المراد من هذا الحديث ـ ما رواه الضياء المقدسي من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعاً في ذكر الحوض، فقال فيه: **(عرضه مثل ما بينكم وبين جرباء وأذرح)** وقد ورد: **(أن زواياه سواء)**. ا هـ.

٢ ـ وأخرج البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال النبي ﷺ: **(حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه فلا يظمأ أبداً)**.

وعند ابن أبي الدنيا، عن النواس بن سمعان، مرفوعاً:

(أول من يرد عليه من يسقي كل عطشان).

وحديث البخاري في الحوض أخرجه أيضاً مسلم في صحيحه.

٣ ـ وأخرج البخاري عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **(إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وأن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء)**.

وأيلة ـ بفتح الهمزة، وسكون الياء التحتية المثناة، فلام مفتوحة، بعدها هاء: كانت مدينة عامرة، بطرف بحر القلزم **(البحر الأحمر)** من طرف الشام، وهي الآن خراب، يمر بها الحاج من مصر، وتكون عن شمالهم، وإليها تنسب العقبة المشهورة عند أهل مصر: **(خليج العقبة)** عقبة أيلة.

٤ ـ وأخرج البخاري عن أبي هريرة أيضاً رضي الله عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: **(ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي)** ـ أي منبري الذي هو في الدنيا، بعينه يكون يوم القيامة على حوضي.

أو المراد: أن له عليه الصلاة والسلام في القيامة منبراً، يكون على حوضه، يقف عليه، يدعو الناس منه إلى الشرب من الحوض ـ والله أعلم.

وسبق الحديث في آخر كتاب الصلاة، وأخرجه مسلم في صحيحه في الحج.

٥ ـ وأخرج البخاري ـ رحمه الله ـ أيضاً ـ عن عقبة بن عامر بن عيسى بن أبي الأسود الجهني ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ خرج يوماً **(أي إلى البقيع)** فصلى على أهل البقيع صلاته على الميت، ثم انصرف، فصعد على المنبر ـ **(أي كالمودع للأحياء والأموات)** ـ فقال: إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض ـ أو مفاتيح الأرض ـ **(وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي،**

.....

ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها) أي تتنافسوا في الدنيا، فتقتتلوا عليها.

٦ ـ وأخرج البخاري ـ رحمه الله ـ عن معبد بن خالد، أنه سمع حارثة بن وهب ـ رضي الله عنه ـ يقول: سمعت النبي ﷺ ـ وذكر الحوض ـ فقال: **(كما بين مكة وصنعاء)** ـ وفي رواية أخرى له، قال المستورد: **(أحد الرواة)** ألم تسمعه ذكر الأواني؟ قال المستورد ـ وهو ابن شداد بن عمرو القرشي، الصحابي ابن الصحابي ـ رضي الله عنهما:

(ترى فيه الآنية مثل الكواكب) أي كثرة وضياء ـ يعني أنا سمعته قال ذلك ـ وهذا مرفوع، وإن لم يصرح به، لأن سياقه يدل على رفعه.

وفي حديث أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى ـ من رواية الحسن، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ: **(أكثر من عدد نجوم السماء)**.

ولمسلم: **(فيه أباريق، كنجوم السماء)**. ا هـ ما ذكر البخاري فيما يتعلق بالحوض والله أعلم.

٤٠ ـ (ما جاء في ذبح الموت يوم القيامة)

حديث يذكر فيه ذبح الموت على الصراط

أَخرجه ابن ماجه في سننه ـ باب (صفة النار) جـ ٢ ص ٣٠٥ فقال:

(٣٨٥) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ، فَيُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ، وَجِلِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمْ الَّذِي هُمْ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ، فَرِحِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمْ الَّذِي هُمْ فِيهِ، فَيُقَالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ قَالُوا: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ، فَيُذْبَحُ عَلَى الصِّرَاطِ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ كِلاَهُمَا[1]: خُلُودٌ فِيمَا تَجِدُونَ، لاَ مَوْتَ فِيهَا أَبَداً.

* * *

وقد جاء ذبح الموت في حديث الترمذي ـ باب ـ (ما جاءَ في خُلُودِ أَهل الجنة وأَهل النار) ـ قال في آخر الحديث:

---

(١) كلاهما: جاء هنا بالألف، فلعله على لغة من يلزم المثنى الألف، لأنه توكيد للمجرور هنا.

شرح حديث ذبح الموت

(يؤتى بالموت يوم القيامة. فيوقف على الصراط... الخ).

ظاهر الحديث أن ذلك على الحقيقة، ولا مانع عقلاً من أن يخلق الله تعالى الموت على صورة حيوان، ويوقف، ويذبح، والله تعالى قادر على كل شيء يدخل في حيز الإمكان ـ وأحوال الآخرة مغايرة لأحوال الدنيا، كما جاء في وزن الأعمال، فقد قيل: **(توزن الكتب أو الأعمال)** وعلى كل فذلك خارج عن العادة والمألوف ـ ويحتمل أن يكون ذلك تمثيلاً لما يكون به اليأس من الموت ليطمئن أهل الجنة بنعيمهم، ويبأس أهل النار من موتهم أو خروجهم، لأن الجميع إذا علم وتيقن أن لا موت، فكأنه رأى ذبح الموت وعدم اتصاف أحد به قطعاً. ونحن نؤمن بما ثبت عن الرسول ﷺ، ولا نبحث عن كيفية تحققه، حيث إنه يدخل تحت قدرة الله تعالى. والله أعلم.

(٣٨٦) فَإِذَا أَدْخَلَ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وأَهْلَ النَّارِ النَّارَ، قَالَ: أُتِي بِالْمَوْتِ، فَيُوقَفُ عَلَى السُّور الَّذِي بَيْنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَهْل النَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ، يَرْجُونَ الشَّفَاعَة، فَيُقَالُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ، وأَهْلِ النَّارِ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: هَؤُلاَءِ، وَهَؤُلاَءِ، قَدْ عَرَفْنَاهُ ـ هُوَ الْمَوْتُ الَّذِي وُكِّلَ بِنَا، فَيُضْجَعُ، فَيُذْبَحُ ذَبْحاً عَلَى السُّورِ الَّذِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ، لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ لاَ مَوْتَ.

قَال الترمذي ـ رحمه اللَّه ـ حديث حسن صحيح.

حديث: (يقول اللَّه: من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل، من إِيمان فأَخرجوه)

أَخرجه البخاري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ من كتاب الرقاق ـ باب صفة الجنة والنار ـ جـ ٨ ص ١١٥ فقال:

(٣٨٧) حَدَّثَنَا مُوسَى ـ هو ابن إِسماعيل ـ حَدَّثَنَا وُهَيْبٌ، حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَبِيه، عن أَبي سَعيد الْخُدَرِيِّ، ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَن النَّبِيَّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ ـ النَّارَ، يَقُولُ اللَّهُ: مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مثْقَالُ حَبَّة مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَان فأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرَجُونَ قَدِ امْتُحِشُوا، وَعَادُوا حُمَماً، فَيُلْقَوْنَ في نَهَر الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ في حَمِيلِ السَّيْل ـ أَوْ قَالَ: حَمِيةِ ـ وَقَالَ النَّبِي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: أَلَمْ تَرَوْا أَنَّهَا تَنْبُت صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً.

* * *

شرح الحديث الأول من شرح القسطلاني جـ ٩ ص ٣٢٣

(موسى بن إسماعيل) أبو سلمة التبوذكي الحافظ **(حدثنا وهيب)** مصغراً ابن خالد الباهلي مولاهم، الكرابيسي الحافظ **(حدثنا عمرو بن يحيى، عن أبيه)** يحيى بن عمارة ـ بضم العين وتخفيف الميم، المازني.

(من كان في قلبه) أي زيادة على أصل التوحيد **(مثقال حبة من خردل من إيمان)** بالتنكير، ليفيد التقليل، والإيمان ليس بجسم فيحصره الوزن، والمراد: أن العمل ـ وهو عرض ـ يجعل في جسم على مقدار العمل عنده تعالى، ثم يوزن، أو تمثل الأعمال جواهر **(قد امتحشوا)** أي احترقوا واسودوا **(وعادوا حمماً)** أي صاروا فحماً **(في نهر الحياة)** هو النهر الذي من غمس فيه حيي **(الحبة)** بكسرها الحاء ـ بزر العشب ـ أو البقلة الحمقاء **(حميل السيل)** بفتح الحاء وكسر الميم، فعيل بمعنى مفعول، أي محمول السيل، وهو ما جاء به السيل من طين وغثاء ونحو ذلك ـ **(أو قال: حمية)** بفتح الحاء، وكسر الميم، وتشديد الياء المثناة التحتية ـ أي معظم جري النهر واشتداده **(ألم تروا أنها تنبت صفراء ملتوية؟)** أي منعطفة، وذلك مما يزيد الرياحين حسناً، باهتزازه وتميله ـ والمراد: أنهم شبهوا بالحبة في حميل السيل، فإنها تنبت في يوم وليلة، فشبه بها سرعة عود أبدانهم.

وقال النووي ـ رحمه الله ـ: شبهوا بها لسرعة نباته يكون ضعيفاً، ثم لضعفه يكون أصفر ملتوياً، ثم بعد ذلك تشتد قوته. ا هـ والله أعلم.

وأَخرجه البخاري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في كتاب الإِيمان ـ من باب تفاضل أَهل الإِيمان في الأَعمال ـ فقال:

(٣٨٨) حَدَّثَنَا إِسْماعيلُ ـ (هو ابن أَبي أُوَيْس بن عبد اللَّه ـ الأَصبحي، المدني، ابن أُخت الإِمام مالك، إمام دار الهجرة) قال: حَدَّثَني مَالكٌ، عَنْ عَمْرِو ابْنِ يَحْيَى الْمَازِنيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدَرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّة ـ الْجَنَّةَ، وأَهْلُ النَّارِ ـ النَّارَ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ في قَلْبِهِ مثْقَالُ حَبَّة منْ خَرْدَلٍ منْ إِيمَان، فَيَخْرُجُونَ مِنْهَا قَد اسْوَدُّوا، فَيُلْقَوْنَ في نَهَرِ الْحَيَا ـ أَوِ الْحَيَاةِ ـ شَكَّ مَالكٌ، فَيَنْبُتُون كمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ في جَانِبِ السَّيْلِ، أَلَمْ تَرَوْا أَنَّها تخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتوِيَةً.

قال وهيب: حدثنا عمرو: (الحياة) وقال: (خرْدَل مِنْ إِيمَان).

شرح الحديث الثاني رقم ٣٨٨ من القسطلاني جـ ١ ص ١٠٥

(حدثنا إسماعيل بن أبي أويس) ابن أخت الإمام مالك، كلموا فيه كأبيه، لكن أثنى عليه ابن معين، والإمام أحمد ـ وقد وافقه على رواية هذا الحديث ـ عبد الله بن وهب، ومعن بن عيسى، عن مالك ـ وليس هو في الموطأ.

قال الدارقطني: هو غريب صحيح.

(أخرجوا) أي من النار، كما في رواية الأصيلي **(من كان في قلبه)** أي زيادة على أصل التوحيد، ويشهد لهذا قوله: **(أخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله، وعمل من الخير ما يزن كذا)**.

ثم إن المراد بقوله: **(حبة من خردل)** المراد: التمثيل، فيكون عياراً في المعرفة، لا في الوزن حقيقة، لأن الإيمان ليس بجسم فيحصره الوزن والكيل، لكن ما يشكل من المعقول قد يرد إلى عيار محسوس ليفهم، ويشبه به ليعلم.

والتحقيق فيه: أن يجعل عمل العبد ـ وهو عرض ـ في جسم على مقدار العمل عنده تعالى، ثم يوزن، أو تمثل الأعمال بجواهر، فتجعل في كفة الحسنات جواهر بيضاء مشرقة، وفي كفه السيئات جواهر سوداء مظلمة.

واستنبط الغزالي من قوله: **(أخرجوا من النار من كان في قلبه... الخ)**.

نجاة من أيقن بالإيمان، وحال بينه وبين النطق بالشهادتين الموت.

قال ـ أي الغزالي ـ: وأما من قدر على النطق، ولم يفعل حتى مات مع إيقانه بالإيمان بقلبه، فيحتمل أن يكون امتناعه بمنزلة امتناعه عن الصلاة، فلا يخلد في النار، ويحتمل خلافه، ـ ورجح غير الغزالي الثاني، فيحتاج إلى تأويل قوله **(في قلبه)** فيقدر فيه محذوف، تقديره: منضماً إلى النطق بالشهادتين مع القدرة عليه.

.....

ومنشأ الاحتمالين: الخلاف في أن النطق بالإيمان شطر، فلا يتم الإيمان إلا به ـ وهو مذهب جماعة من العلماء ـ واختاره الإمام شمس الدين وفخر الإسلام ـ أو هو شرط لإجراء الأحكام الدنيوية فقط.

وهو مذهب جمهور المحققين، وهو اختيار الشيخ أبي منصور ـ والنصوص معاضدة لذلك، قاله التفتازاني. ا هـ.

وقد أخرج هذا الحديث مسلم أيضاً في الإيمان، وهو من عوالي البخاري رحمه الله تعالى على مسلم بدرجة ـ وأخرجه النسائي أيضاً.

وفي هذا الحديث الرد على المرجئة، لما تضمنه من بيان ضرر المعاصي مع الإيمان، والرد على المعتزلة القائلين بأن المعاصي موجبة للخلود في النار، نجانا الله تعالى من النار بفضله وكرمه، وأدخلنا الجنة مع الأبرار آمين ـ وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

٤١ ـ (ما جاء في ذكر ما حفت به الجنة والنار)

وطعام أَهل النَّار

حديث (حُفَّتِ الْجَنَّةُ بالمكاره، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَواتِ)

أَخرجه الإِمام الترمذي في جامعه ـ (باب حفت الجنة بالمكاره) جـ ٢ ص ٩٢.

(٣٨٩) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: لَمَّا خلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ، فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ إِلَى أَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لأَهْلَهَا فيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ: ارْجَعْ إِلَيْهَا، فَانْظُرْ إِلَى ما أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَإِذَا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْت أَنْ لاَ يَدْخُلَهَا أَحَدٌ ـ قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيها، فإِذَا هِيَ يَرْكبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، فرَجَعَ إِلَيْهِ، فقَالَ: وَعِزَّتِك لاَ يَسْمَعُ بِها أَحَدٌ فيَدْخُلها، فأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجَعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا.

قال أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى: (حديث حسن صحيح).

* * *

أَخرجه أَبو داود في سننه ـ باب خلق الجنة والنار ـ جـ ٤ ص ١٨٥ فقال بسنده إِلى أَبي هريرة.

(٣٩٠) عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ:

أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَدْخُلُهَا أَحَدٌ، قَالَ: فَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ النَّارَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَعُ بِهَا فَيَدْخُلَهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ، ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، وَعِزَّتِكَ، لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لاَ يَبْقَى أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا. . .

* * *

وأَخرج هذا الحديث النسائي في سننه عن أَبي هريرة أَيضاً، بأَلفاظ قَرِيبَةً مما ذكره الترمذي وأَبو داود، في باب (الحلف بعزة اللَّه تعالى).

شرح الحديثين

قوله: **(حفت بالمكاره)** وقوله: **(حفها بالكاره)** أي جعل الأمور التي تكرهها النفوس بطبعها محيطة بها من كل جانب، فلا يصل إليها أحد إلا إذا تجرع غصص هذه المكاره التي تحيط بها.

والكلام على التمثيل، فقد شبه حال التكاليف الشاقة على النفوس، التي لا يصل أحد إلى الجنة إلا بأدائها، والقيام بها، والمحافظة عليها، ـ ومنها الصبر على البلايا والمحن والمصائب. ـ شبه ذلك كله بحال أسوار كثيفة من الأشواك، التي يكمن فيها كل حيوان ضار: من الوحوش والحيات والعقارب وهذه الأسوار الكريهة محيطة ببستان عظيم، تلتف به من كل مكان، بحيث لا يصل أحد إلى هذا البستان، ولا يحظى بالتنعم بما فيه من النعيم، إلا بعد أن يتخطى هذه الأسوار البغيضة، ويتجشم المشاق التي تلحقه حين سلوكه فيها، من وخز أشواكها، ولدغ عقاربها وحياتها، ومقارعة حيواناتها المفترسة.

ولا شك أن ذلك يحتاج إلى جهاد شاق طويل، وصبر دائم، فكذلك الجنة لا ينالها ويحظى بنعيمها الدائم السرمد، إلا من تخطى شدائد دنياه، مجاهداً لنفسه، صابراً على ما يصيبه فيها، راضياً بقضاء الله تعالى، قائماً بتكاليف الإسلام خير قيام، مستهيناً بكل شدة تعترضه، مسترخصاً كل تضحية أمام مرغوبه، مضحياً بالنفس والمال أمام مطلوبه ـ من الجنة.

فهي الثمن الذي اشترى الله به نفوس المؤمنين وأموالهم، فقال:

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن﴾. . الآية.

لذلك قال جبريل ـ عليه السلام ـ بعد أن رآها قد حفت بالمكار: **(وعزتك لقد خفت ـ أو خشيت ـ أن لا يدخلها أحد)**.

وأما النار فقد حفت بالشهوات التي تميل إليها النفوس بطبعها، ولا يحتاج مرتكبها إلى تعب وعناء في ملابستها، بل إن نفسه تجذبه إلى الانحدار إليها والتردي فيها.

.....

فالنار بئس المستقر، وساءت مرتفقاً، ولكن أحيط بها كل ما ترغب فيه النفوس وتستلذه الأعين، فتقرب النفوس هذه الشهوات، وتجني من تلك اللذات وهي تظن أنها بعيدة من الوقوع في النار، وكلما جنت منها لذة أوقعتها في لذة أحسن منها ـ والنفس راغبة دائماً في الزيادة، ولا تزال تنغمس في لذة تحبها إلى لذة أحسن منها، ولا تفيق حتى تقطع سور الملذات، فتقع في النار وهي لا تشعر، وتريد الخلاص منها، فلا تقدر.

فكل إنسان يميل بطبعه إلى الشهوات، لا سيما من كان في مجتمع سوء، وبيئة فاسدة، ولا يزال ينغمس في الشهوات، حتى يأتيه الموت، وهو غارق في شهواته، غافل عما ينجيه من الإيمان والعمل الصالح، فيقع في النار.

لذلك قال جبريل ـ عليه السلام ـ بعد أن رآها قد حفت بالشهوات:

(وعزتك، لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد، إلا دخلها).

أي دخلها مخلداً إن كان كافراً مشركاً بالله غيره ـ أو دخلها معذباً للتطهير من ذنوبه إن كان مؤمناً عاصياً، اغترفت نفسه من الشهوات المحرمة.

نجانا الله تعالى من النار، وأدخلنا الجنة دار القرار، مع المتقين الأبرار.

آمين ـ والحمد لله رب العالمين.

حديث: (يلقى على أَهل النار الجوع)

أَخرجه الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في باب صفة طعام أَهل النار. جـ ٢ ص ٩٦ ـ ٩٧.

(٣٩١) عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ، فَيَعْدِلُ ما هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، فَيَسْتَغِيثُونَ فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ مِنْ ضَرِيعٍ، لاَ يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ، فَيَسْتَغِيثُونَ بِالطَّعَامِ، فَيُغَاثُونَ بِطَعَامٍ ذِي غُصَّةٍ، فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا يُجِيزُونَ الْغَصَصَ في الدُّنْيَا بِالشَّرَابِ. فَيَسْتَغِيثُونَ بِالشَّرَابِ فَيُرْفَعُ إِلَيْهِمْ الْحَمِيمُ بِكَلاَلِيبِ الْحَدِيدِ، فَإِذَا دَنَتْ مِنْ وُجُوهِهِمْ شَوَتْ وُجُوهَهُمْ، فَإِذَا دَخَلَتْ بُطُونَهُمْ قَطَّعَتْ مَا في بُطُونِهِمْ، فَيَقُولُونَ: ادْعُوا خَزَنَةَ جَهَنَّمَ، فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى، قالُوا: فَادْعُوا، وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ في ضَلاَلٍ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: ادْعُوا مَالِكاً، فَيَقُولُونَ: يَا مَالِكُ، لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ، قَالَ: فَيُجِيبُهُمْ: إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ: قَالَ الأَعْمَشُ: نُبِّئْتُ أَنَّ بَيْنَ دُعَائِهِمْ، وَبَيْنَ إِجَابَةِ مَالِكٍ أَلْفَ عَامٍ قَالَ فَيَقُولُونَ: ادْعُوا رَبَّكُمْ، فَلاَ أَحَدَ خَيْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ، قَالَ: فَيُجِيبُهُمْ: اخْسَؤُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونَ ـ فَعِنْدَ ذَلِكَ يَئِسُوا مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، وَعِنْدَ ذَلِكَ يَأْخُذُونَ في الزَّفِيرِ وَالْحَسْرَةِ وَالْوَيْلِ.

قال عبد اللَّه بن عبد الرحمٰن: (والناس لا يرفعون هذا الحديث) وقال أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى: إِنَّما نعرف هذا الحديث عن الأَعمش، عن شمَّرَ بن عطيّة، عن شهب بن حوشب، عن أُم الدرداءِ عن أَبي الدرداءِ.

وعبد اللَّه بن عبد الرحمٰن: هو أَول رجال السند، ـ أَي الذي روى عنه الترمذي ا هـ.

شرح الحديث

قوله: **(يلقى على أهل النار الجوع)** أي إن الله تعالى يسلط الجوع على أهل النار فينزل بهم من الجوع ألم شديد **(فيعدل ما هم فيه من العذاب)** أي إن الألم الذي يعتريهم من الجوع يساوي ما هم فيه من عذاب النار **(فيستغيثون)** من ألم الجوع أي يطلبون طعاماً يدفع عنهم ألم الجوع **(فيغاثون بطعام من ضريع)** قال أبو السعود المفسر: والضريع يبيس الشبرق، وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطباً، وإذا يبس تحامته، وهو سم قاتل. ـ وقيل: هي شجرة

.....

نارية تشبه الضريع، وقال ابن كيسان:

هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون إلى الله تعالى طلباً للخلاص منه، فسمي بذلك **(لا يسمن ولا يغني من جوع)** أي ليس من شأنه الأسمان والاشباع ـ كما هو شأن طعام الدنيا، وإنما هو شيء يضطرون إلى أكله من غير أن يكون له دفع لضرورتهم، بل لزيادة ألمهم **(فيستغيثون)** أي يعودون إلى الاستغاثة **(بالطعام)** لدفع حرارة الجوع وتسكين ألمه، **(فيغاثون بطعام ذي غصة)** أي بطعام ينشب في الحلوق، ولا يكاد ينساغ، بل يبقى في وقهم ولا ينزل إلى بطونهم **(فيذكرون)** أي يتذكرون حالهم في الدنيا، وأنهم كانوا يجيزون الغصص في الدنيا بالشراب، أي يسعون في مرور الغصة من الحلقوم بالماء الذي يشربونه **(فيستغيثون بالشراب)** لإجازة الغصة التي لحقتهم من الطعام **(فيرفع إليهم الحميم)** الماء الحار المغلي **(بكلاليب الحديد)** أي بخطاطيف الحديد **(فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم)** كما قال تعالى: ﴿يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾ ولذا قال في الحديث: **(فإذا دخلت بطونهم قطعت ما في بطونهم)** أي من الأمعاء **(فيقولون)** أي يقول بعضهم لبعض: **(ادعوا خزنة جهنم)** أي اطلبوا منهم أن يدعوا الله لكم لينقذكم من هذا العذاب **(فيقولون)** أي تقول لهم الخزنة على سبيل التوبيخ والتقريع: **(ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات)** أي بالمعجزات والآيات الواضحة وتنذركم هذا العذاب، فلم تؤمنوا؟ **(قالوا: بلى)** أي قد أتتنا الرسل **(قالوا)** أي قالت الخزنة لهم: إذا كان الأمر كذلك **(فادعوا)** أنتم الله، فلستم أهلاً لشفاعة الشافعين **(وما دعاء الكافرين إلا في ضلال)** أي في ضياع لا ينفع ولا يقبل **(فيقولون)** أي بعضهم لبعض: **(ادعوا مالكاً)** أي ادعوا رئيس الخزنة لعله يقبل أن يدعو الله لكم **(فيقولون: يا مالك ليقض علينا ربك)** أي اطلب لنا من ربك أن يقضي علينا فنموت ونستريح من العذاب **(فيجيبهم بقوله: إنكم ماكثون)** في العذاب كما قال تعالى: ﴿لا يقضي عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ **(فيقولون: ادعوا ربكم فلا أحد خير من ربكم)** يلجأون إلى الله بعد اليأس من دعاء غيره ممن يظنون أن دعاءه ينفع **(فيقولون: ربنا غلبت علينا)** أي في الدنيا **(شقوتنا وكنا قوماً ضالين)** فيعترفون بذنبهم، ثم يطلبون الإخراج من النار قائلين: **(ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون)** فيجيبهم ربهم **(اخسؤوا فيها)** أي اسكتوا في النار سكوت هوان، وانزجروا انزجار الكلاب إذا زجرت ولا تكلمون باستدعاء الإخراج من النار **(فعند ذلك يئسوا من كل خير ـ ويأخذون في الزفير والحسرة والويل)** نجانا الله تعالى من عذاب النار آمين.

٤٢ ـ (ما جاء في رؤية المؤمنين ربهم وخطاب اللَّه لأهل الجنة)

(حديث إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم ـ سبحانه وتعالى)

أَخرجه الإمام مسلم رحمه اللَّه تعالى جـ ٢ ص ١٠٧ هامش القسطلاني.

(٣٩٢) حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ مَيْسَرَةَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمٰنِ بْنُ مَهْدِي، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِت البُنَاني، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي لَيْلى، عَنْ شُهَيْبٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئاً أَزِيدُكُم؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أَعْطُوا شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَر إِلَى رَبِّهِمْ.

* * *

(٣٩٣) وأَخرجه مسلم برواية أُخرى بهذا الإسناد، وزاد فيها.

ثُمَّ تَلاَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾.

* * *

وأَخرج ابن ماجه في سننه حديث رؤية المؤمنين لربهم بلفظ آخر، فقال:

(٣٩٤) عَنْ جَابِرِ بْن عَبْدِ اللَّهِ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ في نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ: فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: ﴿سَلاَمٌ قَوْلاً مِنْ رَبٍّ رَحِيم﴾ قَالَ: فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلاَ يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعيم، مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْه، حَتَّى يُحْجَبَ عَنْهُمُ، وَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ في دِيَارِهِمْ.

* * *

وأَخرجه ابن ماجه أَيضاً عن صهيب ـ رضي اللَّه عنه ـ قَالَ:

(٣٩٥) تَلاَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا

الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ ـ وَقَالَ: إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، نَادَى مُنَاد: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِداً، يُرِيدُ أَنْ يُنْجِزَكُمُوهُ، فَيَقُولُونَ: وَمَا هُوَ؟ أَلم يُثَقِّلْ اللَّهُ مَوَازِينَنَا، وَيُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُدْخِلْنَا الْجَنَّةِ وَيُنْجِنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ: فَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ اللَّهُ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَر ـ يعني إِلَيْهِ ـ وَلاَ أَقَرَّ لأَعْيُنِهِمْ.

* * *

قال المحشي على سنن ابن ماجه: (وفيه أَن اللَّه تعالى يزيل عن قلوبهم الحرص، ويعطيهم ما لا يطمعون المزيد عليه، ويرضيهم بفضله).

ثم قال: أَي المحشي المذكور:

(وفي بعض النسخ: «ينجينا» بإثبات الياءِ، كما في الترمذي، مع أَنه معطوف على المجزوم: إِما للإِشباع، أَو للتنزيل منزلة الصحيح ا هـ).

وأَخرجه الترمذي والنسائي وغيرهم ـ من رواية حماد بن سلمة، عن ثابت، عن ابن أَبي ليلى، عن صهيب، عن النبي ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ ا هـ نووي.

شرح حديث مسلم من شرح النووي على مسلم

قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: **(قوله: حدثنا عبد الله بن عمر بن ميسرة)**، حدثني عبد الرحمٰن بن مهدي، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، عن صهيب، عن النبي ـ ﷺ ـ.

قال: **(إذا دخل أهل الجنة... الحديث)**.

هكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، وغيرهم من رواية حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن ابن أبي ليلى، عن صهيب، عن النبي ﷺ.

قال أبو عيسى الترمذي، وأبو مسعود الدمشقي وغيرهما:

لم يروه هكذا مرفوعاً عن ثابت ـ غير حماد بن سلمة.

ورواه سلمان بن المغيرة، وحماد بن زيد وحماد بن واقد، عن ثابت عن ابن أبي ليلى من قوله، ليس فيه ذكر النبي ﷺ، ولا ذكر صهيب.

قال النووي ـ رحمه الله ـ: وهذا الذي قاله هؤلاء ليس بقادح في صحة الحديث فقد قدمنا في الفصول ـ أن المذهب الصحيح المختار الذي ذهب إليه الفقهاء، وأصحاب الأصول، والمحققون من المحدثين، وصححه الخطيب البغدادي ـ أن الحديث إذا رواه بعض

.....

الثقات متصلاً وبعضهم مرسلاً، أو بعضهم مرفوعاً، وبعضهم موقوفاً، حكم بالمتصل وبالمرفوع، لأنها زيادة الثقة، وهي مقبولة عند الجماهير من كل الطوائف ـ والله أعلم. ا هـ كلام النووي.

وأما شرح الحديث فقال النووي ـ رحمه الله ـ فيه وفي مثله:

اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات قولين:

أحدهما ـ وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها، بل يقولون: يجب علينا أن نؤمن بها، ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله تعالى وعظمته، مع اعتقادنا الجازم بأن الله تعالى ليس كمثله شيء، وأنه منزه عن سائر صفات المخلوقات.

وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين، واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم ـ أي للعقيدة.

والقول الثاني ـ وهو مذهب معظم المتكلمين ـ أنها تتأول على ما يليق بها حسب مواقعها، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان عارفاً بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع والله أعلم. ا هـ نووي.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم: والحمد لله رب العالمين.

(حديث خطاب اللَّه تعالى لأَهل الجنة)

أَخرجه البخاري في كتاب الرقاق ـ باب صفة الجنة والنار جـ ٨ ص ١١٤ ومن القسطلاني جـ ٩ ص ٣١٩.

(٣٩٦) حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ أَسَدٍ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدَرِيِّ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، يَقُولُونَ: لبَّيْكَ رَبَّنَا، وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا، لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ؟ فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَداً.

* * *

وأَخرجه البخاري أَيضاً في كتاب التوحيد ـ باب ـ (كلام الرب مع أَهل الجنة).

(٣٩٧) بسنده إِلى أَبي سعيد الخدري أَيضاً جـ ٩ ص ١٥١ قسطلاني جـ ١٠ ص ٢٥١ بأَلفاظ قريبة مما ذكر هنا ـ إِلا أَنَّه قال:

(أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟).

وأَخرج هذا الحديث مسلم في صحيحه ـ في باب (كتاب الجنة ونعيمها وأَهلها) كما أَخرجه أَيضاً الترمذي جـ ٢ ص ٩١، وقال:

حديث حسن صحيح، وأَلفاظهما مثل أَلفاظ البخاري ـ رحمه اللَّه ـ في كتاب الرقاق، وقال: (أَلا أَعطيكم)؟

شرح الحديث، من القسطلاني

قوله: **(أحل عليكم رضواني)** بضم الهمزة، وكسر الحاء المهملة، وتشديد اللام، أي أنزل عليكم رضواني.

وفي حديث جابر عند البزار: **(قال: رضواني أكبر)** قال في الفتح:

وفيه تلميح بقوله تعالى: ﴿ورضوان من الله أكبر﴾ لأن رضاه سبب لكل فوز وسعادة، وكل من علم أن سيده راض عنه، كان أقر لعينه، وأطيب لقلبه من كل نعيم، لما في ذلك

.....

من التعظيم والتكريم. انتهى.

وقال الطيبي ـ رحمه الله تعالى ـ: أكبر أصناف الكرامة رؤية الله تعالى:

ونكر **(رضوان)** في التنزيل، ليدل على أن شيئاً يسيراً من الرضوان خير من الجنات وما فيها، قاله صاحب المفتاح.

ثم قال الطيبي: والأنسب أن يحمل على التعظيم، أي ورضوان عظيم يليق أن ينسب إلى من اسمه الله معطي الجزيل.

ومن عطاياه الرؤية، وهي أكبر أصناف الكرامة، فحينئذٍ يناسب معنى الحديث الآية، حيث أضافه إلى نفسه، وأبرزه في صورة الاستعارة، بقوله: **(أحل عليكم رضواني)** وجل الرضوان كالجائزة للوفود النازلين على الملك الأعظم. ا هـ قسطلاني ـ نسأله تعالى أن يمتعنا بالنظر إلى وجهه الكريم في جنات النعيم ـ آمين يا رب العالمين.

(حديث استئذان بعض أَهل الجنة ربّه أَن يزرع)

أَخرجه البخاري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ في كتاب التوحيد ـ باب (كلام الرب مع أَهل الجنة) جـ ٩ ص ١٥١.

(٣٩٨) حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سِنَان، حَدَّثَنَا فُلَيْحٌ، حَدَّثَنَا هِلاَلٌ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَار، عن أَبي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِي ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ كَانَ يَوْماً يُحَدِّثُ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَة ـ أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ في الزَّرْع، فَقَالَ: أَوَلَسْتَ فيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلٰكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ ـ فَأَسْرَعَ وبَذَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ، وَاسْتِحْصَادُهُ وَتَكْوِيرُهُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ. فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لاَ تَجِدُ هَذَا إِلاَّ قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْع، فَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا أَصْحَاب زَرْع، فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ.

* * *

وأَخرج البخاري ـ رحمه اللَّه تعالى ـ هذا الحديث في كتاب المزارعة في باب مجرد، عقب كراءِ الأَرض بالذهب.

شرح الحديث من القسطلاني جـ ١٠ ص ٤٥١

(حدثنا محمد بن سنان) بكسر السين المهملة، وتخفيف النون الأولى، وبعد الألف نون أخرى ـ العوفي **(حدثنا فليح)** بضم الفاء مصغراً ـ ابن سليمان **(حدثنا هلال)** بن علي، المعروف بابن أسامة **(عن عطاء بن يسار)** بالسين المهملة المخففة **(عن أبي هريرة)** رضي الله عنه **(أن النبي ﷺ)** ولأبي ذر: **(أن رسول الله ﷺ كان يوماً يحدث أصحابه ـ وعنده رجل من أهل البادية: أن رجلاً من أهل الجنة)** بفتح همزة أن لأنه في موضع المفعول **(استأذن ربه)** أي يستأذن ـ وصيغة الماضي للتحقق، ولأبي ذر عن الحموي: **(يستأذن ربه في الزرع، فقال)** أي ربه له: أو لست كائناً **(فيما شئت)** من المشتهيات؟ **(قال: بلى، ولكني)** ولأبي ذر عن الكشميهني: ولكن **(أحب أن أزرع)** أي فأذن له **(فأسرع وبذر، فبادر الطرف نباته)** أي أسرع كطرف العين نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أي جمعه في البيدر **(أمثال الجبال)** كل ذلك كان قبل طرف العين **(فيقول الله تعالى)** له: **(دونك)** خذه **(يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء)** لما في طبعه أنه لا يزال يطلب المزيد أو لا يقنع بما عنده **(فقال الأعرابي: يا رسول الله، لا تجد هذا)** الذي زرع **(إلا قرشياً أو أنصارياً، فإنهم أصحاب زرع)** أي يحبون الزرع **(فأما نحن)** أهل البادية فلسنا أصحاب زرع، فضحك رسول الله ﷺ والحديث دليل على أن الإنسان يحن إلى ما كان عليه، ولو كان غنياً. ا هـ والله أعلم.

حديث سوق الْجَنَّة

أَخرجه الإِمام الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى في جامعه ـ في باب ـ (ما جاءَ في سوق الجنة) جـ ٢ ص ٨٩ ـ ٩٠.

(٣٩٩) عَنْ سَعِيدِ بْن الْمُسَيَّبِ، أَنَّهُ لَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: أَسْأَلُ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ في سُوق الْجَنَّةِ، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَفِيهَا سُوقٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، ثُمَّ يُؤْذَنُ لَهُمْ في مِقْدَارِ يَوْم الْجُمُعَةِ مِنْ أَيَّام الدُّنْيَا، فَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ، وَيَبْرُزُ لَهُمْ عَرْشُهُ، وَيَتَبَدَّى لَهُمْ في رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاض الْجَنَّةِ، فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ ـ وَمَا فِيهِمْ مِنْ دَنِيٍّ ـ عَلَى كُثْبَان الْمِسْكِ وَالْكَافُورِ، وَمَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَرَاسِي أَفْضَلُ مِنْهُمْ مَجْلِساً، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ تَتَمَارَوْنَ في رُؤْيَةِ الشَّمْسِ، وَالْقَمَر لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟ قُلْنَا: لاَ، قَالَ: كَذَلِكَ لاَ تَمَارَوْنَ في رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ، وَلاَ يَبْقَى في ذَلِكَ الْمَجْلِسِ رَجُلٌ إِلاَّ حَاضَرَهُ اللَّهُ مُحَاضَرَةً، حَتَّى يَقُولَ لِلرَّجُلِ مِنْهُمْ: يَا فُلاَنُ بْنُ فُلان، أَتَذْكُرُ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا؟ فَيُذكِّرُ ببَعْضِ غَدَارَتِهِ في الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِي؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَسَعَةُ مَغْفِرَتِي بَلغتْ بك مَنْزِلَتكَ هَذه، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلكَ غَشيَتْهُمْ سَحَابَةٌ منْ فَوْقِهِمْ، فَأَمْطَرَتْ عَلَيْهِمْ طِيباً لَمْ يَجِدُوا مِثْلَ رِيحِهِ شَيْئاً قطُّ، وَيَقُولُ رَبُّنَا ـ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: قُومُوا إِلَى مَا أَعْدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكَرَامَةِ، فَخُذُوا مَا اشْتَهَيْتُمْ، فَنَأْتِي سُوقاً قَدْ حَفَّتْ بِهِ الْمَلاَئِكَةُ مَا لَمْ تَنْظُرِ الْعُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَمْ تَسْمَعِ الآذَانُ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى الْقُلُوبِ، فَيُحْمَلُ لَنَا مَا اشْتَهَيْنَا، لَيْسَ يُبَاعُ فِيهَا وَلاَ يُشْتَرَى. وَفي ذَلِكَ السُّوقِ يَلْقَى أَهْلُ الْجَنَّةِ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، قال: فَيُقْبِلُ الرَّجُلُ ذُو الْمَنزِلَة المرْتَفِعَةِ فَيَلْقَى مَنْ هُوَ دُونَهُ ـ وَمَا فِيهِم دَنِيٌّ ـ فَيَرُوعُهُ مَا يَرَى عَلَيْهِ مِنَ اللِّبَاسِ، فَمَا يَنْقَضِي آخِرُ حَدِيثِهِ حَتَّى يَتَخَيَّلَ إِلَيْهِ مَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْهُ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَحْزَنَ فِيهَا، ثُمَّ نَنْصَرِفُ إِلَى مَنَازِلَنَا، فَيَتَلَقَّانَا أَزْوَاجُنَا، فَيَقُلْنَ: مَرْحَباً وَأَهْلاً، لَقَدْ جِئْتَ وَإِنَّ بِكَ مِنَ الْجَمَال أَفْضَلَ مَا فَارَقْتَنَا عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: إِنَّا جَالَسْنَا الْيَوْمَ رَبَّنَا الْجَبَّارَ، وَيَحُقُّنَا أَنْ يَنْقَلِبَ بِمِثْلِ مَا انْقَلَبْنَا.

قال أَبو عيسى الترمذي ـ رحمه اللَّه تعالى: حديث غريب، لا نعرفه إلا من

هذا الوجه، ـ وقد روى سويد بن عمرو، عن الأَوزاعي شيئاً من هذا الحديث (ملحوظة):

(سويد بن عمرو ليس من رجال السند، وأَما الأَوزاعي فإِنه من رجاله).

* * *

وأَخرجه ابن ماجه في سننه جـ ٢ ص ٣٠٧ عن أَبي هريرة، وزاد فيه:

(٤٠٠) (فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُور، وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ).. وقال فيه:

(وَلاَ يَبْقَى في ذَلِكَ الْمَجْلِسِ أَحَدٌ، إِلاَّ حَاضَرَهُ اللَّهُ ـ عَزَّ وَجَلَّ ـ مُحَاضَرَةً، حَتَّى إِنَّهُ لَيَقُولُ لِلرَّجُل مِنْكُمْ: أَلاَ تَذْكُرُ يَا فُلاَنُ يَوْمَ عَمِلْتَ كَذَا وَكَذَا، يُذَكِّرُهُ بَعْضَ غَدَرَاتِهِ في الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، أَفَلَمْ تَغْفِرْ لِي؟ فَيَقُولُ: بَلَى، فَبِسَعَةِ مَغْفِرَتِي بَلَغْتَ مَنْزِلَتَكَ هَذِهِ)... الخ.

وقال فيه: (فَنَحْمِل لَنَا مَا اشْتَهَيْنَا) وقال: (وَمَا فِيهِمْ دَنيءٌ).

شرح حديث سوق الجنة

قوله: **(سوق الجنة)** شبه المكان الذي يجتمع فيه المؤمنون، ويحملون منه ما يشتهون مما لم تنظر مثله العيون، ولم تسمع الآذان، ولم يخطر على القلوب ـ أو يحمل إليهم ذلك ـ بالسوق في الدنيا ـ ويلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً فرحين بما أوتوا، وبما أوتي إخوانهم المؤمنون.

وقوله: **(فيزورون ربهم ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة)** هذا الكلام ونظيره من أحاديث الصفات، وفيها من المتشابه، وأنت تعلم مما سبق لك في هذا الكتاب أن مثل هذا يجري فيه طريقة السلف وطريقة الخلف، وأن مذهب السلف ـ عدم التأويل، بل يعتقدون تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه، ويفوضون علم ذلك إلى الله تعالى مؤمنين ومصدقين بما وصف الله به نفسه، أو وصفه رسوله ﷺ. ـ ومذهب الخلف التأويل فيؤولون ذلك: يتبدى لهم ملك من ملائكة ـ أو تتبدى لهم نعمته وإحسانه في روضة الخ ويعتقدون أيضاً تنزيه الله عن مشابهة خلقه.

وقوله: **(على كثبان المسك والكافور)** الكثبان جمع كثيب، وهو في الأصل المرتفع من الرمل وهذه الكثبان: شيء كثير مرتفع، ولكن من المسك ومن الكافور.

وقوله: **(ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة الخ)** ـ المعنى: أن الله تعالى يكلمه كلاماً كثيراً يتعلق بتذكيره أعماله، كما يذكره بنعمته عليه بالمغفرة والرحمة،

.....

بعد أن ذكره ببعض غدراته ـ أي معاصيه الكبرى التي يعد ارتكابها غدراً لأمانة التكاليف التي حملها الإنسان.

وفي هذه السوق يقابل المؤمنون بعضهم بعضاً، ويتعارفون، ويهنىء بعضهم بعضاً، ويفرح بعضهم لبعض، ولا يوجد في الجنة حزن لأحد ولا استعلاء أحد على أحد، وكلهم راضون بما أوتوا، فرحين مستبشرين، كما قال تعالى: ﴿**ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً**﴾ وبعد السوق يذهبون إلى أزواجهم، وبهم من الجمال ما لا يقدر أحد على وصفه، رزقنا الله تعالى الجنة ونعيمها، وأنعم علينا بالنظر إلى وجهه الكريم، وجمعنا مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً والحمد لله رب العالمين. ا هـ.

وهذا آخر ما تيسر لنا جمعه من شرح الأحاديث القدسية التي وجدت في الكتب السنة وفي موطأ مالك رحمهم الله تعالى ـ ونفعنا بسنة رسول الله ﷺ. آمين.

فهرس محتويات

الجزءين الأول والثاني

من

الأحاديث القدسية

فهرس المحتويات

مقدمة ٣
طريقة الجمع والترتيب ٣
طريقة شرح هذه الأحاديث ٤
طريقة كتابة دليل الأحاديث ٤
مقدمة في أبحاث تتعلق بالحديث القدسي ٥
فائدة في الفرق بين القرآن والحديث القدسي ٦
ايضاً وجوه في الفرق بين القرآن والحديث القدسي ٧
(المنقول من كتاب قواعد التحديث، تأليف جمال الدين القاسمي الدمشقي) ٩
نبذة في التعريف بأصحاب الكتب المأخوذ منها الأحاديث القدسية أولاً: الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ١١
ثانياً: ترجمة الإمام البخاري رحمه الله تعالى ١٢
ثالثاً: ترجمة الإمام مسلم رحمه الله تعالى ١٣
رابعاً: ترجمة الإمام أبي داود ـ حمه الله تعالى ١٤
خامساً: ترجمة الإمام الترمذي ـ رحمه الله تعالى ١٥
سادساً: ترجمة الإمام أبي عبد الرحمن النسائي ـ رحمه الله تعالى ١٥
سابعاً: ترجمة الإمام ابن ماجه القزويني ـ صاحب السنن ـ رحمه الله تعالى ١٦
١ ـ (ما جاء في فضل ذكر اللَّه تعالى وكلمة التوحيد) ١٧
حديث فضل الذكر من صحيح البخاري ١٧
حديث فضل الذكر من صحيح مسلم ١٨
حديث فضل الذكر من صحيح الترمذي ١٩
حديث (إذا قال العبد: لا إله إِلا اللَّه يقول اللَّه: صدق عبدي) ١٩
(حديث فضل الحامدين) ٢٠

حديث كثرة قول النبي ﷺ (سبحان اللَّه وبحمده، أَستغفر اللَّه، وأَتوب إليه) ٢١
حديث (فيمن يموت وهو يشهد أَن لا إِله إِلا اللَّه) ٢٢
حديث (أُشهدكم أَني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة) ٢٣
(حديث في فضل ذكر اللَّه، والخوف منه تعالى) ٢٣
(حديث في تفرغ القلب لعبادة اللَّه والتوكل عليه) ٢٣
حديث قول اللَّه تعالى: (انظروا إِلى عبدي هذا، يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني) ٢٤
حديث: (خلقت عبادي كلهم حنفاءَ) ٢٤
٢ ـ (ما جاء في تصحيح العقيدة) ٢٨
حديث: (يسبّ ابن آدم الدهر) ٢٨
حديث (كذَّبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك) ٢٩
حديث (أَصبح من عبادي مؤمن بي وكافر) ٣١
حديث (ومن أَظلم ممن ذهب يخلق كخلقي) ٣٥
٣ ـ (ما جاء من كرم اللَّه تعالى في مضاعفة جزاء الأعمال الصالحة) ٤٨
حديث (مَنْ هَمَّ بحسنة أَو بسيئة) ٤٨
٤ ـ (ما جاء في حسن الظن باللَّه تعالى) ٥٥
من البخاري في كتاب التوحيد ـ باب ـ ﴿ويحذركم اللَّه نفسه﴾ ٥٥
٥ ـ (ما جاء فيما أعده اللَّه لعباده الصالحين) ٦٠
حديث: (أَعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأَت... الخ) ٦٠
٦ ـ (ما جاء في نداء اللَّه العباد أن يدعوه ويرجوه) ٦٥
حديث: (يتنزل ربنا إِلى سماءِ الدنيا) ٦٥
حديث (يا ابن آدم إِنَّك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك) ٦٨
(ما جاءَ ليلة النصف من شعبان) ٦٩
٧ ـ (محبة اللَّه تعالى للعبد وأثرها في محبة الخلق) ٧١
حديث: (إِذا أَحب اللَّه عبداً، نادى جبريل الخ) ٧١
٨ ـ (جزاء معاداة أولياء اللَّه تعالى وأفضل ما يتقرب به إلى اللَّه تعالى) ٧٤
حديث (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) ٧٤

٩ ـ (ما جاء في أن الخشية من اللَّه تعالى والخوف منه من أسباب مغفرة الذنوب) ٧٧
(حديث الرجل الذي أَمر أَهله بإِحراقه بعد موته) ٧٧
١٠ ـ (ما جاء في خلق آدم عليه السلام) ٨٥
حديث خلق آدم عليه السلام ٨٥
أَخرجه الترمذي في جامعه، في ثلاثة مواضع ٩٠
حديث خلق آدمَ عليه السلام من موطأ الإِمام مالك ـ رحمه اللَّه ـ في باب ـ ٩٢
النهي عن القول بالقدر ٩٢
١١ ـ (ما جاء في خلق ابن آدم في بطن أمه) ٩٥
حديث (إِن أَحدكم يجمع خلقه في بطن أُمه) ٩٥
١٢ ـ (ما جاء في خطاب رب العزة للرحم) ١٠٢
١٣ ـ (ما جاء فيما يتعلق بالصلاة) ١٠٥
(حديث فرض الصَّلوات ـ والإِسراءِ) ١٠٥
حديث فرض الصلاة من صحيح مسلم ١٠٩
حديث فرض الصلوات ١١٢
من سنن النِّسائي ـ من كتاب الصلاة جـ ١ ص ٢١٧ ..... ١١٢
(ما جاءَ في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها) ١١٦
حديث (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين) ١١٨
حديث (الملائكة يتعاقبون فيكم) ١٢٢
١٤ ـ (في فضلِ صلاةِ الضُّحَى) ١٢٤
حديث (إِن أَول ما يحاسب به العبد يوم القيامة هو صلاته) ١٢٦
حديث (أَتاني ربي في أَحسن صورة) ١٢٩
حديث (قول اللَّه تعالى: انظروا إِلى عبادي قد قضوا فريضة وهم ينتظرون أُخرى) ... ١٣٣
١٥ ـ (ما جاء في الإنفاق وفضله) ١٣٤
حديث: (أَنْفِقْ يا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ) ١٣٤
حديث (لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الأَرْضَ جَعَلَتْ تَمِيدُ) ١٣٧
(حديث التغليظ في الحَيْف والرشوة) ١٣٧

حديث النهي عن الإمساك والتبذير عند الموت ١٣٨
حديث الوصية بالثلث ١٣٨
١٦ ـ (ما جاء في الصيام وفضله) ١٣٩
١٧ ـ (ما جاء في دعاء النبي صلى اللَّه عليه وسلم لأمته يوم عرفة، وخطبة يوم النحر) ١٤٧
حديث: (دعاء النبيِّ صلى اللَّه عليه وسلم لأُمته عشية عرفة بالمغفرة) ١٤٧
١٨ ـ (ما جاء في الجهاد في سبيل اللَّه تعالى، وفضل الشهداء والإخلاص فيه) ١٥٠
حديث فضل الجهاد في سبيل اللَّه تعالى من صحيح البخاري أَخرجه البخاري في:
باب الجهاد من الإِيمان جـ ١ ص ١٦ ..... ١٥٠
(فضل الجهاد في سبيل اللَّه من صحيح الإِمام مسلم) ١٥٦
(حديث تكليم اللَّه عبد اللَّه والدُ جابر بعد استشهاده) ١٦٠
(حديث قول اللَّه تعالى للشهداءِ: هل تشتهون شيئاً؟) ١٦٢
حديث (يختصم الشهداء والمتوفَّوْن على فُرُشِهم) ١٦٤
حديث (من خان غازياً في أَهله) ١٦٤
حديث (عجب ربنا من رجل غزا في سبيل اللَّه) ١٦٦
حديث (عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل) ١٦٦
١٩ ـ (تضعيف الأجر على الأعمال لأمة محمد ـ صلى اللَّه عليه وسلم) ١٦٧
حديث (مثل اليهود والنصارى والمسلمين) ١٦٧
٢٠ ـ (صفة النبي ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ في التوراة) ١٧٠
حديث صفة النبي ﷺ في التوراة ١٧٠
٢١ ـ (جزاء الصبر على المصيبة) ١٧٣
حديث (جزاءُ الصبر على فقد العينين) ١٧٣
(حديث ثواب قبض الولد) ١٧٥
(حديث ثواب قبض الولد) ١٧٧
حديث (في فضل المريض الذي يحمد ربَّه) ١٧٨
حديث (الحُمَّى هي ناري أَسَلِّطها على عبدي المؤمن في الدنيا.. الخ) ١٧٨
حديث (اقْرَأْ وَاصْعَدْ) ١٧٩

حديث (إِنَّ الرجَلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ في الْجَنَّةِ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِهِ) ١٧٩
٢٢ ـ (الإنكار على الإسراف في القصاص، وإنما القصاص من الجاني) ١٨٠
حديث النملة التي قرصت نبياً ١٨٠
٢٣ ـ (شفقة النبي ـ صلى اللَّه عليه وسلم ـ على أمته ودعاؤه لهم) ١٨٤
حديث دعاء النبي صلى اللَّه عليه وسلم لأُمته وبكائه شفقة عليهم ١٨٤
حديث (إِن اللَّه زَوَى لِيَ الأَرض فرأَيت مشارقها ومغاربها) ١٨٦
٢٤ ـ (ما جاء في أن رحمة اللَّه غلبت غضبه وقبول التوبة من المذنبين) ١٩٠
حديث (إِنَّ رحمتي تغلب غضبي) ١٩٠
حديث (إِنَّ عَبْداً أَصاب ذَنْباً، فقال: رب أَصبت ذنباً) ١٩١
حديث (وَاللَّهِ، للَّهُ أَفرح بتوبة عبده الخ) ١٩٦
حديث (إِنَّ رَجُلَيْنِ مِمَّن دَخَلَ النَّارَ اشْتَدَّ صِيَاحُهُمَا) ١٩٦
٢٥ ـ (ما جاء في استخراج النذر من البخيل، وأنه لا يرد قضاء اللَّه تعالى) ١٩٨
لا ينبغي لأَحد أَن يقول: أَنا خير من فلان ١٩٨
حديث (لا ينبغي لعبد أَن يقول: أَنا خير من يونس بن مَتَّى) ٢٠٠
٢٦ ـ (ما جاء في الحث على الفضيلة والنهي عن الرذيلة) ٢٠٣
حديث (فضل إِنظار المعسر) ٢٠٣
حديث (مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً) ٢٠٦
حديث في النهي عن الفحشاءِ ٢٠٨
(حديث المتحابين في اللَّه تعالى) ٢١٢
حديث قول اللَّه تعالى: (مرضت فلم تعدني) ٢١٦
حديث (يا عبادي إِني حَرَّمْتُ الظلم على نفسي) ٢١٦
حديث أَبي إِدريس الذي ذكرناه أَتمُّ منه. ا هـ ٢١٨
حديث (الكبرياءُ ردائي، والعظمة إزاري) ٢٢١
٢٧ ـ (ما جاء في طلب موسى الاجتماع بالخضر ـ عليهما السلام) ٢٢٣
٢٨ ـ (جزاء الانتحار النار) ٢٢٧
٢٩ ـ (لا غنى لأحد عن فضل اللَّه تعالى) ٢٢٨

٣٠ ـ (أسلم سالمها اللَّه تعالى) ٢٢٩
٣١ ـ (ما جاء في تيسير قراءة القرآن) ٢٣١
حديث (ثلاثة يحبهم اللَّه عز وجل) ٢٣٣
(حديث نزول سورة الكوثر) ٢٣٤
(حديث فضل الصلاة والتسليم على النبيّ صلى اللَّه عليه وسلم) ٢٣٥
حديث بشارة أُم المؤمنين السيدة خديجة ـ رضي الله تعالى عنها ـ بِبَيْتٍ في الجنَّة ٢٣٦
٣٢ ـ (ما جاء في الإخلاص في العمل وذم الرياء، وترك النهي عن المنكر) ٢٣٩
حديث (أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ) ٢٣٩
حديث قول اللَّه تعالى: (أَبِي يَغْتَرُّونَ؟ أَم عليّ يَجْتَرِئون؟) ٢٤١
حديث قول اللَّه تعالى: (أَنَا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى) ٢٤٣

فهرس الجزء الثاني

المدخل إلى الجزء الثاني ٢٤٧
حديث (إِن أَول الناس يقضى يوم القيامة عليه.. الخ) ٢٤٧
حديث إن اللَّه ليسأَل العبد يوم القيامة حتى يقول: (ما منعك إِذا رأَيت المنكر أَن تنكره)؟ ٢٥٠
٣٣ ـ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ٢٥١
إرسال ملك الموت إلى موسى عليهما السلام ٢٥١
(حديث من أَحب لقاءَ الله أَحب الله لقاءَه) ٢٥١
(حديث إِرسال ملك الموت إلى موسى عليهما السلام) ٢٥٧
٣٤ ـ ما جاء في الحشر وأهواله، وحديث: (يقبض اللَّه الأرض) ٢٦٢
حديث: (إِنَّكُمْ تُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاة غرْلا) ٢٦٢
حديث (يحشر العباد فيناديهم ربهم: أَنا الملك). ٢٦٥
حديث يقال يوم القيامة لآدم عليه السلام: (أَخرج بعث النار من ذريتك) ٢٦٨
حديث (يقبض اللَّه الأرض... ثم يقول: أنا الملك) ٢٧٣
٣٥ ـ (ما جاء من أحاديث الشفاعة) ٢٨١
من روايات حديث الشفاعة من البخاري ٢٩٦

حديث الشفاعة من البخاري ٣٠٠
حديث الشفاعة من البخاري ٣٠٥
حديث الشفاعة ٣٠٩
بقية روايات مسلم في حديث الشفاعة ٣١٧
ثالثاً ـ حديث الشفاعة من سنن النسائي ٣٣٢
ـ باب زيادة الإِيمان ـ جـ ٨ ص ١١٢ ـ ١١٣ ..... ٣٣٢
رابعاً: حديث الشفاعة من صحيح الترمذي ٣٣٤
(باب ما جاءَ في الشفاعة) جـ ٢ ص ٧٠ وما بعدها ٣٣٤
خامساً: حديث الشفاعة من سنن الإِمام ابن ماجه ٣٣٦
من الجزءِ الأَول ـ باب في الإِيمان ص ١٦ ..... ٣٣٦
تابع حديث ابن ماجه في الشفاعة ٣٣٧
٣٦ ـ (ما جاء في وقوف العبد بين يدي ربه يوم القيامة) (وسؤال الأَنبياءِ عن التبليغ) ٣٣٨
(حديث وقوف العبد بين يدي ربه يوم القيامة) ٣٣٨
حديث (يدنو المؤمن مِن ربّه حتى يضع عليه كنفه) ٣٤٠
حديث: (يلقى العبد ربه، فيقول: أَي فُلْ، أَلم أَكرمك الخ) ٣٤٢
حديث (يجاءُ بابن آدم يوم القيامة، فيوقف بين يدي اللَّه) ٣٤٥
حديث: (من شغله القرآن وذكري عن مسأَلتي) ٣٤٦
(حديث سؤال نوح عليه السلام؛ هل بلغت؟) ٣٤٦
٣٧ ـ (الجنة محرمة على الكافرين ولا تنفعهم قرابة) ٣٤٨
حديث: (يقال لأَهون أَهل النار عذاباً) ٣٥٠
٣٨ ـ (احتجاج الجنة والنار وشكوى النار) ٣٥٣
حديث: (تحاجَّت الجنَّة والنَّار) ٣٥٣
حديث: (اشتكت النار إلى ربها) ٣٦٠
٣٩ ـ (ما جاء في حوض النبي صلى اللَّه عليه وسلم) ٣٦١
٤٠ ـ (ما جاء في ذبح الموت يوم القيامة) ٣٧٠
حديث يذكر فيه ذبح الموت على الصراط ٣٧٠

حديث: (يقول اللَّه: من كان في قلبه مثقال حبّة من خردل من إِيمان فأَخرجوه) ٣٧٢
٤١ ـ (ما جاء في ذكر ما حفت به الجنة والنار) وطعام أَهل النَّار ٣٧٥
حديث (حُفَّتِ الْجَنَّةُ بالمكاره، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَواتِ) ٣٧٥
حديث: (يلقى على أَهل النار الجوع) ٣٧٨
٤٢ ـ (ما جاء في رؤية المؤمنين ربهم وخطاب اللَّه لأهل الجنة) ٣٨٠
(حديث إِثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم ـ سبحانه وتعالى) ٣٨٠
(حديث خطاب اللَّه تعالى لأَهل الجنة) ٣٨٣
(حديث استئذان بعض أَهل الجنة ربّه أَن يزرع) ٣٨٥
حديث سوق الْجَنَّة ٣٨٦
فهرس المحتويات ٣٩١

AL-AḤĀDĪṬ AL-QUDSIYYA

THE HOLY HADITHS

Gathered from The six authentic books of Hadith

دار الكتب العلمية®
Dar Al-Kotob Al-ilmiyab
DKi
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban